نزهة النظار

في سيرة الملك الناصر

تأليف

موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي

ت ٧٥٩ / ١٣٥٨

تحقيق ودراسة

الدكتور أحمد حطيط

عالم الكتب

نزهة الناظر

في سيرة الملك الناصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

بيروت - المزرعة بناية الايمان - الطابق الاول - ص.ب. ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : تابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠

الاهداء

الى امي

مقدمة

١ ـ تمهيد:

خلال مراجعة الدكتور إحسان عباس لكتاب «مسالك الأبصار»(١) للمؤرخ شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، لفت نظره أن المجلد ٢٢(٢) من نسخة آيا ـ صوفيا يختلف عن المجموعة التي نسب إليها، فحدثني عن أهمية هذا المجلد وعن ضرورة تحقيقه ونشره، وذلك لما يتضمنه من معلومات هامة في التاريخ السياسي والحضاري للدولة الاسلامية في العصر المملوكي الأول، ولمحاولة التعرف إلى المخطوط وصاحبه ثم لتحديد العصر الذي ينتمي إليه.

٢ ـ المخطوط ليس جزءاً من مسالك الأبصار

وعكفت على دراسة المخطوط؛ فقمت في الخطوة الأولى بمقارنته بكتاب «المسالك» فوجدت أنه يختلف عن مجلدات نسختي الشهاب ابن فضل الله اختلافاً أساسياً؛ فالحوادث التي تضمنها المجلد موضوع البحث (٧٣٣ ـ ٧٣٨) تقع في ١٨٣ ورقة بينما لا تحتل في كل من النسختين المذكورتين سوى

(١) في مكتبة الجامعة الأميركية ببيروت صورتان شمسيتان من مخطوط «المسالك» مأخوذتان عن نسختي آيا ـ صوفيا ومكتبة أحمد الثالث، إضافة إلى ثلاث قطع من مخطوط باريس، وقطعتين من مخطوط أكسفورد.

(٢) وهو مجلد تاريخي يتضمن الحوادث ما بين ٧٣٣ ـ ٧٣٨، ويقع في ١٨٣ ورقة.

٤ صفحات فقط[1] ، وهذا ما يظهره الجدول التالي :

مخطوط المسالك	أرقام الصفحات التي تضمنت حوادث	عدد الصفحات
نسخة آيا ـ صوفيا المجلد رقم ٢٧	٢٠٧ و ـ ٢٠٨ ظ	٤[2]
نسخة أحمد الثالث المجلد رقم ١٦	٧٠١ ـ ٧٠٥	٤

أما الخطوة الثانية فتمثلت بإجراء نقد داخلي للمخطوط ، فتبين لي أنه احتوى على إشارات كثيرة جعلتني أستبعد ، بكثير من الثقة واليقين ، إمكان انتسابه إلى كتاب «المسالك» ، ومن تلك الإشارات على سبيل المثال :

(١) ـ في مجال رصد المؤرخ لأخبار آل فضل الله ، نراه يذكر تحركاتهم دون أي تعليق ، فيقول مثلاً : «وصل القاضي محيي الدين بن فضل الله من دمشق وأولاده صحبته»[3] ، ثم ينعت الشهاب أحمد (صاحب المسالك) بأنه « رجل حاد المزاج »[4].

(٢) ـ عند إيراده لأخبار أحد المماليك السلطانية ، يشير المؤرخ إلى أن هذا المملوك قد توفي لاحقاً بالقدس في سنة ٧٥٨[5] مما ينفي عن المخطوط ، بصورة لا تقبل الجدل ، أن يكون جزءاً من « المسالك » ، ذلك لأن الشهاب أحمد قد توفي قبل هذا التاريخ (ت ٧٤٩).

(١) مع اختلاف ظاهر في بعض المعطيات.
(٢) باعتبار أن الورقة مؤلفة من صفحتين (وجه وظهر).
(٣) المخطوط : ٥ ظ.
(٤) المصدر نفسه : ٩ و.
(٥) أيضاً : ١٤٩ و.

وإذا كان المخطوط موضوع البحث غريباً عن « المسالك »، فيصبح السؤال مطروحاً بالحاح : ما هو المخطوط ، ومَن هو صاحبه ؟

إن الدراسة التي قمت بها أوصلتني إلى أن المخطوط يمثل جزءاً من سيرة مطوّلة للناصر محمد بن قلاون تبدأ بأيام المنصور قلاون وتنتهي إلى سنة ٧٥٥[١]، وهي بعنوان « نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر » للمؤرخ المصري موسى اليوسفي . فكيف توصلت إلى هذه الحقيقة التي تعد في نظري كشفاً هاماً ؟

٣ ـ إثبات نسبة المخطوط

قمت برصد المصادر التي تلتقي مع المخطوط في التأريخ لأحداث السنوات (٧٣٣ ـ ٧٣٨) بعد أن استوعبت أهم الأحداث الواردة في المخطوط ، وكان أول ما حاولته التفتيش عن نصوص لدى المقريزي في كتابيه « السلوك» و «الخطط » تشابه أو تقارب ما جاء في المخطوط ذي المؤلف المجهول. وبعد بحث وتنقيب وقعت في «الخطط» على نصّ يتحدث عن باب زويلة[٢] فوجدته مشبهاً لنصّ ورد في ذلك المخطوط منقولاً عن أثر يسميه « جامع سيرة الناصر محمد بن قلاون »، فأخذت أتتبع مواضع اعتماده على هذا الكتاب فوجدته قد اعتمد عليه في ثلاثة مواطن أخرى[٣] يسميه في إحداها « مؤلف السيرة الناصرية موسى بن محمد بن يحيى ، أحد مقدمي الحلقة »[٤].

وكانت الخطوة الثانية أنني وجدت ابن حجر العسقلاني يذكر «تاريخ موسى بن محمد اليوسفي » و «السيرة الناصرية لليوسفي» في عداد مصادره

(١) أيام السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاون .

(٢) المقريزي، الخطط ١ : ٣٨١ .

(٣) المقريزي، الخطط ٢ : ١٤٣، ١٩٩، ٢٧٨ .

(٤) المصدر نفسه ٢ : ٢٧٨ .

في كتاب «الدرر الكامنة»[1] ، وهنا توجه اهتمامي إلى تعرف شيء عن اليوسفي،فوجدت في ترجمته من كتاب الدرر نفسه أنه «جمع تاريخاً كبيراً في نحو خمس عشرة مجلدة سماها نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر »[2].

ولم يكن في إمكاني اعتماداً على هاتين الخطوتين أن أحسم في الأمر لولا ما أفادتنيه الخطوة الثالثة وهي إجراء مقارنة بين أحداث السنوات (٧٣٣ ـ ٧٣٨) في كل من المخطوط وفي«عقد الجمان» للعيني ، ولقد بهرني كما سرني أن أجد الاتفاق يكاد يكون كاملاً بين المصدرين ، ليس هذا وحسب ، بل إن العيني ليصرّح بأنه ينقل عن « النزهة » أو كتاب « نزهة الناظر » ويشير إلى المؤلف بـ« صاحب النزهة »[3] ، وأحياناً دون أن يشير إلى ذلك ؛ وهذا جدول يبين نقول العيني عن النزهة وعدد الموضوعات التي نقلها وعدد الإشارات الصريحة إلى ذلك :

السنة	عدد الموضوعات الواردة في المخطوط	عدد الموضوعات التي أخذها العيني عن المخطوط	عدد المرّات التي صرح العيني بأخذه عن المخطوط
٧٣٣	١٩	١٦	١٥
٧٣٤	٢٧	٢٤	٥
٧٣٥	٢٧	٢٤	٦
٧٣٦	٢٣	٢٢	٤
٧٣٧	٤٤	٣٨	٦
٧٣٨	٣	٢	١١

(١) ابن حجر، الدرر الكامنة ١ : ٢٧٠ ، ٣٦٧ ، و٢ : ٥٢ ، ١٦١ ، ٤٠٤ .

(٢) المصدر نفسه ٤ : ٣٨١ .

(٣) العيني ، عقد الجمان ، نسخة أحمد الثالث ١٧/٢٩١١ : ٧١و ـ ١٣٠و (٦٠ ورقة) وموضع الاشارة : ٧٦و ، ٧٧و ، ٧٧ظ ، ٩٠و ، ٩٠ظ ، ٩٣ظ ، ٩٨ظ ، ١٠١و ، ١١٣ظ . . . الخ.

ويستفاد من هذا الجدول أن نسبة الموضوعات التي أخذها العيني عن هذا القسم المتبقي من نزهة الناظر ١٢٦ /١٤٣ أي حوالي ٨٧ ٪ من محتويات المخطوط ، وإذا تذكرنا أن ١٣ ورقة من النسخة التي رجعت إليها من عقد الجمان مطموسة تماماً[١] فإن احتمال ارتفاع هذه النسبة يغدو أمراً ممكناً .

عندئذ استقر الكشف عن أن ما بين يديَّ قطعة من « نزهة الناظر » لليوسفي ، وأن«عقد الجمان» يُعدّ نسخة ثانية تصلح للمقارنة .

وتأكيداً للأمرين معاً أي لإثبات صحة نسبة الكتاب إلى مؤلفه وإبداء مدى التشابه والافتراق بين نصين ينتميان إلى أصل واحد ، وجدتني أورد مقارنات تفصيلية بين النصّين ، في ما يلي ، رجاء أن يشركني القارىء فيما اعتمدته من كشف :

نماذج من سنة ٧٣٣

١ ـ ورد في المخطوط[٢] : « وفيها ورد خبر من نايب الشام صحبة مملوكه بتهنية السلطان بسلامته ، ويسأل الحضور لرؤيته ، وجل قصده الشكوى على نايب طرابلس بأنه أخذ جميع أموال شهاب الدين قرطاي وما خصه من اقطاعه ، ولم يوصله شيئاً منه . فكتب السلطان الجواب ، وعرّفه أنه عزل طيلان من نيابة طرابلس، وكتب تقليد شهاب الدين قرطاي بنيابة طرابلس على عادته ، وكتب تقليداً لطيلان بنيابة غزة عن اهانة له واخراق لحرمته ، وطلب الأمير سيف الدين يلبغا ، ورسم له أن يسافر بتقليدهما لنايب الشام ، ورسم السلطان ليلبغا أن نايب طرابلس إذا امتنع من نيابة

(١) الأوراق المطموسة في العيني هي: ٧٣و-ظ، ٧٨و-ظ، ٨٣و-ظ، ٨٨و-ظ ٩٢و-ظ، ٩٤و، ٩٢و-ظ، ١٠٤و-ظ، ١٠٤و-ظ، ١٠٧و-ظ، ١١٤و-ظ، ، ١١٧و-ظ، ١٢٢و-ظ، ١٢٩و-ظ.
ومما تجدر ملاحظته أن العيني نقل ترجمة ألماس الحاجب حرفياً عن«النزهة»إلّا انه جعلها في وفيات ٧٣٣ (الورقة ٧٦و ـ ٧٦ظ).

(٢) المخطوط: ١ظ ـ ٢و. (وقد كان من الممكن وضع النصين متقابلين لتسهيل المقارنة، ولكن حالت دون ذلك صعوبة التنفيذ).

غـزة يقبض عليه ويقيّده ويحضـره معـه إلى خـدمـة السلطان . وكـان السبب الموجب بين نايب الشام ونايب طرابلس أنه لم يسلك مع نـايب الشام مـا كان يسلكه قرطاي في نيابته ؛ فإنه كان رجلاً كبيراً عاقلاً جـرب كثيراً من الأمـور وعـرف قدر نـايب الشام عنـد السلطان ، وعظم محله فسـاس أمره معـه حتى صار إذا كتب المطالعـات جوابـاً للسلطان يكتب لنايب الشـام أيضاً ، ويسـيّر مطالعة السلطان طيّها من غير ختم حتى يقف نايب الشام عليها ، ويحاط بهـا وختمها مع هدايا وتحف وقبول ساير ما يرسم به ، فيبادر إلى قضائه » .

وفي العيني[1] : « وقـال صاحب النـزهـة : وبعـد مجيء السلطان من الحجاز جاء مملوك نايب الشام ومعه كتاب بتهنئـة السلطان وسلامتـه ، وسأل من الحضـور لرؤ يتـه ، وجل مقصـوده أنه يشكـو من نايب طـرابلس شكوى كثيرة ، وأنه كبرت نفسه عليه ، وأنه يرسل إليـه مشافهـة بكلام فـج واخراق حرمة ، وأن أي كتاب نسيّره إليه لا يقبله ، وأنه أخذ جميع مال الأمير شهاب الـدين قرطـاي الذي خصـه من اقـطاعـه ، ولم يـوصـل إليـه شيئـاً ، فكتب السلطان الجـواب بحضوره ، وعـرّفه أنـه عزل طيـلان من نيابـة طـرابلس ، وكتب تقليد الأمير شهاب الدين قرطاي بنيابة طرابلس على عادته ، وأنه كتب تقليداً لطيـلان بنيابـة غزة ، وطلب الأمـير سيف الدين بيغـرا ، ورسم له أن يسافر بتقليدهما إلى نايب الشام ، وأَسَرَّ إلى بيغرا أن نايب طرابلس إذا امتنـع أن يكون نايب غـزة أو سمعت منه كـلاماً يشبـه ذلك فـاقبض عليه وقيِّـده ، واحضره إلى مصر . وكان السبب الموجب لذلك بين نايب الشـام وبين نـايب طرابلس أنه لم يكن يسلك مع نايب الشام ما كان يسلكه قـرطاي في نيـابته ؛ فإنه كان رجلاً كبيراً عاقلاً قد جرب الأمور ، وكـان يعرف قـدر نايب الشـام عند أستاذه ، وكان إذا كتب مطالعة للسلطان كان يكتب أيضاً لنايب الشام ، وكان يبعث مطالعة السلطان في ضمن مطالعته من غير ختم حتى يقف عليهـا نايب الشام » .

---

(١) العيني : ٢٩١١/١٧ : ٧٢و ـ ٧٢ظ .

٢ ـ ورد في المخطوط[١] : « وفيها شرع النشو في فتح أبواب الظلم والمصادرات وتحصيل الأموال من حيث الجملة ، وأول استقباله كان أولاد التاج ، وأحضر زوجة مكين الترجمان وبعض أهل الاسكندرية ، وعرَّفهم ما يقولوه قدام السلطان، ودخل بهم إليه وشهدوا على التاج إسحاق أنه تسلّم من مكين الترجمان صندوقاً فيه ذهب وزمرد وجوهر مثّمن ، وعظموا أمره ، فرسم بطلب ابن المحسني ، وأنكر عليه بسبب أنه لم يعاقبهم ولا خلّص منهم شيئاً ، فعرّفه أنه حمل في غيبة السلطان منهم قريب (. . .) ألف درهم . ورسم له بعقوبة موسى إلى أن يحضر الصندوق ، وعرّف النشو السلطان أن الولاة جميعها تُطْلَب ، وتُحصَّل منهم الأموال . وسيَّر أخوه إلى الوجه القبلي لكشف الدواليب ، فطلب موفق الدين كاتب الدرج لناظر الخاص ، ورسم للوالي بقتله بالمقارع ، كون أنه بلغه عنه أنه كان يدخل لأولاد التاج ويخرج ويسعى لهم ، فوقف له في ذلك جمال الدين ريس الطب وسأله فيه سؤال كثير حتى أفرج عنه ، وبقي في بيته ، وشرع في تتبع أثر أصحابه ومن بلغه أنه يصحبه أو يعاشره أو له في أيامه مباشرة من جهته ، مع تطلب أهله وقرابته ومن يلوذ بهم ، وأحضر قنغلق[٢] والي البهنسا وقشتمر والي الغربية ، وفخر الدين أياس متولي المنوفية ، وجماعة من المباشرين ، وسلّمهم لابن هلال الدولة ليستخلص منهم الأموال».

وفي العيني[٣] : «وفيها شرع النشو في فتح أبواب الظلم والمصادرات وتحصيل الأموال من الجملة ، وكان أول شروعه في أولاد التاج ، ثم أحضر زوجة مكين الترجمان من اسكندرية وبعض أهلها، ودخل كلهم عند السلطان ، وشهدوا على التاج إسحاق أنه تسلّم من مكين الترجمان صندوقاً فيه

(١) المخطوط: ٣ظ ـ ٤و.

(٢) كذا؛ وصوابه قنغلي كما ورد لاحقاً في المخطوط والعيني، وهذه إشارة إلى مدى مجاراة العيني للمخطوط وتأثره به حتى وقع في نفس أخطائه.

(٣) العيني : ٢٩١١/١٧ : ٧٤و.

ذهب وزمرد وجوهر مثمّن ، وعظم أمر ذلك جداً ، وأمر السلطان بطلب ابن المحسني ، وأنكر عليه بسبب أنـه لم يعاقبهم ولا خلّص منهم شيئاً . ثم سيّر النشو أخاه إلى الوجه القبلي لكشف الدواليب ، وطلب موفق الدين كاتب الدرج لناظر الخاص ، وأمر للوالي بقتله بالمقارع لكونه أنه كان يدخل لأولاد التاج ويخرج ويسعى لهم . ثم شرع في تتبع أثر أصحابه ومن بلغه أنه يصحبه أو يعاشره أو كانت له في أيامه مباشرة مسكه وعاقبه وأخذ منه . ثم مسك قنغلق[1] والي البهنسا وقشتمر والي الغربية وفخر الدين أياس متولي المنوفية وجماعة من المباشرين، وسلّمهم لابن هلال الدولة يستخلص منهم الأموال» .

٣ ـ ورد في المخطوط[2] : « وفيها كان الفراغ من عمارة الأمير قوصون من تجديد دار الأمير بدر الدين البيسري ، وكان السبب لأخذ قوصون هذا الدار ، أنه كان يختار أن يكون له بيت يسكنه في المدينة ، وحصل له يوم ركوب من باب النصر، ودخل على بين القصرين، ورأى بوابة الدار وما عليها من الحشمة والحرمة والباب الذي ما سبق إلى عمله ، فنظر إليها وسأل عنها ، فعرّفوه بسببها ولمن كانت ، وأخبروا أيضاً لمن كان يتقرب إليه من الناس ، وأخبره عن عمارة سلار وغيره في ذلك المكان أخذ ومعه أمرها ، وأنها ما عمل مثلها في مصر . وبقي في خاطره إلى أن عرّف السلطان ، وسأله في أمرها ، وأنها ما عمل مثلها في مصر . فرسم أن ينحل في أمرها ، فطلب الورثة وتحدث معهم أن السلطان ما يمكنه الحديث في أمرها لأجل أنها كانت لأمير كبير ومسموع بها ، ولها سيرة بين الأمراء، وأوصاه أن يرتب أمرها مع الحكام . وبعد ذلك كثرت الكلام فيها ، فطلب القاضي شرف الدين الحراني الحنبلي ، واتفقوا معه أن يفعل فيها كما فعل في حمام قتّال السبع ،فإنه مذهبه ذلك. وأوثقوا القضية ، وطلبوا الورثة إلى عند الأمير قوصون

(١) راجع ما ورد في الصفحة ١١، حاشية رقم ٢ .

(٢) المخطوط: ٢٧ظ ـ ٢٩ظ.

وأوعدهم بمواعيد كثيرة ، وضمن له الامرة وغيرها ، وما زال بهم إلى أن أنعموا بالبيع بعد ما عرّفوه أن هذه وقف وليس لأحد فيه تصريف ، وكان ذلك جلّ قصد الورثة لتحصيل شيء ينتفعوا به . واتفق الحال على ذلك ، وعرف السلطان ، فطلب علاي الدين بن هلال الدولة ، ورسم أن يأخذ صحبته شهود القيمة ، وينزل يقوّم الدار ويعمل أموره فيها على الوجه الشرعي . فنزل وصحبته شهود القيمة ، وكنت ممن صحبه ذلك اليوم عند نزوله إليها ، وجدنا دار لا يمكن أنه بني على أرض مصر والقاهرة صفة البناء المحكم الذي كان فيها ، وحسن صنعتها والرخام والذهب والأبواب جميعها مطعمّة عاج وأبنوس وعمارة متقنة لا يمكن أن يكون في مثل ذلك الوقت ، ووجدت مكتوب تاريخها في الدولة الظاهرية سنة تسع وخمسين وستماية ، وكان الصانع كما خرج منها في كل صنعة كانت من الرخام إلى الذهب إلى البياض . ولما رأيناها دهش كل أحد لها ، ووقف شهود القيمة ، وفيهم ابن بلوبة ، فنظر إليه ابن هلال الدولة ، وقال : قوّم يا قاضي . فصار يمشي في جوانبها وينظر إلى رفقته ، وآخر الحال انتهى أنه قوم الدار جميعها بماية وتسعين ألف درهم ، وتكون الغبطة للأيتام عشرة ، فيكون الثمن مايتي ألف درهم . فنظر إليه ابن هلال الدولة ، وقال : يا ابن بلوبة ، ترى أين يكون مقعدك في جهنم ؟ تقوّم هذه الدار بمايتي ألف درهم ! فقلت جواباً له : يا أمير ، هذا المقوم ، فأين يكون من يستحل بيع هذه الدار ؟ . قال لي : فوق هذا بطبقات من طبقات جهنم . وطلع عرّف السلطان ذلك ، ونزلوا للقاضي شرف الدين الحراني ، وأحضروا إليه كتبها ، فأخبرني الشيخ الثقة فتح الدين ابن سيد الناس ، شيخ الحديث ، أنه وقف على كتبها ، وكان عدد العدول الذي شهدوا فيها اثنين وتسعين عدل من جملة عدولها : القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد ، والقاضي ابن الرزين ، والقاضي ابن بنت الأعز ، كان ذلك الوقت لم يبلغوا درجة القضاء ، وأنه لم يسمع بأفحش من حلّ هذا الوقف ووقف حمام قتّال السبع ، وأبيع ذلك على مذهب الحنبلي ،

وقبضوا الثمن وألزموهم بشراء أملاك لهذا الوقف ويوفوا شروطه . وبلغني أن هذا الدار بناها الأمير بدر الدين في الدولة الظاهرية ، وأنها كانت قديماً ، لما ملكت الافرنج مصر ودخلوا إليها ، ثم وقع الصلح بين المسلمين والافرنج بعد حرب كانت بينهم، واتفقوا على أن يكون نصف متحصل المدينة للافرنج والنصف للمسلمين، وأنها كانت على سبيل الخمس إلى أن ملكوا المسلمين وقتلوا الافرنج، وتمادى الأمر إلى الدولة المظفرية ثم الظاهرية ، اتخذ البيسري هذا الدار وصار ينفق فيها أموال عظيمة ، فبلغ الملك الظاهر ، فأنكر عليه ، وقال : يا بدر الدين ، إيش خليّت للغزاة والبواكير؟ قال : صدقات السلطان . والله يا خوند ، ما بنيت هذا الدار إلا حتى يصل خبرها إلى بلاد العدو ، ويقولوا بعض مماليك السلطان عمر داراً غرم عليها مال عظيم . فأعجب (السلطان ذلك) وأنعم عليه بألف دينار ، ولم يسمع عن الملك الظاهر انعام أكثر منه في مثل بين القصرين نحو الفدانين بالقصبة وداخلها اصطبل وبستان وحمام إلى جانبها . ورسم السلطان للنشو أن يرصد نفسه للأصناف الذي تحتاج إليها ، وتكفل بأمرها ، وشرع في طرح الأصناف وغيره وتحصيل الأموال ، ووقع بالناس ظلم عظيم ، وعانت من كثرة الرمي والطرح ».

وفي العيني[1] : « وفيها كان الفراغ من عمارة الأمير قوصون ، وهي تجديد دار الأمير بدر الدين البيسري . وكان السبب لأخذ قوصون هذه الدار أنه اختار أن يكون له بيت يسكنه في المدينة ، وكان يوماً راكباً قد مرّ على بين القصرين ، ورأى بوابة هذه الدار وما عليها من الحشمة ، وبابها لم يسبق إلى عمله أحد ، فسأل عليها ، فأخبروا أنها لورثة الأمير بيسري ، فبقي في خاطره ذلك ، وطلع عند السلطان وأخبره بذلك ، ثم سأله في أمرها ، فأمر السلطان بحلها من الوقفية وبتفرغ الورثة ، فطلبوا القاضي شرف الدين الحراني الحنبلي ، واتفقوا معه أن يفعل فيها كما فعل في حمام قتّال السبع ، فإنه،

(١) العيني ٢٩١١/١٧ : ٧٤و - ٧٥و.

مـذهبه يقتضي ذلـك، فطلبـوا الورثـة إلى حضرة الأمـير قوصـون، فتحـدث معهم ووعد لهم بمواعيد كثيرة ، وضمن لأحدهم الامرة وغير ذلك ، وما زال بهم إلى أن أنعمـوا بالبيـع بعدمـا عرفـوا أنه وقف وليس لأحـد فيه تصـرف . وأمــا الـورثــة فكـان جــلّ قصـدهم ذلــك لأجـل الانتفــاع بــالثمن، ثم عرّفوا السلطان بذلك ، فطلب علاء الدين ابن هلال الدولة ، وأمره أن يأخذ معه شهود القيمـة وينزل بهم ، فيقـوّمون الـدار المذكـورة ويعملون فيها عـلى الوجه الشرعي، فنزل بهم . قال الراوي : وكنت أنا معهم ، فلما نزلنا إليها وجدناها داراً لا يمكن أن يكون مثلها بناء في مصـر والقاهـرة من اتقان بنـايها واحكامها وحسن صنعتها ، ومن الرخام العظيم فيها ؛ وأبوابهـا كلها مـطعّمة بعاج وأبنوس . قال : ورأينا تـاريخها كـان في الدولـة الظاهـرية في سنـة تسع وخمسين وستماية ، فكان الصانع كما خرج منها والذهب ينقط منهـا واللازورد يبرق فلما رأيناها دهشنا ، ووقف شهـود القيمة ، وفيهم شخص يقـال له ابن بلوبة ، فنظر إليه ابن هلال الدولة ، وقال : قوّم يا قاضي . فصـار يمشي في جوانبها ، وينظر إلى رفقته ، وآخر الأمر أنه قوّمها بمايـة وتسعين ألف درهـم ، والغبطة للأيتام بزيادة عشرة آلاف ، فتكون الجملة مايتي ألف درهم . فنـظر إليه ابن هلال الدولة ، وقال له : يا ابن بلوبة ، تـرى أين يكون مقعـدك في جهنم ؟ تقوّم هذه الدار بمايتي ألف درهم ؟ قال الراوي : فقلت جواباً لـه ، يا أمير ، هـذا المقوّم ، بـأين يكون من يستحـلّ بيع هـذه الدار ؟ فقـال لي : « فـوق هذا بـطبقات من طبقـات جهنم ». ثم طلعـوا إلى السلطان وعـرّفـوه بذلك ، ثم نزلوا إلى القاضي شرف الدين الحراني وأحضروا إليه كتبها . قال الراوي : أخبرني الشيخ الثقة فتح الدين ابن سيـد الناس ، شيـخ الحديث، أنه وقف على كتبهـا ، وكان عـدد العدول الـذين شهدوا فيهـا اثنين وتسعـين عدلاً من جملتهم القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد ، والقاضي ابن رزين ، والقاضي ابن بنت الأعز ، وكانوا في ذلـك الوقت عـدولاً ، ولم يبلغوا درجـة القضـاء . قال الـراوي : ولم يُسمـع بـأفحش من هـذا الـوقف ووقف قتّـال

السبع ، وهو الحمام، فبيع ذلك على مذهب الحنبلي ، وقبض الورثة الثمن ، ثم ألزموهم بشراء أملاك ليوقف عوض ذلك . وهذه الدار كما ذكرنا بناها الأمير بيسري ، وأنفق عليها أموالاً عظيمة ، فبلغ ذلك الملك الظاهر بيبرس ، فأنكر عليه ، وقال : يا بدر الدين ، إش خلّيت للغزاة والبيكارات ؟ قال : صدقات السلطان . والله يا خوند ، ما بنيت هذه الدار إلّا ليشاع خبرها إلى بلاد العدو، فيقولون بعض مماليك السلطان عمر داراً وغرم عليها مالاً عظيماً ، فأعجب السلطان ذلك ، وأنعم عليه بألف دينار ، ولم يسمع من الملك الظاهر انعام أكثر منه . وكانت هذه الدار في مثل بين القصرين ، وهي في نحو فدانين بالقصبة وداخلها هايل وبستان وحمام إلى جانبها» .

نماذج من سنة ٧٣٤

١ - ورد في المخطوط[(١)] : « وكان وصلوا المبشرين في أوايل المحرم ، وأشيع الخبر بمصر أن بعض ملوك المغل كان قصد الحج ، وأنه قتل يوم رمي الجمار ، وبقيت الناس في ذلك منتظرين خبره إلى أن وصل الحاج ، وكان الأمير سيف الدين برصبغا قد حج تلك السنة ، واستوضحت أمر ما اتفق ، فأخبرني ثقة ممن كان له اطلاع في ذلك السبب أن قطلبك مملوك خواجا مجد الدين السلامي ، حضر من عند أستاذه وصحبته كتاب أبو سعيد ، ملك الشرق ، يذكر فيه أن ثمّ شخص من أعدانا ، وقد حج في هذه السنة ، وسأل السلطان في قتله وأخذ ماله ، ولا يعود إلى البلاد ؛ فإن عوده فيه فساد كثير ، وأنه يخشى عاقبته . وأخبروا عن هذا الرجل أنه كان يسمى ياسور ، وأنه من عظم القان وأنه معروف بالفروسية والاقفنسة ، وله وقايع كثيرة عرف له فيها بالشجاعة والاقدام، وأنه اتفقت له وقعة عظيمة رموا فرسه بالنشاب ووقع إلى الأرض، واجتمعت عليه جماعة كثيرة من المغل ، فوقف راجل

(١) المخطوط: ٣١و- ٣٥و.

وقاتلهم ، ثم ركب وقاتلهم ، فعرفه بعضهم ، وكان هو المطلوب، واجتمعوا جماعة كبيرة ورموه من الفرس بعد قتله جماعة منهم . وما وقع إلا وقد اثخنوا بالجراح ، ووقع وعلموا أنه لم يبق فيه روح ، واشتغلوا بغيره ، وأنه أقام يومين وليلتين ملقى على الأرض، وأفاق ثالث يوم ، وقوّى نفسه ومشى إلى أن دخل في الليل قرية بالقرب من مكان الوقعة ، والتجأ إلى طاحون ، ودق الباب ، وخرج الطحان إليه فوجده في غاية الضعف ، فسأله عن حاله ، فقال : أنا رجل وقعت على الحرامية وجرحوني ، وأنا غريب ، فاربح حسنة وآويني ؛ فإن عشت كافيتك ، وإن مت تربح أجري . فدخل به الطاحون وأكرمه، وأقام يداويه أيام إلى أن فاق من جراحاته وقويت نفسه، وخرج من عنده متنكر إلى أن تحيّل ووصل إلى أهله. وكانت له شهرة عظيمة في تلك البلاد وشهر حاله ، وعلم أعداءه قد علموا بحياته وظهوره. وحكي لي الناقل عنه ، وهو من أعيان الأمراء الذي وصلوا من بلاد قازان ، وكان رجل صادق، وأمّره السلطان في مصر، كان يعرف بنيروز ، وأنه رافقه وصحبه في البلاد، وآخر ما اتفق له أنه ذكر بين أمراء المغل ، لما فعل أبو سعيد بجوبان وأولاده من الفتك ، وأخبروا أبو سعيد أن جوبان قصد أن يقيم هذا كونه من عظم القان ، واتفق لهذا الرجل أن أسلم وحسن اسلامه ، وصحب الفقراء والفقهاء وقوّى في أمر الاسلام إلى أن عرّفوه أن الحج من جملة فرايض الاسلام ، فحضر لأبو سعيد واستأذنه، ونظر أبو سعيد إليه فهابه شكله ومنظره ، وكان رجل أتمّ الرجال على ما نقلوه والشجاعة لايحة بين عينيه ، فأكرمه أبو سعيد وقرّبه وجهّزه بجميع ما يحتاج إليه ، وأنعم عليه بعشرة طوامين ذهب بعد ذلك، وأصحب أمير ركب العراق أن يكون في خدمته ويعظّمه. وبعد فراقه من أبو سعيد عرّفوه من أرادوا قتله: أن هذا الرجل من أصل القان الكبير ، ولا نأمن أن يتغير حالك ، ويكون لهذا الرجل ، وإذا ولي أمر المغل مثل هذا عظم شأنه بين المغل . واتفق الحال طلب مجد الدين السلامي إلى أبو سعيد والوزير ، وعرّفه الصورة ، وكتب أبو سعيد للسلطان الملك الناصر بذلك السبب ، وعرّفه : أن فلان قد حج ، وأن هذا

رجل له أعوان وربما حصل منه أمر يخشى عاقبته علينا وعلى المسلمين ، وقد أمكنت الفرصة منه في هذا الوقت . وسيّر الكتاب صحبة قطلوبك مملوك السلامي، ووصل السلطان. ولما وقف عليه، وفهم المقصود، ونقل قطلوبك ما معه من المشافاة، رسم بطلب دليلين من العرب وأعطاهم هجن يصلحوا لهذا المهم ، وكتب كتاب للأمير سيف الدين برصبغا وأفهمه المقصود فيه ، وأن يشرك في أمره الشريف عطيفة ورميثة أمراء مكة ، شرفها الله تعالى، ورسم أن يكون قطلوبك مملوك السلامي صحبتهم ، فإنه سأله عن معرفة الرجل ذكر أنه رآه. وكان حضوره إلى مصر مستهل ذو القعدة وخروجه من توريز الاردو العشر الأول من شوال ، وأقام بمصر عشرة أيام وركب، فكان وصوله إلى مكة يوم دخول الحاج إليها . ولما علموا بحضوره تشوشوا بسببه، وأشاعوا عن أمور كثيرة جرت بمصر، واجتمع مع برصبغا وأعطاه كتاب السلطان، فذكر لي من وقف عليه وقرأ عليه كان رفيق له في الطريق وهو ناصر الدين محمد بن عبد الرزاق ، أنه إذا وصل إليك مرسومنا تتقدم بطلب الشريفين أمراء مكة وتعرّفهم المقصود، ويكونوا عون لك على ما رسمنا ، ويتحيّل في قتل المشار إليه بكل حيلة ، ومهما كان صحبته من المال وغيره يختطفه . ولما فهم ما فيه أحضر قطلبك وعرّفه القصد، وأنه حضر من بلاد أبو سعيد بهذا السبب ، وأن الأمير طلب الشريف رميثة وعرّفه مرسوم السلطان الذي حضر والسبب لحضوره ، وأن رميثة كان جوابه : والله يا أمير ، ما أحد منا يمكنه أن يفعل شيء من هذا مع ملوك، ولا يليق بنا ونبقى أعداء لهؤلاء القوم ، وربما حصل لنا من ذلك الضرر . وكذلك قال عطيفة . . . ».

وفي العيني[1]: « وفي أوايل المحرم جاء المبشرون من مكة وبشروا بسلامة الحجاج، وأشيع بمصر أن بعض ملوك المغل كان قد حج في السنة الماضية ، وأنه قتل يوم رمي الجمار ، ولما جاء الحجاج تحقق الخبر بذلك . وأصل ذلك أن قطلبك الذي كان مملوك خواجا مجد الدين السلامي حضر من

(١) العيني ٢٩١١/١٧: ٨١و-٨٢و.

عند أستاذه ومعه كتاب الملك أبي سعيد، ملك الشرق ، يذكر فيه أن شخصاً من أعدائنا قد أراد أن يحج في هذه السنة ، وسأل السلطان في قتله وأخذ ماله ، فإنه إن عاد إلى البلاد يحصل منه فساد كبير ، وأنه يخشى عاقبة أمره، وكان هذا يسمى ياسور ، وكان من عظم الخان ، وهو معروف بالفروسية والشجاعة ، وكانت له وقايع عظيمة عرفت فيها شجاعته ، منها أنه كان في وقت من الأوقات اجتمعت عليه جماعة كثيرة من المغل ، فقاتل معهم راجلاً ثم راكباً ، فرموه من فرسه بعد أن قتل منهم جماعة ، وكان قد أثخن بالجراحات ، وكانوا قد ظنوا أنه مات ، واستبعدوا شره ، فأقام هو هناك يومين وليلتين ملقى على الأرض ، ثم استفاق في اليوم الثالث ومشى هوينا إلى أن دخل قرية بالقرب من مكان الوقعة ، وكان ليلاً ، فالتجأ إلى طاحون ، ودق الباب وخرج الطحان إليه ، فوجد رجلاً مجروحاً ضعيفاً ، فسأله عن حاله ، فقال له : أنا رجل غريب لقيت في طريقي حرامية فقاتلوا معي وجرحوني ، فاعمل معي خيراً وآوني عندك، فإن عشت كافيتك ، وإن مت فتربح الأجر فيما تعمل معي . فدخل به الطاحون، وأحسن إليه، وأقام يداويه إلى أن فاق من جراحاته وقويت نفسه، ثم خرج من عنده متنكراً إلى أن وصل أهله ، وكان له شهرة عظيمة في تلك البلاد ، فعلم به أعداؤه وتحققوا أنه لم يمت . قال الراوي : أخبرني رجل يسمى نيروز كان قد أتى إلى مصر من بلاد قازان ، وكان السلطان أمّره ، وكان رجلاً صادقاً جيداً ، أنه رافق ياسور المذكور وصحبه في البلاد ، وأنه ذكر لأبي سعيد بأنه من عظم الخان ، وأن جوبان قد كان قصد أن يقيم هذا موضع أبي سعيد لكونه قريب الخان ولشجاعته. وكان قد أسلم وحسن اسلامه ، وصحب الفقراء والفقهاء وعرف الفرايض وعرف أن الحج من جملة فرايض الاسلام . فحضر إلى أبي سعيد واستأذنه ، فنظر إليه أبو سعيد فهابه من شكله ومنظره وكان رجلاً طوالاً عريضاً تلوح الشجاعة بين عينيه، فأكرمه أبو سعيد وجهّزه بجميع ما يحتاج إليه ، وأوصى أمير ركب العراق أن يكون في خدمته . ولما قرب سفره

أوحوا إلى أبي سعيد أن لا يؤمن عليه ، وربما يظهر منه أمر يؤدي إلى سلب المملكة منك وعودها إليه ، فأوهموا أبي سعيد وهماً فاحشاً حتى كتب إلى السلطان بقضيته وسأل فيه قتله مهما أمكن ، وأرسل كتاب بذلك مع قطلوبك مملوك السلامي كما ذكرنا . فلما وقف عليه السلطان أمر لدليلين من العرب أن يلحقا للأمير سيف الدين برصبغا ، أمير الحاج ، ومعه كتاب يتضمن الأمر بقتل ياسور المذكور ، وأمره أن يشرك في أمره الشريف عطيفة ، والشريف رميثة أصحاب مكة ، شرفها الله تعالى ، وأمر لقطلوبك المذكور مملوك السلامي أن يكون مصاحباً للدليلين المذكورين . وكان حضوره إلى مصر مستهل ذي القعدة من السنة الماضية ، وخروجه من تبريز كان في العشر الأول من شوال ، وأقام بمصر عشرة أيام، فركب مع الدليلين ووصلوا إلى مكة يوم دخول الحاج إليها ، واجتمعوا بالأمير برصبغا وأعطوه كتاب السلطان فقرأه وفهم ما فيه ، فطلب الشريفين المذكورين وأعلمهما بالقضية ، فلم يوافقاه على ذلك خوفاً من عاقبة هذا الأمر. . .».

٢ - ورد في المخطوط[١] : « . . . واتفقوا أن كتبوا للسلطان بأنهم قد غلبوا فيه ، وأنه لم يطاوعهم ، فكتب السلطان إليه صحبة مملوك نايب حلب كتاب بالانكار عليه ، وأنه يخرج من بلاده قول واحد ، وأنه متى أقام جرّد إليه عسكر . فلما وصل إليه الكتاب والمشافاة ، قال : قُلّه ما أدعك تعذب الناس ، ألا والله لأرحلنّ إلى أرض غير أرضك ، وأدخل تحت طاعة ملك أكون آمن على نفسي منه . وركب من مكان نازل فيه ، واقتضى رأيه أن يدخل على أبو سعيد ويقيم عنده . وبلغ ذلك أخوه حديثة ومحمد وأولاده فركبوا إليه، وقصدوا منعه فأبى ، وقال : أنا ألزمت نفسي يمين الأبد أن أدخل بلاد أبو سعيد، وأقيم مع التتار. وغلب على رأيهم وفارقوه ، وهمّ إلى أن عدا الفرات ، ووصل خبره إلى أبو سعيد وعرّفوه أن هذا الرجل ملك العرب بأسرها ، وقد دخل البلاد وما دخل إلّا لأمر في نفسه. وكان أبو سعيد

(١) المخطوط: ٥٠ظ - ٥٢و.

يعلم حاله مع السلطان وغيظه عليهم في كل وقت ، ويسيّر لأبو سعيد وجوبان أن يكونوا عون له على طردهم ولا يدعوهم يدخلُ بلادهم ، ولا يقيموا بأرضهم . فسيّر إليه القراولية ، وكتب للنواب بالاقامات تحمل إليه، واكرمه واحترامه إلى أن وصل إلى الأردو، وركبت إليه الأمراء ، ودخل على أبو سعيد ، وتلقاه وأكرمه ورحّب به ، وطلب الوزير وعرّفه أن يكون متبتل لخدمته ، ولم يسأله ذلك اليوم عن شيء من سبب حضوره . وأخبرني مجد الدين السلامي أن أبو سعيد ، لما وصل إليه خبر مهنا وحضوره ، ذكروا أمر أشيع في الأردو أن مهنا ما دخل هذا البلاد وتقرب لأبو سعيد إلاّ أن يطمعه في أخذ البلاد ، ويكون هو وعربه عون له على أخذها . وبقي ذلك في خاطر السلامي إلى أن اجتمع بالوزير ، وعرّفه تلك الاشاعة ، وأنه يخشى من أمر فساد الصلح بين الملكين ، فاقتضى رأي الوزير أن يصبر إلى حيث يحضر ويتبين إيش سببه ؟ واتفق أنه اجتمع بأبو سعيد ثاني دفعة ، وسأله عن سبب حضوره ، فقال : نحن ناس عرب ، وعلينا طاعة مفروضة للملوك ورأينا من سلطاننا أمر فخشينا عاقبته ، فخرجنا عن طاعته ، فسيّر يقول : اخرج من بلادي . خرجت من بلاده إلى بلادك ، ونزحت من طاعته ، فإن قبلتنا أقمنا ، وإن كنت تكره جوارنا رحلنا عنك ، فالبر للبدوي متسع . فقال له أبو سعيد : البلاد بلادك ، وحلّت بك البركة. وأن بعض المغل تحدث مع أبو سعيد بلسان المغل ، فعرّفه أن يقول لمهنا على سبيل أن يستشيره ليعلم ما في نفسه : إيش رأي الأمير في عبوري بعسكري إلى الشام ؟ وإيش تشير عليَّ ، هل أبقى على صلح الملك الناصر أو لا ؟ فأخذ أبو سعيد يتحدث مع مهنا في مثل ذلك ، ومهنا يصغي إليه إلى أن فرغ حديثه ، فقال له مهنا : اعلم أن ما عند العرب أصعب من الكذب ، والكذب يتبعه الغدر ، وأنتم بينكم إيمان ، ومن غدر منكم صاحبه نصره عليه الله بغدره له ، وأما أمور البلاد والاسلام فلهم رب يدبرهم ، وما مثلي يشير على مثلك بشيء يكون فيه فساد ! . . . » .

وفي العيني(٦): « . . . ثم انهم اتفقوا فكتبوا للسلطان بأنهم قد غلبوا فيه ، وأنه لا يطاوعهم ، فكتب السلطان إليه صحبة مملوك نايب حلب كتاباً فيه انكار شديد عليه ، وأمره بالخروج من بلاده قولاً واحداً ، وأنه متى أقام جرّد إليه عسكراً ، فلما وصل إليه الكتاب قال : قل له ما أدعك تعذب الناس، والله لأرحلنّ إلى أرض غير أرضك ، وأدخل تحت طاعة ملك ، وأكون آمناً على نفسي منه . ثم رحل من المكان الذي هو نازل فيه ، واقتضى أن يدخل بلاد أبي سعيد ويقيم عنده . وبلغ ذلك أخاه حديثة ومحمد وأولاده فركبوا إليه ، وقصدوا منعه فأبى ، وقال : أنا حلفت ولا بد أن أدخل بلاد أبي سعيد وأقيم عند التتار ، وغلب عليهم ، ففارقوه . ولم يزل هو سايراً إلى أن عدّى الفرات.

ووصل خبره إلى أبي سعيد ، وقالوا له : إن هذا الرجل ملك العرب بأسرها، وقد دخل البلاد وما دخل إلّا لكثير في نفسه . وكان أبو سعيد يعرف حاله مع الناصر وغيظه عليه ، وكان كل وقت يسيّر إليه وإلى نايبه جوبان بأن يكونا عوناً له عليه، وأن يطرداه من البلاد ومن الاقامة بأرضهم، فسيّر أبو سعيد إليه القراولية ، وكتب لنوابه بإقامات تحمل إليه . وبإكرامه وتعظيمه. فلم يزل على هذا إلى أن وصل إلى الأردو فتلقته الأمراء، ودخل على أبي سعيد فتلقاه وأحسن إليه وأكرمه ورحّب به، وطلب الوزير وأمره أن يكون في خدمته، ولم يسأله [ذلك] اليوم عن شيء وعن سبب حضوره إليه. ولما اجتمع ثاني مرة بأبي سعيد وسأله عن سبب حضوره، فقال : نحن أناس عرب وعلينا طاعة مفروضة للملوك ، ورأينا من سلطاننا أمراً فخشينا عاقبته، فخرجنا عن طاعته ، فأرسل إليّ يقول لي : اخرج من بلادي . فخرجت من بلاده إلى بلادك ، ونزحت من طاعته . فإن قبلتنا أقمنا، وإن كنت تكره جوارنا رحلنا عنك، فالبر للبدوي متسع . فقال أبو سعيد : البلاد بلادك ، وحلّت بك البركة . قال الراوي : فتحدث بعض المغل مع أبي سعيد بلسان

---

(١) العيني ٢٩١١/١٧ : ٨٤و-٨٤ظ.

المغل ، فقال له : تحدّث مع مهنى على سبيل المشورة حتى تعلم ما في نفسه ، فقل له ما تشير عليّ ، هل أبقى على الصلح مع الملك الناصر أو لا ؟ . فأخذ أبو سعيد يتحدث مع مهنى في مثل ذلك، ومهنى يصغي إليه إلى أن فرغ من حديثه، فقال له مهنى : يا خوند ، ما عند العرب أصعب من الكذب ، والكذب يتبعه الغدر ، وأنتم بينكم إيمان ، ومن غدر منكم صاحبه نصره الله عليه بغدره له. وأما أمور البلاد والاسلام فلها رب يدبرها، وما مثلي يشير على مثلك بشيء يكون فيه فساد ! ».

٣ ـ ورد في المخطوط(١) : « وفي هذه المرة دخل القاضي جلال الدين على الأمير قوصون في حضور ولده عبد الله من دمشق إلى مصر ، وأن يجمع شمله به ويضم عائلته، فعرّف السلطان بأمره ، وشفع في حضوره، فرسم ، فحضر على البريد ، ولم يكن له همة غير أنه انقطع في البحر، كان والده قد أخذ دار شمس الدين ابن الأطروش بعشرة آلاف درهم، وأقام بها. فلما حضر شرع عبد الله في عمارة دار إلى جانب دار أبوه، وأخذ صناع مصر والقاهرة إليها ، واستمر في عمارتها، وعاد إلى ما كان عليه من اللهو والتيه والاعتكاف على الشراب، وتجاهر أعظم ما كان ، ونفق من أموال الأوقاف ومن أمور كثيرة لم يتجاسر أحد على فعلها، ولا يمكنه أن يقدم عليها. فبلغ السلطان أمره وما هو عليه ، فطلب ابن المحسني وعرّفه أن يتحيّل على كبس ابن جلال الدين عبد الله ومن معه بحيث أن يكون ذلك بشهرة بين الناس. وكان مقصده بذلك أن يشهر حتى يتجنب والده الشفاعة فيه. وبقي ابن المحسني يرقب ذلك إلى أن أحسّ عبد الله بشيء مما ذكر السلطان، فتجنب ما كان يفعله».

وفي العيني(٢): «وفيها دخل القاضي جلال الدين على الأمير قوصون في حضور ولده عبد الله من دمشق إلى مصر ليجمع شمله به، فعرّف قوصون

(١) المخطوط: ٣٥ظ ـ ٣٦و.

(٢) العيني ١٧/٢٩١١ : ٨٧و.

بـذلك للسلطان، فـأذن بذلـك، فحضر عـلى البريـد. ثم لم تكن له همـة إلاّ الانقطـاع في البحـر، وكان والـده قد أخـذ دار شمس الدين بن الأطـروش بعشـرة آلاف درهم، وأقام بهـا. فلما حضر عبـد الله شرع في عمـارة دار إلى جانب دار والده، وأخـذ صناع مصـر والقاهـرة إليها، واستمـر في عمارتهـا، وعاد إلى ما كـان عليه من اللهـو والاعتكاف عـلى الشراب، وتجـاهر في هـذه النوبة بأعظم مما كان. ونفق من أموال الأوقاف ومن غيرها، ولم يتجاسر أحـد على منعه من ذلك. فبلغ السلطان ما هـو عليه، وطلب ابن المحسني، وقـال له : تحيّل على كبس ابن جلال الدين ومن معه بحيث أن يكون مشهوراً بـين النـاس، وكان قصـده من ذلك أن يفتضـح حتى يتجنب والده الشفـاعة فيه، وصار ابن المحسني يترقب ذلك إلى أن أحسّ عبد الله بـذلك، فتجنب مـا هو فيه».

نماذج من سنة ٧٣٥

١ ـ ورد في المخطوط[١] : « وفيهـا وصـل رسـول أزبـك من البـلاد وصحبتـه كتاب من أزبـك يذكـر فيه شيء من العتب بسبب الخـاتون الـذي حضر من جهتهم، وأن أزبك بلغه من القصاد أن السلطان دخـل بها، وبعـد أيام أخرجهـا من عنده وأزوجهـا لبعض مماليكـه، فصعب على أزبـك بذلـك السبب، وسيّر كتاب يعتب منـه ومشافـاة يقول فيهـا : إن السلطان سيّر إليّ دفـوع بسبب بعض بنـات القـان، وأنـا أدافـع الأمـر إلى أن استحـيت من السلطان وسيّرت إليه خيار بنات القان، وبلغنا أنها لم تليق بخـاطرك، فكـان الواجب تسيّرها إلى مكان خرجت منه ولا أعـطيتها لبعض ممـاليك، فـما يليق بمثلك يضـير بنات القـانات هـذا وأنحس، ونحن نسألـك في رجـوعهـا إلينـا فتكون عند أهلها، والجوار عندك كثير والبـلاد متسعة. فلما وقف عـلى الكتاب وسمع المشافاة أسرع برد الجواب للرسول ، وقال : كلما بلغ لأخي أزبك من

---

(١) المخطوط: ٧١ظ ـ ٧٢ظ.

هذا الكلام كـذب،وأنا ما فرّطت في الذي سيّـره إلي، وإنما أمـر الله تعالى مـا يمكن أن يقـدر السلطان ولا غيره أو يـرده، وهذه المـرأة سيّرهـا أخي ودخلت بهـا، وأقـامت معي سنـة وضعفت وتـوفيت إلى رحمـة الله تعـالى. وكـان السلطان قـد علم لما ورد خبـر حضـور رسـول أزبـك أنـه لا بـد أن يخـاطب بسببها، فطلب القاضي جلال الدين وعرّفه الأمر، وأنه يقصد اثبات موتهـا، وينظم بذلك مشهود ويكون عنده حـاصل، فعـرّفه جـلال الدين الـطريق في أمرها، وأحضروا خادمين ونفرين من المـاليك، وشهـد عليهما أنهم شـاهدوا الخاتون فلانة بنت فلان، وقد توفيت من ضعف أصابها إلى رحمة الله تعـالى، وورّخ وشهـد الشهود، وأثبتـه القـاضي عليـه، وبقي إلى أن وقـع الحـديث، وعرّفهم السلطان الأمر، وأخرج لهم المشروح مثبوت بخطوط الشهود وقاضي الحكم فسكتوا بعد ذلك، وأقاموا أيام، وسيّر صحبتهم هدية، وكتب الجواب بما قدمنا ذكره».

وفي العيني[1]: «وفيهـا وصـل رسـول أزبـك من البـلاد ومعـه كتـاب يتضمن العتب بسبب الخـاتـون التي حضـرت من جهتهم، وذلـك أن الملك أزبك بلغه من القصاد أن السلطان دخل بهـا، وبعد أيـام أخرجهـا من عنده وزوّجها لبعض مماليكه، فصعب ذلك عـلى أزبك، وقـال في كتابـة ومشافهـة أيضاً أن السلطان أرسل إليَّ مرات عديـدة بسبب بعض بنات الخـان، ثم انها لم تكن لايقة لخدمتك كان الواجب ارسالـك إليها إلى مكـان خرجت منـه ولا أعطيتها لبعض ممـاليكك، ومـا كان يليق لمثلك أن تضيـع مثل بنـات الخان، ونحن نسألك في رجوعها إلينا فتكون عند أهلها، والجوار عندك كثيرة والبلاد متسعة. فلما وقف السلطان على الكتاب وسمع المشافهة أسرع برد الجواب مع الرسول، وقال: كلما بلغ لأخي الملك أزبك من هذا الكلام فهـو كذب، ولم يحصل مني تفريط فيها. وأما أمـر الله تعالى فـلا يرد، وهـذه المرأة لمـا سيّرهـا أخي إليّ دخلت بها، وأقامت معي سنة ثم ضعفت وماتت إلى رحمة الله.

---

(١) العيني ٢٩١١/١٧ : ٨٩ظ - ٩٠و.

وقال صاحب النزهة : كان السلطان لما بلغه مجيء رسول أزبك علم أنه إنما يجيء بسبب تلك المرأة، فطلب القاضي جلال الدين وعرّفه الأمر وأنه يريد اثبات موتها في محضر ليوقف الرسول عليه. فقال القاضي : الطريق في هذا أن يحضر خادمان أو اثنان من المماليك ويشهدان أنهما شاهدا الخاتون فلانة بنت فلان قد توفيت من ضعف أصابها، فأحضر اثنين من الخدام واثنين من المماليك يشهدوا عند القاضي بذلك، وأثبته القاضي بمحضر مكتوب، فأخذه السلطان عنده إلى أن جاء الرسول المذكور وأوقعه على المحضر المثبوت المكمل بالخطوط، فسكت الرسول ومن معه، وسافروا بعد أيام، وسيّر السلطان معهم هدية، وكتب الجواب بما ذكرنا».

٢ ـ ورد في المخطوط(١) : « وفيها حضر الشريف عطيفة ، وعرّف السلطان ضعف حاله، وأن أخيه رميثة قطع ساير معاليمه والذي كان يستهديه من التجار الواردة، وسأل السلطان أن يستمر به على أن يكون شريك له في الامرة والاقطاع، فرسم له بذلك وكتب له تقليد وكتاب للشريف رميثة » .

وفي العيني(٢) : «وفيها حضر الشريف عطيفة وعرّف السلطان ضعف حاله وأن أخيه رميثة قطع ساير معاليمه والذي كان يستهديه من التجار الواردين إلى مكة، وسأل السلطان على أن يستمر به شريكاً له في الامرة والاقطاع، فرسم له بذلك، وكتب له تقليداً وكتاباً إلى الشريف رميثة بذلك » .

٣ ـ ورد في المخطوط(٣) : « وفي تلك الأيام وقعت قصة في دار العدل وفيها مكتوب أن النشو قد حكمته في ظلم الرعية، وسلط قرابته على أبناء الناس وأن صهره ولي الدولة قد عشق شاب من أبناء الترك، وقد ودر عليه

---

(١) المخطوط : ٨٧ظ.
(٢) العيني ١٧/٢٩١١ : ٩١و.
(٣) المخطوط : ٩٣و ـ ٩٥و.

أموال عظيمة من خزانتك والتحف الذي تصل إليك، وكـان قبل وقـوع هذه القصة تكلم الأمير سيف الـدين قوصـون في مثل ذلـك، وعرّف السلطان أن الشاب الذي كان ألماس قد شغف به، وأعلم السلطان بـأمره، وعـرف بعميّر أن النشـو وقرابتـه قد شغفـوا بهذا الشـاب، وأن أموال كثيـرة ينفق عليـه من أمـوال السلطان. وكان السلطان لا يلتفت إلى قـول أحد من الأمـراء إذا ذكر النشو، فأعرض السلطان عن أمره، ولم يجب عنه بشيء.

ولما اتفق وقوع القصـة أخذهـا السلطان بيده، وقـال: أنا عـرفت من كتب هذا. وطلب النشو إليه وأعطاه القصـة، وحكى له مـا نقله الأمير سيف الدين قوصون عنه، فحلف بحياة السلطان أن هذا الشاب لم يعرفـه ولا رأى عمـره وجهه ولا أحـد من قرابتـه، وإنما هـذا كله شغل القـريبين من الأمـير قـوصـون، ويختـاروا أنهم ينقلوا لأستـاذينهم أمـور كثيـرة عنـا، ويعلمـوا أن أستـاذينهم ما يخفـوا من السلطان شيء، فيعملوا عـلى أذانـا عنـد السلطان، وأخذ يتنصل من أمر هذه الكاينة ويحلف، ويبكى بين يديه. وعند قيامه طلب السلطان قوصون وأنكر عليه، وقال: أنت تسمع من المنـاحيس كلام، وتجي تنقله لي حتى تغيّر خاطري على كاتب عندي ينفعني، والسـاعة حلف بحيـاة راسي أنه ما يعرف هذا الشـاب، ولا أحد من قـرابته، وحلف إيمـان كثيرة. فقال قوصون: وحياة راس السلطان يكذب، وأنت سيّر احضـر هذا الصبي إلى عندك وعاقبه أو يعترف لك، إن كان كذب قابلني، وإن كان صدق اعـطيه جزاه...».

وفي العيني[1]: «وفيهـا وقعت قصة في دار العـدل وفيها أن النشـو قد حكمته في ظلم الرعية وهو قد سلط قرابته على الناس وأن صهره ولي الـدولة قـد عشق شابـاً من أبناء التـرك، وقد ودر عليـه أمـوالاً عـظيمـة من خـزانـة السلطان ومن التحف التي تجيء إلى السلطان، وكان قبل وقـوع هذه القصـة

(١) العيني ٢٩١١/١٧: ٩٥ظ.

تكلم الأمير قوصون مع السلطان في مثل ذلك، وقال للسلطان : إن هذا الشاب هو الذي قد شغف به الأمير ألماس وأن اسمه عميّر ، وأن النشو وقرابته أنفقوا عليه أموالاً كثيرة من أموال السلطان. وكان السلطان لا يلتفت إلى قول من يذكر النشو بسوء، فأعرض السلطان عن كلام قوصون. ولما وقعت هذه القصة أخذها السلطان بيده، وقال : أنا عرفت من كتب هذا . وطلب النشو وأعطاه القصة، وحكى له ما نقل عنه قوصون أيضاً، فحلف بحياة رأس السلطان أن هذا الشاب لا يعرفه ولا رآه في عمره ولا أحد من قرابته، فحلف بإيمان كبيرة وبكى، وقال : هذا كله من قرايب الأمير قوصون ينقلون إليه منا أموراً كثيرة لعلمهم أنه ما يخفي عن السلطان شيئاً . ثم قام وخرج . وطلب السلطان قوصون وأنكر عليه، وقال : أنت تسمع من المناحيس كلاماً ثم تنقله إليّ حتى تغيّر خاطري على كاتب عندي ينفعني ، والآن إنه حلف بحياة راسي، وبالايمان أنه ما يعرف هذا الشاب ولا أحد من قرابته. فقال قوصون : وحياة راس السلطان يكذب، فابعث وراء هذا الشاب وعاقبه يعترف لك ، فإن كان كذب فقابلني، وإن كان صدق فاعطه جزاءه. . . ».

نماذج من سنة ٧٣٦

١ - ورد في المخطوط[١] : « واتفق في تلك المدة أن وقع بينه وبين طقتمر الخازن كلام أوجبت الوحشة بينهم، فعرّف السلطان أن طقتمر الخازن يتعرض لأشياء كثيرة من مال الخزانة، وأنه يريد يسرقها، وأنه يمنعه من ذلك، وعرّف السلطان في ضمن ذلك أنه رجل متهم في دينه، وأنه يميل إلى دين النصرانية، وينزل كل وقت إلى الكنايس خفية، فرسم بسفره إلى قلعة حلب».

وفي العيني[٢]: « واتفق أيضاً أن وقع بين النشو وبين طقتمر الخازن

(١) المخطوط: ١٠٤و.

(٢) العيني ١٧/٢٩١١: ١٠٠و..

كلام أوجب الوحشة بينهما ، فعرّف السلطان أن طقتمر الخازن تعرض لأشياء كثيرة من مال الخزانة، وبالغ في الحط عليه حتى قال : إنه رجل متهم في دينه، وإنه يميل إلى دين النصرانية وينزل كل وقت إلى الكنايس خفية، فرسم السلطان بنفيه إلى قلعة حلب».

٢ ـ ورد في المخطوط[١] : «وفيها نقم السلطان على الأمير سيف الدين الاكوز وضربه، ورسم بحبسه، وكان السبب لذلك ما قدمنا ذكره من الغلاء والاحتراس على حفظ الغلة من الشون. ولما نزل الاكوز، وضرب السمسار بالمقارع وجرّسه وتكلم مع أستاداره كلام أوجب الغيظ بينهم، بلغ ذلك قوصون فصعب عليه. ولما كان باكر النهار دخل الاكوز الخدمة تلقاه قوصون فأخذ يسبه ويشتمه وقصد إهانته. وكان نفس الاكوز أيضاً قد كبرت وتعاظم، وصار قوصون كلما قال كلام يرد عليه رد فاحش، إلى أن قال له: والك يا قواد. قال له: أنت القواد. وأخبرني أمير مسعود الحاجب أنه كان تكلم لقوصون كلام من هو أقوى منه وأعظم عند أستاذه. وأن من كثرة ما حنق قوصون أراد أن يلكمه، فمشى إليه الاكوز أن يلكمه ، قال : والله ، لقد رجفت مما رأيته من الاكوز في حق قوصون. وهم في تلك المحاورة وأمير مسعود يكسّر على قوصون والسلطان جالس، ورأى الغلبة مجتمعة عليهم، ورأى الاكوز السلطان فتقدم إليه، كما ذكرنا ، وشكا إليه أن سمسار قوصون وأستاداره فعلوا كيت وكيت، وأنه شتمني وأهانني بذلك السبب. . .».

وفي العيني[٢]: «وفيها نقم السلطان على الأمير سيف الدين الاكوز وضربه وأمر بحبسه، وكان السبب في ذلك أنه لما وقع الغلاء في الديار المصرية كما نذكره إن شاء الله، مسك سمسار قوصون وضربه بالمقارع وجرّسه، وأغلظ في الكلام على أستاداره، فبلغ ذلك قوصون، وأخذ يسبه ويلعنه، وكان نفس الأكوز كبرت وتعاظمت ، وصار يرد على قوصون مثل ما

(١) المخطوط: ١١٥و.
(٢) العيني ٢٩١١/١٧: ١٠٠ظ.

قال قوصون حتى قال لـه قوصـون : يا قـواد . قال لـه : أنت القواد . قـال الراوي : أخبرني مسعود الحاجب أنه كان يرد على قـوصون بـأفحش ما كـان يقوله قوصون، ومن شـدة حنق قوصـون أراد أن يلكمه، فمشى إليـه الاكوز وأراد أن يلكمه، وأمير مسعـود يكسّر عـلى قوصـون والسلطان جالس، ورأى العـوش والعياط . . فلما رأى الاكـوز ذلك تقـدم إلى السلطان، فقـال : يـا خوند، إن سمسار قوصون وأستاداره فعلا كيت وكيت، وإنه شتمني وأهـانني بذلك السبب. . . ».

٣ - ورد في المخطوط(١) : « [وفيها] كان فروغ الخانقاه الذي أنشأهـا الأمير سيف الدين قوصون ، وكان قد شاور السلطان في عمل خانقاه بجـوار جامع لـه كان أنشـأه، فرسم لـه بذلـك، فاستهمّ في عمـارتها، وجـاءت من أحسن ما يكون، وصنع فيها كل ما يحتاج إليه وعمـل بجوارهـا حمام، وأتقن عمارتها. وكان قد سار إلى مصر الشيخ شمس الدين الأصفهاني، وكان رجل له علوم كثيرة وأجلها في العلوم العقلية، وكان له شهرة كثيرة في العلم . ولمـا قرب فروغها أشار عليه الشيخ مجد الدين والشيخ قوام الـدين أن يكون مثـل هذا الرجـل في مثل هـذه الخانقـاه ، فطلبـه إليها، ورتّب فيهـا [ما] يحتـاج إليه ، واتفق أمره مع المشايخ ».

وفي العيني(٢): « فيها كملت عمارة الخانقاه التي أنشـأها سيف الـدين قوصون النـاصري بـالقرافـة، وفوض مشيختهـا للشيخ الامـام شمس الدين الأصبهاني . وكان قوصون شاور السلطان في عمل خانقاه بجوار الجامع الذي أنشأه، فرسم له بذلك، ثم عمل بجوارها حماماً.وفي النزهة : لما فرغ قوصون من عمارة خانقاه أشار عليه الشيخ مجـد الدين والشيـخ قوام الـدين أن يكون شيخهـا الشيخ شمس الـدين الأصبهاني، وكـان قـد قـدم إلى مصـر في تلك الأيام» .

(١) المخطوط: ١٠٣و.

(٢) العيني: ١٧/٢٩١١: ١٠١و.

نماذج من سنة ٧٣٧

١ ـ ورد في المخطوط[١] : « وكان لما توفي نجم الدين السعرتي سعى شهاب الدين بن الطباخ عند بشتك وقوصون وآقبغا ، وقدم لهم أشياء له صورة في الحسبة ، فلم يقبل السلطان منهم ، وقال : هذا المنصب منصب كبير ، ما يمكن أن يكون فيه إلا من يعرف الشرع والاحكام . ودفعهم بهذا السبب، فسأل أن يكون محتسباً على الطباخين وأهل الصنايع مثل الطباخ والحلواني وغيره ، فرسم له بذلك ، ونزل القاهرة عقيب تولية الضياء عليه ، وصار يجلس في دكة الحسبة ويعرض الطباخين والحلوانيين وغيرهم . وعند توليته طلب بيعة الفاكهة والحلوانيين أنهم لا يقدوا مسارجهم بزيت حار ، ومنع الفوط القصار في الحمام ، وزاد في طولها ، وكتب على ذلك كتاب جهة يكون فيها ، ورتب أشياء كثيرة في مصر والقاهرة » .

وفي العيني[٢] : « وقال صاحب النزهة : لما مات نجم الدين ابن السعرتي متولي الحسبة ، طلب ضياء الدين وأضيف له ولاية حسبة القاهرة ، وكان سعى فيها شهاب الدين ابن الطباخ عند بشتك وقوصون وآقبغا ، وقدم لهم أشياء لها صورة في ولاية الحسبة ، فتحدثوا مع السلطان بسببه ، فلم يقبل منهم ، وقال : هذا منصب كبير، وما يمكن أن يكون فيه إلاّ من يعرف أحكام الشرع ، ودفعهم بهذه الطريقة ، فسأل أن يكون محتسباً على الطباخين والحلوانيين ونحوهم ، فرسم له السلطان بذلك ، ونزل إلى القاهرة عقيب تولية ضياء الدين والخلعة عليه ، وصار يجلس في دكة الحسبة ويعرض الطباخين والحلوانيين وغيرهم . وطلب بياعي الفاكهة والحلواء وأَمَرَهم أن لا يقدوا الزيت الحار في مسارجهم ، ومنع الفوط القصار في الحمامات وزاد في طولها » .

---

(١) المخطوط : ١٤٦و ـ ١٤٦ظ .

(٢) العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٥و .

٢ ـ ورد في المخطوط[١] : « وفيها خطب في جامع الأمير عز الدين الخطيري المقدم ذكر عمله في سنة سبع . واتفق لعمارة هذا الجامع أشياء غريبة ، أنه كان مكان عمر فيه ساقية القاضي شرف الدين ابن زنبور ، ولما عمرت الناس في بولاق العماير المستجدة في أول حضور السلطان الملك الناصر ، كان الحاج محمد ابن عز الفراش قد كبر وسعد ، وعمر مجاور هذه الساقية داراً على البحر ، وأقامت في تلك الحال إلى أن توفي ـ تغمده الله برحمته ـ . وكان ابن الأزرق سعى في أمرها إلى حيث اتصلت إليه ، وبقي على غير حالة مرضية من اللهو والاجتماع من النصارى وغيرهم إلى أن لقبت بدار الفاسقين . . . » .

وفي العيني[٢] : «قال صاحب النزهة : وفيها خطب في جامع الأمير عز الدين الخطيري . واتفق لعمارة هذا الجامع أشياء غريبة ، وهي أنه كان مكانه ساقية القاضي شرف الدين ابن زنبور ، ولما عمرت الناس في بولاق عماير مستجدة في أول حضور السلطان الملك الناصر من الكرك، وكان الحاج محمد ابن عز الفراش قد كبر وسعد ، وعمر بجوار هذه الساقية داراً على البحر، وأقامت على هذه الحالة إلى أن توفي إلى رحمة الله . وكان ابن الأزرق سعى في أمرها حتى اتصلت إليه ، وبقي فيها على غير حالة مرضية من اللهو والاجتماع من النصارى وغيرهم إلى أن لقبت بدار الفاسقين . . . » .

٣ ـ ورد في المخطوط[٣] : « وفيها كان هجم بيت قاضي القضاة جلال الدين منسر حضروا إليه في البحر ، ودخلوا إليه وأخذوا ساير ما كان في بيته ، ولم يجدوا في بيته شيء له صورة ، وإنما قماش النساء ، ووقع الصوت في الجزيرة ، فأدركهم الخفراء ، وقتلوا من الخفراء نفراً واحداً ، وجرحوا منهم جماعة ، وأصبح عرّف السلطان أمره ، فطلب الوالي ورسم احضار

---

(١) المخطوط: ١٥٨و ـ ١٥٩و.
(٢) العيني ٢٩١١/١٧ : ١٠٦ظ.
(٣) المخطوط: ١٥٧ظ ـ ١٥٨و.

الغرماء ، وشرعوا في مسك مراكب الصيادين وأربابُ الصيد الذي في البحر من ساير الوجه القبلي ، وكتبوا عليهم بذلك حجج ، واتفقوا أن يحطوا عنهم ربع الحق الذي يستهدوه لديوان السلطان على الصيد ، ويدركوا ما يجري في البحر . وبعد أيام أحضروا جماعة من الجيزة من المنسر وسمّروهم ».

وفي العيني[1] : « ومن الحوادث في هذه السنة أن المنسر هجم على بيت قاضي القضاة جلال الدين في البحر ، وأخذوا جميع ما في بيته ، وكان غالبه ثياب النساء. ووقع الصوت في الجزيرة ، فأدرهم الخفراء ، وقتل المنسر منهم شخصاً واحداً وجرحوا آخرين . ولما أصبحوا أمر السلطان الوالي باحضار الغرماء ، فمسك جماعة من الصيادين في البحر، ولم يظهر شيء . ثم بعد أيام أحضروا جماعة من الجيزة من المنسر وسمّروهم ».

٤ ـ ورد في المخطوط[2] : « كان السلطان قد حرج على الخليفة بسبب أنه كان قد عمر بجزيرة الفيل مكان مستنزه له ولأهله ، وكان كثير اللهو ، مشغوف بالطرب ، وكان عند السلطان من مماليكه جمدار يعرف بأبو شامة ، كان من الوجوه الحسنة ، وله فقيه يصحبه ، وصحب بينه وبين الخليفة ، وبقي يتردد إليه وينقطع عنده ويشتغل عن الخدمة . فبلغ السلطان أمره وأنه يتردد إلى الخليفة ، فطلبه وضربه ضرب مؤلم، وطلب الخليفة وابن عمه وساير أولاده، وطلعوا القلعة، وأقاموا مدة ثم أفرج عنهم وسيّرهم إلى قوص هو وجميع أولاده ، وكتب لمتولي قوص أن يحتفظ بأمرهم ، ورتب لهم في قوص ما يكفيهم . . . ».

وفي العيني[3] : « وقال صاحب النزهة : وكان السلطان غضب على الخليفة بسبب أنه كان عمر بجزيرة الفيل مكاناً مستنزهاً له ولأهله ، وكان

(١) العيني ٢٩١١/١٧ : ١٠٩ظ .
(٢) المخطوط : ١٤٧ظ ـ ١٤٨و .
(٣) العيني ٢٩١١/١٧ : ١٠٩ظ ـ ١١٠و .

كثير اللهو مشغوفاً بالطرب ، وكان عند السلطان جمدار من مماليكه يسمى بأبي شامة ، وكان من الوجوه الحسنة ، وكان له فقيه أصحب بينه وبين الخليفة ، وبقي يتردد إليه ، وينقطع عنده ويشتغل عن الخدمة . فبلغ السلطان ذلك ، فطلبه وضربه ضرباً مؤلماً ، وطلب الخليفة وابن عمه وساير أولاده، وأمرهم بطلوع القلعة، فأقاموا مدة ثم أفرج عنهم وسيّرهم إلى قوص ، وكتب لمتولي قوص أن يحتفظ بهم ، ورتب لهم ما يكفيهم . . . ».

نماذج من سنة ٧٣٨

١ ـ ورد في المخطوط[١] : « . . . فطلب أمير التركمان، ورسم أن يمدّ الجسر ويدخل للغارة ، ويخرجوا ويحرقوا ، كما جرت عادتهم، فدخلوا وفعلوا فعل عظيم ، وكان السلطان أيضاً كتب لابن قرمان أنه إذا بلغه عبور عسكره لناحية سيس ، فيجرد عسكره عنده يدخلوا ويغيروا أيضاً . ولما بلغ ابن قرمان دخول العسكر جرد من جهته عسكراً وانتظمت الغارة على سيس من ساير الجهات ، وكانت أمراء التركمان مثل ابن داود وخليل الطرقي وغيرهم من العرب الكسابة فتركوا سيس قاعاً صفصفاً ، وأطلقوا النيران في ساير أماكنها ».

وفي العيني[٢]: « . . . طلب أمير التركمان ، وأمره أن يمدّ الجسر ويدخل للغارة ، ويخرب ويحرق ، فدخلوا وفتكوا ، وكان السلطان أيضاً قد كتب لابن قرمان أنه إذا بلغه عبور عسكره لناحية سيس يجرد عسكراً من عنده يدخلون ويغيرون . ولما بلغ ابن قرمان دخول عسكر السلطان ببلاد سيس ، جرد من جهته عسكراً ، فتكاثرت الغارات على سيس من ساير الجهات ، وكان أمراء التركمان مثل ابن داود وخليل الطرقي وغيرهما من

(١) المخطوط: ١٦٩ظ ـ ١٧٠و.

(٢) العيني ٢٩١١/١٧: ١١٥و.

العرب الكسابة تركوا سيس قاعاً صفصفاً ، وأطلقوا النيران في ساير أماكنها ».

٢ ـ ورد في المخطوط[١] : « . . . وركبت الرسل في مركب إلى نحو البرج الملقب بالأطلس ليسلموه ، فعادوا وعرّفوا نايب حلب أن فيه أموال التجار ، ويقصدوا المهلة على نقل حواصلهم في المراكب ، فأمهلوهم ثلاثة أيام ، وكان فيهم بعض التجار أكرى على خروج متاجره إلى برًّا أجرة ألف دينار، وحمله في مركب بألفي دينار ، وثالث يوم ركب نايب حلب والأمراء صحبته ، وكنت أنا وجماعة صحبتهم إلى البرج ، ودخلنا إليه ، وكتبت أسطر قرأها الامام الذي لنايب حلب عند صعوده بأعلى البرج والسنجق السلطاني صحبته ، فإنني كنت ممن تسلمته الجريدة في تلك الجريدة ، فكتبت هذه الأسطر : الحمد لله الذي مكّن سيوف المجاهدين . . . ».

وفي العيني[٢] : « . . . وركبت الرسل في مركب إلى نحو البرج الملقب بالأطلس ليسلموه، فعادوا وعرّفوا نايب حلب أن فيه أموال التجار ، وطلبوا المهلة لنقل حواصلهم في المراكب ، فأمهلهم ثلاثة أيام ، وكان فيه بعض التجار أكرى لخروج متاجره إلى البر بألف دينار ، وحمله في مركب بألفي دينار . **قال الراوي** : وفي اليوم الثالث ركب نايب حلب والأمراء معه ، وكنت أنا معهم إلى البرج ، ودخلنا ، فكتبت هذه الأسطر عند صعودنا أعلى البرج مع السنجق السلطاني : الحمد لله الذي مكّن سيوف المجاهدين . . . ».

٣ ـ ورد في المخطوط[٣] : « . . . وكان وصولنا إلى حلب الرابع والعشرين من ذي الحجة . وباكر ذلك اليوم وصل مملوك نايب حلب يخبره ،

---

(١) المخطوط: ١٧٢و ـ ١٧٢ظ.

(٢) العيني ١٧/٢٩١١ : ١١٥ ظ.

(٣) المخطوط: ١٧٦ظ ـ ١٧٧و.

وعلم أنه لم يحضر ، فركب إلى حماه ، وما أبعد ساعة إلّا ومغلطاي وصل مخيم الأمير أرقطاي ، فقام إليه وتلقاه وأكرمه ، وسأله عن حضوره ، فشرع في البكاء والتوجع ، قال : يا أمير ، لي شهرين مجرد في بغراس أسهر الليل والنهار حتى عملت المناجيق وغيرها ، ثم ركبت الجسر على جاهان وقعدت أحرسه شهرين ، وهلكت أنا ومماليكي ودوابي ، وآخر الشيء يقول لي : اقعد نايب مثل هذه القلعة الخبيثة ، ثم أن أستاذي ما سيّر لي مرسوم حتى لا نخالفه وأنا أروح لأستاذي ، فمهما أراد يفعل بي ! فأخذ أرقطاي يتلطف به ويطيب خاطره ، ويضمن له كل أشياء حسنة ، وهدّأ روعه وبات عنده . . . » .

وفي العيني[1] : « . . . قال الراوي : ثم وصلنا إلى حلب في الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة الماضية ، ثم جاء الخبر بأن مغلطاي وصل إلى أرقطاي فتلقاه أرقطاي بالاكرام، وسأله عن حضوره ، فشرع في البكاء والتوجع ، وقال : يا أمير ، أنا لي مدة شهرين مجرداً في بغراس ، وأسهر ليلاً ونهاراً حتى عملت المناجيق وغيرها ، ثم ركبت الجسر على جاهان وقعدت أحرسه شهرين ، وهلكت أنا ومماليكي ودوابي، وآخر الشيء يقول لي نايب حلب : اعمل نايباً في مثل هذه القلعة الخبيثة . ثم إن السلطان ما أرسل مرسوماً بالتنصص عليّ حتى يقال إنه خالف وعصى ، وأنا أروح إلى أستاذي فمهما أراد يفعل بي ! فأخذ أرقطاي يتلطف به ويطيب خاطره ، ويضمن له كل أشياء حسنة ، وبات تلك الليلة عنده . . . » .

ولدى المقارنة بين ما ينقله العيني عن «النزهة» ونص المخطوط تتبين لنا الحقائق الآتية :

١ ـ أنَّ العيني يعتمد بعض التغيير في الاسلوب بحيث يتجنب الصياغة

(١) العيني ٢٩١١/١٧ : ١١٦ ظ.

المفرطة في العامية (إملاء ونحواً) لدى مؤلف «النزهة» ؛ مصرحاً بذلك حيناً ، فعبارة « وكان يوماً راكباً » تحل لديه محل « وحصل له يوم ركوب ».

٢ ـ يبني نقله على الحذف ، وهذا الحذف قد يكون من عمل النساخ ، وقد يكون طلباً للايجاز من المؤلف نفسه ، فعبارة « وعرّفهم ما يقولون قدام السلطان » (في النص الثاني) سقطت من «عقد الجمان»، وكذلك عبارة « فعرّفه أنه في غيبة السلطان منهم قريب (. . .) ألف درهم ورسم له بعقوبة موسى إلى أن يحضر الصندوق ، وعرّف النشو السلطان أن الولاة جميعها تطلب وتحصل منهم الأموال » كلها سقطت (من النص الثاني نفسه).

ومن المعلوم أن الحذف ليس شاهداً على اختلاف حاسم بين أي نصين بل هو شاهد على تحكم الناقل نفسه في مدى ما يريد نقله.

٣ ـ وتقف الزيادات لدى الناقل موقفاً مختلفاً عن الحذف : فلفظة «بحضوره» (في النموذج الأول) لم ترد في المخطوط ، وعبارة « عن إهانة له وإخراق حرمة » (في النموذج نفسه) مما ينفرد به نص العيني ، فما هو التعليل الأمثل لهذه الظاهرة ؟ لا نستطيع أن نقول إن ما زاد لدى العيني يعني تصرفاً في النقل فهذا أمر مستبعد ، ولكن قد يكون معنى ذلك أن النسخة التي ينقل عنها العيني أكمل وأوفى من النسخة التي لدينا ، ومما قد يؤكد ذلك أن الزيادات لا تتعدى لفظة أو جملة قصيرة في أغلب الأحيان.

٤ ـ أما التغييرات فهي على أنواع منها ما يسببه الوهم أو محاولة التصحيح لوهم سابق فلفظة «يلبغا» في المخطوط تصبح «بيغرا» . ومنها ما لا يخل بالمقصود إذ ينقل تعبير «عند السلطان» إلى « عند أستاذه » والسلطان هو نفسه أستاذ المعني بالخبر . كذلك هنالك التغييرات الاسلوبية التي أشرت إليها من قبل ، وتتضمن هذه أحياناً نقل الصيغة من حال «الخبر» إلى حال «الأمر »؛ فجملة « أن يقبض عليه ويقيّده ويحضره » تصبح «فاقبضْ عليه وقيّدْهُ واحْضِره ». وثمة تغييرات إما أن تكون سبق قلم ، وإما أن تكون

اختلافاً في النسخ ، وهذا الاختلاف هام أحياناً لأنه ينم عن فرق أصيل :

فعبارة : « جميع مال شهاب الدين قرطاي وما خصه » تصبح « جميع مال شهاب الدين قرطاي الذي خصه ».

والفرق بين العبارتين هام .

٥ ـ حين يتحدث اليوسفي عن أمر ويكون شاهد عيان مستعملاً صيغة المتكلم ، لا يستطيع العيني أن يجاريه في ذلك ، لأنه لو فعل لزوّر الحقائق التاريخية ، ولهذا يصدّر مثل هذه المواقف بقوله « قال الراوي » وهو يعني بذلك اليوسفي نفسه .

غير أن أوجه التلاقي تزيد كثيراً عن أوجه التباين بين النصين ، ولهذا بات من المؤكد اليقيني ما قررته من قبل ، وهو أن المخطوط قطعة من « نزهة الناظر » دون ريب .

الفصل الأول

اليوسفي المؤرخ وعصره

١ ـ لمحة في عصر اليوسفي :

عاصر اليوسفي فترة حكم الناصر محمد بن قلاون الذي احتل مكانة خاصة بين سلاطين المماليك في مصر والشام . وذلك أنه ولي منصب السلطنة لفترة من الزمن بلغت نحو أربع وأربعين سنة، فقد ولي الناصر محمد السلطنة في المحرم سنة ٦٩٣ / ١٢٩٣ ، وهو في التاسعة من عمره ، ثم عزل عنها في المحرم سنة ٦٩٤ /١٢٩٤ ، ثم أعيد إليها ثانية في جمادى الأولى سنة ٦٩٨ /١٢٩٩ ، ثم عزل عنها في رمضان سنة ٧٠٨ /١٣١٠ ، ثم أعيد إليها للمرة الثالثة في شوال سنة ٧٠٩ /١٣١١ ، واستمر فيها حتى وفاته في ذي الحجة سنة ٧٤١ /١٣٤١[(١)] ، وهي مدة لم تتفق لغيره من سلاطين المماليك بعد أن تمّ إرساء قواعد الدولة على أيدي أسلافه وخاصة الظاهر بيبرس والمنصور قلاون والأشرف خليل ، وأمكن التغلب على معظم المشاكل الداخلية والخارجية التي اعترضتها ، فتم على يد هؤلاء السلاطين إنهاء الوجود الصليبي في بلاد الشام (٦٥٨ ـ ٦٩٠ / ١٢٦٠ ـ ١٢٩١)،

---

(١) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة: ١٩٤ظ، ٢٠٢ظ وما بعدها؛ أبو الفدا، المختصر ٤ : ٣٤، ٤٠، ٥٤، ٥٧؛ ابن الدواداري، الدر الفاخر ٩ : ٦، ١٥٦، ١٦٧؛ الصفدي، الوافي ٤ :٣٥٣ ـ ٣٧٤؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ٤ : ٣٥ ـ ٣٦؛ المقريزي، السلوك ١/٣ : ٧٩٤، ٨٢٠، ٨٧٢ و٢/١: ٤٥، ٧٣.

وإبعاد الخطر المغولي عن البلاد ، ولو إلى حين ، بعـد أن استولى المغـول على جميع الممالك الاسلامية ولم يبق أمامهم إلا الديار المصرية آخر معقل لـلاسلام في الشرق[١] .

واستكمـل الناصـر محمد هـذه الانجازات خـاصة في ولايتـه الثالثـة ، فقضى عـلى كافـة الأمراء الـطامحين إلى العـرش[٢] ، ونجـح في قهـر التتـار وطردهم إلى ما بعد الفرات[٣] ، وقـام بحملات تـأديبية ضـد بلاد الأرمن[٤] لحملهم على الخضوع والتزام ما عليهم من مـال وغلال ، كـما أحكم سيطرتـه على بلاد الحجاز واليمن ، وعاهد ملوك التتار وخاصة أيـام القان أزبـك ملك العراق ، فاستقـرت له الأوضـاع في أرجاء سلطنتـه المترامية الأطـراف ، مما أضفى عليـه وعلى حكمـه مهابـة في الداخـل والخارج ، فكـاتبه سـائر الملوك وهادوه وهابوه .

وأثبت السلطان الملك النـاصر كفـاية نـادرة ومقدرة فـائقة في تصـريف شؤون الدولة ، بعد أن وعى ضرورة تطوير مؤسساتها بتحـديث نظم الحكم والادارة (المالية خاصة) ، فألغى بعض الوظـائف الكبرى مثـل وظيفة نـائب السلطنة ووظيفة الوزير ، واستحدث مكانها وظائف أخرى أبرزها وظيفة ناظر الخاص . كما عمل على ضبط موارد الدولة ، وساعـد على تنشيط القـطاعات المنتجـة لا سيما الـزراعة من خـلال إعـادة تـوزيـع الأراضي ، وهي العمليـة المعروفة باسـم الروك الناصري[٥] ، ممـا أدى إلى ازدهار الحيـاة الاقتصاديـة .

---

(١) ابن شداد : تاريخ الملك الظاهر ، مقدمة الناشر : ١٠ .

(٢) ومنهم بيبرس الجاشنكير ، وبكتمر الساقي ، وقراسنقر المنصوري .

(٣) إثـر معركـة «شقحب» في مستهل رمضـان سنة ٧٠٢/١٩ نيسـان ١٣٠٣ . ابن الدواداري ٩ : ٨٠ - ١٠٠ ؛ المقريزي ١/٣ : ٩٣٢ - ٩٣٨ .

D'OHSSON, Histoire des Mongols, IV, P. 324 et suiv.

(٤) المخطوط : ١٤٩و - ١٥١و ، ١٦٥ظ - ١٨٩و .

(٥) حصل ذلك سنة ٧١٦/١٣١٥ . النويري : نهاية الأرب ٣٠ : ٩١ .

وليس أدل على موجة الرخاء التي عمت الديار المصرية في ظل حكمه من المنشآت العديدة والعماير الفخمة التي أقامها ، ومن القصور والمدارس والمساجد التي بادر أو شجع على إنشائها[1] .

وتميز عصر الناصر محمد بتشجيعه للحركة العلمية التي عرفت درجة من العطاء تمثلت بانتاج وفير في شتى علوم ذلك العصر ، وإذا كان الاستقرار السياسي الذي عرفته الديار المصرية والشامية منذ اعتلاء الناصر للعرش للمرة الثالثة قد سمح بهذا الفيض من الانتاج في كافة الميادين الثقافية ، فإن ذلك لم يكن نتيجة لعطاء الناصر أو للاستقرار السياسي الذي عرفه عهده فحسب ، وإنما كان تتويجا لما اختزن في الماضي بشكل تصاعدي ، منذ الدولة الزنكية مروراً بالدولة الأيوبية ، ووصولاً للدولة المملوكية ، من المؤسسات الثقافية التي كان عمادها المدارس والجوامع ودور الحديث والبيمارستانات وغيرها للعب دور ، حُدد منذ البداية ، يتلخّص بتعبئة اجتماعية عامة من خلال الدعوة إلى الجهاد المقدس لتحرير الأراضي الاسلامية من الاحتلال الصليبي الذي دام سنوات طويلة .

وشهد القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي بروز أعلام في الثقافة الاسلامية ، كان من بينهم مؤرخون اكتسبوا مكانة مرموقة بين المسهمين في الفكر التاريخي الاسلامي ، منهم : كمال الدين ابن الفوطي (ت ٧٢٣) ، وقطب الدين اليونيني (ت ٧٢٦)، وأبو الفدا (ت ٧٣٢) ، والنويري (ت ٧٣٢)، والجزري (ت ٧٣٩) ، وشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨) ، وابن الوردي (ت ٧٤٩)، وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩) ، وصلاح الدين الصفدي ، (ت ٧٦٤) ، وابن شاكر الكتبي (ت ٧٦٤) ، وتاج الدين السبكي (ت ٧٧١) ، وابن كثير (ت ٧٧٤) وغيرهم كثيرون . وتنوعت مصنفاتهم التاريخية بين كتب في التاريخ

(١) انظر : المخطوط ٢٧ظ ٢٩ظ، ٧٥ظ ٧٦، ٩١ظ ـ ٩٤، ١٠٣و، ١٨٥و ـ ١٥٩ظ.

العام[١] ، وكتب التراجم[٢] والسير[٣] .

ولما كان الناصر محمد الشخصية الاسلامية البارزة في ذلك العصر ، لذا لم يكن غريباً أن تستأثر انجازاته ونشاطاته باهتمام معاصريه المؤرخين ، فأطال أصحاب الموسوعات التاريخية في سرد أخباره[٤] ، حين اختار فريق آخر من المؤرخين[٥] تأليف كتب مستقلة قائمة بذاتها عن سيرة[٦] السلطان ، ومن هذا الفريق المؤرخ موسى اليوسفي .

٢ ـ اليوسفي المؤرخ :

أ ـ حياته :

هو موسى بن محمد بن يحيى اليوسفي المصري ، عماد الدين ، المعروف بابن الشيخ يحيى . ولد بالقاهرة سنة ٦٧٦ /١٢٧٧[٧] ، آخر سنة من حكم الملك الظاهر بيبرس ، و توفي بها في أوائل سنة ٧٥٩ /١٣٥٨ .

ويؤخذ مما يقوله الصفدي ، معاصره ، أن اليوسفي كان مقدماً في

---

(١) و (٤) كالنويري (نهاية الأرب في فنون الأدب)، والذهبي (تاريخ الإسلام)، وابن كثير (البداية والنهاية في التاريخ).

(٢) كالذهبي (سير أعلام النبلاء) ، والصفدي (الوافي بالوفيات) ، وابن شاكر (فوات الوفيات) .

(٣) و (٥) كابن الدواداري (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، وابن حبيب (تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه)، والشجاعي (تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي) .

(٦) وعن فن كتابة السير وأهميتها كمصادر للتاريخ العربي يقول المؤرخ جبب (GIBB) :

«إن نبوغ العرب الحقيقي في علم تدوين التاريخ يتجلى في كتابة السير أكثر من تجليه في رواية الأخبار» .

انظر : دائرة المعارف الاسلامية : مادة «تاريخ»، م ٤، ص ٥٠٣ .

(٧) كذلك ورد عند الصفدي في أعيان العصر، نسختي أحمد الثالث، رقم ٣٠١٠ (٤٩و) ورئيس الكتّاب رقم ٥٨٩ (ص ٢١٦) وهو مخالف لما ورد في نسخة آيا ـ صوفيا (١٥٤ و) حيث ذكر أن ولادته كانت سنة ٦٩٦، ونقل عنها ابن حجر، درر ٤ : ٣٨١ والمراجع الحديثة . أما سبب ترجيحنا لسنة ٦٧٦ فهو ما ذكر عن مشاركة المؤرخ في معركة وادي الخزندار سنة ٦٩٩ .

« الحلقة المنصورة » في الجيش المملوكي المقيم في القاهرة ، ومع أننا لا نعرف على وجه الدقة تاريخ تولّيه لمنصبه هذا ، لكن على الأقلّ بامكاننا القول أنه لم يكن قبل سنة ٧٢٥ /١٣٢٥ ، ففي هذه السنة شارك المؤرخ في الحملة المملوكية إلى اليمن[١] . ويبدو أنه قام بدور بارز في هذه الحملة حيث أرسله الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب ، مقدم العساكر ، لمفاوضة والي مدينة تعز اليمنية قبل دخول الجيش المملوكي إليها. ومما يشير إلى وظبفته العسكرية أيضاً مشاركته سنة ٦٩٩ /١٣٠٠ ، في وقعة وادي الخزندار[٢] ، ضد التتار وهي معركة انتهت بهزيمة الجيش المملوكي ودخول قازان إلى دمشق ، وكذلك مشاركته في غزو بلاد الأرمن[٣] ما بين ٧٣٧ ـ ٧٣٨ /١٣٣٧ ، حيث قدّم لنا معلومات فريدة عنها ، سوف يكون لنا وقفة عندها في إطار دراستنا لمحتويات الكتاب .

ولم أقع لليوسفي إلا على ترجمتين إحداهما للصفدي[٤] والأخرى لابن حجر[٥] . قال فيه الصفدي[٦] : « كان مشهوراً بالمروءة ، معروفاً بالعصبية التي هي في حنايا جوارحه مخبوءة ، يصحب الكبار ويخالطهم بالمودة ويكابر ، ويلازم صحبة الأعيان ويثابر ، فلم تفته صحبة رب سيف أو قلم ، ولا حامل عِلْم ولا رافع عَلَم ، يتقرب إليهم بالخدم ، ويسعى على رأسه في قضاياهم لاعلى القدم » حتى صح فيه قول الشاعر[٧] :

(١) عن أخبار هذه الحملة، انظر: العيني ٢٩١١/١٧: ٢و-١٣ظ، أبو الفدا، المختصر ٤ : ٩٤؛ ابن الدواداري، الدر الفاخر: ٩: ١٥ - ١٨، ودرر التيجان: ٦١٧ - ٦١٨؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٨٨٦ - ٨٩٧.

(٢) أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٤٢ - ٤٤؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٨٨٦ - ٨٨٨.

(٣) المخطوط: ١٤٩ظ - ١٥١و، ١٦٥ظ - ١٨٣و.

(٤) الصفدي، أعيان العصر، نسخة دار الكتب المصرية ١٠٩١ : ٢١٥ - ٢١٧.

(٥) ابن حجر، الدرر الكامنة ٤ : ٣٨١.

(٦) الصفدي، المصدر السابق: ٢١٥.

(٧) المصدر نفسه: ٢١٥.

« تلذ له المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يلذ له الغرام ».

وأحب اليوسفي التاريخ ، وتعاطى النظم والنثر « مع عدم الاشتغال بالعربية فكان يأتي مع ذلك بالعجايب »[١] ، وقد أثار ذلك اعجاب الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس والمؤرخ الصفدي الذي قال بلسانه ولسان الشيخ فتح الدين : « ونقول له يا سيدنا ، سبحان مَنْ وَسَّع لك في هذا الفن المسالك ، فيعجبه ذلك ويقول : هذا والله ، ولم أقرأ المقامات ولا حفظت شيئاً من شعر المتنبي . . . »[٢] . وكان بينه وبين الصفدي مراسلات : « وكان يكتب إليّ قصايد وغيرها ، فأحتاج إلى أن أجيبه عن ذلك ، ومما كتبته إليه :[٣]

يا مَنْ غدا وشعاره بين الورى بذل الأيادي
وله محاسن نشرُها متضوع في كل نادِ
ومروءة أنباؤها مشهورة بين العبادِ »

كما ذكره كل من المقريزي[٤] والعيني[٥] وابن تغري بردي[٦] في إطار اعتمادهم كتاب « النزهة » مصدراً من مصادر تواريخهم[٧] .

ونظراً لندرة المعلومات عن اليوسفي ، فقد بقيت جوانب كثيرة من حياته لم يكشف عنها ، لكن ما وقعنا عليه في تضاعيف « النزهة » من إشارات

---

(١) ابن حجر، الدرر ٤ : ٣٨١.
(٢) الصفدي، أعيان: ٢١٦.
(٣) المصدر نفسه: ٢١٦ - ٢١٧.
(٤) المقريزي ، الخطط ١ : ٣٨١، ٢ : ١٤٣، ٢٨٧.
(٥) العيني، عقد الجمان ٢٩١١/١٧ : ٧١و - ١١٧و.
(٦) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٨: ١٧٨، ٢٥٠.
(٧) إضافة إلى كتابات سريعة عن اليوسفي وردت في حاجي خليفة (كشف الظنون، م ٢: ٥٩٧) والزركلي (الاعلام، ج ٨: ٢٨١ - ٢٨٢) وكحالة (معجم المؤلفين، ج ١٣ : ٤٧) والبغدادي (هدية العارفين، م ٢: ٤٧٩ - ٤٨٠).

ولع كشف لنا أموراً هامة من حياته ، من هنا يمكننا اعتبار كتاب «النزهة» أحد أهم مصادر ترجمة المؤلف.

ب ـ صداقات اليوسفي :

يستفاد مما ورد في المخطوط أن الرجل كان مقرباً من كبار معاصريه ، حيث يسهب المؤرخ في الحديث عن علاقاته الوطيدة مع أعلام عصره من عسكريين ومدنيين ، مما سهل له أن يكون على مقربة من الأحداث مطلعاً على خفايا الأمور السياسية ، وعلى صلة وثيقة بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية للعصر الذي عاش فيه .

وقد حاول اليوسفي أن يلفت انتباه القارىء إلى علاقاته الوطيدة مع كبار الأمراء في ذلك الوقت ، ومنهم الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي نائب صفد (ت ٧٣٦) ، حيث أشار المؤرخ إلى أن صداقته له تعود إلى سنة ٧٠٩ / ١٣١١ عند دخول الأمير أيتمش إلى الديار المصرية برفقة السلطان الملك الناصر محمد الذي عاد لتولي زمام الحكم للمرة الثالثة[١] ، وفي ذلك يقول[٢] : « وحصل بيني وبين هذا الرجل صحبة أكيدة عند دخوله إلى مصر مع السلطان بعد نيابة الكرك » . وقد استفاد مؤرخنا من صداقته لأيتمش الذي وفَّر له سبل الاتصال بكبار رجالات العصر بما فيهم السلطان نفسه ، إضافة إلى أنه كان بمثابة المصدر لكثير من المعلومات عن أحوال السلطنة المملوكية وأخبار المغول . « . . . وكان من المحسنين إليّ ، وسبب تكبيري بين الناس . وقدمني للسلطان دفعتين والنائب حتى نلت منه كل خير ، وسمعت منه من الغرائب ما استعنت به على هذا التاريخ وغيره من أمور كانت تتفق له مع السلطان ، وما كان يتفق له في بلاد الشرق وغيره »[٣] .

---

(١) ابن الدواداري ، الدر الفاخر ٩ : ١٧٦ وما بعدها.

(٢) المخطوط : ١٢٩ظ .

(٣) المصدر نفسه : ١٣٢ و.

وتدليلاً على إخلاصه لأيتمش ، فإنه لم يتردد في إسداء النصح له عندما لجأ إليه هذا الأخير طالباً مشورته في أمر وقع له مع السلطان ، ومفاده أن الأمير أيتمش كان قد أصابه فالج في آخر أيامه ، فأنف أن يستمر في خدمة السلطان ، وأسرَّ للمؤرخ برغبته في الاستعفاء من الخدمة والخروج إلى القدس للإقامة فيها . فلم يشجعه على ذلك ، وثناه عنه ، كي لا يتحمل وزر قطع الأرزاق عن ألف نفر من مماليكه . ويبدو أن الأمير أيتمش قد اقتنع بنصيحة صديقه ، ولم يمض وقت طويل حتى عيَّنه السلطان في نيابة صفد عوضاً عن أخيه الأمير سيف الدين أرقطاي . وقد أثبت اليوسفي ذلك بقوله(١) : « . . . واستشارني فيما بيني وبينه ، وقال : يا فلان ، هذا أستاذنا أعرف خلقه ، إذا مرض عنده مملوك يشتهي موته ، وإذا حصل له حياة يبقى ينظره نظرة المكره ، وفي نفسي أني أستعفي من الخدمة لما ظهر عليَّ من المرض ، وأرمي خبزي وإمرتي ، وأكون مقيماً بالقدس . . . ، فقلت له : يا خوند ، أنت اليوم أمير ماية فارس ، والماية الذين عندك عند كل منهم عشر نفر يأكلون الخبز ، وربما إذا فعلت هذا من نفسك تكون قد قطعت رزقهم ، وتكون السبب فيه ، وربما يحصل منهم كسر خاطر ، وإذا فعل السلطان شيء تكون أنت بريء من أمرهم ، فرجع إليّ وسكت » .

وتأكيداً على تقدير الأمير أيتمش لليوسفي ، فقد أوصى له قبل وفاته بإنعام قيمته ألفا درهم ، « ووجد قد كتب قبل وفاته إنعام على جماعة كانت عادته ينعم عليهم ، ومن جملتهم مرسوم باسمي بألفي درهم . . . »(٢) .

ومن أصدقائه أيضاً الأمير علم الدين سنجر الخازن والي القاهرة (ت ٧٣٥) ، الذي يذكر المؤرخ في ترجمته أنه كان على علاقة جيدة معه ، مقرباً لديه ، يزوره ويجتمع به في أي وقت يشاء ، ويتحدث إليه في جميع

---

(١) المخطوط : ١٠٥ظ .

(٢) المصدر نفسه : ١٣٢و .

الأمور العامة والخاصة ، وهو في ذلك يقول[1] : « وكنت ممن ألـوذ بصحبته والاجتماع به » ، « حضرت له بعض الليالي ». وتظهر متانة صداقته مع الخازن واخلاصه له ، عندما علم بما كان يضمره النشو لهذا الأخير من حقد وتربص ، وعمله عليه لدى السلطان كي يفوز بمصادرة موجوداته ، فقد خفّ إلى الاتصال به ، وهو على فراش الموت ، ناصحاً إياه أن يشهر ثروته ، ويسارع إلى إعلام السلطان أن ما لديه من مال وغلال هو بتصرف السلطان ، وفي ذلك يقول[2] : « واتفق لي معه بعض الأيام ، وقد رأيت مرضه مرض يألو إلى الفساد ، فخليت به ، وقلت : يا خوند علم الدين ، أنت متهوم بالمال عند السلطان والناس ، ووارث ما ثَمَّ لك ، والمصلحة تقتضي أن تفعل ما فعله القاضي فخر الدين[3] ، تسيّر تعرّف السلطان أن ما ثَمَّ وداعة عندك له وتعيّنها وتسد فمه وفم الغير بشيء ، وإلاّ بعدك ينهب مالك وخدمك . . . »

كما يطلعنا اليوسفي على علاقته بالأمير جمال الدين يوسف أمير طبر (ت ٧٣٤) ، الذي ذاع عنه انغماسه في اللهو وارتياده مجالس الأنس والطرب[4] ، وكذلك الأمير جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك (ت ٧٣٦) الذي يذكر المؤرخ ، بعد أن أسهب في ترجمته ، أنه رافقه إلى بلبيس عندما أمر السلطان بخروج نائب الكرك من الديار المصرية إلى

(١) المخطوط : ٩٦ظ .

(٢) المصدر نفسه : ٩٨و .

(٣) يقصد القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش بالديار المصرية المتوفى في ١٦ رجب سنة ١٣/٧٣٢ نيسان ١٣٣٣ . وكان الفخر لما اشتد به المرض وعلم بسعي موسى بن التاج إسحاق في نظر الجيش ، شق عليه ذلك ، فدخل على السلطان ، وقال له : «ما أزعجت نفسي إلاّ لنصحك ، ولأوصيك بعائلتي وأولادي ، وعندي ذخيرة للسلطان» ، ثم عرفه أنه ادّخر عشرة آلاف دينار وشيئاً من الجواهر ، وجميعها للسلطان ، فشكره على ذلك .
ابن الدواداري ٩ : ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، المقريزي ٢/٢ : ٣٤٧ ، ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

(٤) المخطوط : ٥٩ ظ .

طرابلس ، وأن هذا الأخير قد ودَّعه بقوله[1] : « روح ارجع ولا تنسانا » ، كما يشير إلى أن الأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي بن البابا (ت ٧٤١) ، كان من جملة مصادر الأخبار التي اعتمدها في وضع كتابه[2] .

ومن كبار الموظفين المدنيين ورجالات العلم والأدب :

١ ـ الوزير علاء الدين علي بن هلال الدولة مشد الدواوين (ت ٧٣٩) ، الذي كان بحكم وظيفته « يتحدث في جميع مناصب الدولة جليلها وحقيرها »[3] ، وقد أثبت اليوسفي بعض العبارات التي تلمع إلى علاقته المتينة به حيث يقول[4] : « والذي أذكره أن علاي الدين بن هلال الدولة كان بيني وبينه صحبة أكيدة واجتماع يألو إلى معرفة أحواله . . . » ، « وكنا نجتمع عنده جماعة في الليل ونجالسه . . » . ونظراً لثقة ابن هلال الدولة بالمؤرخ فقد اصطحبه في جملة شهود القيمة لتقويم دار الأمير بدر الدين بيسري الشمسي (ت ٦٩٨) عندما كلَّفه السلطان الملك الناصر بشرائها لصالح أحد خاصته الأمير سيف الدين قوصون الناصري (ت ٧٤٢) ، ويشير المؤرخ إلى أنه اعترض على مبالغة القاضي ابن بلوية في تقويم الدار بقوله لابن هلال الدولة[5] : « يا أمير ، هذا المقوّم ، فأين يكون من يستحل بيع هذه الدار ؟ قال لي : «فوق هذا بطبقات من طبقات جهنم » . وقد وفّرت صداقة اليوسفي لابن هلال الدولة سبل الاطلاع على كثير من المعلومات والتفاصيل التي كانت تدور في مجالس السلطان وكبار

---

(١) المخطوط : ٤٥ظ، ٤٦و.

(٢) أيضاً: ١١ظ، ٦٥ظ، ١٦٥و. وبالاضافة إلى هؤلاء الامراء يضيف الصفدي (أعيان) الحاج أرقطاي (ت ٧٥٠)، نائب السلطنة بالديار المصدرية، ونائب دمشق وطرابلس وحلب، والامير سيف الدين شيخو (ت ٧٥٨)، والامير سيف الدين صرغتمش (ت ٧٥٩).

(٣) ابن الدواداري ٩: ٣١٠.

(٤) المخطوط: ٤٠و ـ ظ، ٤١و.

(٥) المصدر نفسه : ٢٨و ـ ظ.

المسؤولين في الدولة المملوكية[1] .

٢ ـ القاضي إبراهيم بن عبد الله المعروف بجمال الكفاة (ت ٧٤٥) ، قبطي الأصل ، تدرج في مناصب عدة أبرزها نظر الخاص التي وليها إثر مقتل القاضي شرف الدين النشو (ت ٧٤٠) ، ثم أضيف إليه نظر الجيش[2] .

٣ ـ الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس (ت ٧٣٤) علاّمة عصره ، الأديب الناظم الناثر ، وشيخ الحديث بالديار المصرية ، له عدة مصنفات منها : كتاب في مدح الرسول مرتب على حروف المعجم بعنوان : «بشرى اللبيب بذكرى الحبيب » ، و« نور العيون في سيرة الأمين والمأمون ». وقد كانت تجمعه بالمؤرخ صلة ومودة وتردد مما رسخ العلاقة بينهما ، وقد بالغ المؤرخ في إظهار إعجابه بالشيخ ابن سيد الناس ، وأفرد له ترجمة وافرة[3] ، أشار فيها إلى أنه قد وضع كتاباً جعله مختصراً لكتاب ابن سيد الناس في مدح النبي ومدح الصحابة ، « وله أشياء من مدح النبي ﷺ ، ومدح الصحابة اختصرناه »[4] ، الأمر الذي جعلنا نرجّح أن الشيخ فتح الدين كان أحد مشايخ اليوسفي .

٤ ـ صلاح الدين المغربي ، رئيس الأطباء « ت ٧٧٦) الذي كان مشرفاً على صحة الامير سيف الدين بكتمر الساقي في مرضه ، ومطلعاً على خفايا علاقته مع الملك الناصر[5] ، حتى أن بعضهم رماه بتهمة التسبب بوفاة بكتمر بايعاز من السلطان ، وقد أشار المؤرخ إلى ذلك بقوله[6] : « وبقي

---

(١) المخطوط: ٣٦ظ، ٤١و، ٤٣ظ.
(٢) الشجاعي ١: ٢٧٥؛ المقريزي ٢/٣: ٦٧٥ ـ ٦٧٦؛ ابن إياس ١/١: ٥٠٢.
(٣) المخطوط: ٦٠ظ ـ ٦٩و.
(٤) المصدر نفسه: ٦١و.
(٥) أيضاً: ١٦و.
(٦) أيضاً: ٢٦ظ، ٢٧ و ـ ظ.

الأمر إلى أن توفي السلطان الملك الناصر ، واجتمعت أنا وصلاح الدين ، وكان بيني وبينه ود وصحبة وسألته يمين أن لا يخفيني ما كان من أمره ، فحلف أيمان كثيرة مغلظة أنه لم يكن عنده علم بشيء مما تقوله الناس » .

٥ ـ سعيد بن البغدادي (ت ٧٣٧) ، شهر عنه أنه كان عالماً في صناعة الطب وله معرفة في عمل التقاويم وحسابها . ويشيد المؤرخ بصحة تقاويمه التي خص بها العديد من الشخصيات ومن بينهم السلطان نفسه الذي قال فيه(١) : « وأما أمر السلطان فإن دولته وحساب سنته إن صح حسابه ، وقدر عليه شيء فما يدخل سنة اثنتين وأربعين وله حكم في الأرض . . . » .

٦ ـ الشيخ زاده(٢) ، شيخ خانقاه الأمير سيف الدين بكتمر الساقي ، الذي كان من عادة مؤرخنا أن يتردد إليه(٣) ، ويأنس لمجالسته لأنه « رجل حسن له ديانة وعلم ومشيخة في البلاد وله كرم نفس »(٤) .

٧ ـ مجد الدين إسماعيل بن محمد السلامي (ت ٧٤٣) ، كبير تجار ذلك الوقت(٥) ، كان رجلاً عظيماً داهية ، ذا عقل وافر ، وكانت له وجاهة زائدة عند السلطان الملك الناصر ، وعند المغل ، وقد أدّى دوراً كبيراً في توطيد العلاقات بين القان أبي سعيد ملك التتار (العراق) والناصر محمد(٦) . ويلمح المؤرخ إلى أن السلامي أخبره بما آل إليه حال مهنا بن عيسى أمير عرب الشام وقت دخوله إلى بلاد أبي سعيد(٧) .

* تعليق على ما تقدم :

---

(١) المخطوط: ١٦٥ و.

(٢) اعتمده المؤرخ لاثبات بعض المعلومات النادرة عن الامير سيف الدين بكتمر الساقي .

(٣) و (٤) المخطوط: ٢٣ ظ ـ ٢٤و.

(٥) إضافة إلى هؤلاء يذكر كل من الصفدي (أعيان) وابن حجر (الدرر): الوزير علم الدين ابن زنبور (ت ٧٥٥) والقاضي كريم الدين الكبير (ت ٧٢٤).

(٦) وذلك سنة ٧٢٣ / ١٣٢٣ . ابن الدواداري ٩ : ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٧) المخطوط: ٥١و وما بعدها.

ثمة ملاحظات عدة تثيرها صداقات اليوسفي الآنفة الذكر ، لعل أبرزها ما يلي :

١ ـ توضيح بعض المعالم المظلمة من شخصية اليوسفي ، والتي تمثلت بجرأته وثقته بنفسه واخلاصه لأصدقائه ، وعدم تردده في إبداء الرأي السديد لهم ، حتى أن العديد منهم كان يعوّل على حكمته وطول باعه في التعاطي مع الأمور الدقيقة والمسائل الشائكة ، مما جعله موضع احترام وتقدير من قبل معارفه ومعاصريه .

٢ ـ ان الرجل كان يتمتع بثقافة واسعة . وهو ما تؤكده علاقاته المميزة مع علماء عصره كالشيخ فتح الدين ابن سيد الناس[١] ، وقد اختصر له أحد كتبه والشيخ زاده[٢] شيخ خانقاه الامير سيف الدين بكتمر الساقي ، ورئيس الاطباء صلاح الدين يوسف المغربي ، والطبيب العالم سعيد ابن البغدادي[٣] .

٣ ـ ان هذه العلاقات الواسعة والمتنوعة « لابن الشيخ يحيى » جعلت منه مصدراً هاماً لرصد نشاطات السلطان ، وللاطلاع على أخبار مشاهير موظفي الدولة سواء لجهة علاقاتهم فيما بينهم ، أو لجهة علاقاتهم بالسلطان والمكلفين ، مطلعاً على دقائق الأمور وتفصيلاتها أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وبنيه . لذا كان لكتاب « النزهة » الذي ألفه قيمة تاريخية هامة .

ج ـ مؤلفات اليوسفي :

ذكرت المصادر التي ترجمت للمؤرخ كتابين لليوسفي :

---

(١) و (٢) إن طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين المؤرخ وهذين الشيخين جعلتنا نعتقد أنهما كانا من جملة مشايخه وأساتذته.

(٣) إضافة إلى المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.
راجع الصفدي، أعيان العصر (ترجمة اليوسفي).

الأول : « كشف الكروب في معرفة الحروب »[1] ، وهو كتاب في مجلد واحد يتحدث فيه عن الحروب وآلاتها .

والثاني : كتاب « نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر » ، وهو مصنف في التاريخ يبدأ بأيام المنصور قلاون وينتهي إلى سنة ٧٥٥ (ولاية الناصر حسن ابن الناصر محمد بن قلاون) ، ويقع في ١٥ جزءاً فقد معظمها ، ولم يصل إلينا فيما وصل إليه اطلاعي ، سوى الجزء الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه .

ويشير المؤرخ إلى أن له كتاباً آخر جعله مختصراً لكتاب الشيخ فتح الدين بن سيد الناس في مدح الرسول ومدح الصحابة ، وهو في ذلك يقول[2] : « وله (ابن سيد الناس) أشياء في مدح النبي ﷺ ومدح الصحابة اختصرناه » .

د ـ منهج اليوسفي في كتاب «النزهة» :

اعتمدت الكتابة التاريخية في العصر المملوكي على أحد منهجين أو على كليهما ، وهما : التاريخ حسب السنين (التاريخ الحولي) والتاريخ حسب الموضوعات والاحداث . ومؤرخنا ابن عصره في هذا المجال ، فقد انتهج في كتابه طريقة الحوليات في إطار وحدة موضوع متمثلة بالسيرة السلطانية ، وكان السلطان موضوع تاريخه والحوادث مرتبة على السنين ، بحيث يتعرض لسنة بعد أخرى مبتدئاً بسنة ٧٣٣ شارحاً أهم أحداثها ، وما يكون قد تمّ فيها وتغير في بعض مناصب الدولة الكبرى كالنيابة والوزارة ، ثم يختتمها بذكر تراجم أعيان من توفي فيها .

وقد يسّر اليوسفي مهمة القارىء إذ وضع لكل سنة عنواناً كبيراً « ذِكْر دخول سنة (كذا) وحوادثها » ، ثم أورد الأحداث مرتبة ، في الغالب ، تحت

(١) يوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية ، رقم ٢١٠ فنون حربية .

(٢) المخطوط : ٦١و .

عناوين صغيرة يستهلها بكلمة « ذكر »[1] . ثم يعرض الحادثة التاريخية مسهباً أو ملخصاً لها متبسطاً أحياناً في ذكر أسبابها ، مقدماً ذلك بعبارة « وكان السبب » أو « والسبب »[2] .

ومما قد يؤخذ على اليوسفي أنه يجزّىء الحادثة التاريخية التي لا تنتهي عند سنة واحدة ، بل تتواصل وتمتد إلى عدد من السنين ، لاضطراره ، تقيداً بالمنهج الحولي ، أن يذكر منها ما يتعلق بحوادث السنة التي يجمع كل أحداثها ثم يذكر بقية الحادثة في سنة ثانية أو ثالثة ، فتأتي مقطعة ومفرقة في جملة أحداث كل سنة ، فيقع المؤرخ في تكرار ممل لتذكير القارىء ببعض الجوانب الحيوية من الحادثة التي سبق أن ذكرها في سنوات سابقة . وخير دليل على ما ندّعيه هو ما أورده اليوسفي من أخبار المغول[3] ، وأخبار التجريدة إلى بلاد الأرمن[4] . كما أنه كان يركز على رواية الحدث ذاته دون أن يعنى بالتحليل أو التفسير في إطار العلاقة السببية بين الحوادث التاريخية ، على الرغم من أن المؤرخ كان يحاول استقصاء الأسباب وتحري الحقائق[5] ، بيد أن ذلك كان يتم بشكل قاصر تماماً عن تحديد العلاقة السببية بين مختلف الظواهر التاريخية التي تحدث عنها ، وهو أمر لا يتحمل مسؤوليته اليوسفي وحده ، باعتبار أن المؤرخ كان ملتزماً بتقاليد كتابة التاريخ التي كانت شائعة في عصره .

---

(١) وأحياناً يهمل عنوان الحادثة ويقدم لها بكلمة «وفيها» أو بإحدى العبارات التالية: «وفي تلك المدة»، «وفي هذه المدة»، «وفي تلك الأيام».

المخطوط: ٢ظ، ٣و، ٣ظ، ٤و، ٤ظ، ... الخ.

(٢) كما في الأوراق: ٥و، ٦و، ١٢و، ١٢ظ، ... الخ.

(٣) وردت أخبار المغول منشره في حوادث السنوات: ٧٣٤ (٣١و - ٣٥و)، و ٧٣٦ (١٠٦ظ، ١١٢و - ١١٤ظ، ١٣٢و - ١٣٣و)، و ٧٣٧ (١٤٩و - ١٥٠ظ، ١٥٣ظ - ١٥٥و).

(٤) امتدت ما بين ٧٣٧ (١٤٩و - ١٥١و) و ٧٣٨ (١٦٥ظ - ١٨٣و).

(٥) المخطوط: ٥و، ٦و، ١٢و، ١٢ظ، ... الخ.

هـ ـ مصادره في كتاب «النزهة» :

تتميز مصادر اليوسفي أنها بمجملها شخصية اقتصرت على نوعين من المصادر في تأليف كتابه هما :

١ ـ المشاهدة والملاحظة :

حيث اعتمد اليوسفي على مشاهداته ، فهو يؤرخ لفترة عاصرها وعايش معظم أحداثها ، فلا نجد أثراً لمصدر فيها . وقد أشار المؤرخ صراحة إلى مشاهداته باستعمال تعابير منها : « وكنت ممن صحبه ذلك اليوم »(١) ، « وكنا نجتمع عنده »(٢) ، « واتفق له يوم بحضوري »(٣) ، « وحضرته في مرضه الذي توفي فيه »(٤) .

٢ ـ الرواية الشفوية :

وأما الحوادث التي لم تسمح له الظروف أن يكون فيها شاهد عيان ، فكان يعتمد على ما سمعه من أصدقائه ومعارفه ، ناقلاً رواياتهم بحرفيتها ، ومصادره في هذا المجال أشخاص بارزون في منزلتهم ، ككبار موظفي الدولة من أمراء وقضاة ورجال دين ، مقدماً المعلومات التي استقاها بالعبارات التالية : « وما أخبرني به (فلان) »(٥) ، « وحكى لي (فلان)»(٦) ، « وأخبرني ثقة »(٧) ، « ونقل لي (فلان) »(٨) ، وأحياناً يُبهم اليوسفي مصدره فيستهل كلامه بإحدى العبارتين : « وبلغني »(٩) ، « وذُكر لي »(١٠).

---

(١) المخطوط: ٢٨و.

(٢) المصدر نفسه: ٤١و.

(٣) المصدر نفسه: ٤٣ظ.

(٤) أيضاً: ٥٩ظ.

(٥) أيضاً: ٥ظ.

(٦) أيضاً: ٩و.

(٧) أيضاً: ٢٣و.

(٨) أيضاً: ٣٦ظ.

(٩) أيضاً: ٢٩و.

(١٠) أيضاً: ١٣١ظ.

وفي حال شكه في إحدى الروايات حمّل ناقلها وحده مسؤولية ما روى مستهلاً كلامه بعبارة « أننا مقلدون ما ينقله الناقل ، ونسمعه منه » (1) ، أو ينقل الرواية ويشير إلى ما يخالفها(2) ، وقد صح فيه قول ابن حجر : « وهو كثير التحري في النقل ، ما يتحققه ينقله ، وما لا يتحققه يضيفه إلى قائله ، وربما تبرأ من عهدته »(3) ، وتكفي مؤرخنا هذه الشهادة كي نصنفه في مصاف المؤرخين الموثوقين ، على الرغم من ندرة تصانيفه التي وصلت إلينا .

و : أسلوبه في كتاب « النزهة » :

كتب اليوسفي في التاريخ ، وراعى ما كان شائعاً في عصره من أصول كتابية فقد كان أسلوبه عادياً عمد فيه إلى السجع الذي كان يأتي حيناً سهلاً وطبيعياً ، وفي كثير من الأحيان متكلفاً ، بالاضافة إلى سيطرة المحسنات اللفظية على بعض الجمل فجعلها عديمة المعنى . وقد يكتب عبارة تذكّره بآية من القرآن أو بحديث نبوي أو بجملة في أحد الآثار الأدبية، فيسارع إلى الاقتباس منها حتى ولو كانت الصلة ضئيلة، ولا يكتفي أحياناً بآية واحدة من القرآن ، وإنما يعمد إلى اقتباس آيات متعددة لعرض فكرته مع فاصل بين الآيات من إنشائه .

ومن عيوب الأسلوب الظاهرة عدم اتقان استعمال الضمائر ، كما أنه لا يحسن استعمال أسماء الاشارة ، فيذكر مؤنثاً ما يجب وروده مذكراً والعكس بالعكس . كما يستخدم أحياناً الكلمات العامية والتركية والفارسية ، إضافة إلى إقحام أبيات الشعر إقحاماً أثناء عرضه للحوادث .

ز : قيمة الكتاب :

إذا سلمنا أن القطعة التي بين أيدينا هي جزء من سيرة للسلطان

(1) المخطوط: 10ظ.

(2) أيضاً: 15و.

(3) ابن حجر، الدرر 4 : 381.

الناصر محمد بن قلاون ـ وذلك أمر يلحق باليقين ـ فإن بإمكاننا اعتبار كتاب « النزهة » أحد أهم المصادر التي أرّخت لحياة السلطان ، ولا يرجع ذلك إلى دقة المؤرخ في تقصي الحقائق وتنظيم سردها فحسب ، بل إلى عنايته الفائقة بذكر تراجم مشاهير وأعلام الفترة التي أرّخ لها ، والتي عاصرها بنفسه ، ومما يجعل للكتاب قيمة علمية على وجه الخصوص ، أن اليوسفي قد ضمّنه عدداً من الكتب والتوقيعات والمناشير ، التي لم نقع عليها في المصادر الاخرى ، هي : توقيع[١] بتولية الصاحب أمين الدين أمين الملك نظر الشام عوضاً عن الصاحب شمس الدين غبريال ومنشور[٢] بالانعام على الأمير ناصر الدين محمد بن جنكلي بإمرة طبلخاناه ومنشور[٣] بالانعام على مهنا بن عيسى ، أمير آل فضل ، بقرية دومة ، يضاف إلى ذلك تقريران[٤] للمؤرخ عن الحملة على بلاد سيس ، من هنا كانت فرادة الكتاب .

وقدّر مؤرخو العصر المملوكي كتاب « النزهة » حق قدره ، فاتخذوه مصدراً أساسياً لما اقتبسوه عن حياة الملك الناصر ، فمنهم من نقل ما جاء فيه حرفياً[٥] ، ومنهم من اقتبس[٦] .

ويستفاد من مقارنة المقريزي مع اليوسفي (حوادث ٧٣٣ ـ ٧٣٨) أن المقريزي قد أخذ من اليوسفي[٧] بإيجاز معظم الحوادث الواردة في كتاب «النزهة » مع اختلاف ظاهر في أسلوب الكتابة ، ففي الوقت الذي تطغى العامية على أسلوب اليوسفي ، يبرز الطابع الادبي لأسلوب المقريزي .

---

(١) المخطوط: ٢ظ ـ ٣و.
(٢) المصدر نفسه: ٣و ـ ٣ظ.
(٣) أيضاً: ٥٥ظ ـ ٥٧و.
(٤) أيضاً: ١٧٢ظ ـ ١٧٣و، ١٨١و ـ ١٨٣و.
(٥) كما فعل الشجاعي والعيني.
(٦) كما فعل المقريزي وابن حجر وابن تغري بردي.
(٧) مع مراعاة السياق المعتمد في كتاب «النزهة» لجهة التسلسل في عرض الموضوعات.

إن مراجعة الجدول التالي المثبت أدناه تعطينا فكرة صادقة عن مدى التوافق بين الحوادث[1] التي وردت في كتاب « النزهة » وتلك التي ذكرها المقريزي في كتاب « السلوك » : (الجدول على الصفحة التالية) .

(١) وقد أسقطنا مقارنة التراجم لأن المقريزي نقل بإيجاز ما جاء في «النزهة» من تراجم ثم أضاف إليها تراجم أخرى.

جدول التوافق بين كتابي «النزهة» و «السلوك»

حوادث سنة ٧٣٣				حوادث سنة ٧٣٤				حوادث سنة ٧٣٥			
النزهة		السلوك ٢/٢		النزهة		السلوك ٢/٢		النزهة		السلوك ٢/٢	
ح	ت/س	ح	ت/ن	ح	ت/س	ح	ت/ن	ح	ت/س	ح	ت/ن
١ظ ـ ٩ظ، ١٠ظ ـ ٢٦ظ	١ظ ـ ٩ظ، ١٠ظ ـ ٢٦ظ	٣٥٥ ـ ٣٦٣	٣٥٥ ـ ٣٦٢	٢٩ظ ـ ٥٨و	٢٩ظ ـ ٥٨و	٣٦٥ ـ ٣٧٥	٣٦٥ ٣٧٤	٦٩ظ ـ ٩٦ و	٦٩ ظ ـ ٩٦ و	٣٧٧ ـ ٣٨٧	٣٧٧ ـ ٣٨٧
٧٢ صفحة	٧٢ صفحة	٩ صفحات	٨ صفحات	٥٩ صفحة	٥٩صفحة	١١ صفحة	١٠ صفحات	٥٥ صفحة	٥٥ صفحة	١١ صفحة	١١ صفحة

حوادث سنة ٧٣٦				حوادث سنة ٧٣٧				حوادث سنة ٧٣٨			
النزهة		السلوك ٢/٢		النزهة		السلوك٢/٢		النزهة		السلوك ٢/٢	
ح	ت/س	ح	ت/ن	ح	ت/س	ح	ت/ن	ح	ت/س	ح	ت/ن
١٠٢ظ ـ ١٢٥ و	١٠٢ظ ـ ١٢٥ و	٣٨٩ ـ ٤٠٤	٣٨٩ ـ ٤٠٣	١٣٣ظ ـ ١٦٠ظ	١٣٣ظ ـ ١٦٠ ظ	٤٠٦ ـ ٤٢٥	٤٠٧ ـ ٤٢٤	١٦٥ظ ـ ١٨٣ و	١٦٥ظ ـ ١٨٣ و	٤٢٧ ـ ٤٥٦	٤٢٧ ـ ٤٣٠
٤٧ صفحة	٤٧صفحة	١٦ صفحة	١٥ صفحة	٥٦ صفحة	٥٦ صفحة	٢٥ صفحة	٢٣ صفحة	٣٥ صفحة	٣٥ صفحة	٣٠ صفحة	٤صفحات

الرمز «ح» للدلالة على أرقام الصفحات المتضمنة لحوادث السنة.

الرمز «ت/س» للدلالة على أرقام صفحات التوافق مع «السلوك»،

والرمز «ت/ن» للدلالة على صفحات التوافق مع «النزهة».

الرمزان (و ـ ظ) للدلالة على وجه أو ظهر الورقة (الورقة تساوي صفحتين).

يستفاد من هذا الجدول أن حوالي ٧٠ / ١٠٠ من المعلومات الواردة في « السلوك » من حوادث السنوات ٧٣٣ - ٧٣٨ ، قد تضمنها كتاب « النزهة » ، وإذا توقفنا في حوادث سنة ٧٣٨ الواردة في « السلوك » عند أخبار غزو بلاد الأرمن والتي تنتهي عند الصفحة ٤٣٠ ، فإن نسبة التوافق ترتفع إلى أكثر من ٩٣ ٪ الأمر الذي جعلنا نعتبر أن ما ورد في « السلوك » من حوادث ٧٣٣ - ٧٣٨ ، هو بمثابة نسخة ثانية من كتاب « النزهة » .

الفصل الثاني

نظرة في محتويات ما تبقى من كتاب "النزهة"

ثمة ملاحظة لا بد من ذكرها قبل الحديث عن محتويات الكتاب ، وهي أن السلطان هو محور الحادثة التاريخية ، فهو المطلع ، وبصورة دائمة ، مباشرة أو بالواسطة على شتى أمور الدولة في جناحيها المصري والشامي ، فالسلطة مركزية صارمة ، ولا مجال للآخرين حتى كبار نواب السلطنة سوى هامش ضيق للتقدير والتقرير[1] ، من هنا ، وفي إطار تحليلنا للمعطيات ، ننطلق من فرضية أساسية تتمثل بأن أي حدث هام ، إنما يجري بعلم السلطان وبمعرفته بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

ويحتوي كتاب « النزهة » على طائفة من المعلومات المتنوعة في تضاعيف أوراقه ، تتناول شؤون الدولة المملوكية في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية ؛ فهي تلقي أضواء كاشفة على العلاقات داخل الدولة بين السلطان وكبار موظفيه (من تعيين وعزل ، ومصادرات وعقوبات . . الخ) ،وبين بعض هؤلاء الموظفين (المهتمين بالشؤون المالية) والمكلفين (من تجار وعامة) ، مؤكداً على إبراز حال الفساد الذي أصاب الادارة المملوكية . إضافة إلى أخبار النيابات في بلاد الشام والديار المصرية ، وعلاقات السلطنة بالدول الأخرى .

(١) يعزز ذلك ما عرف عن السلطان الناصر محمد من عدم ثقته بجميع أعوانه، ويعود السبب في ذلك إلى ما تعرض له في حياته السياسية من تواطوء الأمراء عليه ونجاحهم في اقصائه عن الحكم مرتين.

ونظراً لتعدد النواحي التي يتناولها الكتاب ، رأيت أن أصنّفها في موضوعين رئيسيين : الأوضاع الداخلية للسلطنة المملوكية ، وعلاقاتها الخارجية .

I ـ الأوضاع الداخلية للسلطنة المملوكية :

١ ـ أخبار بلاد الشام :

كانت بلاد الشام مقسمة من الناحية الادارية إلى ست نيابات هي : نيابة دمشق ، ونيابة حلب ، ونيابة طرابلس ، نيابة حماه ، ونيابة صفد ، ونيابة الكرك ، ويضاف إليها غزة(١) وحمص(٢) والقدس وملطية . وعلى رأس كل نيابة نائب يعرف بنائب السلطنة ، يختار من بين كبار الأمراء. وتجدر الاشارة في هذا السياق إلى أن كل من هذه النيابات تمتد لتشمل مساحة كبيرة ، ويتبعها من الناحية الادارية عدد من المدن أو الموانىء أو القلاع الهامة . وقد روعي أن تقسم كل نيابة منها إلى أقسام إدارية صغيرة أُطلق عليها إسم « النيابات الصغار »(٣) .

أما نظام الحكم في تلك النيابات فهو صورة مصغرة لنظام السلطنة في الديار المصرية ، بمعنى آخر ، فإن كل نائب من نواب الشام كان في حقيقة أمره «سلطاناً في نيابته(٤) ، فكان لكل منهم حاشيته ومماليكه وأتباعه وله بيوت خدمة مثل بيوت خدمة السلطان كالشراب خاناه، والفراش خاناه

---

(١) و (٢) أصبحت كل من غزة وحمص نيابة قائمة بذاتها في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

GAUDEFROY - DEMOMBYNES, La Syrie à l'époque des Mamelouks, P. 174.

(٣) القلقشندي، صبح ١٢ : ٦ .

(٤) مع الاشارة إلى أنه كان قبل كل شيء يدين بالولاء الكامل للسلطان المملوكي في مصر الذي كان يحتكر لنفسه حق تعيين وعزل كبار الموظفين في النيابات الشامية بما فيهم نواب السلطنة . القلقشندي ١٢ : ٦ ـ ٧ .

والطبلخاناه . . . إلخ ، كما احتوت بيوت نواب الشام على وظائف مثل وظائف بيوت السلطان ، كرأس نوبة وأمير مجلس ، وأمير جاندار ودوادار . . . وغيرها، كذلك كان لكل نيابة من النيابات الشامية وزير يتمتع بما يتمتع به الوزير في الديار المصرية ، هذا فضلاً عن أربعة قضاة يمثلون المذاهب الأربعة منذ أقرها السلطان الملك الظاهر بيبرس(١) :

أما الدواوين التي وجدت في كل نيابة من نيابات الشام ، فكان أهمها ديوان الانشاء ، وديوان النظر وديوان الجيش . وقد اختص ديوان الانشاء بجميع المراسلات التي ترد إلى النائب أو تصدر عنه ، ولقب صاحب ديوان الانشاء بكاتب السر(٢) . وأما ديوان النظر(٣) ، فكان له الاشراف على الأمور المالية من إيرادات ومصروفات . وأما ديوان الجيش(٤) ، فكان يشرف على جيش النيابة وتوزيع الاقطاعات ، وترتيب الجوامك الخاصة بالمماليك .

وإذا كان الوضع كذلك بالنسبة لكافة النيابات الشامية في عصر المماليك فإن نائب دمشق كان يتمتع بأهمية خاصة فاقت أهمية النواب الآخرين(٥) ، ويطلعنا اليوسفي على مدى أهمية نيابة دمشق ونائبها الأمير سيف الدين تنكز « ملك الأمراء » الذي استمر في النيابة مدة طويلة ناهزت ثمان وعشرين سنة(٦) ، حيث يفترض في النواب الآخرين ، إذا ما أرادوا الاتصال بالسلطان أن يكتبوا أولاً لنايب دمشق الذي يختم كتبهم بعد

---

(١) وذلك سنة ٦٦٠/١٢٦٢. المقريزي، السلوك ١/٢: ٤٧٢.

(٢) القلقشندي ٥: ٤٦٤، و ١١: ٢٩٤؛ المقريزي، الخطط ٢: ٢٢٥.

(٣) القلقشندي ٣: ٤٨٩، و ٩: ٢٥٧.

(٤) ابن شاهين الظاهري، زبدة: ١٠٣ ـ ١٠٤؛ القلقشندي٣: ٤٨٨.

(٥) يقول فيه القلقشندي إنه: «قائم بدمشق مقام السلطان في أكثر الأمور المتعلقة بنيابته، ويكتب عنه التواقيع الكريمة، ويكتب عنه المربعات بتعيين اقطاعات الجند، وتجهز إلى الابواب الشريفة فيشملها الخط السلطاني الشريف». القلقشندي ٤: ١٨٤.

(٦) ولي نيابة دمشق في ربيع الآخر سنة ١٣١٢/٧١٢، واستمر بها حتى أواخر سنة ١٧٤٠ / ١٣٤٠. ابن الوردي، تتمة المختصر ٢: ٤٦٦ ـ ٤٦٧؛ الصفدي، أمراء دمشق،

الاطلاع عليها[١] ، ومن يخالف هذا التسلسل يعرض نفسه للادانة ، وربما للعزل[٢] ، وكثيراً ما كان نواب الشام يتذمرون من تسلط نائب دمشق عليهم ؛ فتحصل بينهم وبينه المنافسات والاستفزازات ، فينفرون من تنفيذ أوامره وتعليماته، فهم لا يرون فيه سوى القرين والند ، وبالتالي لا يستسيغون استعلاءه عليهم ، فعندما حصل الخلاف بين نائب دمشق والأمير سيف الدين طينال الأشرفي نائب طرابلس ، نهر هذا الأخير بريدي نائب دمشق رافضاً تنفيذ التعليمات وحتى رد الجواب وذلك بقوله : « قول لنايب الشام هو نايب السلطان ، وأنا نايب السلطان ، وهو مملوك السلطان وأنا مملوك السلطان ، وما له علي ولاية ، وإذا كان أستاذي يكتب إليَّ بشيء أكتب جوابه إليه »[٣] . كما أن نائب صفد الأمير سيف الدين أيتمش المحمدي قد بعث برسالة جوابية للأمير سيف الدين تنكز مستنكراً عتبه عليه لمخالفته إياه في بعض الأمور ، يقول فيها : « إنني ما جيت نايبك، وإنما جيت نايب أستاذي »[٤] . لكن هذه الخلافات كانت تنتهي دائماً بتأكيد السلطان لسلطة « ملك الأمراء» على أقرانه ، وذلك لـ « تقوية يد نايب الشام وعلو كلمته »[٥] .

وكان من عادة نائب دمشق أن يزور السلطان مرة في السنة[٦] ، « على عادته » وكانت خطوته الاولى إلى غزة حيث يحط رحاله، ويبعث مملوكه إلى السلطان طالباً الإذن بالحضور ، ثم ينطلق بعد أن يحظى بالموافقة قاصداً

= ٢٢، والوافي ١٠: ٤٢٠ - ٤٣٥؛ المقريزي، السلوك ٢/٢: ٤٩٩ - ٥٠١؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١٤٥ - ١٦٠.

(١) المخطوط: ٢و.

(٢) المصدر نفسه: ظ ١، ٢ ظ.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٤و- ١٠٥ظ.

(٤) المصدر نفسه: ١٢٢ظ - ١٢٤ظ.

(٥) أيضاً: ٢ظ.

(٦) أيضاً: ٤و، ٣٥و، ٧٦و، ١٤٨ظ.

الديار المصرية ، حيث يكرّمه السلطان ويقدم له الهدايا والخلع والأموال، والراجح أن الهدف من هذه الزيارة السنوية هو اطلاع السلطان على أحوال بلاد الشام والتشاور معه حول الشؤون المستقبلية و« المستجدات » والسياسة الواجب اعتمادها من تعيين وعزل للنواب وكبار الموظفين ، وغير ذلك من الأمور المتعلقة بأمن الدولة[1] .

وعلى الرغم من المكانة التي كان يحتلها نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز لدى السلطان ، فإن الرجل كانت تراوده دائماً مشاعر « الخوف والزمع » ؛ فالمؤرخ يطلعنا أنه لما نقل إليه خبر وفاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقي وولده أحمد ، وأن السلطان متهم بقتلها ، « حصل عنده من الحذر على نفسه أمر كبير وقلق بذلك السبب» لأنه « كان يرى بعينه منزلة بكتمر عنده وتعظيمه ، ويعرف أخلاق السلطان وسرعة تغيره ، إذا بغض إنساناً لا يمكن ابقاءه ، فقلق لذلك قلقاً كبيراً »[2].ويفهم من الكلام الذي أورده المؤرخ على لسان تنكز[3] أن السلطان كان كثير الشك حتى بأعوانه المقربين ، ولعل ذلك يرجع إلى خوفه من تكرار ما حل في سلطنيته الأولى والثانية على يد أمراء مصر البارزين[4] ، من هنا يمكننا أن نفهم شيوع ظاهرة الجاسوسية في العصر المملوكي ، خاصة أيام الناصر محمد الذي جنّد معظم الفئات الاجتماعية حتى الشخصيات المرموقة كي تكون عيوناً له على نواب السلطنة، ومن هؤلاء صاحب ديوان الانشاء ونائب القلعة أو الحصن في النيابة[5] .

ولكي نأخذ فكرة سريعة عن أخبار نيابات بلاد الشام من تعيين وعزل للنواب والموظفين نورد الجداول التالية :

---

(١) المخطوط : ١٤٩ظ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه : ١ و.

(٣) المصدر نفسه : ٥ظ.

(٤) راجع : الصفحة ٤٠ ، حاشية رقم ٢ .

(٥) ابن فضل الله، التعريف : ١٤٨ - ١٤٩ ؛

GAUDEFROY - DEMOMBYNES, Op. Cit., P. 108.

١ ـ نيابة دمشق:

النائب: الأمير سيف الدين تنكز الناصري

نيابة دمشق/ وظائف أخرى/ تعيين

نظر الشام		نظر الجيش		نظر الخاص		نظر الأوقاف		كتابة السر		الحجوبية	
السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط
٧٣٣	٢ ظ	٧٣٣	٥ و	٧٣٣	٢ ظ	٧٣٣	٢ ظ	٧٣٣	٤ ظ	٧٣٤	٤٤ ظ
								٧٣٥	٨٦ ظ		

نيابة دمشق/ وظائف أخرى/عزل، نقل ووفاة

ولاية البر		نظر الشام		نظر الجيش		نظر الخاص		نظر الأوقاف		كتابة السر	
السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط
٧٣٥	٨٥ و	٧٣٣	٢ ظ	٧٣٣	٤ ظ	٧٣٣	٢ ظ	٧٣٣	٢ ظ	٧٣٣	٥ ظ
										٧٣٥	٨٥ ظ

٢ ـ نيابة طرابلس :

نيابة طرابلس/ نواب/ تعيين وعزل

النائب	سنة التعيين	الرقم في المخطوط	سنة العزل	الرقم في المخطوط	ملاحظات
الامير سيف الدين طينال الاشرفي (طيلان)	-	-	٧٣٣	١ ظ	بسبب خلافه مع نائب الشام
الامير شهاب الدين قرطاي الاشرفي	٧٣٣	١ ظ	٧٣٤	٤٥ و	بسبب الوفاة
جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك	٧٣٤	٤٥ و	٧٣٥	٧٤ ظ	بسبب مصادرته لأحد التجار الأجانب
الامير سيف الدين طينال الأشرفي (طيلان)	٧٣٥	٧٤ ظ	٧٣٥	-	-

٣ ـ نيابة صفد :

نيابة صفد/ نواب/ تعيين وعزل

النائب	سنة التعيين	الرقم في المخطوط	سنة العزل	الرقم في المخطوط	ملاحظات
الامير الحاج سيف الدين أرقطاي	-	-	٧٣٦	١٠٥ ظ	بسبب خلافه مع نائب الشام
الامير سيف الدين أيتمش المحمدي	٦٣٦	١٠٥ ظ	٧٣٦	١٢٤ ظ	بسبب وفاته
الامير سيف الدين طشتمر الساقي	٧٣٧	١٣٦ ظ	-	-	استمرار

٤ ـ نيابة غزة:

نيابة غزة/ نواب/ تعيين وعزل

النائب	سنة التعيين	الرقم في المخطوط	سنة العزل	الرقم في المخطوط	ملاحظات
الامير سيف الدين طينال الاشرفي (طيلان)	٧٣٣	١ظ، ٢ ظ	٧٣٥	٧٤ ظ	لانتقاله مجدداً إلى نيابة طرابلس
الامير سيف الدين جركتمر الناصري	٧٣٥	٧٤ ظ	٧٣٦	١٢٥ و	لانتقاله إلى نيابة حمص
الامير علاء الدين ألطنبغا حاجي	٧٣٦	١٢٥ و	-	-	استمرار

نيابة غزة/ كاتب الانشاء/ عزل

متولي كتابة الانشاء	سنة العزل	الرقم في المخطوط	ملاحظات
التاج كاتب بكتوت الفتاح	٧٣٦	١٠٦ ظ	بسبب خلافه مع كاتب السر محيي الدين ابن فضل الله

٥ ـ نيابة حمص:

نيابة حمص/ نواب/ تعيين وعزل

التائب	سنة التعيين	الرقم في المخطوط	سنة العزل	الرقم في المخطوط	ملاحظات
الامير سيف الدين قجماش الجوكندار الملقب بشاش	٧٣٤	٤٤ ظ	٧٣٤	٦٠ و	بسبب وفاته
الامير سيف الدين بكتمر العلائي	٧٣٥	٧٤ ظ	٧٣٦	١٢٥ و	-
الامير سيف الدين جركتمر الناصري	٧٣٦	١٢٥ و	-	-	استمرار

أما بقية النيابات فلم تشهد تبدلاً في نوابها (حلب : الأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني، حماه: الأفضل محمد بن إسماعيل بن علي الأيوبي، والكرك ، الأمير سيف الدين ملكتمر السرجواني).

ويستفاد من هذه الجداول أن وضع معظم نواب الشام لم يكن مستقراً حتى أن بعضهم لم تتعد ولايته بضعة أشهر[1] ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن السلطان كان يعين الأمراء الذين يخشى خطرهم في النيابات البعيدة عن مركز السلطة ، ثم يلجأ إلى اعتماد الحيلة للقبض عليهم والتخلص منهم، وخير مثال على ما ندّعيه هو تعيين السلطان لأحد كبار أمرائه جمال الدين آقوش نائب الكرك في نيابة طرابلس[2] ، لما نمي إليه أنه كان يسعى بالتواطؤ مع بعض الأمراء (أُلماس الحاجب) للوصول إلى السلطة، وقد علق نائب الكرك عندما بُلّغ القرار السلطاني بقوله : « أما إنّي أشتهي فلا ، وأما مرسوم السلطان فما أخالفه . . . . . والله ما بقى يخلينا لا هونيك ولا هوني »[3] ، وسافر من الديار المصرية إلى طرابلس . ثم استغل السلطان حادثة قبض نائب الكرك على أحد قراصنة الفرنج عرف عنه كثرة التعدي على التجار المسلمين والمسافرين إلى قبرص ، وكان قد أغار على ميناء طرابلس واستولى على أحد المراكب الراسية فيها ، ويشير البوسفي إلى أن القرصان استطاع اقناع السلطان، عندما مَثُل أمامه ، أنه رجل تاجر ، وأنه قصد بلاد السلطان بهدية سنية ، وأن نائب طرابلس قد ظلمه وجعله حرامياً ، وصادر جميع ما كان معه من المتجر والهدية ، فوجد السلطان بذلك فرصة سانحة لاظهار استياءه من نائب طرابلس، فشهّر به بين الأمراء ، ثم كتب إليه أن يعيد للافرنجي مركبه وماله محذراً إياه من مغبة التعرض للتجار الأجانب ،

(١) باستثناء نواب دمشق وحلب وحماه والكرك.

(٢) المخطوط: ٤٥و ـ ٤٦و.

(٣) نفس المصدر: ٤٥و ـ ٤٥ظ.

ثم تحايل إلى أن نجح في القبض عليه وسجنه بثغر الاسكندرية[1] .

٢ ـ أخبار الديار المصرية :

ويختلف الأمر بالنسبة للديار المصرية ، باعتبار أنها كانت باشراف السلطة المركزية المباشرة المتمثلة بشخص السلطان يعاونه في تسيير الأمور ، إضافة إلى كبار مستشاريه ، فئة من الموظفين أطلق عليهم في النظام المملوكي لقب الولاة، يختارون دائماً من بين الأمراء، كان أعظمهم شأناً والي القاهرة الذي عهد إليه الاشراف على العاصمة وتدبير شؤونها وحماية أهلها من عبث المفسدين ومثيري الفتن.

ويصور لنا اليوسفي والي القاهرة[2] وأعوانه في حركة دائمة ، ففي النهار يطوف معهم الأسواق والدروب لمنع الغش ومكافحته، ويتظلّم الناس أحياناً فيتعرض لأموالهم وأرزاقهم ، ويقوم بالكبسات على « بيوت المساتير »[3] ، وفي الليل يتعقب السكارى « والعابثين » للقبض عليهم ومكافحتهم ، وقد بلغ من أمر أيدكين الازكشي ، والي القاهرة ، في تتبعه للناس « إلى أن كان يتنكر في الليل ويلبس لبس الجبلية ، ويعمل في رجله زربول ، ويمشي في أزقة المدينة ويتسمع على من في بيته غناء أو شرب يكبسه ويعرّيه ، ويأخذ منه المال يحمل بعضه للسلطان »[4] . كما أثبت المؤرخ عن الازكشي حادثة مفادها أنه قد تواطأ مع القاضي شرف الدين النشو، ناظر الخاص، لابتزاز أحد كبار تجار قيسارية جهاركس كانت له وداعة في خزانة السلطان، وكان يطلع كل يوم يطالب بها ناظر الخاص، وكان هذا الرجل

(١) المخطوط: ٧٢ظ ـ ٧٥ظ.

(٢) تناوب على ولاية القاهرة في الفترة الواقعة ما بين ٧٣٣ ـ ٧٣٨، ثلاثة ولاة. راجع الجدول في الصفحة ٧٤. وقد ساعد والي القاهرة ولاة آخرون هم: والي الفسطاط (مصر) ووالي القرافة ووالي القلعة (نائب القلعة).

(٣) المخطوط: ٤٨و.

(٤) المصدر نفسه: ٤٨و.

مشغوفاً بالشراب، فترقبه والي القاهرة إلى أن ضبطه في الطريق وهو في حال من السكر الشديد، وشهّر به بين الناس، وأشهد عليه بعضهم، ولم يفرج عنه إلّا بعد ما كتب عليه حجة إبراء لخزانة السلطان بجميع ما كان له فيها[1]. وعندما علم السلطان بما اتفق اغتبط، وشكر للازكشي ما فعله طالباً إليه « أن يلازم ما اعتمده، ولا يلتفت على أحد »[2].

كما أن السلطان لم يتوان في الاساءة إلى أحد مقربيه الأمير سيف الدين قوصون الذي أتاه شاكياً تجاوزات[3] والي القاهرة، فدفعه السلطان مؤكداً ثقته بالازكشي، وذلك بقوله[4]: « أنتم كلما وليت أنا واحد ينفعني تريدوا تخرجوه . . . ».

والجدولان التاليان يلخصان أخبار ولاية القاهرة لجهة التعيين والعزل ما بين ٧٣٣ - ٧٣٨:

ولاية القاهرة/ ولاة/ تعيين وعزل

الوالي	سنة التعيين	الرقم في المخطوط	سنة العزل	الرقم في المخطوط
الامير ناصر الدين محمد بن المحسني	-	-	٧٣٤	٤٦ و
الامير علاء الدين أيدكين الازكشي	٧٣٤	٤٦ و	٧٣٥	٧٠ و
الامير سيف الدين بلبان الحسامي	٧٣٥	٧٠ و	٧٣٥	٩٢ و
الامير علاء الدين ابن حسن المرواني	٧٣٥	٩٢ و	-	-

(١) المخطوط: ٤٨و-٤٨ظ، ٨٨و.

(٢) المصدر نفسه: ٤٨ظ.

(٣) أيضاً: ٤٨ظ-٤٩و.

(٤) أيضاً: ٤٩و.

ولاية القاهرة/ وظائف أخرى/ تعيين وعزل

الحسبة		شد الدواوين		كتابة السر		الحجوبية		الدوادارية		كتابة الدرج	
السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط
٧٣٧	١٤٦ و	٧٣٤	٣٩ و	٧٣٣	٥ ظ	٧٣٤	٢٩ ظ، ٤٦و	٧٣٣	٩ ظ	٧٣٣	٤ و
		٧٣٦	١١٦ ظ					٧٣٦	١٠٣ و		
		٧٣٧	١٤٧ ظ								

نقابة الجيش		نقابة المماليك		تقدمة المماليك		ولاية الصناعة والاهراءات		نظر الاهراءات	
السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط	السنة	الرقم في المخطوط
٧٣٤	٦٠ و	٧٣٤	٦٠ و	٧٣٥	٦٩ ظ	٧٣٧	١٥٥ ظ	٧٣٧	١٥٥ ظ

أما الادارة الإقليمية في الوجهين القبلي والبحري ، فأشرف عليها مجموعة من الولاة، وكان لكل منها كاشف هو بمثابة « والي الولاة »[1] يتمتع بنفوذ كبير على جميع الولايات التابعة له . وقد أطلعنا المؤرخ ، ولو بإيجاز ، على أوضاع هذين الوجهين ، في إطار تغطيته السريعة لأخبار المصادرات ضد الولاة وكبار الموظفين فيهما واتهامهم باختلاس أموال المعاصر والدواليب، وإجبارهم تحت تأثير الضرب والتعذيب على حمل الأموال الطائلة لخزانة الخاص، كما حصل مع قنغلي والي البهنسا وقشتمر والي الغربية وأياس متولي المنوفية ومباشريهم[2] إضافة إلى أصحاب الدواليب والمعاصر والزراعات، وكذلك أمراء العربان من آل زعازع وآل قمر الدولة وآل مقداد[3] .

وأما الاسكندرية التي كانت في ذلك الوقت المدينة التجارية والصناعية الهامة والمرفأ المصري الأول على البحر المتوسط، فلم يتضمن كتاب « النزهة » سوى لمع بسيطة عن أخبارها تنحصر بالاشارة إلى ثغرها حيث السجن الذي كان يودع فيه الأمراء المغضوب عليهم أو المخالفون لإرادة السلطان[4] .

وبحكم إقامة المؤرخ بالقاهرة، ومن خلال صداقاته مع رجالات الدولة فقد استطاع أن يقدم لنا تفصيلات عن الاحوال الداخلية للادارة (من فساد ورشاوى وابتزاز ونهب. . . إلخ) قلما نجدها عند غيره من المؤرخين .

والموظف الأساسي الذي كان يشرف على الادارة المالية ، هو القاضي شرف الدين النشو، ناظر الخاص[5] الذي شغلت أخباره معظم ورقات الكتاب. ويبدو أن هذا الموظف ، القاسي القلب ، الذي كرهته العامة والخاصة، كان له دالة على السلطان ، واستطاع بذلك أن يواجه المكائد التي

(١) القلقشندي ٤: ٦٥.
(٢) المخطوط: ٤و، ٧٦و- ٧٦ظ.
(٣) المصدر نفسه: ١٣٧و- ١٣٨و.
(٤) أيضاً: ٤٤ظ، ٧٠ظ- ٧٥ظ، ١٠٦و- ١٠٦ظ.
(٥) وهي وظيفة مستحدثة في أيام الناصر محمد بن قلاون، وموضوعها التحدث فيما هو خاص بمال السلطان. انظر ما يلي في الصفحة ١١٦، حاشية رقم ٦.

نصبها له خصومه للايقاع به، حيث كان ينتصر له السلطان ويدافع عنه[1] . فهل كان النشو ، ناظر الخاص، يملك دائماً الحجة الدامغة لاقناع السلطان بصوابية تدابيره ؟

في الواقع أن النشو كان يحظى بثقة السلطان ومؤازرته بقدر ما كان المعبر الأمين عن مصالح السلطان ورغباته، مع الاعتراف له بحيّز بسيط يحقق من خلاله بعض المكاسب الشخصية[2] . وقد ذكر اليوسفي في «النزهة» العديد من الأمثلة التي تدعم ما ذهبنا إليه، منها :

أن السلطان طلب إليه أن يحصّل له الجواري المولدات «من أي جهة كانت»، فصادر له النشو البنات الأبكار والجواري الحسان حتى النساء المنهالة»[3]. وإرضاء لرغبة السلطان في تحصيل الاموال، فقد ابتدع النشو سابقة خطيرة، فقد ألزم أهل الصاغة ودار الضرب ألاّ يبتاع أحد منهم ذهباً، بل يحمل الذهب جميعه إلى دار الضرب ليُصك بصكة السلطان ويضرب دنانير هرجة ثم تصرف بالدراهم. ثم تَتَبَّع الذهب المضروب، فأخذ ما كان منه للتجار والعامة، وعوّضهم عنه بضائع، وحمل ذلك كله للسلطان[4].

ويبدو أن هذه التدابير لم تشبع نهم السلطان في الحصول على الاموال حتى أنه عندما اعتذر النشو عن عدم قدرته على تأمين مبالغ جديدة للسلطان نهره وهدّده ، فقصد النشو أمين الحكم وألزمه بكتابة ما تحت يده من مال

---

(١) وقد قال عنه السلطان مدافعاً: «مسكين النشو، ما وجدت أحداً يحبه كونه ينصحني ويحصل مالي». المخطوط: ١٤٢ظ.

(٢) وفي ذلك يقول المؤرخ: «وفتح (النشو) في بابه باب البرطيل من الناس وخافته التجار والعامة وأرباب الوظائف». المصدر نفسه: ٨٨و.

(٣) أيضاً: ٨ظ.

(٤) أيضاً: ١٠٧و-١٠٧ظ.

الأيتام ، فأخذ منه قرضاً بعشرة آلاف دينار[1] ، ثم استولى على مبلغ آخر لأيتام أحد الأمراء موضوعة تحت ختم بهاء الدين ناظر الجمال ، فأخذها منه وعوّضه عنها بضائع[2] . ثم أن السلطان لم يتورع في تدعيم موقف ناظر خاصّه ضد قرار قاضي القضاة المالكي بتحريم مصادرة أموال عائدة لأولاد أرغون النائب الذين كانوا تحت حجره[3] .

ويشير المؤرخ صراحة إلى استفحال الفساد والرشوة « البرطيل » والنهب والابتزاز فقد كان النشو يكثير من طرح الأصناف على التجار والعامة « المثل أضعافه »[4] . وكذلك فإن أيدكين الازكشي ، والي القاهرة قد « كبس » مكاناً تجتمع فيه الناس للهو والسمر، وسلب من أمسكه منهم ثيابه ، ثم باعها صباح اليوم التالي على أصحابها ، وأخذ ثمنها لنفسه ، « وهذا لم يسبقه إليه والي قط »[5] ، كما أن النشو وأخاه المخلص قد كسبا ثروة كبيرة بسبب الرشوة[6] .

ومن أخبار الفساد أيضاً ظاهرة الاغتلام لدى كبار موظّفي الدولة وأعيانها، وقد أثبت اليوسفي حادثة مفادها أن أحد الغلمان ويدعى « عميّر » ، قد اعترف إثر القبض عليه أنه كان يعاشر بعض أولاد القضاة وبعض القبط وأرباب السعادات . . . . مما أثار حفيظة السلطان فأمر بنفيه إلى غزة[7] .

ويحتل موضوع المصادرات والعقوبات حيزاً متسعاً من الكتاب ،

---

(١) المخطوط: ١٠٧ظ.

(٢) المصدر نفسه: ١٠٨و.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٨و.

(٤) المصدر نفسه: ٣٦و - ٣٨ظ، ١٠٣و - ظ. . . كما جاراه في ذلك العديد من الموظفين كابن الأزرق ناظر الجهات (٧ظ - ٨و).

(٥) أيضاً: ٥٧ظ - ٥٨و.

(٦) أيضاً: ٦و - ظ، ٨٨و.

(٧) أيضاً: ٩٤و - ٩٥ظ، كما يذكر المؤرخ حادثتين مماثلتين في: ٣٠ظ - ٣١و، ٩٥ظ - ٩٦و.

وكانت العادة أن يلجأ ناظر الخاص إلى فتح باب المصادرة والظلم وتحصيل الأموال ، حيث كان يُسلِّم «المذنب» إلى مشد الدواوين أو إلى والي القاهرة ، الذي يعرّضه لشتى أنواع العقاب من ضرب بالمقارع والتوسيط ، ووضع القصب في الأظافر ، والخطّافات . . . حتى يعترف باختلاسه للأموال ، وممن تعرضوا للمصادرة والعقاب أولاد[1] التاج إسحاق ناظر الخاص ، وابن هلال الدولة[2] مشد الدواوين ، وسيف الدين الأكز[3] مشد الدواوين أيضاً ، وأرباب الوظائف في حلب[4] وبلاد الصعيد[5] . . . بالاضافة إلى مصادرة أموال كبار موظفي الدولة المتوفين أمثال : الصاحب غبريال[6] ناظر الشام ، والأمير علم الدين سنجر الخازن[7] والي القاهرة .

ويطالعنا اليوسفي بأخبار المصادرات التي كانت تمارس ضد التجار ، من نهب وسرقة ، ومنها أن السلطان عندما بلغه شكوى المماليك السلطانية من تأخر كسوتهم ، أوعز للنشو بالنزول ليلاً إلى الأسواق ، وفتح المتاجر والدكاكين وصادر محتوياتها وخاصة تلك التي تبيع الملبوسات وما تحتاجه المماليك السلطانية من كساء ومؤونة ، دون أن يكترث لردة الفعل عند الناس الذين أفاقوا صباح اليوم التالي ، وصدمتهم رؤية متاجرهم مفتوحة ومفرغة من محتوياتها « ولم يبق إلا باكٍ أو شاكٍ أو صائحٍ أو نائحٍ ، كل أحد على قدر مصيبته »[8] .

---

(١) المخطوط: ٣ظ، ٤و، ٨٧ظ، ٨٩و ـ ظ، ١٠٨و . . . ، ١٣٨ظ ـ ١٣٩ظ.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩و ـ ٤٤و.

(٣) أيضاً: ١١٦ظ.

(٤) أيضاً: ٦و، ٣٦ظ.

(٥) أيضاً: ٦ظ، ١٣٧ و ـ ظ.

(٦) أيضاً: ٩٩و ـ ١٠٠ظ.

(٧) أيضاً: ٩٨ظ.

(٨) أيضاً: ١١٤ ظ ـ ١٤٦و، وفي الأوراق: ١٤٠ظ ـ ١٤٢ظ، ١٥٣و ـ ظ، المزيد من أخبار مصادرات التجار.

وإذا كان اليوسفي قد رسم تلك الصورة القاتمة عن وضع الادارة المملوكية إلا أنه حاول أن يلطف الأمر قليلاً من خلال حديثه عن وظيفة الحسبة، حيث يخبرنا أن السلطان كان يراعي في اختيار صاحبها قواعد الشرع والأحكام[1]، فهو لم يقبل شفاعة بعض أمرائه المقربين لدعم مرشح غير كفوء لتولي هذا المنصب وقد دفعهم بقوله: «هذا المنصب منصب كبير، ما يمكن أن يكون فيه إلا من يعرف الشرع والأحكام»[2]. وعلى هذا الاساس استقدم السلطان ضياء الدين بن خطيب بيت الآبار ناظر المارستان، وقد اشتهرت عنه نهضته وكفايته وأمانته وفوض إليه الحسبة بمصر والقاهرة[3]. ويشير المؤرخ إلى الدور الهام الذي لعبه الضياء في مكافحة الغلاء الذي حل بمصر والقاهرة سنة ١٣٣٦/٧٣٦، وذلك من خلال الاجراءات الصارمة التي اتخذها لضبط الاسعار ومكافحة الغلاء، فقد «ختم» على سائر شون الأمراء والتجار بالقاهرة، ولم يسمح بفتحها إلا بأذن منه[4]. ولما علم المحتسب بمخالفة سمسار الأمير سيف الدين قوصون لاجراءاته[5] وفتح شونة الأمير وباع قسماً من المخزون بما يفوق السعر المعلن، أمر باعتقاله ومعاقبته، وأخبر السلطان بما اتفق، فسارع السلطان إلى طلب قوصون ونهره وضربه ثم عاقب أستاداره، فتهيب الأمراء مما جرى، ولم يجسر أحد بعدها أن يتصرف في شونة إلا بأمر المحتسب[6].

---

(١) راجع ابن الاخوة، (معالم القربة: ٥١ - ٦٠)، حيث توجد تفصيلات مفيدة عن شرائط الحسبة وصفات المحتسب. انظر أيضاً: ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ١: ١١٤ - ١٣٠.

(٢) المخطوط: ١٤٦و.

(٣) المصدر نفسه: ١٠٩ظ.

(٤) أيضاً: ١١٠و

(٥) نشير هنا إلى أن المحتسب كان يتخذ له عيوناً يوصلون إليه الاخبار. الشيزري، نهاية الرتبة: ١٠.

(٦) المخطوط: ١١٠ظ - ١١١و.

٣ ـ أخبار الغلاء والأسعار:

ويستوقف من يقرأ كتاب «النزهة» أخبار الغلاء وحركة الأسعار (في الديار المصرية)، وقد تُردّ أسبابها إلى عاملين رئيسيين: الأول طبيعي يتمثل أساسا بمنسوب مياه نهر النيل؛ ففي الواقع أن هبوط النهر عن حد الوفاء أو زيادته عن المنسوب العادي للفيضان كان يمثل خطراً حقيقياً على الحياة المصرية آنذاك، وكارثة يخشى الجميع حدوثها، ذلك أن النيل هو مصدر مياه الري الوحيد في مصر تقريباً، فإذا قصَّر عن الوفاء فات أوان الزراعة، وإذا زاد عن حده العادي أغرق الحقول الواقعة على ضفتيه وجعلها غير صالحة للزراعة. وحين يقل ماء النهر عن الحد اللازم للزراعة، يقلق الناس وتنتابهم المخاوف من حدوث المجاعة نتيجة لعدم زراعة المحاصيل الجديدة، ومن ثم يسارعون لتخزين الغلال التي لديهم ضماناً لقوتهم وقوت عيالهم أثناء الأزمة المتوقعة، كما يسارع التجار إلى تخزين الغلال طمعاً في الحصول على مزيد من الأرباح عن طريق رفع الأسعار، ونتيجة لذلك يشتد الاقبال على شراء الغلال، بينما يقل المطروح من البضائع في الأسواق، ويشتد تزاحم الناس على الأفران، وحوانيت الغلال ويستتبع ذلك بطبيعة الحال تصعيد خطير في الأسعار التي تمتد حماها إلى كل ما يباع ويشترى من مأكول ومشروب وملبوس.

أما العامل الثاني فيتعلق بالسياسة الاقتصادية التي اعتمدتها الدولة المملوكية والمرتبطة بطبيعة النظام الاقطاعي ذي الطابع العسكري؛ فأصحاب الاقطاعات من أمراء وجند لم يعيروا اهتماماً كبيراً لاستصلاح أراضيهم وجعلها أكثر مردوداً بسبب عدم استقرار هذه الاقطاعات التي كان يعاد توزيعها لسبب أو لآخر[١]. كما أن الاجراءات التي كانت تتخذها السلطة كطرح كميات كبيرة من البضائع (قماش، حديد، خشب، مواشٍ...

---

(١) المخطوط: ٢٤ظ، ٦٩ظ، ١٠٦و، ١٣٣ظ، ١٣٤و.

الخ)، على التجار والعامة بأسعار مضاعفة[1]، إضافة إلى المداهمات والمصادرات[2] التي شغلت أخبارها العديد من صفحات الكتاب، كل ذلك كان يؤدي إلى الغلاء وارتفاع الأسعار.

وكانت الدولة تلجأ، في بعض الأحيان، إلى اتخاد سلسلة من التدابير للحد من الغلاء، كتحديد سعر[3] معين لبيع القمح والخبز، والزام الأمراء والتجار بـ «التسعيرة السلطانية»، وضبط محتويات مخازن القمح[4] (الشون) العائدة إليهم، ومراقبة عملية تصريفها، لكن قلما كان هؤلاء التجار يتقيدون بالسعر المعلن فغالباً ما كان تحديد الأسعار يؤدي إلى مزيد من الغلاء[5] بسبب إخفاء المواد التموينية، ورواج ما نسميه اليوم «بالسوق السوداء»، مما يضطر السلطان إلى فتح مخازنه للتأثير على حركة الأسعار، كما يلجأ إلى الاستعانة بغلال بلاد الشام وخاصة دمشق وغزة والكرك والشوبك[6].

وللاطلاع على حركة الأسعار خلال ٧٣٣ ـ ٧٣٨ يمكن مراجعة الجدولين التاليين:

(١) راجع ما ورد في المخطوط، الأوراق: ١٤١و وما بعدها، ١٤٥أو وما بعدها.

(٢) راجع ما ورد في الصفحة ٧٨ وما بعدها.

(٣) المخطوط: ١٠٩و، ١٠٩ظ.

(٤) المصدر نفسه: ١١٠و.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٩و.

(٦) أيضاً: ١٠٩و، ١١١ظ.

حركة الأسعار في بلاد الحجاز واليمن/ هبوط

السنة	ثمن اردب القمح	الرقم في المخطوط	ثمن رطل السكر	الرقم في المخطوط	ثمن علبة الحلاوة	الرقم في المخطوط	ثمن رأس الغنم	الرقم في المخطوط	ثمن رطل البقساط	الرقم في المخطوط
٧٣٢ - ٧٣٣	٢٠ _ ١٠ دراهم	٢٦ و	درهمان	٢٦ ظ	٣ دراهم	٢٦ ظ	١٢ درهماً	٢٦ ظ	فلس واحد	٢٦ و
٧٣٧ - ٧٣٨	رخص الأسعار									١٦٥ ظ

حركة الأسعار في مصر والقاهرة/ ارتفاع

السنة	ثمن اردب القمح	الرقم في المخطوط	ثمن رطل الخبز	الرقم في المخطوط	ثمن رطل الغنم	الرقم في المخطوط	ثمن رطل البقر	الرقم في المخطوط
٧٣٦	٦٠ _ ٧٠ درهماً	١٠٨ر- ١١٢ و	٦/١ درهم	١١٢ و	-	-	-	-
٧٣٧	-	-	-	-	درهم وربع	١٣٨ و	٧ درهم سوداء	١٣٨ ظ

٤ ـ العنصر القبطي والادارة المملوكية :

إن سياسة التعصب الديني التي شاعت أيام المماليك انطلاقاً من مقولة الجهاد التي أطلقها في ذلك الحين السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري، واعتمدها كأحد دعائم تركيز السلطنة المملوكية وتعبئة الطاقات الاسلامية لمواجهة المغول والفرنج، أدت في بدايات القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي إلى اتخاذ تدابير قاسية بحق النصارى خاصة، وإلى سوء معاملتهم، فأبعدوا من كل وظائف الدولة وأعمالها، وشُدّد عليهم في تنفيذ ما كان مشروعاً لهم من ركوب الدواب، وهدم كل ما شيد من صوامع اليهود وبيع النصارى منذ ظهور الاسلام، كما فرض عليهم لباس معين لتمييزهم عن المسلمين، وقد كتب مرسوم بذلك، ونشر في كل أصقاع الدولة من الفرات إلى النوبة، على أن هذا المرسوم كغيره، لم يلبث في الواقع، أن صار في زوايا الاهمال تدريجياً، لكن فرص إعادة تطبيقه كانت خطراً يتهدد هؤلاء من حين إلى حين(١).

وعلى الرغم من كل ذلك فقد احتل العنصر القبطي مكانة مرموقة في دولة المماليك على غرار ما كان شائعاً أيام الفاطميين(٢) والايوبيين(٣). فإن كثيراً من الاسر القبطية أسلمت وبرع أفرادها في ميادين شتى، فكان منهم نوابغ بلغوا المراتب العليا في الدولة، ومع ذلك فقد بقي في الدواوين المملوكية عدد كبير من الاقباط الذين استمروا على ديانتهم، ولعل السبب في ذلك أن دولاب العمل في الادارة المملوكية لم يكن يستطيع أن يستغني عن كفاءة الاقباط، حتى أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قد أغضبته ثورة المسلمين ضد استخدام النصارى، وجابه اعتراضهم باعتماد الشدة

---

(١) ابن أبي الفضائل، النهج ٢٠: ٣٨ ـ ٤٠؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٩٠٩ ـ ٩١٣؛ الاسحاقي: أخبار الأول: ١٣١. موير، تاريخ دولة المماليك: ٧٤.

(٢) ابن ميسر، تاريخ مصر: ٢؛ ماجد: نظم الفاطميين ورسومهم ١: ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) CAHEN, Quelques aspects de l'administration égyptienne médievale, P. 115.

والقسوة بحقهم، فصلب جماعة منهم وقطع أيدي بعضهم[١].

وإن مشاركة الدولة المملوكية رسمياً في احياء الاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة الاعياد القبطية[٢] كما درجت عليه العادة في مصر حيث كان حكامها المسلمون، تقديراً منهم لموظفيهم المسيحيين الذين يملأون الدواوين، يشاركون بحضور هذه الاعياد باطلاق الدولة للمأكولات والاموال والملابس ليكون الابتهاج عاماً. وإن كان لهذا التسامح رد فعل عند بعض المتعصبين من السلاطين الذين كثيراً ما عمدو إلى إلغائها[٣].

وقد أولى اليوسفي العنصر القبطي اهتماماً خاصاً في كتاب «النزهة» ويكفي أن نشير إلى تغطيته لأخبار القاضي شرف الدين النشو الذي لعب دوراً بارزاً في تسيير شؤون الدولة أيام الناصر محمد بن قلاون، كما أنه ذكر إضافة إلى النشو العديد من الموظفين الاقباط الذين تولوا مناصب هامة في الادارة المملوكية في أيامه، نثبت أبرزهم في الجدول التالي: (انظر الصفحة التالية)

---

(١) المقريزي، السلوك ٢/١: ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) من هذه الأعياد: عيد رأس السنة القبطية (النوروز أو النيروز)، وعيد الميلاد وعيد الشهداء.

(٣) كما حصل في السنتين ٧٥٩ / ١٣٥٨ و ٧٨٧ /١٣٨٥.

ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك ٢: ١٦٨ ـ ١٧١.

العلم	الوظيفة
إبراهيم بن إسحاق بن عبد الكريم بن القماط	نظر الدولة
إبراهيم بن سعيد الدولة، تاج الدين	الوزارة
إبراهيم بن عبد الله المعروف بالقاضي جمال الكفاة	نظر الجيش ونظر الخاص
إسحاق بن عبد الكريم بن القماط، تاج الدين	نظر الخاص
عبد الرحمن بن عبد الرزاق بن مكانس، فخر الدين	الوزارة
عبد الكريم بن عبد الرزاق بن مكانس، كريم الدين	الوزارة
عبد الكريم بن هبة الله بن السديد، المعروف بالقاضي كريم الدين الكبير	نظر الخاص
عبد الله بن تاج الرئاسة بن الغنام المعروف بالصاحب أمين الدين أمين الملك	الوزارة
عبد الله بن الصنيعة بن أبي السرور، المعروف بالصاحب غبْريال	نظر الشام
عبد الوهاب بن فضل الله، المعروف بالقاضي شرف الدين النشو	نظر الخاص
المخلص بن فضل الله (أخو النشو)	كشف الجهات بالديار المصرية
موسى بن إسحاق بن عبد الكريم بن القماط	نظر الجيش ونظر الخاص
هبة الله بن إبراهيم بن سعيد الدولة، موفق الدين	الوزارة

٥ ـ المماليك والخلافة العباسية:

ترجع علاقة الدولة المملوكية بالخلافة العباسية إلى سنة ٦٥٩/١٢٦١ عندما نجح السلطان الظاهر بيبرس في إحياء الخلافة العباسية في القاهرة[١] بعد أن دك المغول بقيادة هولاكو مركز الخلافة الاسلامية في بغداد سنة

(١) ابن عبد الظاهر، الروض: ٩٩ ـ ١٠١.

٦٥٦/١٢٥٨، فأصبحت مصر مقر الخلافة ومركز الرئاسة العامة على المسلمين، فأفادت السلطنة المملوكية من ذلك فائدتين كبيرتين: الاولى أن سلاطين المماليك من بيبرس فصاعداً ظهروا أمام العالم الاسلامي حماة للخلافة ولأشخاص الخلفاء، وتمثلت الثانية باكتساب السلطنة المملوكية شرعية ما كانت لتكسبها من أي مصدر آخر وذلك عندما قلّد الخليفة «المستنصر بالله» العباسي السلطات في البلاد الاسلامية للسلطان المملوكي[١]، محتفظاً ببعض الامتيازات التي يستوجبها منصبه الديني[٢] كمبايعة السلطان، وذلك حتى تصبح سلطات السلطان ونوابه وموظفيه شرعية[٣]، وكإعلان الخطبة له في المساجد، ومن بعده للسلطان[٤]. لكن الخليفة، في الواقع، مع أنه يفوّض السلطة، لم تكن له سلطة تعيين نفسه. وكان لكي يُعينّ لا بد أن يبايعه السلطان والقضاة الذين يمثلون المذاهب الاسلامية الأربعة، من هنا كان باستطاعة السلطان أن يعزل الخليفة بعد استشارة شكلية للقضاة الأربعة، وفي هذه الحالة قد يُسجن بالقلعة أو يُنفى إلى قوص بأقصى الصعيد، وهو ما حصل مع العديد من خلفاء بني العباس، ومنهم الخليفة المستكفي بالله سليمان أبي الربيع، وقد أشار اليوسفي إلى أن الناصر محمد أمر بسجن الخليفة في قلعة الجبل لمّا بلغه أن الخليفة يكثر من اللهو في داره التي عمرها على النيل بخط جزيرة الفيل، وله أصحاب يجتمعون به، من بينهم أحد المماليك السلطانية الذي كان يتردد إلى دار الخليفة، وينقطع عنده، ويتأخر عن الخدمة، فقبض السلطان على مملوكه وضربه ونفاه إلى صفد ثم إلى القدس، واعتقل الخليفة ثم أفرج عنه، وأمر

---

(١) ابن عبد الظاهر، الروض: ١٠٠؛ PRAWER, Histoire du royaume Latin, T. 2, P. 425;

(٢) عن وظائف وسلطات الخليفة العباسي في العصر المملوكي، انظر:

ARNOLD, The Caliphate, P. 97 - 99; Muir, The Caliphate, P.593 - 595.

(٣) ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك: ٨٩ ـ ٩٠.

(٤) باستثناء مسجد القلعة حيث كانت الخطبة للسلطان ومن بعده للخليفة. القلقشندي، صبح الاعشى ٣: ٢٧٩؛ السيوطي، حسن المحاضرة ٢: ٤٨.

بسفره مع أهله إلى قوص(١)، فاستمر بها إلى حين وفاته في شعبان سنة ٧٤٠/١٣٤٠(٢). وحقيقة الأمر أن سبب غضب السلطان على الخليفة يعود إلى سنة ٧٠٨/١٣١٠ عندما أُجبر الملك الناصر على التنازل عن الحكم لصالح الملك المظفر بيبرس الجاشنكير الذي قلّده الخليفة المستكفي السلطنة، فنقم عليه الملك الناصر، وأخذ يتحين الفرصة المناسبة للانتقام(٣).

٦ ـ عرب الشام والدولة المملوكية:

وتحتل أخبار عرب الشام وعلاقاتهم بدولة المماليك حيزاً هاماً من كتاب «النزهة» في إطار ترجمة وافية لأمير العرب مهنا بن عيسى بن مهنا من آل فضل حيث كان هؤلاء العربان، الذين امتدت منازلهم من حمص إلى قلعة جعبر إلى الرحبة(٤)، يتحكمون في الطرق التي تعبرها القوافل التجارية من بلاد الشام والعراق، ويتأرجحون بين السلطة المملوكية والمغول بحثاً عن علاقة مميزة مع كل من الطرفين.

ويطلعنا اليوسفي أن السلطان الناصر محمد كان يسعى جاهداً للتقرب من الأمير مهنا ملحاً في طلبه وحثه على الدخول في طاعته، وعندما ييأس من استجابته لرغبته، يلجأ إلى اعتماد القوة ضده، فيجرد العساكر من الشام ومصر وحلب لاخراجه من البلاد، ويؤمّر أخاه مكانه ويحرضه على طرده من البلاد، وإذا رضي عليه يرد الامرة إليه. وكان الأخوان مختلفين في الظاهر متفقين في الباطن(٥)، واستمر ذلك أربع دفوع كان آخرها سنة

(١) المخطوط: ١٤٧ظ ـ ١٤٨و.

(٢) الصفدي، الوافي ١٥: ٣٤٩ ـ ٣٥٠؛ المقريزي، السلوك ٢/٢: ٥٠٤؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ٢: ١٤١ ـ ١٤٤؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٤٨٦.

(٣) الصفدي، نفسه: ٣٤٩؛ المقريزي، نفسه: ٤١٦ ـ ٤١٧؛ ابن حجر، نفسه: ١٤٢.

(٤) القلقشندي ٤: ٢٠٤.

(٥) المخطوط: ٤٩ظ.

١٣١١/٧١٠، حيث بقي مهنا خارج البلاد قرابة أربع وعشرين سنة(١).

وحاول السلطان الناصر محمد مجدداً التوسط لدى مهنا للعودة إلى طاعته مستخدماً في سبيل ذلك أولاده وأخوته، دون أن يحظى بموافقته، إلى أن توصل في سنة ١٣٣٤/٧٣٤، من خلال علاقته الوثيقة مع وزير القان أبي سعيد إلى مبتغاه حيث عمل الوزير المذكور مع مجد الدين السلامي التاجر على اخراج مهنا من بلاد العراق، وكتبا إلى السلطان يخبراه بما اتفق(٢).

وغادر الأمير مهنا بلاد أبي سعيد متوجهاً إلى بلاد الشام رافضاً عرضاً من القان للتعاون معه ضد السلطان ، ثم دخل على نائب دمشق الذي أكرمه وأنزله بالقصر الأبلق وأوفد من عرّف السلطان بقدوم مهنا. وقد وصف المؤرخ شدة فرح السلطان، برجوع مهنا إلى طاعته، بقوله(٣): «والله، كان في نفسي منه شيء، لو بذلت ملكي كله لمن يأتي به إلى طاعتي، فلما بلغني أنه يريد يحضر ما صدقت إلى أن رأيته». وأقيم للأمير مهنا حفل استقبال لم تشهده الديار المصرية من قبل، فقد جند الناصر محمد خاصة أمرائه(٤) لاستقباله وتهنئته بالعودة إلى الطاعة، وأكرم وفادته وبذل كل ما في وسعه لتكريمه وتعظيمه، ويشهد على ذلك ما أغدقه السلطان من الذهب والفضة والحراير والزركش وغيرها من الانعامات والعطايا لمهنا وجماعته مما أثار دهشة مهنا نفسه، إذ توجه إلى السلطان بقوله(٥): «والله، لقد رأينا شيء ما رأيناه في أيام الظاهر(٦) ولا غيره من الملوك، ولا كانت العرب تعرفه، ولا

(١) المخطوط: ٥٧ظ.

(٢) أيضاً: ٥١ظ - ٥٢و.

(٣) أيضاً: ١٠٢و.

(٤) من هؤلاء الامير سيف الدين بشتك الناصري الذي قال له السلطان في معرض تكليفه للاحتفاء بالامير مهنا: «هذا الرجل رجل ملك على ساير العرب، وأنا أريد أن أعظمه، وتعلم أنك كبير عندي، فاركب إلى لقائه واصحبه إلى حيث يحضر». أيضاً: ٥٣ظ.

(٥) أيضاً: ٥٥و.

(٦) ابن شداد، تاريخ: ٣٩ - ٤٠؛ ابن فضل الله العمري، مسالك الابصار٣: ٢٩.

يروا من السعادة ما رأوا في أيامك». وإضافة إلى ذلك، فقد أنعم على مهنا قرية دُوْمَة، من أعمال دمشق، على أن تكون له ولأولاده من بعده[1].

لكن السلطان، على الرغم من اعتماده سياسة الترغيب لاستمالة العربان، لم يتردد في استعمال الشدة ضدهم في حال تعرضهم لأمن الدولة ومصالحها؛ ففي سنة ١٣٣٧/٧٣٧، أمر السلطان نائبيه في دمشق وحلب بمصادرة أخباز آل فضل واخراج اقطاعاتهم لأمراء الشام، وذلك بسبب تعرضهم لقوافل التجار والمسافرين[2]. لكن العربان، الذين كانوا يعرفون كيف يبتزون السلطان لوَّحوا له بأنهم سيخرجون عن طاعته ويلجأون إلى بلاد التتار، مما أجبر السلطان على إعادة ما أُخذ من اقطاعاتهم على الرغم من تمني نائب الشام على الناصر محمد عدم اللجوء إلى مثل هذا القرار باعتبار أن أكثر أخباز العرب قد أُنعم بها على أمراء شاميين مجردين في بلاد سيس، وأنه يخشى، حال اطلاعهم على ما جرى، من انعكاسات سلبية على همتهم واندفاعهم في مواجهة الأرمن، لكن السلطان دفع نائب دمشق بقوله[3]: «ارجع بهم على اقطاعاتهم، ونحن نعوض الأمراء ونرضيهم».

وحرص اليوسفي على اطلاعنا على جانب من التقاليد العربية في ذلك الحين، قلما نجدها عند معاصريه من المؤرخين، حيث أشار إلى أن نسوة العربان المشاركات في مأتم أمير العرب مهنا، قد جئن بدسوت مملوءة بالدبس وأخذن يلطخن وجوههن بالدبس والرماد تعبيراً عن حزنهن الشديد، إضافة إلى وصفه للمآدب التي أقامها أولاده في عزائه في غياب قراءة القرآن والمواعيد والوعّاظ على عكس ما كان يقام في المدن في المناسبات المماثلة[4].

---

(١) المخطوط: ٥٥ظ. ويشير الجزري إلى أن قرية دومة لم تقطع لأحد قبل مهنا كما يشير إلى أن السلطان قد أنعم على مهنا، إضافة إلى دومة قريتين أخريين إحداهما بسلمية والأخرى بالرحبة. الجزري، حوادث الزمان: ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) المخطوط: ١٣٣ظ ـ ١٣٤و.

(٣) المخطوط: ١٦٠و ـ ١٦٠ظ.

(٤) المصدر نفسه: ١٠١ظ.

٧ ـ بلاد الحجاز في كتاب «النزهة»:

وحرصت الدولة المملوكية على بسط نفوذها على الحجاز، وذلك راجع إلى عوامل دينية وسياسية؛ فقد كان شرفاً عظيماً ودعامة كبرى لكل حاكم مسلم أن يظهر أمام المسلمين في صورة «حامي الحرمين الشريفين»، والمدافع عن الاماكن المقدسة، إضافة إلى إظهار التزامه ما درجت عليه العادة منذ عهد الخلفاء الراشدين بارسال الغلال إلى بلاد الحجاز كضريبة يجب أن يؤديها نحو تلك البلاد، وارسال كسوة الكعبة التي كانت تصنع من أنفس منسوجات الشرق. وقد ثبّت السلطان الظاهر بيبرس سيادة المماليك في بلاد الحجاز حين قبل أشراف مكة سنة ١٢٦٨/٦٦٧، ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة، ثم درج من بعده سلاطين المماليك على ذلك[١].

ولم تستقر الأوضاع لدولة المماليك في الحجاز بعد عهد بيبرس إذ استمرت الخلافات بين الأشراف في مكة والمدينة تثير مشاكل عديدة في وجه دولة المماليك، وكان هؤلاء الأشراف، عند احتدام الصراع فيما بينهم على السيادة والنفوذ يلجؤون إلى السلطان المملوكي الذي كان يتدخل مناصراً هذا أو ذاك حسب ما تقتضيه مصلحة الدولة وتسمح به الظروف القائمة، وأظهر أمثلة على ذلك ما اطلعنا به مؤرخنا اليوسفي حيث يشير في سنة ١٣٣٤/٧٣٥ ـ ١٣٣٥، إلى حضور الشريف عطيفة بن أبي نمي إلى السلطان شاكياً أخاه رميثة الذي قطع ساير معالمه وما كان يستهديه من التجار الواردين إلى البلاد، سائلاً أن يدعمه السلطان كي يستمر شريكاً لأخيه في الإمرة والاقطاع، فأجابه السلطان إلى ذلك[٢].

وتجددت الخلافات بين الأخوين سنة ١٣٣٧/٧٣٧، وتطورت الأمور بينهما إلى صراع دموي أسفر عن هزيمة لرميثة وخروجه من مكة. وعندما اطلع

(١) ابن عبد الظاهر، الروض: ٣٥٦.

(٢) المخطوط: ٨٧ظ.

السلطان الملك الناصر على ما جرى كتب إليهما مهدداً متوعداً، فأسرعا في طلب المعذرة مؤكدين ولاءهما وحرصهما على تنفيذ ما يرسم به السلطان، مستأذنين إياه بالحضور صحبة الركب لينتصف كل منهما من صاحبه[١].

ولم تكن العلاقات بين أشراف المدينة أفضل مما هي عليه بين أشراف مكة؛ إذ يحدثنا اليوسفي عن الخلافات المستفحلة بين الشريف أُدّي بن هبة ابن جماز الحسيني وبين ابن أخيه طفيل سنة ١٣٣٦/٧٣٦، حيث استجار أُدّي بالناصر محمد للضغط على طفيل لمغادرة البلاد كي يستقل في حكم المدينة، فاستدعى السلطان هذا الأخير، ولم يقبل أعذاره، وأمره بالخروج إلى بلاد حوران مقيماً على اقطاع شريطة ألا يرجع إلى المدينة[٢].

وساعدت تلك الخلافات بين أشراف الحجاز السلطان المملوكي على إحكام سيطرته على البلاد حيث كان يلجأ بين الحين والآخر إلى إرسال بعض القوات إلى هناك لاقرار الأمور أو لمناصرة أمير على آخر، فضمن بذلك ولاء لا تشوبه شائبة من قبل أمراء الحجاز المتنافسين على السلطة، رغم بعد المسافة التي تفصل بين مركز السلطنة وبلاد الحجاز، ولعل موسم الحج، الذي كان يشارك فيه السلطان أحياناً[٣] كان مناسبة للتأكد من ولاء الأمراء وطاعتهم حيث كان أمير الركب يحمل لأشراف الحجاز الانعام والخلع[٤] على غرار ما جرت عليه العادة من تكريم الدولة لكبار موظفيها في الديار المصرية والشامية.

---

(١) المخطوط: ١٣٥ ظ - ١٣٦و، ١٦٥ظ.

(٢) أيضاً: ١٠٦ظ.

(٣) أول من أمّ الحجاز حاجّاً من سلاطين المماليك هو الملك الظاهر بيبرس وذلك سنة ١٢٦٩/٦٦٧، ابن شداد، تاريخ: ١٣٠٠؛ ابن عبد الظاهر، الروض: ٣٥٤ - ٣٥٨؛ أبو الفدا، المختصر ٤: ٥.

(٤) المخطوط: ١٣٦و.

II ـ العلاقات الخارجية للسلطنة المملوكية:

وقد حصرها اليوسفي بموضوعين اثنين: المغول والأرمن.

فعلى صعيد المغول: يخبرنا المؤرخ أن العلاقات المملوكية ـ المغولية (مغول فارس) كانت تمر في مرحلة من الهدوء والاستقرار، بعد أن شهدت سلسلة من الصدامات الدموية أيام غازان والتي انتهت بهزيمة المغول في ٢ رمضان سنة ١٣٠٢/٧٠٢، وانحسار خطرهم عن بلاد الشام[1]. وتوطدت العلاقات بين الناصر محمد بن قلاون والقان أبي سعيد الذي رأى أنه من الحكمة وبعد النظر أن يخطب ود المماليك بعد توتر العلاقات بينه وبين أزبك خان ملك القبجاق. وفي عام ١٣٢٢/٧٢٢، أرسل أبو سعيد إلى الناصر محمد يطلب الصلح والدخول في علاقات مودة وأخاء ونبذ الخصومة والعداوة، بعد أن مهد لذلك بارسال الوفود إلى السلطان محملين بالهدايا السنية، فوافق هذا الطلب هوى في نفس السلطان الناصر محمد، وجمع الأمراء وشاورهم في الأمر، فاتفق الرأي على الاستجابة لطلب أبي سعيد، وجهزت إليه الهدايا ومن بينها خلعة «أطلس وقباء تتري»[2].

وكان من أثر هذا الصلح أن حل الوئام بين المغول والمماليك محل الخصام، وقدم رسول القان أبي سعيد يطلب من الناصر محمد تجهيز «السنجق السلطاني» ليسيّر مع المحمل إلى بلاد الحجاز، فأجيب إلى طلبه، وكتب لشريف مكة باكرام حاج العراق، كما منع السلطان العربان من التعرض لهؤلاء الحجاج، وصار يدعى لأبي سعيد بعد الدعاء لسلطان مصر على منابر مكة[3].

ولم تقتصر العلاقات الطيبة بين الطرفين على الأمور السالفة الذكر

---

(١) ابن الدواداري، كنز الدرر ٩: ٨٢ ـ ١٠٠؛ أبو الفدا، المختصر ٤: ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) المقريزي، السلوك ٢/٢: ٢٠٩ ـ ٢١٠.

(٣) المصدر نفسه ٢/١: ٢٢١ ـ ٢١٢.

فحسب، بل تعدتها إلى التعاون في جميع المجالات وخاصة في المجال الأمني؛ فقد لبى السلطان طلب القان أبي سعيد بالعمل على قتل ياسور، أحد الطامحين إلى العرش المغولي، بينما كان هذا الأخير يؤدي مناسك الحج[1]. وفي تلك الفترة كان الأمير مهنا بن عيسى، أمير عرب الشام، قد خرج على طاعة الملك الناصر، ولجأ إلى المغول، فاضطره أبو سعيد إلى الرحيل حرصاً منه على إرضاء السلطان[2].

وبوفاة أبي سعيد[3] سنة ١٣٣٦/٧٣٦، دون عقب، اضطرب الوضع في بلاد الشرق، فقد اعتلى العرش بعده أرباكاؤون، بتوصية من أبي سعيد فأطاعته أكابر أمراء المغل ما عدا علي باشا، نائب بغداد، الذي سعى إلى توسيع دائرة سيطرته، فاتصل بأمراء الموصل وديار بكر (أولاد سُوتاي)، فلم يلق منهم أذناً صاغية، فاستجار بالسلطان عارضاً عليه تسليمه البلاد، ويكون هو نائبه فيها. ويخبرنا اليوسفي أن السلطان أظهر موافقته على المشروع اعتقاداً منه أن نجاح علي باشا سوف يؤدي إلى خراب مملكة الشرق، العدو التقليدي للسلطنة المملوكية[4]. وسرعان ما تطور الوضع العسكري لصالح علي باشا وقتل أرباكاؤون، فاحتل علي باشا الأردو، وجلس على التخت، ففر الأمير الشيخ حسن الكبير المقيم بتبريز، والتجأ هو وأولاد سوتاي إلى بلاد الروم. لكن علي باشا، مراعاة منه للتقاليد المغولية، تخلى عن العرش لصالح موسى، أحد أحفاد هولاكو، ثم زيَّن له أن يكتب للسلطان كي يؤكد له تعهدات علي باشا السابقة مجدداً لطلبه إرسال قوات تساعده في صراعه مع الشيخ حسن وحلفائه[5].

---

(١) المخطوط: ٣١و - ٣٥و.

(٢) المصدر نفسه: ٤٩و - ٥٨و.

(٣) المصدر نفسه: ١٣٢و - ١٣٣و (ترجمة أبي سعيد).

(٤) أيضاً: ١١٢و - ١١٣و.

(٥) أيضاً: ١١٣ظ - ١١٤ظ.

ولما علم الشيخ حسن بما جرى بين السلطان وعلي باشا وقانه موسى، كتب إلى الملك الناصر يعرّفه أنه أحق بالدعم والمؤازرة، متذرعاً برابطة النسب التي تجمعه بالسلطان(١)، مدّعياً أن موسى ليس من عظم القان، وأن الذي رضيت به أكابر المغل هو محمد بن عنبرجي(٢).

وحصلت الوقعة بين المتخاصمين شمالي تبريز، وأسفرت عن انتصار الشيخ حسن ومقتل القان موسى وقائده علي باشا، فدخل الشيخ حسن إلى بغداد ونادى بالامان والاطمئنان، ثم أرسل للملك الناصر يخبره بما استجد، وأنه انتصر «بسعادة السلطان»(٣) ودعمه، فأوعز السلطان لنائب الشام أن يستدرك الرسل الذين كان قد أرسلهم إلى موسى وعلي باشا، وأن يحوّل الهدايا التي يحملونها الى الشيخ حسن والقان محمد، ثم أعقبهم برسل للتهنئة والمباركة(٤).

أما بالنسبة لمغول القفجاق، فالعلاقات المتينة التي سبق وأقامها الملك الظاهر بيبرس مع بركة خان(٥) قد ترسخت بين الناصر محمد والقان أزبك على الرغم من تعرضها لبعض الاهتزاز بسبب الأميرة القفجاقية التي تزوجها السلطان ثم طلّقها وأزوجها لبعض مماليكه، مما أثار حفيظة أزبك، فبعث سنة ١٣٤٤/٧٣٥ برسول إلى الديار المصرية، وحمّله كتاباً إلى السلطان ضمّنه عتبه واستياءه من فعل الملك الناصر، سائلاً عودة الأميرة إلى بلادها، فأنكر السلطان ما وصل لأزبك من أخبارها، مدعيا أنها قد ماتت، وأثبت ذلك بمعرفة القاضي جلال الدين القزويني(٦). واستمرت العلاقات الطيبة بين

---

(١) لجهة أمه المغولية الاصل.

(٢) المخطوط: ١٤٩و.

(٣) المصدر نفسه: ١٥٤ظ.

(٤) المصدر نفسه: ١٥٥و.

(٥) ابن شداد، تاريخ: ٢٢.

(٦) المخطوط: ٧١ظ - ٧٢ظ.

السلطان والقان أزبك، ودليلنا على ذلك ما أثبته المؤرخ من أخبار البعثة التي أرسلها الملك الناصر إلى القان أُزبك سنة ١٣٣٧/٧٣٧، لشراء مماليك وجوارٍ من بلاده(١).

أما على صعيد العلاقة مع الأرمن، فيفهم من كتاب «النزهة» أن هذه العلاقة لم تتعرض لأية انتكاسة تذكر حتى سنة ١٣٣٤/٧٣٤. ففي هذه السنة نقض تكفور الهدنة القائمة بينه وبين السلطان(٢)، فامتنع عن حمل الخراج، وأمر نوابه بالتعدي على التجار المسلمين الوافدين إلى بلاده(٣)، فكتب السلطان إلى نائب حلب يحضه على مهاجمة بلاد الأرمن، وبالفعل فقد دخل الأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني بلاد سيس، وحاصر قلعة النقير، لكنه اضطر إلى التراجع عنها والعودة إلى بلاده بسبب انتشار الوباء، وكتب للسلطان يخبره أنه على استعداد لمواصلة الهجوم بعد انقضاء «الوخم»(٤).

ورافق هذا التوتر المستجد في العلاقات المملوكية - الأرمنية، اضطراب الأوضاع في بلاد المغول بعد وفاة أبي سعيد، وتهافت كبار الأمراء المتنافسين على التماس مساعدة السلطان، كل ذلك شجع الناصر محمداً، بعد استشارته لنائب الشام والأمراء، على تجريد حملة عسكرية إلى بلاد سيس يحقق من خلالها الهدفين التاليين:

١ - الاستيلاء على القلاع الاستراتيجية الواقعة على الضفة اليسرى لنهر جيحان والزام ملك الأرمن بمعاودة حمل ما يتوجب عليه من الخراج.

---

(١) المخطوط: ١٥٨و.

(٢) كانت الهدنة قد قامت بين الطرفين إثر غزو بلاد سيس سنة ١٣٢٢/٧٢٢، وكان من شروطها التزام تكفور بدفع ما يتوجب عليه من «الحمل» للسلطان.
المصدر نفسه: ١٧٣و وما بعدها.

(٣) ويروي لنا المؤرخ أخبار هذه الواقعة مستنداً إلى معلومات أحد التجار الحلبيين الذي صادف وجوده في آياس في ذلك الحين. أيضاً: ١٧٤ظ - ١٧٥ظ.

(٤) أيضاً: ١٥٠و.

٢ ـ إجابة علي باشا إلى ما طلب من نزول الجيش المملوكي قريباً من الفرات[١].

وفي شعبان سنة ١٧٣٧/١٣٣٧، خرج الجيش المملوكي من الديار المصرية قاصداً بلاد الأرمن، وكتب السلطان إلى نواب دمشق وحماة وحلب وحمص وطرابلس بخروج عساكرهم إلى ناحية جعبر، ولما وصل عسكر مصر إلى حلب عادت عساكر الشام ثم مضوا جميعاً إلى سيس[٢].

ويحدثنا المؤرخ الذي شارك في هذه الحملة، أن العساكر خرجت من حلب وما أن وصلت إلى نهر جيحان وأُقيمت الجسور للعبور، وإذ بمملوك نائب الشام قد وصل ومعه رسل صاحب سيس وصحبته رسالة إلى نايب حلب يطلب فيها الامتناع عن دخول البلاد أو الاغارة عليها، وذلك لأن صاحب سيس قد أوفد سفارة إلى نايب الشام مبدياً استعداده لتسليم القلاع التي طلبها السلطان دون قتال، وأنه كتب إلى السلطان، وهو ينتظر جوابه بما يجب اعتماده[٣].

وعندما اطّلع الجند على مضمون الرسالة بطلت همتهم، وأظهروا الحزن حتى أن بعضهم اتهم نائب حلب بأنه قد «أكل البرطيل من صاحب سيس»[٤] ثم انتفضوا جميعاً وهاجموا آياس، مخالفين دعوة نايب حلب بالانتظار ليوم واحد، ويبدو أن ألطنبغا المارداني لم يكن أقل حماسة من عسكره، فقد أطلعنا المؤرخ أنه نهر بشدة مملوك نائب الشام عندما أظهر اعتراضه على مخالفة العساكر لتعليمات أستاذه، كما أساء معاملة رسل صاحب الأرمن وهددهم، وأمهلهم مدة ثمانية أيام كي يحضروا إليه مفاتيح القلاع المطلوبة. ثم كتب للسلطان بما جرى، دون أن يكتب لنايب الشام[٥]. ويشير اليوسفي

(١) المخطوط: ١٥٠و ـ ظ.
(٢) أيضاً: ١٦٥ ظ ـ ١٦٧و.
(٣) أيضاً: ١٦٧و ـ ١٦٨و.
(٤) أيضاً: ١٦٨ظ.
(٥) أيضاً: ١٧٠و ـ ظ.

إلى عودة الرسل قبل الموعد المحدد ومعهم مفاتيح القلاع، وتسلم نائب حلب القلاع وأخربها، وفي ذلك يقول: «وأقمنا سبعة أيام من ميعاد الرسل، فحضروا يوم السابع وصحبتهم مفاتيح القلاع وسلام من تكفور على نايب حلب، وأنه فعل جميع ما ضمنه على نفسه لنايب الشام»[1]، وأقيم في القلاع نواب وحاميات، ووزّعت اقطاعاتها على الأمراء المشاركين في الغزو[2]، ثم وقعت الهدنة بين السلطان وصاحب سيس لمدة عشرين سنة[3].

ويتقصّد المؤرخ، في إطار وصفه لهذه الحملة، ابراز الخصائص المميزة لمدينة آياس، فيصفها بأنها محطة تجارية ومنتجع للهو والمرح «وأن الخمر كان يباع في أربعماية بيت فيها. . . وفيها ستماية خاطية ما بين مغل وجركس وأرمن ومسلمات». كما يطلعنا على خيرات المدينة وثرواتها الطبيعية حيث يقول: «ورأينا فيها من الزرع والفواكه والكروم شيئاً كثيراً»، إضافة إلى تعداد قراها، «المايتين وست عشرة ضيعة»[4]، ووفرة صيدها[5]، وعظمة جبالها، وغزارة أنهارها وكثرة عيونها[6].

ثم يطالعنا المؤرخ بأخبار الوباء الذي انتشر في البلاد، وأفسد مياه الأنهر والآبار، وظهرت عوارضه في الجيش عند رجوعه إلى حلب حيث توفي العديد من كبار الأمراء وصغار الجند[7].

وينهي المؤرخ الحديث عن هذه التجريدة باثبات تقرير عن وقائعها منذ خروج العساكر من حلب حتى عودتها إلى الديار المصرية[8].

---

(١) المخطوط: ١٧١ و-١٧٣و.
(٢) المصدر نفسه: ١٧٩ظ-١٨٠و
(٣) أيضاً: ١٨١و.
(٤) و (٦) أيضاً: ١٧٣ظ.
(٥) أيضاً: ١٧٩و-ظ.
(٧) أيضاً: ١٨٠و-١٨١و.
(٨) أيضاً: ١٨١و-١٨٣و.

III ـ جوانب من شخصية الملك الناصر كما ظهرت في كتاب «النزهة»:

إذا كان الظاهر بيبرس المثل الأعلى للقائد العسكري في دولة المماليك البحرية، فإن الناصر محمد كان بمثابة النموذج الأمثل لرجل الدولة، وقد أكثر المؤرخون في الاشادة بالناصر وإبراز معالم شخصيته، ومن جملتهم المؤرخ اليوسفي الذي كشف لنا عن بعض الخصال والصفات التي تجمعت في شخص السلطان، أثبت بعضها في سياق عرضه للحوادث، ونقل بعضها الآخر على لسان الشخصيات التي ذكرها في تاريخه، ومن هذه الصفات:

ـ شغف السلطان بالمرأة حيث أشار المؤرخ إلى ذلك، في إطار إخباره عن ظروف وفاة الأمير سيف الدين بكتمر الساقي، بقوله[1]: «وكان له (السلطان) شغف كبير في أنه إذا رأى امرأة سمراء ولها عيون سود وفيها طول شغف بها، ومالت نفسه لها».

ـ حذره وعدم ثقته بالآخرين، وقد تناول اليوسفي علاقة الناصر بكبار الأمراء بشيء من التفصيل، فأوضح أنه كان يقبض على من يشتبه في اخلاصه لعرشه كما كان يكره أن يكون عنده كبير أو عظيم دون أن يكون له أرب أو ميل، فإذا كثرت سعادة الأمير عنده مع فروغه غرضه لجأ إلى مصادرة أمواله واعتقاله وربما قتله[2]، وهذا ما حصل مع العديد من خاصة أمرائه، كالأمير سيف الدين بكتمر الساقي، والأمير سيف الدين تنكز الناصري، والأمير سيف الدين أيتمش المحمدي، مما جعل هؤلاء الأمراء في حالة من الارتياب والقلق تجاه ما يمكن أن يبيته لهم السلطان من مكائد؛ فالأمير سيف الدين تنكز الذي ولاه الناصر جميع بلاد الشام، وزاد في ألقابه وصاهره، كانت تراوده الشكوك في نوايا السلطان، فعندما علم بوفاة بكتمر

---

(١) المخطوط: ٢١و.

(٢) المصدر نفسه: ٢٢و.

الساقي في ظروف غامضة، أظهر الخوف والهلع لأنـه «كان يـرى بعينه منـزلة بكتمر عنده وتعـظيمه، ويعـرف أخلاق السلطان وسـرعة تغيّره، وإذا بغض انسـاناً لا يمكن ابقـاءه حياً»(١)، وقـد أسرّ لنـاصر الـدين محمـد دويـداره أن السلطان «إن عاش وطال عمره لا خلا لي ولا لغيري»(٢)، وقد كان تنكز محقاً في ما توقعه، ففي سنة ١٣٤٠/٧٤٠ أمر السلطان باعتقـاله وسجنـه ثم رسم بقتله(٣). والـراجح أن السلطان كـانت لديـه دائماً عقـدة من ناحيـة الأمراء، فظلت علاقته بهم تتصف بالريبة والحذر، ومرد ذلك إلى خوفـه من تكرار مـا حل به في سلطنتيه الأولى والثانية على يد أمرائه البارزين.

ـ مكره ودهاؤه: وقـد أطلعنا اليـوسفي أن السلطان كان مخـادعاً كثـير الحيل لا يقف عند قول ولا يوف بعهـد، وفي ذلك يقـول(٤): «وكان فيـه من المكر والدهاء ما لا يقدر عليه ملك غيره». ويؤكد ذلـك ما دبـره ضد الأمـير بكتمـر السـاقي عنـدمـا ظن بـه سـوءاً، فـاصـطحبـه معـه إلى الحجـاز سنـة ١٣٣٢/٧٣٢، ثم عمـل على الايقـاع به وقتله، وكـذلك الأمـير جمال الـدين أقوش المعروف بنائب الكرك الذي كانت لـه حرمـة ومهابـة حتى أن السلطان نفسه كان يقوم له كلما دخـل الخدمـة(٥)، فقد تحـايل عليـه السلطان، لما نمي إليه أنه يسعى إلى السلطنة، وأخرجه من الديار المصريـة نائبـاً لطرابلس، ثم تحيّن الفـرصـة المنـاسبـة فقبض عليـه سنـة ١٣٣٥/٧٣٥، وسجنـه بثغـر الاسكندرية(٦).

---

(١) المخطوط: ٥و.

(٢) المصدر نفسه: ٥ظ.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية ١٤: ١٨٧، ٢١١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه ٢: ٣٢١؛ ابن حجر، الدرر ١: ٥٢٠ ـ ٥٢٨؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١٤٥ ـ ١٦٠.

(٤) المخطوط: ١١ظ.

(٥) المصدر نفسه: ٤٥و.

(٦) أيضاً: ٤٥و ـ ٤٦و، ٧٢ظ ـ ٧٥ظ.

- شغفه في جمع المال: وتتزاحم الأخبار في كتاب النزهة عن شره الملك الناصر في جمع المال ومصادرته للأمراء والدواوين والولاة ورمي البضائع على التجار والعامة بأضعاف مضاعفة، والأمثلة على ذلك كثيرة منها: أن السلطان أوعز للقاضي شرف الدين النشو بمصادرة أموال الأمير علم الدين سنجر الخازن إثر وفاته(1)، وكذلك الصاحب شمس الدين غبريال(2)، وغيرهما، ووصل به الأمر إلى تشجيع ناظر خاصّه على مصادرة مال الأيتام على الرغم من قرار القاضي المالكي بتحريم ذلك(3).

ويضاف إلى ما تقدم أن السلطان كان يكره أن يرى آثار غيره من الملوك، ويسبب ذلك أمر بهدم قناطر السباع التي بناها الملك الظاهر بيبرس، وقد برر فعلته أمام أمرائه بقوله(4): «إن هذه القنطرة لمّا أركب إلى الميدان، وأعبر عليها يألمني ظهري من علوها».

---

(1) المخطوط: ٩٨ظ.
(2) المصدر نفسه: ٩٩و- ١٠٠ظ.
(3) أيضاً: ١٠٨و.
(4) أيضاً: ٩١ظ- ٩٢و.

تحقيق الكتاب

١ ـ وصف مخطوطة الكتاب:

توجد مخطوطة الكتاب في مكتبة آيا ـ صوفيا، باسطنبول، تحت رقم ٣٤٣٤، ضمن مجموعة «مسالك الأبصار». وما اعتمدناه هو صورة شمسية عنها موجودة في مكتبة الجامعة الأميركية ببيروت، وهي تتألف من ١٨٣ ورقة مكتوبة بخط نسخي جميل، في كل صفحة ١٣ سطراً، ومتوسط عدد كلمات السطر الواحد ١٢ كلمة.

أما لجهة الرسم الاملائي فقد تميز المخطوط بما يلي:

(١)ـ عدم وجود قاعدة متبعة في كتابة الهمزة، وخصوصاً في أواخر الكلمات فهي تسقط في مثل: أمرا (أمراء) بكا (بكاء)، ما (ماء).

(٢)ـ تسقط الألف في أعلام مثل: إبراهيم، إسحاق، سليمان.

(٣)ـ تثبت الألف في مثل: هؤلاء.

(٤)ـ ليس هناك من قاعدة ثابتة لكتابة الألف المقصورة والممدودة.

٢ ـ نهج التحقيق:

(١)ـ أثبت المخطوط على حاله، ولم أبدل منه إلا ما ظهر لي من خطأ إملائي فاتبعت الطريقة الاملائية الحديثة دون أن أشير إلى كل تغيير أجريته في هذا المضمار.

(٢)-زدت الهمزة حيث لا يؤمن اللُّبْس في القراءة، أو يتعذر أن يكون عدم وجودها من الوجه المحكي في الدارجة مثل: «أمرايه»، وأبقيت الصورة الاصلية حيث لا لَبْس مثل: «ساير» بدل «سائر».

(٣)-اعتمدت كتابي عقد الجمان والسلوك في المقابلة، واعتبرتهما بمثابة نسختين أخريين[١] من المخطوط، كما استعنت للغاية نفسها بابن الدواداري والجزري والشجاعي.

(٤)-قارنت ما ورد في المتن من حوادث وتواريخ وأسماء أشخاص وأماكن بكتب الحوليات والتراجم والطبقات المعاصرة لليوسفي بصورة أساسية، وأهم المصادر المتأخرة مع تعليقات مشاهير المؤرخين المحدثين.

(٥)-رجعت في تراجم الأشخاص والأماكن وتفسير معاني الألفاظ إلى المصادر المعاصرة والمتأخرة، إضافة إلى كبريات الكتب من دوائر معارف وغيرها.

٣ - الرموز المستعملة:

(١)- علامات التخصيص « » لحصر الأقوال، والنقول وأسماء الكتب.

(٢)- الخطان القصيران - - لحصر الجمل المعترضة.

(٣)- القوسان المعقوفان [ ] لحصر الاضافات أو النقص الطارىء على النص.

(٤)- القوسان ( ) لحصر ما كان قد ورد في الهامش ومكانه في المتن.

(٥)- الخطان المتوازيان // يشيران إلى انتهاء وجه الورقة (و) أو ظهرها (ظ).

(٦)- النقاط المتتالية.... تدل على بياض في الأصل ولم نهتد إليه في المصادر الأخرى.

---

(١) راجع ما ورد في الصفحات: ٨ - ٣٨، ٥٦ - ٦٠.

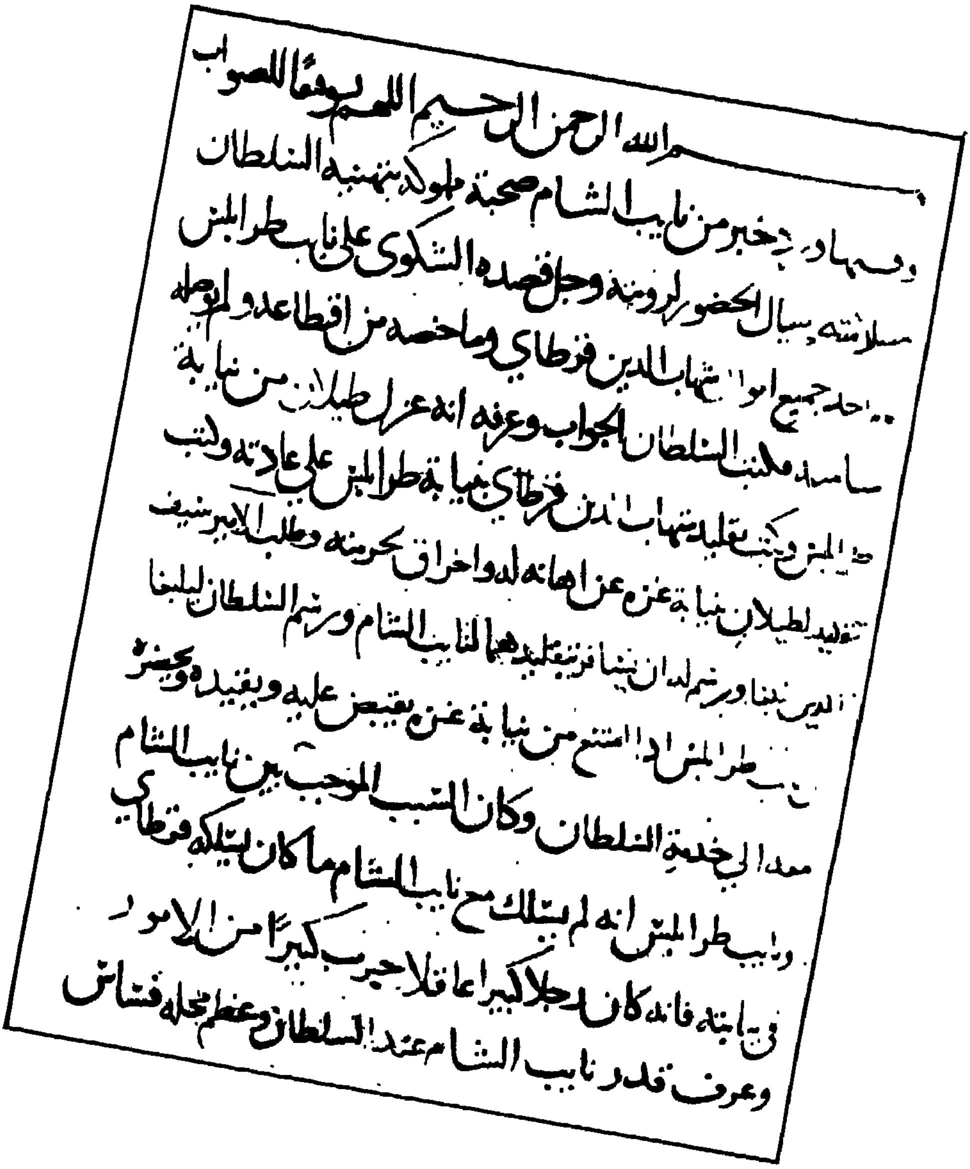
أما بعد، فإن هذه الدراسة لم تكن لتبلغ ما بلغت لولا المساعدة المخلصة التي قدمها لي العديد من الاصدقاء، وأخص بالذكر أستاذي وصديقي الدكتور إحسان عباس، والصديق الأب الدكتور جانم. فبيه. والدكتور نقولا زياده.

كما يطيب لي أن أوجه الشكر الجزيل إلى مؤسسة عالم الكتب ممثلة في شخص صاحبها الأستاذ نزيه بعلبكي لتبنيه طباعة الكتاب. وأخيراً وليس آخراً، لا يسعني إلاّ أن أثني على الجهود المضنية التي بذلها الأستاذ حسن فتوني، فلولا صبره وإخلاصه لما تمَّ إخراج الكتاب على الصورة التي انتهى إليها.

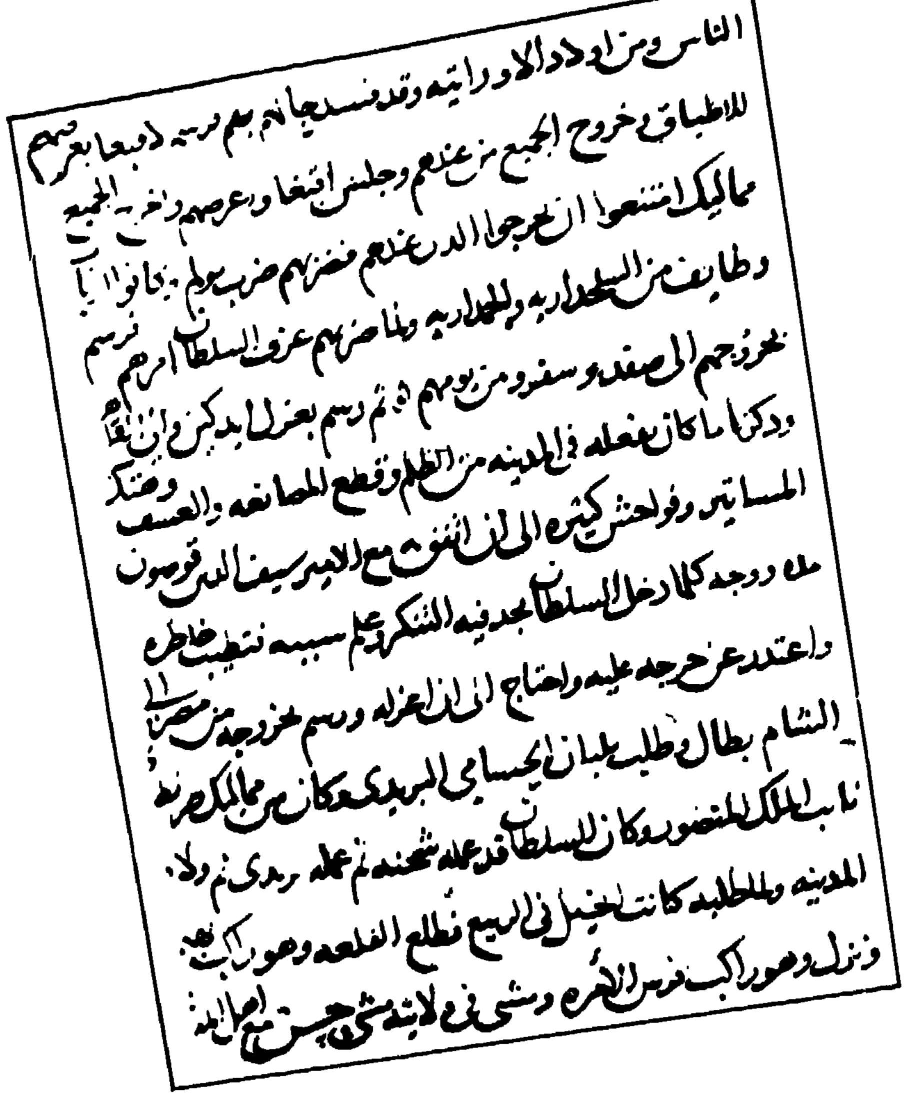
والله الموفق.

بيروت في شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٤.

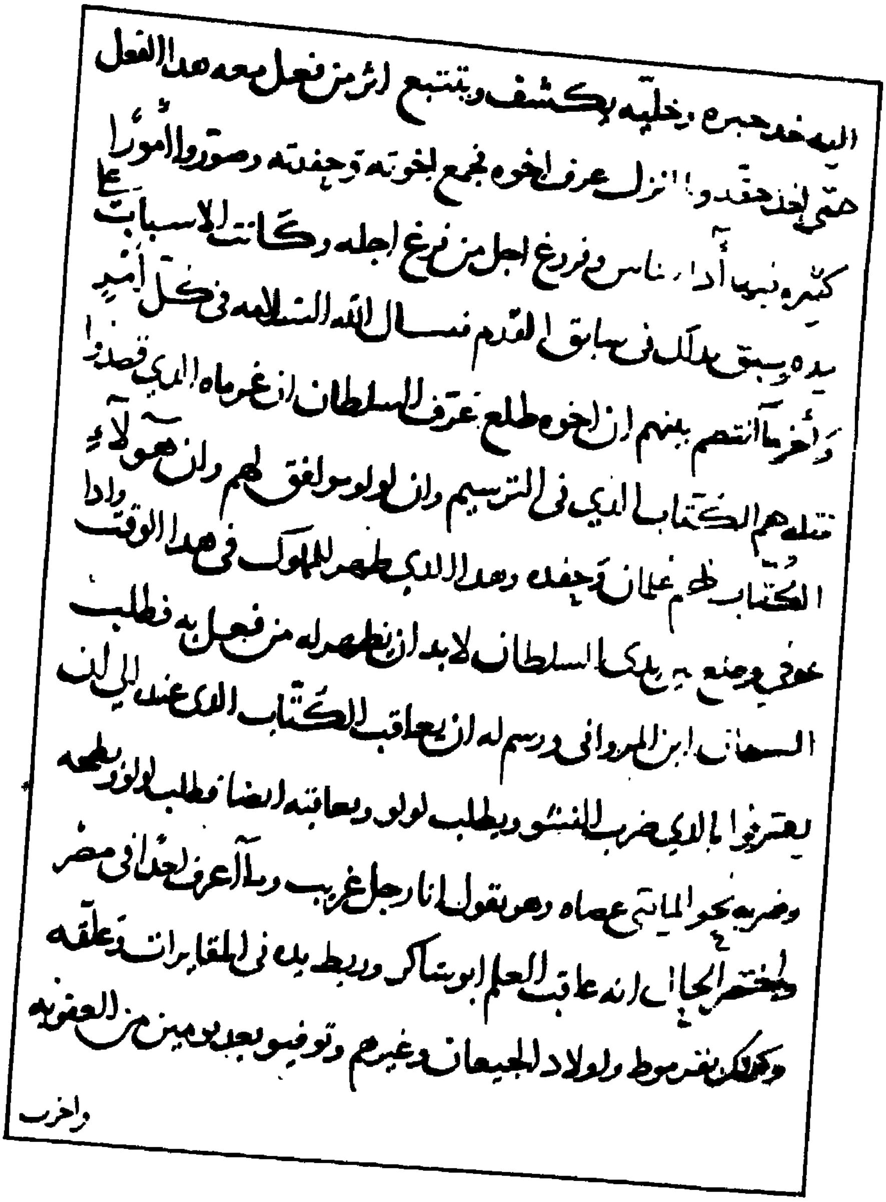
أحمد حطيط


بسم الله الرحمن الرحيم اللهم وفقنا للصواب
وفي ...... خبر من نايب الشام صحبة مملوكه بتهنية السلطان
بسلامته ويسال الحضور لرويته وجل قصده الشكوى على نايب طرابلس
احد جميع امواله شهاب الدين قرطاي وما خصه من اقطاعه ولم يوصله
ساعة ملتمس السلطان الجواب وعرفه انه عزل طيلان من نيابة
طرابلس وكتب بتقليد شهاب الدين قرطاي نيابة طرابلس على عادته وكتب
تقليد لطيلان بنيابة غزة عن اهانة له واخراق لحرمته وطلب الامير سيف
الدين بلبنا ورسم له ان يبلغ بتقليدهما الى نايب الشام ورسم السلطان لبلبنا
ان طرابلس اذا امتنع من نيابة غزة يقبض عليه ويقيده ويحضره
معه الى خدمة السلطان وكان السبب الموجب بين نايب الشام
ونايب طرابلس انه لم يملك مع نايب الشام ما كان يملكه قرطاي
من نيابته فانه كان رجلا كبيرا عاقلا جرب كثيرا من الامور
وعرف قدر نايب الشام عند السلطان وعظم محله فتساس

أنموذج الصفحة الأولى من المخطوط (١ظ).

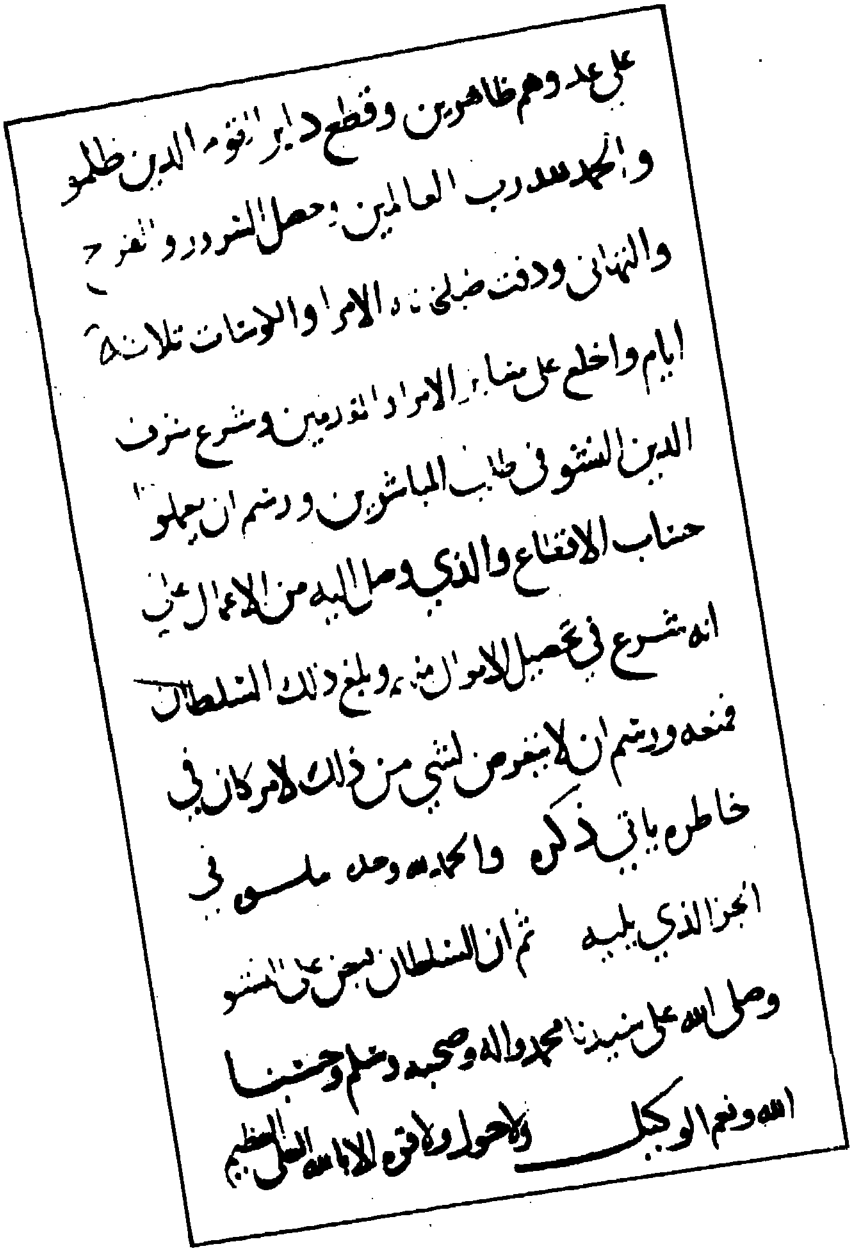

الناس ومن اودد الا ورايته وقد فسحا ثم بهم برسيه لابعا بغرصهم
للاطباق وخروج الجميع من عندهم وجلس ايتغا وعرصهم ونزل الجميع
مماليك امتنعوا ان يخرجوا الذي عندهم فضربهم ضرب مولم وبانوا با
وطايف من السلحداريه والجمداريه ومناصرهم عزل السلطان امرهم ثم رسم
بخروجهم الى الصعيد وسفروا من يومهم ثم رسم بعزل ايدكين والي القاهره
وذكرنا ما كان يفعله في المدينه من الظلم وقطع المصانعه والعسف وهتك
المساتير وفواحش كثيره الى ان اتفق مع الامير سيف الدين قوصون
منه وجه كلما دخل السلطان يجد فيه التنكر وعلم سببه فتغيب خاطره
واعتمد عن خروجه عليه واحتاج الى ان عزله ورسم بخروجه من مصر الى
الشام بطال وطلب بلبان الحسامي البريدي وكان من مماليك
نايب الملك المنصور وكان السلطان قد عمله شحنه ثم عمله بريدي ثم ولاه
المدينه والمطالبه كانت تحيل في البيع تطلع القلعه وهو راكب
ونزل وهو راكب فرس الاخر ومشي في لابته شي حسن مع اصحابه

أنموذج الصفحة ٧٠و من المخطوط.



اليه فخرج وخليته بكشف ويتتبع اثر من فعل معه هذا الفعل
حتى اخذ حقده ولا زال عرف اخوه يجمع لخونته وجفنته وصوروا امورا
كثيره نبيها اذا ناس وفرغ اجل من فرغ اجله وكانت الاسباب ع
بيده يسبق بذلك في سابق القدم فنسال الله السلامه في كل امر
واخر ما انتصم بينهم ان اخوه طلع عرف السلطان ان غرماه الذي قصدوا
قتله هم الكتاب الذي في الترسيم وان لولو سولف لهم وان هولاء
الكتاب لهم غلمان وجفنه وهذا الذي ظهر للملوك في هذا الوقت واذا
عوض وصنع ... السلطان لابد ان نظهر له من فعل به فطلب
السلطان ابن المرواني ورسم له ان يعاقب الكتاب الذي عنده الى ان
يعترفوا بالذي ضرب النشو ويطلب لولو ويعاقبه ايضا فطلب لولو وطلعه
وضربه نحو المايتين عصاه وهو يقول انا رجل غريب وما اعرف احدا في مصر
ليختم الحال انه عاقب العلم ابو شاكر وربط يده في المقارات وعلقه
وكذلك نفر موط واولاد الجيعان وغيرهم وتوفي بعد يومين من العقوبه
واخرب

أنموذج الصفحة ١٥٧و من المخطوط.


على عدوهم ظاهرين وقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين وحصل السرور والفرح
والتهاني ودقت طبلخاناه الامرا والاوشاقات ثلاثة
ايام واخلع على سائر الامرا والمقدمين وشرع شرف
الدين النشو في طلب المباشرين ورسم ان يعملوا
حساب الاقطاع والذي وصل اليه من الاعمال حتى
انه شرع في تحصيل الاموال منهم وبلغ ذلك السلطان
فمنعه ورسم ان لا يتعرض لشي من ذلك لامر كان في
خاطره يأتي ذكره والحمد لله وحده مسطور في
الجزء الذي يليه ثم ان السلطان بعث الى النشو
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

أنموذج الصفحة الاخيرة من المخطوط (١٨٣و).

تحقيق

مخطوط
نزهة الناظر

١ ظ

بسم الله الرحمن الرحيم اللهم توفيقاً للصواب

[ذكر دخول سنة ثلاث وثلاثين وسبعماية وحوادثها]

وفيها ورد خبر من [تنْكِز] نايب الشام(١) صحبة مملوكه بتهنية السلطان بسلامته(٢)، ويسأل الحضور لرؤيته، وجُلّ قصده الشكوى على نايب

(١) تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري، الأمير سيف الدين. خدم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون وحظي عنده، وتزوج السلطان ابنته وزوّج أولاد تنكز بناته. تدرّج في مناصب الدولة حتى ولي نيابة دمشق في ربيع الآخر سنة ٧١٢، واستمر بها حتى ذي الحجة سنة ٧٤٠/ حزيران ١٣٤٠ - ولم يتفق لأحد من النواب ذلك - حيث اعتقل وقتل في سجنه بالأسكندرية تاركاً ثروة عظيمة. وبعد موت السلطان الناصر محمد نقل من الاسكندرية إلى دمشق في سنة ١٣٤٤/٧٤٤، ودفن بتربته التي عمرها إلى جانب جامعه وله عمائر كثيرة.

ابن الوردي، تتمة المختصر ٢: ٤٦٦ - ٤٦٧؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار ٢٧: ٢٠٧؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ١٠: ٤٢٠ - ٤٣٥؛ ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ١: ٢٥١ - ٢٥٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية ١٤: ١٨٧، ٢١١؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه ٢: ٣٢١ - ٣٢٢؛ ابن قاضي شهبه، الاعلام(نسخة البودليان): ٢٧٨ظ - ٢٨٠و؛ ابن خلدون، كتاب العبر ٥/٤: ٩٤٨ - ٩٤٩؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ١: ٥٢٠ - ٥٢٨؛ العيني، عقد الجمان ٢٦: ٤١ - ٤٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٩: ١٤٥ - ١٦٠. وقد خالف المقريزي (السلوك ٢/٢: ٥٠٦ - ٥١٢) المصادر الآنفة لجهة تاريخ وفاة تنكز فجعلها في ١٥ المحرم سنة ١١/٧٤١ تموز ١٣٤٠.

(٢) بمناسبة عوده من الحج، وكان السلطان قد قصد الحجاز حاجاً بأهله ومعظم أمرائه (للمرة الثالثة) في شوال سنة ٧٣٢/تموز ١٣٣٢ ثم عاد، ووصل إلى القاهرة في المحرم من سنة ٧٣٣/ أيلول - تشرين الأول ١٣٣٢. للمزيد انظر: ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر ٩: ٣٦٦ - ٣٧١؛ الجزري، حوادث الزمان: ٢٩٠ - ٢٩٢؛ ابن الوردي، تتمة ٢: ٤٢٦؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٢١؛ المقريزي، السلوك ٢/٢: ٣٥٠ - ٣٥١، ٣٥٥ والذهب المسبوك: ٩٩ - ١٠٩؛ ZETTERSTÉEN, Beiträge, P. 185, 186

طرابلس بأنه أخذ جميع أموال شهاب الدين قَرَطاي[1] وما خصَّه من اقطاعه[2]، ولم يوصله شيئاً منه. فكتب السلطان الجواب وعرَّفه أنه عزل طيلان[3] من نيابة طرابلس، وكتب تقليد شهاب الدين قرطاي بنيابة طرابلس على عادته، وكتب تقليداً لطيلان بنيابة غزة عن إهانة له واخراق لحرمته[4]، وطلب الأمير سيف الدين يَلْبُغَا[5]، ورسم له أن يسافر بتقليدهما[6] لنايب الشام، ورسم السلطان ليَلْبُغَا أن نايب طرابلس إذا امتنع

(١) الأمير شهاب الدين قرطاي الأشرفي المنصوري الجوكندار. ولي نيابة السلطنة بطرابلس يوم الثلاثاء ٤ ربيع الأول سنة ٧٧٣، ومات بها في ١٢ صفر سنة ٢٣/٧٣٤ تشرين الأول ١٣٣٣. عمر بطرابلس مدرسة عرفت به (المدرسة القرطائية). الجزري: ٢٩٤؛ ابن الوردي ٢: ٤٣٢؛ الصفدي، أعيان العصر ٧: ٢٠٦؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٥٢ - ٢٥٣؛ المقريزي، السلوك ٢/٢: ٢٧١؛ ابن حجر ٣: ٢٤٨؛ ZETTERSTÉEN, OP. cit., P. 187

(٢) انظر: CAHEN: art. «Iḳtá», EI², III, P. 1115a - 1118a

(٣) كذا في العيني، عقد الجمان ٢٩١١/١٧: ٧٢و. وورد أيضاً «طَيْنَال»، وهو الأمير سيف الدين طينال الأشرفي الناصري الحاجب، تتري الجنس. ولي نيابة طرابلس ثم غزة ثم صفد ثم أعيد إلى طرابلس. توفي ٤ ربيع الأول سنة ٧/٧٤٣ آب ١٣٤٢، وله بالقاهرة قيسارية ودار.
الشجاعي، تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده، ق١: ٢٥٠؛ الصفدي، الوافي ١٦: ٥١٦ - ٥١٧ وأعيان العصر ٣: ١٢ظ - ١٣ظ؛ المقريزي السلوك ٢/٣: ٦٣٧ والمقفى: ٢و؛ ابن حجر ٢: ٢٣٢ - ٢٣٣.

(٤) باعتبار أن نيابة غزة كانت أقل شأناً من نيابة طرابلس التي تأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بعد نيابتي دمشق وحلب، وكان يعرف نائب غزة بـ «مقدم العسكر المنصور بغزة» بينما كان نائب طرابلس يعرف بـ «نائب السلطنة الشريفة بطرابلس المحروسة».
القلقشندي، صبح الأعشى ٧: ١٧٥ - ١٧٦، ١٧٩؛ سعيد عاشور، العصر المماليكي: ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٥) في المقريزي والعيني و ZETTERSTÉEN «بيْبُغا»، وهو الأمير سيف الدين يلبغا بن طابطا الساقي اليحياوي الناصري. كان مقرباً من الناصر محمد بن قلاوون. ولي حماة ثم حلب ثم دمشق. عمر بدمشق جامعاً على نهر بردى. قتل مخنوقاً في آخر جمادى الأولى سنة ٧/٧٤٨ أيلول ١٣٤٧.
المقريزي ٢/٣: ٧٣٢ - ٧٣٥؛ ابن حجر ٤: ٤٣٦ - ٤٣٧؛ العيني ٢٦: ٨٣ - ٨٤.

(٦) يذكر ابن كثير (١٤: ١٦١) أن يلبغا المذكور قد حصل بسبب هذه المهمة على مائة ألف درهم.

من نيابة غزة يقبض عليه ويقيّده ويحضره معه إلى خدمة السلطان. وكان السبب الموجب بين نايب الشام ونايب طرابلس أنه لم يسلك مع نايب الشام ما كان يسلكه قَرَطاي في نيابته، فإنه كان رجلاً كبيراً عاقلاً جرب كثيراً من
٢ و الأمور وعرف قدر نايب الشام عند السلطان، وعظم محله فساس // أمره معه حتى صار إذا كتب المطالعات جواباً للسلطان يكتب لنايب الشام أيضاً، ويسيّر مطالعة السلطان طيّها من غير ختم حتى يقف نايب الشام عليها، ويحاط بها ويختمها مع هدايا وتحف وقبول ساير ما يرسم به، فيبادر إلى قضائه.

ولما ولي طيلان كان بعكس هذه المسألة، وقد تقدم ذكر أن نايب الشام أوصاه على نواب قَرَطاي، وأن يوصل إليهم ما يستحقوه من الاقطاع، فعاملهم بالسوء وأخرق بهم، وانتهى أمره مع نايب الشام إلى أن قال للبريدي[1] مشافاة إليه: «قول لنايب الشام هو نايب السلطان، وأنا نايب السلطان، وما له عليّ ولاية، وإذا كان أستاذي[2] يكتب إليّ بشيء أكتب جوابه إليه»، وأغلظ في الكلام الذي أرسله، وزاد في الاخراق بنواب قَرَطاي. ثم أساء التدبير في معاملته مع أمراء طرابلس وجندها إلى أن أخرق ببعض الأمراء، وصادر بعض الحجاب[3]، فركب ولد الحاجب وخرج من طرابلس

---

(١) نسبة إلى البريد، وجمعه البريدية، لهم مقدم (مقدم البريدية). وقد تميز البريد في العصر المملوكي بالنشاط والدينامية لتغطية الاتصالات ولاطلاع السلطان، بالسرعة اللازمة، على ما يدور في أرجاء مملكته.

ابن فضل الله، التعريف: ١٨٤ - ١٩٦؛ القلقشندي ١٤: ٣٧٢ - ٣٨٨؛

SAUVAGET, La poste aux chevaux dans l'empire des Mamelouks, P. 14 - 39; SOURDEL, art. «Barīd», EI², I, P. 1077a - 1078a.

(٢) يقصد السلطان.

(٣) مفرده حاجب، وهو من يحجب الناس عن الدخول إلى السلطان أو الأمير بدون إذن (البواب)، وقد عظم شأن الحاجب منذ سلطنة الظاهر بيبرس حيث عادلت الحجوبية النيابة. وكان تعريف حاجب طرابلس: «أمير حاجب بطرابلس المحروسة».

القلقشندي ٤: ١٩ - ٢٠ و٥: ٤٤٩ و٧: ١٧٦؛ ابن تغري بردي، النجوم ٧: ١٨٥ - ١٨٦؛ حسن باشا، الألقاب الاسلامية: ٢٥١.

إلى نايب الشام وعرّفه أمره، فكتب على يده كتاب بالشكوى إلى السلطان،
٢ ظ. وعرّفه عنه أموراً منكرة، // وأن يسمع كلام ابن الحاجب وما فعله معهم.

ولما وصل كتابه، ووقف ابن الحاجب بين يدي السلطان، تكلم في حقه[1] كلام كثير، وأنه قد تعرّض لأموال الرعية، ووافق كلامه شكوى نايب الشام، برسم بعزله، وأراد السلطان كسره وإهانته بولاية غزة بعد طرابلس[2]. ورسم له في التقليد أن تضاف [نيابة غزة][3] إلى نايب الشام في جميع أمور ولاياتها وأحوالها، وأن تكون مكاتباته[4] إلى الشام، ولا يكتب إلى مصر، وكان خروج غزة عن حكم مصر، وتفوض أمرها نايب الشام، بذلك السبب إهانة لطيلان ونقص لحرمته وتقوية يد نايب الشام وعلو كلمته.

وفيها اقتضى رأي السلطان تولية الصاحب أمين الدين[5] نظر الشام ونظر الخواص[6] [بها] و[نظر] الأوقاف[7] عوض الشمس غبريال[8] بسبعي

---

(١) الضمير يعود لطينال.

(٢) راجع مع ورد في الصفحة ١١٤ حاشية رقم ٤.

(٣) ما بين المعقفين اقتضاه السياق.

(٤) الضمير يعود لطينال.

(٥) عبد الله بن تاج الرئاسة بن الغنّام، الصاحب أمين الدين أمين الملك وزير الديار المصرية والشامية أيام الناصر محمد بن قلاوون، وهو قبطي الأصل تقلب في مناصب عدة إلى أن ولي الوزارة مرات عدة، وانتهى أمره بالقبض عليه ومصادرة أملاكه. توفي سنة ٧٤٠ وقيل سنة ٧٤١/١٣٤٠ - ١٣٤١.

راجع ترجمته في: ابن الوردي ٢: ٣٩١، ٤٦٧؛ الشجاعي ١: ١٢٠ - ١٢١؛ الصفدي، أعيان العصر ٣: ٢٤و - ٢٩ظ والوافي ١٧: ٨٨ - ٩٨؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٣٢٣ - ٣٢٤؛ المقريزي، المقفى: ١٨٨و - ١٨٩و؛ ابن حجر ٢: ٢٥١ - ٢٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣٢٥ - ٣٢٦؛

ZETTERSTÉEN, Beiträge, P. 213.

(٦) ويقال أيضاً نظر الخاص، وهي وظيفة مهمة أحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاون حين أبطل الوزارة، وموضوعها التحدث في ما هو خاص بمال السلطان، وصاحبها كالوزير بقربه من السلطان وتصرفه في تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين، وذلك بعد مراجعة السلطان. (القلقشندي ١١: ٣١٦ - ٣١٩)، وللتدليل على أهمية هذه الوظيفة نورد ما جاء على لسان الصاحب أمين الدين أمين الملك نفسه، نقله عنه الصفدي:

النشو(١) عليه، ورسم بطلبه وأخلع عليه(٢)، وكتب توقيعه من إنشاء صلاح الدين خليل الصفدي.

= «. . . قال: لأن ناظر الخاص يدخل إلى السلطان بكرة النهار فيتحدث معه في كل ما يريد أن يطلقه وينعم به على خواصه وجواريه ومن يختاره، ويدخل بعده ناظر الجيش فيتحدث معه في اقطاعات الأمراء والجند بالديار المصرية والشامية من الزيادات والنقصان والافراجات، ويدخل كاتب السر فيقرأ البريد عليه، وفيه من الولايات والعزل جميع ما بالشام، وأدخل أنا بعد ذلك، فيقول: اخرج احمل لناظر الخاص كذا وكذا، وأنا فلاح لذلك المولى، وليس لي مع السلطان حديث إلّا في فندق الجبن ودار التفاح وصناعة التمر جهات القاهرة ومصر، فعلمت صحة ما قاله» (الصفدي أعيان ٣: ٢٤ظ - ٢٥و).

(٧) ويقال لها نظر الأحباس، جمع حُبْس وهو الوقف، أصله شراء أراض ووقفها على جهات البر، ومنذ أيام الظاهر بيبرس أفرد للجوامع والمساجد والربط والزوايا ونحو ذلك رزقاً، وأنيط الاهتمام بها بناظر الأحباس ومباشريه. للمزيد أنظر:

HEFENING: art. «Waķf», EI, P. 1096a - 1103a

(٨) عبد الله بن الصّنيعة أبي سعيد بن أبي السرور، الصاحب شمس الدين غبريال المصري النصراني الأصل. كان أولاً كاتب الخزانة أيام المنصور حسام الدين لاجين، ثم انتقل إلى نظر الجامع الأموي والأوقاف بالشام، ثم عُزل عنها، وعُيّن ناظراً للدواوين بدمشق. خدم الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام وبالغ في خدمته وجمع ثروة عظيمة، ثم تغيّر عليه تنكز فاتفق مع السلطان على عزله، فقبض عليه في شوال سنة ٧٣٢ هـ، وأقام في القاهرة إلى حين وفاته في ٨ شوال ١٢/٧٣٤ حزيران ١٣٣٤، وقيل غير ذلك. بنى جامعاً بدمشق وبيمارستاناً بالرحبة.

الجزري: ٣٤٦، ٣٧٤؛ ابن فضل الله، مسالك ٢٧: ٢٠٧و؛ الصفدي، أعيان ٣: ٣٤و- ٣٧ظ؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢١٩ - ٢٢٠ ودرة الأسلاك ٢ :أ٢٣١ظ - ٢٣٢و.

(١) عبد الوهاب بن فضل الله، القاضي شرف الدين المعروف بالنشو، القبطي الأصل، ناظر الخاص في دولة الناصر محمد بن قلاوون. وقد تمكن من السلطان، فقربه ووثق به، فقطع ووصل، فكثر أعداؤه وحسّاده، ووشوا به، فقبض عليه وعلى أهله في ٢ صفر سنة ٢٠/٧٤٠ آب ١٣٣٨، وصودروا وماتوا تحت العقوبة ما بين الربيعين من نفس السنة.

ابن الوردي ٢: ٤٦٣ - ٤٦٤؛ الشجاعي ١: ٩١؛ الصفدي، أعيان ٣: ١٢٩ظ - ١٣٢و؛ المقريزي، السلوك ٢/٢: ٤٨٥ - ٤٨٦؛ ابن حجر ٢: ٤٢٩ - ٤٣٠؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١٣١ - ١٤٣؛ ZETTERSTÉEN, Beiträge, P. 203-204.

(٢) وذلك يوم الاثنين ٥ صفر/٢٦ تشرين الأول ١٣٣٣٢، وسافر الصاحب أمين الدين إلى دمشق فوصلها في ٢٣ منه/١٣ تشرين الثاني ١٣٣٢، حيث باشر مهامه الجديدة، واستمر إلى حين استدعاه السلطان إلى مصر بعد القبض على النشو سنة ٧٤٠. =

نسخة التقليد(١)

«الحمد لله الذي جعل ولي أيامنا الزاهرة أمينا، وأحلّه من خواطرنا(٢) الطاهرة مكان أينما توجه مكينا، وخصّه بالاخلاص لدولتنا القاهرة فهو يقيناً

٣ و يقينا، وعضد بتدبير ممالكنا الشريفة // بحيث أن الحقوق تصل إلى أربابها والمعاليم تَطْلِعُ بُدُور بدورها(٣) كاملة كل هلال على أصحابها، [والرسوم لا تزاد على الطاقة في بابها، والرعايا يجنون ثمر العدل في أيامه متشابها](٤)، وإذا أنعمنا على ولي(٥) بجُمل فلا تُكُّدر وردها بأن تُؤخّر، وإذا استدعينا بهم إلى أبوابنا(٦)، فليكن الاسراع إليه يُخجل البرق المتألق في السّحاب المُسَخّر، فما أرسلناك إلّا سهماً(٧) خرج من كنانه، وشَهْم لا يَثْني إلى الباطل عنانه ولا عنايه(٨)، واختار ما اختاره(٩) لك سعادتنا المؤيدة المؤبدة فطرفها بالذكاء مكتحل:

إنَّ السعادة فيها أنت فاعله — وقفتَ مُرتحلاً أو غير مرتحل»

وفيها، في ذلك اليوم(١٠) [الذي] رُسم فيه للصاحب أمين الدين،

= الجزري: ٢٩٣؛ الصفدي، أعيان ٣: ٢٥ظ؛ المقريزي، السلوك ٢/٢: ٣٥٨ والمقفى: ١٨٨و - ١٨٩و؛ ZETTERSTÉEN, OP. cit., P. 186

(١) أثبت الصفدي نسخة هذا التقليد في الوافي ١٧: ٩١-٩٨.

(٢) في الصفدي، نفس المصدر: «ضمائرنا».

(٣) في المصدر نفسه: «بدرها».

(٤) الزيادة من المصدر نفسه.

(٥) وفي المصدر نفسه: «وإذا أنعمنا على بعض أوليائنا».

(٦) أيضاً: «فلا تُكدّر بأن تؤخر، وإذا استدعيناه لأبوابنا بهم».

(٧) أيضاً: «فما أردناك إلّا لأنك سهم».

(٨) أيضاً: «عيانه وعنانه».

(٩) أيضاً: «واختر ما اخترته».

(١٠) وهو الخامس من صفر من السنة/٢٦ تشرين الأول ١٣٣٢. راجع ما ورد في الصفحة١١٧، الحاشية رقم ٢.

رُسم بأمرة طبلخانة للأمير ناصر الدين محمد [١] بن الأمير بدر الدين جَنْكَلي، وأنعم على أخوه[٢] بعشرته، فكتب منشوره أيضاً صلاح الدين الصفدي.

نسخته

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي نصر جيش الاسلام بمحمده، وجعل مفارق العدا من أغماد مهنده، وأطفأ نبل وبله حرّ الوغى إذا زاد في توقّده، وجمع له من فضل السيف والقلم، وكان هذا الجمع من مزايا
٣ ظ تفرده، بحمده على نِعَمه التي خَصَّت دولتنا // بوليّ عقد عليه الخناصر، ومنحت أيامنا الزاهرة منه ما جَدٌّ لطالب له الأصول كما طابت العناصر. وبعد، فإن أحقَّ للأولياء بموالاة النعم ومضاعفة الآلاء حتى تخجل الديم من تزاحم النجوم علياه بالمناكب، ويغدو بدر الجيوش في هالات المواكب، وتعتقل الذوابل، فتلج في علياه، كأنما تحاول ناراً عند بعض الكواكب. وكان المجلس السامي الناصري، ولد الجناب العالي جنكلي، من قوم ندعوهم فيلبون إلى طاعتنا الشريفة مسرعين، ونرجوا لقياهم كمال المایة فقد تجاوز بهذا الاقطاع الأربعين».

وفيها[٣] شرع النشو في فتح أبواب الظلم والمصادرات وتحصيل الأموال من حيث الجملة، وأول استقباله كان أولاد التاج[٤]، وأحضر زوجة مكين

(١) ولد بديار بكر سنة ٦٩٧/١٢٩٨. قدم مع والده إلى القاهرة سنة ٧٠٣/ ١٣٠٣ - ١٣٠٤، وكان حنبلياً ذا علم وأدب. توفي في ٢٤ رجب سنة ٧٤١/ ١٣ كانون الثاني ١٣٤١، ودفن بالقرافة. أما والده جنكلي فقد توفي في ١٧ ذي الحجة سنة ٧٤٦/١٠ نيسان ١٣٤٦.
الشجاعي ١: ١٢١؛ الصفدي، الوافي ٢: ٣١٠ - ٣١٣ و١١: ١٩٩ - ٢٠١؛ المقريزي ٢/٣: ٥٥٢ - ٥٥٣ و٦٩٨ - ٦٩٩؛ ابن حجر ١: ٥٣٩ - ٥٤٠ و٣: ٤١٦ - ٤١٧؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣٢٥ و١٠: ١٤٣. ZETTERSTÉEN, OP. cit., P. 218.
(٢) ويدعي الأمير شهاب الدين أحمد بن جنكلي. الصفدي، المصدر نفسه ١١: ٢٠٠.
(٣) في شهر صفر من السنة/٢٦ تشرين الأول ١٣٣٢.
المقريزي ٢/٢: ٣٥٨.
(٤) إسحاق بن عبد الكريم بن القماط القبطي، تاج الدين، أسلم فسمي عبد الوهاب، ناظر=

الترجمان وبعض أهل الاسكندرية[1]، وعرّفهم ما يقولوه قدام السلطان، ودخل بهم إليه وشهدوا على التاج إسحاق أنه تسلّم من مكين الترجمان صندوقاً فيه ذهب وزمرّد وجوهر مثمن، وعظّموا أمره، فرسم بطلب ابن المحسني[2]، وأنكر عليه بسبب أنه لم يعاقبهم ولا خلّص // منهم شيئاً، ٤ و
فعرّفه أنه حمل في غيبة السلطان منهم قريب (. . .)[3] ألف درهم. ورسم له بعقوبة موسى[4] إلى أن يحضر الصندوق، وعرّف النشو السلطان أن الولاة جميعها تُطلب، وتُحصّل منهم الأموال. وسيّر أخوه[5] إلى الوجه القبلي لكشف الدواليب[6]، فطلب موفق الدين كاتب الدرج[7] لناظر الخاص، ورسم

الخواص. توفي في جمادى الآخرة سنة ١٣٣١/٧٣١. وله ثلاثة أولاد: إبراهيم ناظر الدولة وموسى الذي خلفه في وظيفته وماجد.

ابن حبيب، تذكرة ٢ : ٢١٤؛ المقريزي ٢/٢ : ٣٤٠؛ ابن حجر ١ : ٣٥٧؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩ : ٢٨٩.

(١) في العيني (٢٩١١/١٧ : ٧٤و): «ثم أحضر مكين الترجمان من اسكندرية وبعض أهلها».

(٢) محمد بن بيليك المحسني، الأمير ناصر الدين. ولي القاهرة في ٥ ذي الحجة سنة ١٩/٧٣٠ أيلول ١٣٣٠. قبض عليه سنة ١٣٦١/٧٦٢، وسجن في الاسكندرية. المقريزي ٢/٢ : ٣٢٣ و٣/١ : ٦٥؛ ابن حجر ٣ : ٤١١.

(٣) بياض في الأصل بمعدل كلمة واحدة.

(٤) موسى بن إسحاق بن عبد الكريم، شمس الدين، ناظر الجيش وناظر الخاص. ولي الوزارة بدمشق غير مرة. توفي بدمشق في ذي القعدة سنة ١٣٧٠/٧٧١، وهو في عمر السبعين.

ابن حبيب، درة ٣ : ١٤٩ - ١٥٠؛ المقريزي، السلوك ٣/١ : ١٨٨؛ ابن حجر ٤ : ٣٧٤؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي (وفيات ٧٧١)؛ ابن اياس ١/٢ : ٩٩.

(٥) وهو المُخْلِص، الأخ الأكبر للنشو. قضى تحت العقوبة إثر القبض على النشو وأهله سنة ٧٤٠. راجع صفحة ١٧٧، الحاشية الأولى.

(٦) مفرده دولاب؛ والمقصود هنا معاصر قصب السكر وغيرها من الصناعات التي تحتاج إلى الأدوات العجلية كمصانع غزل الحرير والسواقي المائية.

DOZY, Suppl. I, P. 477-478.

(٧) وهو الذي يكتب المكاتبات والولايات وغيرها، وربما شاركه في ذلك كتاب الدست، ويقال له: الموقّع.

للوالي بقتله بالمقارع[1]، كون أنه بلغه عنه أنه كان يدخل لأولاد التاج [إسحاق]، ويخرج ويسعى لهم، فوقف له في ذلك جمال الدين[2] ريس الطب، وسأله فيه سؤال كثير حتى أفرج عنه، وبقي في بيته، وشرع في تتبع أثر أصحابه ومن بلغه أنه يصحبه أو يعاشره أو له في أيامه مباشرة من جهته، مع تطلب أهله وقرابته ومن يلوذ بهم، وأحضر قَنغلق[3] والي البهنسا[4]، و[سيف الدين][5] قشتمر والي الغربية[6]، وفخر الدين اياس[7] متولي المنوفية[8]، وجماعة من المباشرين وسلّمهم لابن هلال الدولة[9] ليستخلص

= القلقشندي ٥ : ٤٦٥ و ١١ : ٤٢٣. عبد اللطيف حمزة، القلقشندي في كتابه صبح الأعشى : ٨٢ - ٨٨.

(١) مفرده مِقْرع أو مِقْرعة، نوع من العصي كان يستعمل في التعذيب (bâton)
DOZY, op. cit., II, P. 605.

(٢) إبراهيم بن أحمد المغربي، جمال الدين أبو إسحاق، رئيس الأطباء بالديار المصرية والشامية. توفي سنة ١٣٥٥/٧٥٦.
الصفدي : الوافي ٥ : ٣١٤ - ٣١٧؛ ابن حجر ١ : ١٦.

(٣) كذا في الأصل والعيني ١١١/٢٩/١٧ : ٧٤و؛ وفي المقريزي (السلوك ٢/١ : ٣٠١ - ٣٠٢): شجاع الدين قنغلي، وقد تولى المذكور البهنسا سنة ١٣٢٨/٧٢٨.

(٤) من مدائن الوجه القبلي (الصعيد) بالديار المصرية، واقعة غربي نهر النيل. ياقوت الحموي، معجم البلدان ١ : ٥١٦ - ٥١٧؛ المقريزي، الخطط ١ : ١٢٨، ٢٣٧.
AMÉLINEAU, La géographie de l'Egypte, P. 90-93.

(٥) الزيادة من المقريزي، السلوك ٢/٣ : ٩٢٤.

(٦) كورة من بلاد الصعيد المصري، قصبتها مدينة الحلة.
ياقوت ٥ : ٦٣ - ٦٤؛ القلقشندي ٣ : ٤١٠؛ المقريزي، الخطط ١ : ٢٨٩؛
AMÉLINEAU, Ibid, P. 186-187.

(٧) ولي المنوفية مستهل ربيع الأول سنة ١٣/٧٣١ كانون الأول ١٣٣٠.
المقريزي، السلوك ٢/٢ : ٣٣٠.

(٨) من مدائن الوجه البحري بالديار المصري.
القلقشندي ٣ : ٤٠٥؛ المقريزي، الخطط ١ : ١٢٩.

(٩) علي بن هلال الدولة، الأمير علاء الدين (وقيل علم الدين). ولد بشيزر، قدم إلى مصر وولي =

منهم الأموال[1].

وفي تلك المدة[2] وصل الأمير سيف الدين تنكز نايب الشام إلى مصر، واتفق يوم وصوله جرى بين صلاح الـدين الدويـدار[3] وبين القـاضي شرف ظ الدين[4] // كاتب السر[5] مفاوضة اقتضت التنافس بينهم والمشاحنة، وصـار ٤

= شد الدواوين بها، ثم صودر سنة ٧٣٤، وسجن في الاسكندريـة، ثم أطلق وطلب إلى دمشق ثم أخرج إلى شيزر باقطاع جندي حيث توفي في قلعتها سنة ١٣٣٨/٧٣٩ - ١٣٣٩.
الشجاعي ١: ٥٦؛ المقريـزي، السلوك ٢/٢: ٤٧١؛ ابن حجر ٣: ١٣٦؛ ابن تغـري بردي، النجوم ١٠: ٣٢١؛ ZETTERSTÉEN, op. cit., P. 199.

(١) ويشير المقريزي (السلوك ٢/٢: ٣٨١) إلى أن الولاة الثـلاثة قـد اضطروا تحت وطـأة التعذيب لدفع مبالغ طائلة إلى خزانة الخاص.

(٢) في المقريزي (السلوك ٢/٢: ٤٥٩) و ZETTERSTÉEN (op. cit, P. 186) «وفي يوم الثلاثاء تاسع عشرين جمادى الأولى».

(٣) يوسف بن أسعد الدمشقي، الأمير صلاح الدين الدويدار. ولي نيابة الاسكندرية ثم دوادارية النـاصر محمـد بن قلاوون. تـوفي في جمـادى الأولى سنـة ١٣٤٤/٧٤٥. المقـريـزي، السلوك ٢/٣: ٦٧٥؛ ابن حجـر ٤: ٤٤٩ - ٤٥٠. والدويدار أو الـدوادار اسم مـركب من لفـظين: أحدهما عربي وهو الـدواة، والثاني فـارسي وهو دار، ومعناه ممسك، ويكـون المعنـى ممسك الدواة».

DOZY, Suppl. I, P. 469.

(٤) أبو بكر بن محمد بن الشهاب محمـود، القاضي شـرف الدين، كـاتب السر بـالديـار المصريـة والشامية. ولد سنة ١٢٩٤/٦٩٣، وتوفي في ربيع الأول بالقدس سنة ١٣٤٣/٧٤٤.
الصفدي، الوافي ١٠: ٢٥٩ - ٢٦٤؛ المقريزي، السلوك ٢/٣: ٦٥٩؛ ابن حجـر ١: ٤٦٤ - ٤٦٥؛ ابن تغـري بردي، المنهـل (ترجمـة أبو بكـر بن محمد بن محمـود) والنجـوم ١٠: ١٠٦ - ١٠٧.

(٥) ويقال له أيضاً: صاحب ديـوان الانشاء. مهمتـه قراءة الكتب الـواردة على السلطان، وكتـابة أجوبتها، وأخذ خط السلطان عليها، وتفسيرها وتصريف المراسيم وروداً وصـدوراً، والجلوس لقراءة القصص بدار العدل والتوقيع عليها.
القلقشندي ٥: ٤٦٤ و١١: ٢٩٤؛ المقريزي، الخطط ٢: ٢٢٥؛عبد اللطيف حمزة: القلقشندي في كتابه صبح الأعشى: ٧٤ - ٨٠؛ حسن حبشي ورفاقه: أبو العبـاس القلقشندي وكتـابه صبح الأعشى: ٨٣ - ٩٦؛ حسن باشا، الألقاب الاسلامية: ١٠ - ٣٥.

كـل منهم يؤدي لصاحبـه شمم وكبر، ويقـع الكلام بينهم عـلى كل فـاحشـة وكلام قبيح، ويحضروا بذلك في مجالس الأمراء، وعرّفوا السلطان ذلك وتواتر الكـلام عنده، وعلم السلطان أن هؤلاء مـا يلجيء أمـرهم إلى خـير، وكـان [القـاضي] شرف الـدين [النشو] قـد شكا أمـر ما يجـده من [صلاح الـدين] الـدويدار لنـايب الشام، وأنـه يصتصبيه ويكبـر عليه نفسـه ويسمعه الكـلام الغض، وأنه يختار يعود إلى الشام على وظيفته.

ولما وقع الكـلام في ذلـك من السلطان مـع نـايب الشـام، وأن هؤلاء الاثنين ما يتفقوا، فعرّف نـايب الشام السلطان أن صـلاح الدين [الـدويدار] رجـل كبير، وهـذا صبي وما يستشـين منه بشـأن، وتكلم مع السلطان في أن يعـود [القاضي] شـرف الدين إلى وظيفتـه، ويحضر القـاضي محيي الـدين ابن فضـل الله[1] من الشام عـلى وظيفته في مصـر، فرسـم السلطان لـه بـذلـك، وكتب يطلب القاضي محيي الدين إلى مصر.

وورد الخبـر في تلك الأيـام بـوفـاة القــاضي قـطب الـــدين ابن شيـخ السلامية[2] ناظر جيش // الشام[3] وأقاموا أيام يعرضوا عـلى رأيه من يتـولي و ٥

---

(١) يحيى بن فضل الله بن مجلي، القاضي محيي الدين، أبو المعالي الدمشقي، كاتب السر بالـديار المصرية. ولـد في ١١ شوال سنـة ١٢٤٨/٦٤٥ بالكـرك، توفي في ٩ رمضـان ٣١/٧٣٨ آذار ١٣٣٨ وقيل ٧٣٩، ودفن بالقرافة ثم نقل تابوته بعد موته بأشهر إلى دمشق ودفن بالصـالحية، واستقر مكانه في كتابه السر بديار مصر ولده علاء الدين أبو الحسن علي.

ابن فضـل الله، مسـالـك ٢٧ :٢٠٨ظ؛ ابن كثير ١٤ :١٨٣؛ ابن رافـع، الوفيـات ١ :٢٤٨ - ٢٤٩؛ ابن حبيب، تذكرة ٢ :٢٩٠؛ المقريزي ٢/٢ :٤٥٧؛ ابن حجـر ٤ :٤٢٤ - ٤٢٥؛ ابن اياس ١/١ :٤٧٥.

(٢) أنظر ترجمته في الورقة ٩ظ.

(٣) هو المتحدث في أمر الاقطاعات في الديار الشامية (ناظر جيش الشام) والـديار المصـرية (نـاظر جيش ديار مصر)، والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان وأخذ خطه عليها.

القلقشندي ٤ :٣٠ - ٣١ و ٥ :٤٦٥؛ ابن شاهـين الظاهـري، زبدة كشف الممـالك: ١٠٣ - ١٠٤.

نظر الشام، فسعى في أمره فخر الدين ابن القاضي بهاء الدين ابن الحلّي(١) ناظر الجيش بالديار المصرية(٢) ـ تغمده الله برحمته ـ وأقام نايب الشام أيام وخلع عليه [خلعة السفر](٣)، وسافر وصحبته ابن الحلي و[القاضي] شرف الدين، وعرّفه السلطان أنه قد أنعم على نايب طرابلس قرطاي بالمغل كامل لأجل شكره فيه، وعرّفه أن طيلان وصل إلى غزة، وأنه كتب إليه مرسوم أن يكاتب نايب الشام ولا يكاتب مصر، وطيب خاطره، وكان نايب الشام في عبوره هذه الدفعة إلى مصر في غاية ما يكون من الخوف والزمع، والسبب لذلك أنه لما وصل إليه خبر ما اتفق في الحجاز من موت بكتمر وولده حصل عنده من الحذر على نفسه أمر كبير وقلق بذلك السبب. وقد تقدم ذكر مصاهرته لبكتمر، لما رسم السلطان أن يزوج بنته لابن بكتمر(٤) وعمل السلطان ذلك المهم المقدم ذكره، وكان يرى بعينه منزلة بكتمر عنده وتعظيمه، ويعرف
٥ ظ أخلاق السلطان وسرعة تغيره، وإذا بغض إنسان لا يمكن بقياه، // لذلك قلق كثير. ومما أخبرني به ناصر الدين دويداره(٥)، بعد توفي أستاذه، أنه لما

(١) محمد بن عبد الله بن أحمد، القاضي فخر الدين المعروف بابن الحلي. توفي ليلة الجمعة ٢٠ جمادى الأولى سنة ٧٣٩/٤ كانون الأول ١٣٣٨ بالقدس، وكان قد توجه إليها للزيارة.
الشجاعي ١: ٥٥؛ المقريزي ٢/٢: ٤٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣٢١؛
ZETTERSTÉEN, op. cit, P. 200.

(٢) انظر الصفحة السابقة، الحاشية رقم ٣.

(٣) الزيادة من المقريزي ٢/٢: ٣٥٩. ويشير الجزري (ص ٢٩٣) أن وصول ابن الحلي إلى دمشق كان يوم الثلاثاء ٢٦ صفر سنة ٧٣٣/١٦ تشرين الثاني ١٣٣٢. ومن المفيد مقارنة ذلك بالمقريزي الذي وقع في خطأ أكيد.

(٤) وكان زواج الأمير أحمد بن بكتمر الساقي بقطلو ملك ابنة الأمير سيف الدين تنكز ليلة ١٤ ذي الحجة سنة ٧٢٧/٣١ تشرين الأول ١٣٢٧. وقد وصف احتفال الزواج بـ «المهم العظيم الذي ما رأى الناس مثله، إلاّ إن كان مهم بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون أمير المؤمنين».
ابن الدواداري ٩: ٣٢٢؛ الصفدي، الوافي ٦: ٢٦٦ ـ ٢٦٧؛ المقريزي، السلوك ٢/١: ٢٨٩.

(٥) محمد بن كوندك، الأمير ناصر الدين دوادار الأمير سيف الدين تنكز نايب الشام. كان قد:

صحّ عنده خبر بكتمر قال: «طلبني، وقال: سمعت موت بكتمر وولده». قلت: «نعم». قال: «الله يرد العاقبة إلى خير». قال: «فقلت: يا خوند، الله يحفظك، وايش كنت أنت من بكتمر، أنت مملوك السلطان ومكانتك معروفة عنده». نظر إليّ وقال: «يا محمد، ما أنت أخبر مني بالسلطان، والله، إن عاش وطال عمره لا خلى لي ولا لغير». وعقيب ذلك حضر الجواب من السلطان يأذن له في الحضور، فجهّز أمره جميعه وأودع عند من كان يثق به من أكابر دمشق ودايع ذهب وجوهر، وكتب وصيّة تختص به، وكتم أمر ما فعله، وركب إلى مصر [يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الأولى][1] وهو في غاية ما يكون من الخوف، وأنه لم يرجع من هذه السفرة. ورأى السلطان الشك في وجهه، فشرع يبسط له بساط الأنس ويكرمه وينعم عليه إلى أن زال ما في نفسه من ذلك الوهم، وخرج وهو لا يصدق سلامة نفسه.

ووصل القاضي محيي الدين بن فضل الله من دمشق وأولاده[2] سلخ
٦و ربيع الآخر، واستقل بالوظيفة رفيق صلاح الدين // الدويدار، وأقبل السلطان عليه، وأخلع على الجميع.

ذكر واقعة الحلبيين ومرافعة لولو[3] فيهم

وكان السبب لحضور الحلبيين إلى مصر، أنه لما اتفق فيها موت ضامن

= تمكن من أستاذه تمكناً زائداً، ثم انقلب عليه تنكز بعد ٢٢ سنة، فعزله وعاقبه وسجنه بقلعة دمشق في ٢٥ ذي القعدة سنة ٧/٧٣٣ آب ١٣٣٣، ثم نفاه إلى القدس، ومات بها في ربيع الاول سنة ١٣٦٠/٧٦١. الجزري: ٣٠٢؛ ابن حجر ٤: ١٥٢؛ الصفدي، أعيان ٦: ٢٥٦ - ٢٦٠.

(١) ما بين المعقفين من الجزري: ٢٩٥.

(٢) كذا في المقريزي ٢/٢: ٣٥٩؛ وفي الجزري (ص ٢٩٥) وابن كثير (١٤: ١٦١) «وولده» شهاب الدين أحمد صاحب كتابي: «مسالك الأبصار» و«التعريف بالمصطلح الشريف».

(٣) لؤلؤ بن عبد الله الحلبي، الأمير بدر الدين غلام قيدش (فندش)، ضامن حلب. ولي شد الدواوين بحلب ثم بالقاهرة، فظلم وتجبر إلى أن عزل وأخرج إلى حلب بلا اقطاع. مات=

دار الطعم وضمان العداد من الأغنام، وكان هذا الرجل له مملوك يسمى لولو وهو يلقب بقيدش[1]. فلما مات قيدش ضمنوا هذا الجهتين لغيره وسعى مملوكه لولو في مكان أستاذه، فلم يسمحوا به، وسعى سعي كثير فأهانوه، وكان قد ضمن في حلب أشغال كثيرة في غيرها، وضرب بالمقارع مرار وهو عند الناس مهان مخروق الحرمة، فتوصل إلى أن كتب للسلطان كتاب يذكر فيه أنه يعيّن له من مباشرين حلب أموال عظيمة من جهات أهملوها وصالحوا عليها، وسعى له، فاقتضى طلب المشد والناظر وجميع دواوين حلب إلى مصر، وكتب لنايب حلب بإرسالهم، وعند حضورهم[2] [أوعز] السلطان لابن هلال الدولة أن يرسم[3] عليهم إلى أن يعملوا الحساب، فرسم عليهم وأقاموا في عمل الحساب. وبعد أيام حضر المخلص أخو النشو من كشف
٦ ظ الدواليب // والزراعات بالوجه القبلي، [وأغرى النشو السلطان بمباشري الوجه القبلي، وأنهم][4] جميعهم لعبوا في الأموال وأصرفوها نفقات على الأقصاب، ولم يكن له صحة، وعرّف السلطان أنه يريد طلبهم ومصادرتهم فكتبوا للوجه القبلي بإيقاع الحوطة على ساير المباشرين من المشدّين والعمال والشهود والمتحدثين جميعهم وساير من كان على الدواليب وطلب [الأمير][5] أحمر عينه، وكان هذا الرجل له تقادم مباشرة في الدواليب ومعرفة وحرمة طايلة على أهل المعاصر، وكان رجل لنفسه دولاب متسع وخيل وأغنام

= تحت العقوبة في جمادى الأولى سنة ١٣٤١/٧٤٢.
ابن الوردي ٢: ٤٧٣؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٣٨ - ٢٤٠؛ المقريزي ٢/٣: ٦١٦ - ٦١٧؛ ابن حجر ٣: ٢٧٢ - ٢٧٣.

(١) كذا؛ وفي المصادر التي بين أيدينا: «فندش».

(٢) كان حضور الحلبيين إلى مصر في شهر جمادى الآخرة من السنة/ ١٣٣٣. انظر: المقريزي ٢/٢: ٣٥٩.

(٣) ومنه الترسيم، وهو اصدار الأمر بحجز حرية شخص ما (توقيف) وقد ترجمها QUATREMÈRE إلى «Mettre à la consigne»
QUATREMÈRE, **Histoire des Sultans Mamlouks. II, 1. P.94.**

(٤) و(٥) ما بين المعقفين من المقريزي ٢/٢: ٣٦٠.

وزراعات ومتاجر وله سعادة طايلة، ولما طلع أخو النشو إلى الوجه القبلي وكشفه لم يستشين منه بشأن ولا حمل له ولا مكن المباشرين من شيء يعطوه لما كان في هذا الرجل من كثرة الأمانة والحرص. ولما حضر عرف أخوه النشو بكبره وحمقه عليه، فكتب بالحوطة عليه وعلى سائر موجوده ودوابه وكذلك عز الدين أيبك مشد الدواليب [الذي] كان قرين من سعادة أحمر عينه وله زراعات ومعاملات، فأخذ جميع أموالهم وحواصلهم وأحضروهم إلى مصر، واستمر الحال في أخذ أموال الناس.

٧ و وطلب // التجار ورموا عليهم صنف الخشب والجوخ والقماش المثل ثلاثة(١)، وحضر دار القند ووزن ساير القنود(٢) الذي أحضروها الأمراء من معاصرهم وغيرها، وكانت جماعة كبيرة قد رسم لهم السلطان مسامحات بجفود القنود الذي من اعتصارهم، وأحضروا كتّاب الأمراء ودواوينهم، ووزن كل أمير قنده، وطالبهم [النشو] بالحقوق، فأخرجوا له المسامحات فقال [لهم]: «أنا هذا شي أعرفه، والسلطان يطالبني بماله، وأنا ما أخليه»، ولم يقبل لهم مرسوم(٣)، وطلع عرّف السلطان أنه وجب على الأمراء في هذا اليوم من الحقوق ستة آلاف دينار، ويتعين كل وقت مثل هذا، «ومالك جميعه يروح

---

(١) في المقريزي (٢/٢: ٣٦٠): «وفيه (جمادى الآخرة) طلب النشو تجار القاهرة ومصر، وطرح عليهم عدة أصناف من الخشب والجوخ والقماش بثلاثة أمثال قيمته» ؛ وفي العيني (١٧/٢٩١١: ٧٤و): «وطلب التجار والرمي عليهم من ساير الأصناف كل شيء بضعفي ثمنه».

(٢) مفردها قند، كلمة فارسية معربة «كند»، وهي عسل قصب السكر إذا جمد (أدّي شير، الألفاظ الفارسية: ١٢٩). ودار القند قال فيها ابن دقماق (الانتصار ٤: ٦) بأنها «خطة خارجة بن حذافة بن غانم العدوي من الصحابة، وهي من غربي دار البركة مع زقاق الاقفال. . . وهي بالفسطاط».

(٣) في المقريزي (٢/٢: ٣٦٠): «ولم يمتثل ما في المراسيم السلطانية من مسامحتهم»؛ وفي العيني (١٧/٢٩١١: ٧٤و): «أنا ما أعرف هذه، والسلطان يطالبني بالمال، وأنا ما أسكت ولا أقبل المراسيم».

على هذه الصيغة[١]، أنت تسامح والدواوين يسرقوا بحجة المسامحة، وأنا فقد جاهرت الأمراء بالعداوة، والرأي رأي السلطان». وما خرج من عنده حتى أتقن أمره، وشدّد السلطان عليه في أمر كل ما يتعلق بهم، وعرفه أن يفعل في مصلحته كل ما يختاره ومنه ومن الأمراء، وكان أجل من تكلم معه من
٧ ظ الأمراء في ذلك الأمير سيف الدين قوصون، وقال له: «يا // خوند، السلطان تصدّق عليّ المسامحة من سنتين[٢]، واليوم النشو قال: ما يسمع المسامحة، وطلب من ديواني حق القند» قال السلطان: يا أمير، أنا يروح مالي كله ومالك في المسامحة، ويأكلها الدواوين وما يحصل مصلحة لا لي ولا لك، إذا كان عليك حق للسلطان أرنه، وأنا أنعم عليك قدّه طريقين، ولا تفتح هذا الباب فما بقي تمكين أبداً». ورأى السلطان وجه قوصون قد قطّبه وبان فيه الغيظ، [و] قام السلطان أيضاً وهو منحرف، وبعدها تأدب الأمراء البقية، ولم يجسر أحد [أن] يتكلم في أمرها، [وعظم النشو بهذا في أعين الناس][٣].

وبعدها طلب [النشو] الشمس بن الأزرق[٤] ناظر[٥] الجهات، وكان من الظلم والعسف، ونهب مال التجار من أنحس ما يكون وأظلمهم نفس، واستعان به على أمور كثيرة من الرمي على التجار وتعيين من فيهم من المتمولين وأرباب السعادة وكتب له منهم جماعة، وكان قد سير طلب من الاسكندرية[٦]

---

(١) في العيني (٢٩١١/١٧ : ٧٤و): «الجهة».

(٢) في المصدر نفسه: «سنين».

(٣) الزيادة من المقريزي، السلوك ٢/٢: ٣٦١.

(٤) يفهم من المصدر نفسه (ص ٤٢٣) أنه توفي سنة ١٣٣٦/٧٣٧ - ١٣٣٧.

(٥) هو المتحدث في أمور خاصة بإباحة ضروراتها، وعمل مصالحها واستخراج متحصل جهاتها وصرفه على الوجه المعتبر، وما يجري مجرى ذلك.
القلقشندي ١١: ٢٥٢ - ٢٥٣.

(٦) كان فيها مركز مهم لصناعة الأقمشة والثياب (دار الطراز).
ASHTOR, Histoire des prix et des salaires, P. 340.

قماش سريري وغيره(١)، وصار يجمع الخلق ويرمي على التجار، والمقطّع(٢)
٨ و الذي يساوي ستين بثمانين درهم (٣)، ومن تكلم // منهم أقامه وأهانه، وصار السلطان ما يعرف كل يوم إلّا ذهب يحمل لـه لا يعلم له جمعه ولا من أين يحضره.

وفي تلك الأيام وصل الشمس غبريال من دمشق، وكان قد تحدث [النشو] مع السلطان في أمره وعرّفه أن مال كريم الدين(٤) جميعه عنده، وأن ولد كريم الدين(٥) ذكر أن والده له عند غبريال أربعين ألف دينار كانت بسبب له، يتجر له فيها، وعرفه أن سعادة غبريال ما لها انتهاء، وأنه ملك

---

(١) وهناك أنواع أخرى من القماش المعروفة في ذلك الحين منها: المسمّط والكنجي وغيرهما.

(٢) جمعه مُقطّعات، ويفهم من ابن منظور (لسان العرب ٨: ٢٨٢ - ٢٨٣) أن المقطع من الثياب هو كل ما يُفصَّل ويُخاط من قميص وجباب وسراويل وغيرها، وقيل المقطعات هي الثياب القصار.

(٣) قارن بالمقريزي ٢/٢: ٣٦١، وعن أسعار القماش في الديار المصرية في النصف الأول من القرن الرابع عشر، راجع: ASHTOR, Histoire, P. 340 et suiv., et ASHTOR: L'évolution des prix dans le Proche-Orient, JESHO, IV, P. 36, note 1. Repris dans Variorum 1978.

(٤) عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري، القاضي كريم الدين الكبير، أبو الفضائل، وكيل السلطان الناصر محمد بن قلاوون وناظر خاصه ومدبر دولته. وهو أول من باشر وظيفة ناظر الخاص ولم تكن تعرف من قبل، وهو نصراني الأصل أسلم في شيخوخته أيام سلطنة بيبرس الجاشيكر وكان كاتبه. قبض عليه هو وابنه عبد الله في ربيع الآخر سنة ١٣٢٣/٧٢٣ وصودرا، ومات بأسوان في ٢٣ شوال سنة ١٣/٧٢٤ تشرين الأول ١٣٢٤، وقيل أنه شنق بعمامته. تولى نظر الخاص بعده الصاحب أمين الدين بن الغنام.
ابن الدواداري ٩: ٣١٠، ٣١٥؛ ابن الوردي ٢: ٣٩١ - ٣٩٢، ٣٩٤؛ الصفدي، أعيان ٣: ١١١ظ - ١١٦و؛ ابن شاكر، فوات ٣: ٣٧٧ - ٣٨٣؛ المقريزي ٢/١: ٢٤٣ - ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٩؛ ابن حجر ٢: ٤٠١ - ٤٠٤.

(٥) عبد الله بن القاضي عبد الكريم الكبير، علم الدين، توفي ليلة الخميس ٩ رجب سنة ٢١/٧٣٩ كانون الثاني ١٣٣٩، ودفن بالقرافة.
المقريزي ٢/٢: ٤٧٠؛ ZETTERSTÉEN, op. cit., P. 201

دمشق وحكمها وله بها متاجرات وقراضات(١) وأملاك، وأنه مليء بالسعادة، وما زال به إلى أن رسم بمصادرته(٢) وحمله ما أخذه من مال ما أحضر إليه(٣)، وعرّفه أنه من جهته، وأنه معتباً به ويشدّ منه، وأنه ضمن عنه للسلطان كل شيء يختاره. وكان غبريال أيضاً قد أصلح جماعة من الأمراء الخاسكية(٤)، وسيّر إليهم قبل حضوره إلى مصر الهدايا والتحف، وسألوا أن يرفقوا في أمره مع السلطان، بحيث أنه لا يمكن من الاخراق[به] ولا يهان. فوقف الأمير سيف الدين بشتك(٥) والأمير سيف الدين قوصون(٦)، وعرّفوا السلطان //

٨ ظ «أن هذا الرجل كبير وله المال، وهو غلام السلطان من سنين»، وتوسطوا أن يكون يحمل من غير إهانة. فرسم له بذلك، وشرع في تحصيل ما يحمله كل

---

(١) مفردها مقارضة ومعناها المضاربة. ابن منظور ٧: ٢١٧.

(٢) الأصل: مصادته.

(٣) في المقريزي (٢/٢: ٣٦١): «وحمل ما أخذه في مباشرته من مال السلطان».

(٤) وترد برسم «الخاصكية»، وهم جماعة من المماليك السلطانية ممن دخلوا في خدمة السلطان صغاراً، يدخلون عليه بدون إذن ويلازمونه في خلواته، ويسوقون المحمل الشريف، ويتعينون لكوافل الكفال ويتوجهون في المهمات الشريفة، ويركبون لركوب السلطان ليلاً نهاراً، ويتميزون في مركوبهم وملبوسهم وحملهم لسيوفهم في الخدمة، وكانت عدتهم أيام الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً ما بين صاحب وظيفة ومن ليس له وظيفة.

ابن شاهين الظاهري، زبدة: ١١٥ - ١١٦. QUATREMÈRE, Histoire I, 2, P. 158, n. 3.

(٥) بشتاك الناصري، الأمير سيف الدين. أصله من بلاد أزبك، وكان من أكابر الأمراء في دولة الناصر محمد، عمر جامعاً وقصراً بالقاهرة. قبض عليه في المحرم سنة ٧٤٢ هـ وصودر وسجن بالاسكندرية، وتوفي مقتولاً في ربيع الآخر من نفس السنة/١٣٤١.

الشجاعي ١: ١٣٠ - ١٣١، ٢١٩؛ ابن حبيب، درة ٢: ٢٧٦و؛ المقريزي ٢/٣: ٥٦٢ - ٥٦٣، ٦١٤؛ ابن حجر ١: ٤٧٧ - ٤٧٩.

(٦) قوصون الساقي الناصري، الأمير سيف الدين (من بلاد أزبك). كان كزميله بشتاك من كبار الأمراء تزوج ابنة السلطان محمد. وهو صاحب الجامع الكبير بالقاهرة، والخانقاه المشهورة بباب القرافة. قبض عليه وحبس في سجن الاسكندرية بعد أن صودر، ومات في سجنه سنة ٧٤٢/١٣٤١ - ١٣٤٢.

ابن خلدون ٥/٤: ٩٥١ - ٩٥٢؛ المقريزي ٢/٣: ٦١٥؛ ابن حجر ٣: ٢٥٧ - ٢٥٨.

يوم[1]. ورأت جماعة من الكتّاب المناحيس حال النشو مع السلطان وتقود كلمته، تقربت إليه جماعة منهم، وفتحوا له أبواب كثيرة تتعلق بالدواوين ومباشرين السلطان وجماعة من دواوين الأمراء، وعرّفه السلطان أن له غرض في الجوار[ي] المولّدات وأنه يحصلهم من أي جهة كانت، فكتب إلى مباشرين الوجه القبلي، وعرّفهم المقصود، وما بقي أحد من المباشرين والتجار في الوجه القبلي إلى أن يقرب بخاطر النشو بكل ما يقدر عليه، حتى حملت له البنات الأبكار والحواري الحسان حتى النساء المنهالة وقصدته الفضولية من بلاد قبلي، وصاروا يعرّفوه كل من عنده بنت أو جارية أو زوجة مليحة أن يقصد، وإن يأذوا أحد يعرّفوه أن فلان عنده كيت وكيت، ويذكر أيضاً عنده من له مالية أو سعادة أو من له زراعات وانعام وغيره، فكانت جماعة كثيرة تنال مقاصدها وأغراضها فيمن يقصدوا إيذاءه //.

٩ و وفي تلك الأيام اتفق بين شهاب الدين[2] ابن القاضي محيي الدين كاتب السر وبين [صلاح الدين][3] الدويدار مفاوضة وكلام أوجب الشنآن بينهم، وكان شهاب الدين [أحمد] رجل حاد المزاج قوي النفس، ورأى من صلاح الدين الدويدار تكبر عليه وحمق، وقصد [صلاح الدين] أن يسلك معه ما أسلكه مع شرف الدين بن الشهاب محمود من الكبر والحكم[4]، فلم يتفق له ذلك. وكان محيي الدين يقوم على ولده [شهاب الدين] في بعض

(١) ويذكر المقريزي (٢/٢. ٣٦١) أن ما حمله غبريال قد بلغ «ألف ألف درهم».

(٢) أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، القاضي شهاب الدين، كاتب سر ومؤرخ ذاع صيته هو وعائلته في النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري وخاصة أيام الناصر محمد ابن قلاوون. ولد بدمشق في ٣ شوال سنة ١١/٧٠٠ حزيران ١٣٠١ وتوفي بدمشق في ٩ ذي الحجة سنة ٢٨/٧٤٩ شباط ١٣٤٩. وهو صاحب موسوعة «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، و «التعريف بالمصطلح الشريف».

SALIBI, art. «Ibn Faḍl Allāh al-ʿumari», EI², III, P. 781b 782a.

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٢، الحاشية رقم ٤.

(٤) راجع ما ورد في الصفحتين ١٢٢ ـ ١٢٣.

الأوقات الذي [كان] يشكي له فيها من صلاح الدين، فكان يسكن أمره، ويعرّفه أن يطوّل روحه. وبقي ذلك أيام إلى أن اتفق أن السلطان طلب ابن هلال الدولة، وطلب صلاح الدين الدويدار، وشرع يتحدث معهم في أمر أوجب ذكر القاضي فخر الدين ناظر الجيش[1]، وقال في آخر كلامه: «رحمه الله». حكى لي ابن هلال الدولة أنه لما انتهى قول السلطان: «رحمه الله»، قال صلاح الدين: «[يا خوند][2] لا تترحم على ذاك، فإنه ما كان مسلم»، وأن السلطان التفت إليه بحرج، وقال: «والله يا صلاح الدين، هو ذاته كان يقول عنك أنك ما أنت مسلم»، وقطب السلطان وجهه بعدها وتولى عنه،
٩ ظ وأنه يأتي // يوم عرض بذكره لابن هلال الدولة، وقال: «سمعت يا فلان قول صلاح الدين عن القاضي فخر الدين؟»، وأنه قال له: «يا خوند، قد جاوبه السلطان جواب يكفيه»، وقال [السلطان]: «لا، هذا رجل لا يتحدث في أحدٍ بخير»، وتلوّح بعدها لشهاب الدين ووالده انحياشه عند السلطان، فسعوا عليه سعي أمكن حرج السلطان عليه، ورسم بخروجه من مصر على البريد إلى صفد[3]، وأخلع على سيف الدين بُغَا[4] الدويدار الصغير [عوضه][5]، ومشى في الديدارية مشي رجل عاقل وتأدب مع محيي الدين [بن فضل الله][6] الأدب البالغ، واستمر كل منهم بوظيفته.

---

(١) راجع الصفحة ١٢٣، الحاشية رقم ٣.

(٢) زيادة اقتضاها السياق، وخوند لفظ فارسي عرفته كذلك اللغة التركية، وأصله «خُداوَنْد»، ومعناه السيد أو الأمير، ويخاطب به الذكور والاناث من السلاطين وزوجاتهم. أدي شير، الألفاظ: ٥٨؛ حسن باشا، الألقاب: ٢٨٠ - ٢٨١؛ DOZY, Suppl. II, P. 414.

(٣) كان خروج صلاح الدين الدوادار منفياً إلى صفد في سلخ شوال من نفس السنة. الصفدي، الوافي ١٠: ١٧٥؛ المقريزي ٢/٢: ٣٦١.

(٤) الأمير سيف الدين بغا الناصري، سترد ترجمته في وفيات سنة ٧٣٧.

(٥) ما بين المعقفين من المقريزي.

(٦) زيادة اقتضاها السياق.

ذكر المتوفين فيها

وتقدّم ذكر وفاة القاضي قطب الدين ابن شيخ السلامية[١]، كاتب[٢] جيش الشام، وكان رجل ساد في دمشق، ومشى مشي شكر عليه في وظيفته، وله مكارم وحسنات كثيرة وحاشية وأهل، وكان فيه انطباع ومداعبة، وميل لأرباب البيوت. وتوفي عن سعادة طايلة ـ تغمده الله برحمته.

وتوفي أيضاً الأمير شمس الدين سنقر المرزوقي. كان من الأمراء الناصرية و[أمير خمسين فارس][٣]، وكان هذا الرجل من جملة من ركب من
١٠ و مصر وهو // مملوك مع جملة من ركب مع أفغية القفجاقي[٤] المقدم ذكره، لما خرجوا من مصر نحو الكرك، وحضروا مع السلطان، وأمر بجملة الأمراء، وكان من المشهورين بين مماليك السلطان بالفروسية. وكان رجل شغوف باللهو والطيبة وانهماك على الشراب حتى لا يكاد يفارقه ساعة واحدة، ورأى أوقات طيبة. وبقي بذلك اللهو إلى أن حصل له المرض الذي توفي فيه مستهل شهر رمضان، فأقلع عما كان في نفسه من اللهو، وعقد مع الله التوبة الحسنة، وتوفي في العشر الآخر من شهر رمضان[٥] المعظم ـ تغمده الله برحمته ـ.

وأيضاً توفي فيها القاضي بدر الدين بن جماعة[٦]، وقد تقدم ذكر ترجمته

(١) موسى بن أحمد شيخ السلامية، القاضي قطب الدين. ذكرت بعض المصادر ترجمته في وفيات سنة ٧٣٢. انظر ترجمته في.
ابن الوردي ٢ :٤٢٦؛ الذهبي، ذيول العبر: ١٧٦؛ المقريزي ٢/٢ :٣٦٣؛ ابن حجر ٤ :٤٧٢؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩ :٢٩٨.

(٢) يقصد: «ناظر».

(٣) الزيادة من الجزري: ٣٢٥.

(٤) نسبة إلى القفجاق أو القبجاق، أحد شعوب الأتراك. للمزيد يمكن مراجعة:
HAZAI: art «Ḳipčaḳ», EI², V, P. 128a-129a.

(٥) كذا في العيني ٢٩١١/١٧ :٧٦و؛ وفي الجزري: ٣٢٥ والمقريزي ٢/٢ :٣٦٣: «يوم الأربعاء ثامن عشر رمضان».

(٦) محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين، أبو عبد الله، =

في مبدئه، والسبب لمنشئه الأمير علم الدين الدويداري الصالحي، وكان يجتمع به في دمشق ويرى علمه وعمله، فكان يقرّ به ويشكر منه عند الحكام وغيرهم. وولي بدمشق مدارس كثيرة[1]، ثم تنقل إلى خطابة القدس الشريف، وولي القضاء بدمشق والخطابة، ولما حضر الدويداري إلى مصر
١٠ ظ عني به، وأرسل أحضروه من دمشق وولي القضاء وبقي مدة ينقل // من قضاء الشام إلى قضاء مصر، وربما وليها ثلاث دفوع[2]، وأضرّ في آخر ولايته، وبقي إلى أن توفي وكان من القضاة المصممين المكثرين الحرمة، وكانت له في ولايته سعادة طايلة وأحكام خالية من الشعوب، ولم يعرف له أنه عدل أحد من الشهود إلّا قليل جداً. وكان يصمم في أمور كثيرة على السلطان، ويعسر عليه أمرها، ويحرج السلطان بسببها، ويصمم عليها، وقد ذكرنا أمره ما اتفق مع السلطان بسبب قيسارية جاركس[3]، وأنه يحلها من مشترى الجوكندار[4] فأبى ذلك، وكان فيه قعدد وسؤدد وحشمة، وقد ذكرنا

= قاضي القضاة. توفي ليلة الاثنين ٢١ جمادى الأولى سنة ٧/٧٣٣ شباط ١٣٣٣ بداره بمصر على النيل ودفن بالقرافة. مولده بحماة في رابع شهر ربيع الأول سنة ٦٣٩. صنّف في علوم التفسير والحديث والفقه والأصول والنحو وغير ذلك. راجع ترجمته في:
الجزري: ٣١٠ وما بعدها؛ الذهبي، ذيول العبر: ١٧٨؛ ابن الوردي٢: ٤٢٨ ـ ٤٢٩؛ الصفدي، نكت الهميان: ٢٣٥ والوافي ٢: ١٨ ـ ٢٠، ابن شاكر، فوات ٣: ٢٩٧ ـ ٢٩٨؛ الاسنوي ١: ٣٨٦ ـ ٣٨٧؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٣٦؛ والمقريزي ٢/٢: ٣٦٣؛ العيني ١٧/٢٩١١: ٧٥و؛ ابن حجر ٣: ٢٨٠ ـ ٢٨٣؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٢٩٨ ـ ٢٩٩؛ ابن طولون، الثغر البسام: ٨٠ ـ ٨١.

(١) أبرزها المدرسة القيمرية التي أنشأها الأمير ناصر الدين الحسين بن عزيز القيمري.
راجع المصادر المذكورة سابقاً وابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٢٠٧.

(٢) قارن بابن حجر ٣: ٢٨٠ ـ ٢٨١.

(٣) ويرد أيضاً جهاركس بكسر الجيم وفتحها، وهو لفظ أعجمي معناه بالعربية أربعة أنفس. وجهاركس (جاركس) هو أبو المنصور جهاركس بن عبد الله الناصري الصلاحي الملقب فخر الدين، بنى بالقاهرة القيسارية الكبرى المنسوبة إليه سنة ٥٩٢/١١٩٦. توفي بدمشق سنة ٦٠٨/١٢١١، ودفن في جبل الصالحية.
المقريزي، الخطط ٢: ٨٧ ـ ٨٩.

(٤) بكتمر الجوكندار، الامير سيف الدين، نائب السلطنة أيام الناصر محمد بن قلاوون، عزل عن=

أن كثير من الشعراء قصده بالمديح وقصدوه بالهجاء المفرط، ويدخلوا إليه ويتعارض عنهم، ومن جملتهم الشرماحي[1] وغيره - تغمده الله برحمته -.

ذكر توفي بكتمر وولده

وقد تقدم في أننا مقلدين ما ينقله الناقل، ونسمعه منه ونقتفي أثر صحبه، وحكم تواتر الأخبار برؤيته، ولما اتفق توفي هذا الرجل وولده، كان له أسباب تناسب صحة ما نقلوه لنا ممن اطلع على حقيقة أمره؛ والسبب
١ و لذلك مع تقارب // الأجل وامضاء المقدور، وذكرنا أن السلطان لما توسط الطريق وبلغوه أن [الأمير سيف الدين] بكتمر الساقي عمّال عليه، واتفق مع ذلك أنه أظهر تعثر في جسده، وأنه قصد الرجوع فما مكنوه، وقبحوا ذلك عليه من أسباب. ولما وصل إلى العقبة[2] حصل لولده أنك[3] ضعف،

= وظيفته سنة ١٣١١/٧١١، وتوفي بالكرك سنة ١٣١٧/٧١٦. ابن الدواداري ٩: ٢١٠ - ٢١١؛ الصفدي، الوافي ١٠: ١٩٨ - ١٩٩؛ ابن حجر ١: ٤٨٤ - ٤٨٦.

(١) كذا؛ وصوابه الشرمساحي (الشار مساحي)، وهو أحمد بن عبد الدايم بن يوسف الكناني الشرمساحي، شهاب الدين، أبو يوسف. مولده بشارمساح (بلدة من أعمال الدقهلية قريبة من دمياط) سنة ١٢٦٥/٦٦٣، كان شاعراً مشهوراً مولعاً بالهجاء، هجا القاضي بدر الدين بن جماعة بقصيدة مشهورة مطلعها:

متى يسمع السلطان شكوى المدارس وأوقافها ما بين عاف ودارس

توفي في حدود سنة ١٣٢٠/٧٢٠.

الصفدي، الوافي ٧: ٣٦ - ٣٧؛ ابن شاكر، فوات ١: ٨٢ - ٨٣؛ ابن حجر ١: ١٦١ - ١٦٥؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٩ - ١٠.

(٢) عرّفه ياقوت (٤: ١٣٤ - ١٣٥) بأنه منزل في طريق مكة بعد واقصة وقبل القاع لمن يريد مكة. انظر أيضاً:

الحميري، كتاب الروض المعطار: ٤١٧ - ٤١٨؛ حمد الجاسر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ٣/٣: ٩٢٢.

(٣) توفي في أحد الربيعين سنة ٧٤١/ أيلول - تشرين الأول ١٣٤٠ بعد مرض طويل. كان قد زوجه والده بابنة بكتمر الساقي وهو في العاشرة من عمره.

ابن الوردي ٢: ٤٦٨؛ الشجاعي ١: ١٢٠؛ الصفدي، الوافي ٩: ٤٣١ - ٤٣٣؛
المقريزي ٢/٢: ٥١٣؛ ابن حجر ١: ٤١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١٦٠؛

وحضر الأمير سيف الدين ملكتمر السرجواني(١) نايب الكرك من الكرك وصحبته أولاد السلطان أبو بكر(٢) وأحمد(٣)، ومنع السلطان أنك ووالدته(٤) من الحج بسبب ضعفه، وسيرهم إلى الكرك، واستقل بركابه إلى أن وصل إلى خليص(٥)، ونزل بها، فحضر أحد مقدمين المماليك، وعرّف السلطان أن جماعة من المماليك نحو ثلاثين مملوك افتقدوهم عند الرحيل، فلم يعلموا لهم خبر وسألوا البابية(٦) عنهم، فذكروا

= ابن اياس ١/١ : ٤٧٧؛ ZETTERSTÉEN, op.cit., P. 212, 315

(١) هو أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون، توفي بالقاهرة في مستهل المحرم سنة ٧٤٧/٢٤ نيسان ١٣٤٦.

المقريزي ٢/٣ : ٧٢٣؛ ابن حجر ٤ : ٣٥٩.

(٢) هو أول من تسلطن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون، وكان ذلك يوم الخميس ٢١ ذي الحجة سنة ٧٤١/٧ حزيران ١٣٤١، ولقب بالملك المنصور، ثم خلع ونفي إلى قوص حيث قتل بها الأحد ٢٠ صفر سنة ٧٤٢/٥ آب ١٣٤١، وحل مكانه أخوه كجك ولقب بالملك الأشرف.

الصفدي، الوافي ١٠ : ٢٥٠ - ٢٥٢؛ المقريزي ٢/٣ : ٥٥١، ٥٧٠ - ٥٧١؛ ابن حجر ١ : ٤٦٢ - ٤٦٤؛ العيني ٢٦ : ٦٨ - ٦٩.

(٣) هو ثالث من تسلطن من أولاد الناصر محمد بن قلاوون، ولقب بالناصر شهاب الدين، ولي السلطنة بعد أخيه الأشرف كجك ثم خلع في المحرم سنة ٧٤٣/١٣٤٢ وخرج إلى الكرك وبقي فيها حتى قتل بأمر من أخيه السلطان الملك الصالح إسماعيل في ٤ ربيع الأول سنة ٧٤٥/١٦ تموز ١٣٤٤.

الصفدي، الوافي ٨ : ٨٦ - ٩٠؛ المقريزي ٢/٣ : ٦٦١ - ٦٦٢؛ ابن حجر ١ : ٢٩٤ - ٢٩٦؛ العيني ٢٦ : ٧٦ - ٧٧.

(٤) وتدعى الخوندة طغاي، أكبر أزواج الناصر محمد بن قلاوون، توفيت في شوال سنة ٧٤٩/١٣٤٩ في طاعون مصر.

الصفدي، الوافي ١٦ : ٤٤٧ - ٤٤٨؛ المقريزي ٢/٣ : ٧٩٤؛ ابن حجر ٢ : ٢٢١؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٠ : ٢٣٨؛ ابن اياس ١/١ : ٥٢٣.

(٥) حصن بين مكة والمدينة.

ياقوت ٢ : ٣٨٧؛ ابن بطوطة: ١٢٩، ١٧٣.

(٦) لقب عام لجميع رجال الطشت خاناه القائمين بغسل الملابس وصقلها.

القلقشندي ٥ : ٤٧٠؛ حسن باشا، الألقاب: ٢٢٠.

أنهم لما ضربوا الكوسات[1] ركبوا على عاص[2]، فطلب صاحب خليص
وعرّفه الحال، فذكر أنه أخبره بعض أصحابه، رأى جماعة كبيرة وقد طلبوا
الطريق الذي تسلك إلى العراق، وحسبوا أن السلطان قد سيّرهم في مهم.
١ ظ فحصل عند السلطان // وهم عظيم ووجس في نفسه أن العمل عليه من
بكتمر، وإن جال حال إلى فساد أمره، وكان فيه من المكر والدهاء[3] ما لا
قدر عليه ملك غيره، فأخذ يدبّر أمره ويلاطف بكتمر حتى أنه ما يتمكن
بكتمر أن يبصر زوجته ولا أهله إلا أن ركب فهو إلى جانبه، وعند النزول
جالس هو وإياه، وتصديق ذلك أن الأمير ناصر الدين بن جنكلي أخبرني أن
والده[4] سيّره إلى بكتمر الساقي في شغل يختص بوالده، وأقام نحو العشرة
أيام يتردد إلى مخيمه ما يجده في مجلسه، وأنه وجده يوم وقد خرج من عند
السلطان فتلقاه في الطريق وسلّم عليه، وشرع يريد يتحدث معه، وقال:
«يا ناصر الدين، اصبر حتى أقضي شغل واسمع حديثك»، وأنه بمقدار ما
دخل مخيمه وقضى حاجته وخرج يريد يجلس إلا وجمدار[5] خلف جمدار
يطلبوه للسلطان، وأحضروا له وضوء يتوضأ، وما فرغ وضوءه إلا وقد تكمل

---

(١) مفردها كوسة، وهي الصنوج المصنوعة من النحاس شبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع ويتولى ذلك الكوسي.
القلقشندي ٤: ٩، ١٣؛ ابن شاهين الظاهري: ١١٣.

(٢) وادٍ بين مكة والمدينة.
الحميري: ٤٠٥.

(٣) أجمعت المصادر التي تحت أيدينا على إظهار هذه الناحية من شخصية الناصر محمد بن قلاوون.

(٠) جنكلي بن البابا، الأمير الكبير بدر الدين. توفي بالقاهرة في ١٧ ذي الحجة ٧٤٦/١٠ نيسان ١٣٤٦.
الذهبي، ذيول: ٢٥٣؛ الصفدي، الوافي ١١: ١٩٩ - ٢٠٠؛ المقريزي ٢/٣: ٦٩٨ - ٦٩٩؛ ابن حجر ١: ٥٣٩ - ٥٤٠.

(٥) كلمة فارسية مؤلفة من لفظتين: جاما ودار، معناهما ممسك الثوب، أي أن الجمدار هو الذي يتصدى لالباس السلطان أو الأمير ثيابه ويحمل خلفه البقجة في الموكب.
ابن شداد، تاريخ: ٢٤٣؛ القلقشندي ٥: ٤٥٩.

اثنا عشر جمدار يطلبوه ويستعجلوه للسلطان، فقام وهو يمسح وجهه ويسمع حديثي وهو ماشي غايب عن عقله، ويقول: «اللهم، ريّحني بالموت حتى
١٢ و أستريح من هذا الذي أنا فيه.// ولم أبلغ من الحديث معه مقصود إلى أن قال لي: «يا ناصر الدين، والله ما أعرف إيش قلت لي خلّي حديثك، لعل اجتمع بك في الطريق»، وبقيا كذلك إلى أن دخلوا مكة ـ شرفها الله تعالى ـ.

واتفق مع الشريف رميثة[1] أنه لا ينزل في داخل مكة فنزل بابار الزاهر[2]، وعرّف [السلطان] الشريف رميثه أمر المماليك، فعرّفه أنه لم يكن عنده خبر، وكان قد وجد من أمرهم في نفسه شيء كثير، والأمراء تسليه عن أمرهم، وتهوّن عليه، ويعرّفونه أن هؤلاء ما يصلوا إلى بلادهم، وأن العرب تأخذهم في الطرقات ويقولوا: «وإذا وصلوا إيش هم، وايش مقدارهم عند السلطان؟»، وبقي إلى أن وقف على الجبل[3]، واستكمل مناسك الحج، ورحل طالب المدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ ويوم نزوله بها هبّت تلك الليلة رياح عاصفة إلى أن أزعجت السلطان والأمراء، وقلعت الخيم، وأظلم الجو، واتفقت قضيتين كان أمر الناس فيهم مختلف؛ والسبب لذلك أن بكتمر كان ينام مع السلطان، وأن السلطان لما وقع ازعاج الريح
١٢ ظ وقع الصوت // في الخيم وأزعج الناس، واختبط الأمر وصار كل أحد يهجم على غير خيمته ولا يعرف، واجتمعت جماعة من الأمراء والمماليك حول الدهليز[4]. ورأى السلطان ذلك الأمر، فوحش في نفسه الهجوم عليه، ووقع في خاطره على ما حكاه الأمراء أن العمل تلك الليلة كان عليه، ووصل أيضاً

---

(١) رميثة بن أبي نمي محمد بن قتادة الحسني، أسد الدين، شريف مكة. توفي بها سنة ٧٤٦/١٣٤٦، وقيل سنة ٧٤٨/١٣٤٧.

المقريزي ٢/٣: ٦٩٩؛ ابن حجر ٢: ١١١ ـ ١١٢؛ ابن العماد ٦: ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) ويقال: «بابار آل الزاهر»، موضع في العرضية الشمالية بمنطقة إمارة مكة المكرمة.

الجاسر، معجم ١: ٥٣٥.

(٣) يقصد جبل عرفة.

(٤) وهي الخيمة التي ترافق السلطان في الحرب. DOZY, Suppl. I, P. 467

خبر ذلك الازعاج إلى بكتمر أنهم قد هجموا جماعة كبيرة على ولده وقصدوا قتله، فخرج وهو مجنون. وذكروا أن السبب في هجوم المماليك على ولد بكتمر كان من السلطان، وأنه أرصد جماعة لقتله، ولما وقع ذلك الريح، ورأى الهرج، سيّر الجماعة الذي قرر معهم قتله في ذلك الوقت، وأنهم هجموا عليه فوجدوه مستيقظ[1] على نفسه ومماليكه ومماليك أبوه حوله وقوف بسبب هول ذلك الريح. ولما هجموا تلقوهم وسألوا عن خبرهم، فعرّفوهم أنهم رأوا بعض الحرامية، وقد أخذ لهم قماش[2]، وهم في أثره، وخرجوا من عندهم، فوجد الصبي في نفسه رجفة عظيمة إلى أن سقط إلى الأرض.

وفي تلك الساعة وصل والده إليه، فوجده مغشياً عليه من الرجفة، وسأل عن الخبر، فقالوا: «ما هو إلا // خير»، وعرّفوه صورة الاتفاق، ١ و
فضرب يد على يد [وقال]: «والله ما بقي خير في سبيل الله تعالى». وبقيت الناس في شدة إلى أن انكشف الضوء وسكن الريح، وركبت ساير الأمراء، ووقفوا على باب الدهليز، وكل أحد منهم ومماليكه معتد ومترقب أمر يخشاه، وكان السلطان قد لوّح لبعضهم بشيء من أمر الخشية على نفسه، وعلم السلطان بركوب الأمراء، فرسم بدخولهم إليه، وسألوا عن السلطان في تلك الليلة، وسأل هو أيضاً عنهم، وما منهم إلا من ذكر السلطان ما وجده من القلق عليه، وقال له الأمير ركن الدين الأحمدي[3]، أمير جندار[4]: «يا خوند، مثلك في هذه الطريق لا يتهاون في نفسه، ونحن نقصد تعطينا

---

(١) الأصل: مستيقض.

(٢) في المقريزي (٢/٢: ٣٦٤): «وقد أخذوا لهم متاعاً».

(٣) بيبرس الأحمدي، الأمير ركن الدين، أحد المماليك المنصورية البرجية. ولي عدة بمناصب رفيعة كنيابة طرابلس. توفي يوم الثلاثاء ٢٣ المحرم سنة ٧٤٦/٢٩ أيار ١٣٤٥.
الصفدي، الوافي ١٠: ٣٥٣ - ٣٥٥؛ المقريزي ٢/٣: ٦٩٨؛ ابن حجر ١: ٥٠٢.

(٤) ويرد بصورة «أمير جاندار»، وهو لقب فارسي معناه الأمير الممسك لروح السلطان أو الأمير، لا يأذن بالدخول عليه إلاّ لمن يأمن عاقبته، ولهذا الأمير مهام أخرى كتقديم البريد للسلطان أو الأمير وتسلم الزردخاناه... القلقشندي ٥: ٤٦١؛ المقريزي، الخطط ٢: ٢٢٢.

دستور أن يكون كلنا ينام على باب دهليزك بمماليكنـا»، ووافقته أيضـاً الأمراء على قوله، وكان ذلك أجل مقصود السلطان(١).

وبـاكر ذلـك اليوم حضـر جماز بن [منصـور الحسيني](٢) إلى بين يـدي السلطان، وأخبره أنه ظفر بالمماليك الذي كانوا قد هربوا من السلطان، وأنـه حصّل الجميع(٣).

ذكر السبب لوقوع المماليك وهروبهم

١٣ ظ وكان السبب لوقـوعهم أنه كـان فيهم // جماعـة من القازانيـة(٤) ومن مماليك ابن جوبان(٥)، وكان السلطان قد اختارهم لنفسه، ووقع الاتفاق مـع

---

(١) قارن بالمقريزي ٢/٢: ٣٦٥.

(٢) بيـاض في الأصل بمعـدل كلمتين، ومـا أضيف بعد مـراجعة ابن حجـر ١: ٥٣٨، ٤: ٣٦٢؛ السخاوي، الضوء اللامع ٣: ٧٨.

(٣) أثبت العيني بـالحرف هـذه الروايـة وما يليهـا من اخبار وقـوع المماليـك وهروبهم وظفـر جمـاز الحسيني بالقبض عليهم.
العيني ٢٩١١/١٧: ٧٨ظ - ٧٩ظ.

(٤) يقصد مماليك السلطان قازان (غـازان) محمود بن أرغـون بن أبغا بن هـولاكو المغـولي (٦٩٤ - ١٢٩٥/٧٠٣ - ١٣٠٤). عرف عنه أنه قد أغار على بلاد الشام مرتين ثم تركها بعد أن أعاث فيها دماراً وخراباً؛ الأولى سنة ٦٩٩/١٣٠٠ (معركة وادي الخزندار التي انتصر فيها) والثانيـة سنة ٧٠٢/١٣٠٢ (معركة شقحب والتي انتهت بهزيمته وخروجه من بلاد الشام).
BARTHOLD-[BOYLE], art.«Ghāzān», EI², II, P. 1067a - 1068a; SPULER, art. «Ilkhān», EI², III, P. 1148b - 1151b; ZAMBAUR, Manuel..., P. 244-245; LANE-POOLE, A History of Egypt, P. 296-301.

(٥) ويدعى دمرداش (تمرتاش أيضاً)، كان في حياة أبيه صاحباً لبلاد الروم، ثم هـرب عند مـوت أبيه إلى الديـار المصريـة، فأكـرمه السلطان، ثم مـا لبث أن أمسكه وقتله ٧٢٨/١٣٢٨. أمـا والده جوبـان فقد كـان مدبـراً لمملكة السلطان أبي سعيـد التتري، قتـل سنة ٧٢٧/١٣٢٧، وقيل غير ذلك.
أبو الفداء، المختصر ٤: ٩٦، ٩٨ - ٩٩؛ ابن فضل الله، مسالك الأبصار (ممالك بيت جنكـز خان): ١٠٢ - ١٠٣؛ ابن خلدون ٥/٤: ٩٣٤ - ٩٣٥؛ ابن حجر ١: ٥١٨، ٥٤١ - ٥٤٢؛
WIET, Les biographies du Manhal Safi, P. 429b.

بعضهم بعض أنهم يدخلوا البلاد[١] ويتوصلوا إلى أبو سعيد[٢] ويناصحوه، ويكون كل منهم عند أهله، وعرّفهم الذي أفسد حالهم وأخرجهم عن الطريق أن له عند أبو سعيد محل كبير ورتبة، وأنه من أقاربه وممن يرجع إليه في القول، وأنه يأخذ لكل منهم أمره ويكبره، وأسعدهم وأغناهم بالقول إلى أن اجتمعت نحو ثلاثين نفر ووافوه، وطلبوا بعض العرب من خليص وأعطوه ذهب، وأوعده أيضاً مواعيد كثيرة، وأنه يدلهم على الطريق ويوصلهم إلى العراق، وأجمعوا أمرهم إلى أن أخذوا ساير ما كان معهم من الدراهم والذهب وأخذ أيضاً لمن قدر عليه من مال خشداشيتهم[٣] ورفقتهم.

ولما دقت الكوسات لركوب السلطان ركبوا، وقد اعتدوا وسافر الدليل بهم أربع أيام والخامس، واتفق، مع ارادة الله تعالى أن جماز المذكور، كما قدمنا ذكره، أنه كان هارب من السلطان بما اتفق له مع أعمامه وغيرهم في
و المدينة //، وأن السلطان طلبه طلب خبيث، وخشي على نفسه، وبقي في البر إلى أن علم بخبر السلطان وسفره الحجاز، ودخل إلى البر، وأخفى نفسه، ونزل على بعض المياه، وأقام بها، ولم يشعر إلا وقد أخبروه برؤية القوم من بعيد، وأنهم قاصدين إليه، فركب من وقته خشية على نفسه من الطلب، ووجس في نفسه أن السلطان سيّر إليه من يقبض عليه، فركب هو وجماعة من أهله، وخلا بيوته وانتزح. وبعد قليل وصلوا المماليك، وكانوا قد وجدوا في طريقهم قلة الماء وعطشوا عطش كثير، والدليل يعرّفهم أن الماء بين أيديهم إلى أن وصلوا فوجدوا الماء الكثير وبيوت جماز مضروبة، وتلقاهم بعض العرب المقيمين ورحّب بهم، وسألوه: «لمن هذا البيوت؟»، عرّفوهم

(١) المقصود بلاد العراق حيث مملكة أبي سعيد.

(٢) سيذكره المؤرخ في وفيات ٧٣٦.

(٣) مفرده خشداش، وهو معرب اللفظ الفارسي خواجاتاش، أي الزميل في الخدمة، والخشداشيه، كمصطلح استعمل في العصر المملوكي، هم الأمراء الذين نشأوا مماليك عند سيد واحد، فقامت بينهم رابطة الزمالة القديمة.
QUATREMÈRE, Histoire, I, 1, P. 43, n. 61.

أنهم أهل جماز وأنه تركهم في هذه الأرض، ولم يعلموا لـه مستقر، فنـزلوا ولم يسـألوا عن شيء ورأوا العـرب حالهم، فـأنكروه، وخلوا بـالـدليـل عـرّفهم حـالهم، وأنهم هاربـين، وأنه عمـل عليهم، وأوصلهم إلى جماز، وأنـه راجع عنهم، فركبوا إلى جماز وأخبروه، ففـرح وقال لأصحـابه: «بهؤلاء يكـون //
١٤ ظ تـوصّلي إلى السلطان». وركب من وقتـه إلى أن وصل إليهم، وتـرجّـل وسلّم عليهم، فأقبلوا عليه، وسلّموا وقد اعتدوا لحربه وتأهبوا، وقالوا في نفوسهم: «ربما يصل إلينا من جهته سوء»، وسير طلب الأغنام، وذبح وعمـل لهم شيء كثير، وتحدث معهم وعـرّفهم أنه عـاصي على السلطان، وأنـه يقصد يـدخل معهم العراق ليكون عند أبو سعيد، وأخذ يحـدّثهم بما فـي نفـوسهم إلى أن وثقوا به، وضمنوا له كل خير، وفـارقهم على ذلـك. وضرب رأي مـع قومـه وعلموا أن هؤلاء لا يقدر عليهم إلا بالحيلة، فإنهم رأوهم مستيقظين على أنفسهم وثلاثين قوس ما يمكن أحد من العرب أن يقابلها، وشرعوا في تجهيـز أمرهـم، وضم جمـالهم أنهم راحلين صحبتهم باكـر النهار. وفي الليـل اجتمعـوا عليهم وداروا حـولهم، وقد نـام بعضهم، ولم يكن لهم شغل غـير القسي الـذي لهم أخـذوها، واكتفـوا أمرهـا، وما لحق أحـد منهم أن يصل إليهـا، ومـا أصبـح الصبّح إلا وقد قبضوا على الجميـع قبض باليـد وقيدوهم. وركب جمـاز حيث
١٥ و علم بوصول السلطان المدينة // ودخل عليه وعرّفه أنـه ما جسـر يحضر إليـه حتى حصّل المماليك، وأراد بهذا زوال ما في نفس السلطان منه، فأقبل عليـه السلطان عليه، وسيّر أحضرهـم إليه، فلم يقبـل لأحد منهم عـذر، ولم يسمع لهم أمر إلا أنه رسم بتسفيـر جماعـة منهم إلى الكرك، وكتب بـاتلافهم وذلـك فعل بالبقية مفرقين[1]، وركب من المدينة إلى أن وصل إلى بير علي[2] وبكتمر الساقي إلى جانبه راكب، فأخبرني الناقل أنه قال لبكتمر: «يـا أمير، عـطشت

---

(١) في المقريزي (٢/٢: ٣٥٦): «وبعث السلطان بالمماليك إلى الكرك، وكان آخر العهد بهم».
(٢) وهو بئر الامام علي بن أبي طالب على مسافة يوم من مكة المكرمة.
الخزرجي، العقود اللؤلؤية ٢: ٧٠ ـ ٧١.

معك ما بارد»، قال له: «نعم»، وأشار إلى الساقي أمير مجلس(١) الذي له كان يعرف بأحمد(٢)، فقال: «هات للسلطان ماء بارد»، وأنه أحضر بيده كوز، ولما ناوله السلطان أشار له بالغمز يفهمه أن لا يشرب، وأن السلطان فهم، وأخذ الكوز وقال لبكتمر: «يا أمير، أنا البارد يضرني، وهذا يصلح لأحمد كونه ماء بارد»، وأشار لولده وناوله الكوز من يده لولد بكتمر، فأخذه وشرب منه، وبقي إلى الليل، فوجد في نفسه الألم. ونقلت جماعة غير هذا(٣)، وأنه // تحيل عليه وأسقاه شيء في وادي الصفرا(٤) قبل وصوله إلى المدينة، ، ووقع للصبي في المدينة من أمر الريح ما وقع، وهجوم المماليك عليه، فوجد رجفة عظيمة في جسده، مع ما كان فيه، وأثر ذلك، ولما تشوش تشوش والدته. وبقي السلطان كل يوم يراه دفعتين، وأوصى الحكيم صلاح الدين(٥) أن يكون في خدمته، ووالدته أيضاً لا يمكن ركوبها إلى أن ترى العربة الذي له وهو راكب فيها. وبقي ذلك إلى أن وصلوا رأس وادي عنتر(٦)، حضر إليه الحكيم وأخبره أن حاله حال آل إلى الفساد، وربما لا

(١) هو رئيس ديوان التشريفات والمسؤول عن حراسة مجلس قعود السلطان (أو الأمير) وفرشه. . . ثم أسند إليه أيضاً أمر التحدث على الأطباء والجراحين.

AYALON, art. «Amīr Madjlis», EI², I, P. 457b-458a.

(٢) توفي في أول المحرم سنة ٧٥٤/٦ شباط ١٣٥٣. المقريزي ٢/٣: ٩٠٤ - ٩٠٥.

(٣) قارن بالمصدر نفسه ٢/٢: ٣٦٥.

(٤) وادٍ ذو قرى كثيرة، منها بذر مقر إمارة تلك الجهة بمنطقة المدينة. الجاسر ١: ٦٩٨.

(٥) يوسف بن عبد الله (وقيل ابن محمد)، الطبيب صلاح الدين المغربي، رئيس الأطباء. توفي في ١٨ جمادى الآخرة ٧٧٦/ ٢٤ تشرين الثاني ١٣٧٤ بعد أن جاوز التسعين من العمر، وكان يعرف بابن المغربي، وإليه ينسب جامع ابن المغربي بالقرب من بركة قرموط. وقد هجاه أحد الشعراء بهذين البيتين:

افنى واعمى ذا الطبيب بطبّه وبكحله الأحياء والبصراء

فإذا نظرت رأيت من عمياته أمّاً على أمواته قرّاء

المقريزي، السلوك ٣/١: ٢٤٩ والخطط ٢: ٣٢٨؛ ابن حجر ٤: ٤٦٤؛ ابن اياس ١/٢: ١٤٠ - ١٤١.

(٦) ويقال أيضاً: اصطبل عنتر، وهو أحد منازل الحجاج القادمين بطريق ساحل البحر الأحمر،

يصبح في الحياة. فجهز السلطان أمره في الليـل، وأوصى الدلـلاء أن يرحلوا
أول الليل، وهي الليلة[1] الذي توفي فيها، ورحل السلطان والأمراء وبكتمـر
صحبته، فإنه خشي على خاطـر أبوه أن يمـوت وهو حـاضر، ولمـا كان وجـه
الصبـح حضر من التحق بـالسلطان وبكتمر إلى جـانبه راكب أن ولـد الأمـير
يعيش فيه السلطان، فما هو إلا أن سمع مـوت ولده أرمى نفسـه من مركـوبه
إلى الأرض مغشياً عليـه، وانـطوت رجله تحتـه ووقـع الصـوت لـلأمـراء
١٦ و فحضروه، ونزلوا إليه وهـو // مغشي، وأحضر لـه محفة أركبـوه فيها، وبقي
الى المنزلة وقد علم كل أحد مصابه، ورأوا السلطان منشرح لم يتأت عليه أثـر
حزن، ففهم كل من الناس حاله، وصدّقوا فيه الظنون. وكان الحريم قد سبق
ونزل وبقيت والدتـه تنتظر حضـور ولدهـا فلم تحضر. وأصبـح الركب يـريد
الـرحيل فـأبت وقالت: «مـا أرحل إلاّ حتى يحضـر ولدي وأبصـره»، فعرّفـوا
السلطان ذلك، فطلب كـافور الهنـدي[2] وعرّفـه أن يقول لـزوجة بكتمـر أن
ولدها توفي إلى رحمة الله تعالى. فركب إليهـا ودخل عـرّفها مـا قالـه السلطان
فلم تتمالك أمـرها، وصـرخت هي ومن معها صـرخة واحـدة إلى أن انقلب
البر، وهرعت الناس على صياحها ووقعت في وطاقهم أصوات مختلفـة، وسيّر
السلطان إليهم طغيتمر العمري[3]، وعرّفه أن يرحّلهم، فحضر ولاطف الأمر
إلى أن ركبوا، وسيّر عرّفهم أن يحملوه في تابـوت بعد أن يصبـروه، وتمّ الأمير
سيف الدين بكتمر بمرضـه، وثـالث يوم من تـوفي ولده كـانت وفاتـه[4] أيضاً.

= بعد الأزلم وقبل الوجه، ولا يزال معروفاً، وهو لا ينتسب إلى عنترة العبسي، فبلاد هذا الأخير في نجد بعيدة عن هذا الموضع. جاسر ٣/١: ٩٣ ـ ٩٤.

(١) أي ليلة الثلاثاء سابع المحرم ٧٣٣/٢٨ أيلول ١٣٣٢.
الجزري: ٣٠٥؛ المقريزي ٢/٢: ٣٦٤.

(٢) كافور الهندي الزمردي الناصري، الطواشي شبل الدولة، صاحب التربة بالقرافة، توفي في ٨ ربيع الأول سنة ٧٨٦/٣٠ آذار ١٣٨٤، وقيل سنة ٧٨٧، وقد قارب المائة من العمر.
المقريزي ٣/٢: ٥٢٨؛ ابن حجر ٣: ٢٦١؛ ابن اياس ٢/١: ٣٦١.

(٣) سترد ترجمته في وفيات ٧٣٤.

(٤) أي يوم الجمعة عاشـر المحرم، وتؤكـد ذلك جميـع المصادر التي تحت أيدينا.

وأخبـرني(١) صلاح الـدين الحكيم الذي هـو مواظب لمـرضه أنـه كـان يـأتيـه
٦ ظ السلطان // ويبجلس عنـد رأسـه ويتفقـده، ويقـول لي سـرا: «إيش تقـول يا صلاح أو يـا يوسف بقى يقـوم منها؟»، أقـول له: «يـا خونـد، حالـه حال فاسد»، وأنه دخل يوم إليه لحضوره وقال له: «يا أمير، تشرب شيش طيب»، وأخرج من حياصته(٢) سقرق يشم صغير فسقاه فيـه قليل وثـاني يوم توفـي. وأخبرني(٣) بعض الأمراء الأكـابر، ووافق نقله الأمـير بدر الـدين جنكلي، أن السلطان قال للأمراء وهو راكب معهم: «يا أمراء، كان آخر ما شرب بكتمـر قليل شيش أسقيته في هـذا السقرق الـذي لي»، وأخبروني أيضـاً أن السلطان مدة ما خرج من مكة ما رأوه نايم نوم هنيء، ولا بسط له فرش ونام عليه الا ليلة توفي بكتمر(٤)، فإنه دخل خيمة النوم ونام، وأعطى الأمراء، دستـور أن ينام كل أحد في مخيمه، وكانوا قـد قرّروا مـع السلطان، كما تقـدم ذكره، أن كل أمير يحضر إلى باب الدهليز بثـلاثين مملوك، فكانوا الجميـع كل منهم ينـام وعـدته تحت رأسـه، و[الأمير ركن الـدين بيبرس الأحمـدي](٥) مستمر عليـه و زردية وسيفه مقلد به وترسه على كتفه، وما ينام من // الليل إلا قليل. وكان توفي بكتمر قبل الوصول الى عيون القصب(٦)، وصنع لهم تابوتين له ولولده،

---

(١) إشارة من العيني إلى أخذه عن اليوسفي: «قال الراوي: وأخبرني صلاح الدين الحكيم أنه كان السلطان يأتيه ويجلس عند رأسه، ويقول لي سراً: ...». العيني ٢٩١١/١٧: ٨٠و.

(٢) الحياصة وجمعها حوائص، وهي الحزام أو المنطقة، وهي مصنوعة من الذهب أو من الفضة. ماير، الملابس المملوكية: ٤٧ ـ ٤٩.
DOZY, Dict.Vêt., P. 145-147.QUATREMÈRE, Histoire, I, 1, P. 31.

(٣) إشارة أخرى من العيني إلى أخذه عن اليوسفي: «قال الراوي: وأخبرني بعض الأمراء الأكـابر أن السلطان قال للأمراء، وهو راكب معهم: يا أمراء، كان آخر ما شرب بكتمر...». العيني ٢٩١١/١٧: ٨٠و.

(٤) يشـير الصفدي (الـوافي ١٠: ١٩٥) وابن حجر (١: ٤٨٧) إلى أن السلطان كـان تلك السفـرة كلها لا يبيت إلّا في برج خشب، ولما مات بكتمر ترك المبيت في البرج.

(٥) سبقت ترجمته، راجع الصفحة ١٣٩، حاشية رقم ٣.

(٦) ويقال لها عينونة وعينونا: وهي قرية واقعة على مقربة من شاطىء البحر الأحمـر، شمال ميناء=

وطلب الأمير سيف الدين بهادر المعزي[1]، ورسم له أن يأخذهم ويتقدم بهم، ويدفنهم على الكوم بأعلى عيون القصب[2]، وركب وهم صحبته إلى أن كفنهم بعد غسلهم وصلى عليهم مع من حضر، ورسم بمملوكين يقيم عندهم إلى حيث يسيّر السلطان من ينقلهم إلى مصر. وسألت بعض من حضره في اليوم الذي توفي فيه، وقد دخل إليه السلطان وعنده أخوه قماري ومماليكه، وقد تغيّر حاله، وجلس السلطان عند رأسه، وأن أخوه قماري قال له: «يا أخي، اطلع لأستاذك، وأوصيه على ما في خاطرك». فلما سمعه التفت للسلطان، وقال له: «يا خوند، قد حصل الذي قضاه الله تعالى وما لي عندك وصيّة إلا زوجتي هي جاريتك وأنا مملوكك، وأنت سيّرت أحضرت أخوتي من البلاد، وكلنا ربّينا في نعمتك، وأشتهي أن لا تقطع بهم ولا تحوجهم لأحد، فإنهم ناس غرباء، ومماليكي لا تخلّيهم يقفوا على
١٧ ظ أبواب الأمراء، // وزوجتي وبناتي فهم جواريك وعائلتك، افعل فيهم ما تختار»[4]. ثم لم يجيب بعدها بشيء إلى أن توفي. فلما أشيع خبره واتصل بزوجته، خرجت مسيبة هي وساير من كان معها من خدمها الى أن أفجعت

= المويلح، قرب مدخل خليج العقبة، في أسفل واد يدعى وادي عينونة وفيها نخيل، وهي اليوم تابعة لامارة ظبا. جاسر ٣/٣: ٩٦٥ - ٩٧٠.

(١) الأصل: «المغربي»، كان أحد أمراء الألوف. توفي بمصر أواخر سنة ١٣٣٩/٧٣٩، وقيل أوائل ٧٤٠.

الشجاعي ١: ٥٤ - ٥٥؛ الصفدي، الوافي ١٠: ٢٩٨ - ٢٩٩؛ المقريزي ٢/٢: ٤٧٠؛ ابن حجر ١: ٤٩٦؛ ZETTERSTÉEN, Beiträge, P. 201.

(٢) قارن بالجزري: ٣٠٥ والصفدي ١٠: ١٩٥؛ المقريزي ٢/٢: ٣٦٤؛ ابن حجر ١: ٤٨٧ وابن اياس ١/١: ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٣) الأمير قمارى الناصري، أخو بكتمر الساقي، أمّره الناصر بعد موت بكتمر. ولي الاستادراية ايام السلطان الملك الصالح إسماعيل بن محمد بن قلاوون، ثم عمل نائباً لطرابلس. مات مقتولاً في سجن الاسكندرية سنة ١٣٤٦/٧٤٧ - ١٣٤٧.

المقريزي ٢/٣: ٧٢٣؛ ابن حجر ٣: ٢٥٦.

(٤) من المفيد في هذا المجال مراجعة ابن فضل الله، التعريف: ٩٨ - ٩٩ (وصية مقدم المماليك).

العالم، وأزعجت ساير الركب. وفي ذلك الوقت وصل السلطان هو والأمراء وسمع الصوت، وأبصرت زوجة بكتمر السلطان، فقصدته، وصارت تقول بصوت يسمعه كل أحد كان قريب منها: «يا ظالم، أين تروح من الله تعالى؟ ولدي وزوجي؟!. زوجي كان مملوكك، ولدي إيش كان بينك وبينه؟!»(١)، وصارت تكرر هذا الكلام إلى أن أسمعت الأمراء لفجعتها، وبكت العالم توجعاً لها، وأرسل السلطان كافور الهندي وطغيتمر [العمري] وجماعة رَجَّعوهم، ووقفوا إلى أن حملوا أثقالهم، وما رأى أحد في الناس أفجع من ذلك اليوم ولا أوجع من ذلك القوم. واجتمعت العالم على محاملهم وهي سايرة تزف بالأحزان وتلطم حرّ الخدود بالأكف والبنان، وقد هتكن الستور
١ و ونشرن الشعور // ونحن نوح المثكلات، وصحن بالويل على ظهور البغلات، ومما يناسب ذلك من أبيات(٢):

سَارتْ سَفاينهم والنوح يتبعها ... كأنها إبل يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع وكم حملتْ ... تلك القطايع من قطْعات أكبادِ
حُطَّ القناعُ فلم تُستَرَ مخدرةٌ ... وَمُزِّقت أوجهٌ تمزيقَ أبرادِ

وكان هذا الرجل أصله من مماليك السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس(٣)

---

(١) وقد أثبت المقريزي (٢/٢ : ٣٦٥) والعيني (١٧/٢٩١١ : ٨٠ظ) كلام زوجة بكتمر للسلطان نصاً كما ورد في المخطوط.

(٢) هذه الأبيات من قصيدة لأبي بكر ابن اللبانة الاندلسي عندما أُسر المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية، وتنكرت الأيام لأولاده وبناته.
انظر: ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق٢: ٨٠ - ٨١؛ ابن خاقان: قلائد العقيان: ٢٣ (وفي حاشية الذخيرة تخريجات أخرى).

(٣) بيبرس البرجي العثماني الجاشنكير، الملك المظفر. كان أستادار الناصر محمد بن قلاوون. ولي السلطنة في ٢٣ شوال ٧٠٨/٥ نيسان ١٣١٠، وأقام بها أحد عشر شهراً وخلع نفسه وهرب إلى الصعيد، ثم قبض عليه وقتل في سجنه في قلعة الجبل يوم الجمعة ١٥ ذي القعدة ٧٠٩/١٦ نيسان ١٣١١.
بيبرس المنصوري: ٢٦٢ظ وما بعدها؛ أبو الفداء، المختصر ٤: ٥٤ - ٥٥، ٥٧ - ٥٩؛ ابن الدواداري ٩: ١٦٠، ١٩٧ - ٢٠٥؛ الصفدي، الوافي ١٠: ٣٤٨ - ٣٥٠؛ المقريزي ٢/١: ٤٥؛ ٨٠ - ٨١؛ ابن حجر ١: ٢: ٥٠٢ - ٥٠٧.

الجاشنكير[١] المنصوري ربّاه وهو صغير ، وكان يعرف بمملوك قرمان[٢]، وأطلق عليه معرفته بذلك. إن الأمراء الأوايل كانت إذا كان عندهم مملوك كبير، واشتروا مملوك صغير سلمه إليه يربيه ويعلمه الأدب والخدمة وأمر الفروسية. ولقد رأيت[٣] هذا الأمير بعينه سنة تقدم ذكرها[٤] في حجة الأمير ركن الدين بيبرس وهو شاب صغير ماشي خلف الهجن وقرمان وخشداشيته راكبين، ولم يكن مشيه عن عجز، وإنما لى سبيل الراحة وقوة الشبوبية. ولما اتفق سلطنة بيبرس أخذه وجعله جمدار ثم ساقي،

١٨ ظ وكبر // عند أستاذه إلى أن اتفق له ما اتفق من خروجه عن الملك الناصر وسفره إلى الصعيد واختلاف الأمراء عليه، وسيّر إليه الملك الناصر بالايمان[٥]، واختلفت عليه مماليكه وصاروا يهرب منهم واحد بعد واحد، وهرب من جملتهم مملوك، وكان معه حاصل ذهب، فقال لمن بقي معه: «هذا!». فلم يجسر أحد [أن] يتبعه، فخرج بكتمر من دونهم والتحق بذلك المملوك، ووقف خشداش المملوك معه، واعتصبوا على بكتمر، فأرمى الواحد عن فرسه، ومسك الآخر إلى حيث أحضره لبيبرس، وأخذوا ما كان معه من الذهب وأطلقه. ولما قبضوا على بيبرس أحضروه[٦] من جملة مماليك بيبرس

---

(١) قال في صبح الأعشى (٥: ٤٦٠) الجاشنكير «هو الذي يتصدى لذوقان المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يدس عليه فيه سم ونحوه، وهو مركب من لفظين فارسيين: جاشنا ومعناه الذوق، وكير بمعنى المتعاطي لذلك، ويكون المعنى: الذي يذوق».

(٢) ويشير المقريزي إلى أن المظفر بيبرس كان قد أنعم على قرمان وبكتمر الساقي بلقب الأمير، وذلك في مستهل رمضان ٢/٧٠٩ شباط ١٣١١.
المقريزي ٢/١: ٦٩.

(٣) يشير العيني إلى أخذه عن اليوسفي: «قال الراوي، ورأيت بكتمر هذا وهو شاب صغير يمشي خلف الهجن...».
العيني ٢٩١١/١٧: ٧٧ظ وما بعدها.

(٤) أي سنة ٧٠٤/١٣٠٣. راجع ابن الدواداري ٩: ١٢٤.

(٥) وكان رسول الناصر محمد إلى المظفر بيبرس هو أيتمش المحمدي. انظر: المقريزي ٢/١: ٧٨.

(٦) الضمير عائد لبكتمر.

للسلطان هو ومن كان معه من خشداشيته جماعة كبيرة[1]، وفرق السلطان منهم، كما تقدم ذكره، على الأمراء، واختص لنفسه جماعة من جملتهم بكتمر وبُلَّك الساقي[2] وطوغان الساقي[3] وقباتمر[4] وجماعة كثيرة[5]، والجميع تأمروا في الدولة الناصرية. وكان أجلّهم في المحبة والهوى والشغف بكتمر

١ و وجعله ساقي، وقد تقدم من // ذكر معزته عنده القبض على طغية[6] وخروجه من مصر مع أسباب حركتها معزة بكتمر، وحظي بعدها عند السلطان الحظوة التي لم يحظ بها غيره، ولا نال منزلته أحد من قبله ولا بعده، وكان مجموع الخصال الحميدة ودرب أخلاق السلطان حتى نال منه ما ناله؛ فما كان يعارضه في شيء من الأمور إلا بالتي هي أحسن، ويرجع السلطان إليه، وإذا رأى السلطان مال إلى جهة يميل إليها. ولما حصل للسلطان التعلق بقوصون[7] وبشتك[8] وجماعة من الذي استجدّهم واستخصّهم لنفسه، لاطف أمرهم وأحسن مرباهم وأكثر الانعام عليهم، وملك السلطان وساير حاشيته بالاحسان إليهم. ولم يحصل لأحد من الأمراء في الدولة الناصرية من

---

(١) وكانت عدتهم ٣٠٠ مملوك.
المقريزي ٢/١: ٨١.

(٢) توفي في شهر شوال ٧٤٩/ كانون الثاني ١٣٤٩.
الصفدي، الوافي ١٠: ٣٨٨؛ المقريزي ٢/٣: ٧٩٣؛ ابن حجر ١: ٤٩٥.

(٣) وكان هو وبلك من جملة الأمراء الذين حجوا مع السلطان سنة ٧٣٢.
المقريزي ٢/٢: ٣٥٢.

(٤) رقاه الناصر محمد إلى رتبة جمدار، وجهزه في جملة من الأمراء للقبض على تنكز وذلك في ذي الحجة سنة ٧٤٠/ حزيران ١٣٤٠. المصدر نفسه ٢/٢: ٤٩٨.

(٥) في المصدر نفسه (٨١ ـ ٨٢): «وفرق (السلطان) المماليك على الأمراء، واختص منهم بكتمر الساقي الآتي ذكره وما صار إليه، واختص أيضاً طوغان الساقي وقباتمر وبلك في آخرين».

(٦) قتل أواخر سنة ٧٤٩/١٣٤٩ على يد عربان الصعيد.
المصدر نفسه ٢/٣: ٧٧٠.

(٧) انظر ترجمته في الصفحة ١٣٠ الحاشية رقم ٦.

(٨) انظر ترجمته في الصفحة ١٣٠ الحاشية رقم ٥.

السعادة ما حصل له[١]؛ فإن السلطان سيّر جميع أخوته ووالدته وساير أهله
من بلاد الشرق، وأمّرهم وكبّرهم وأكثر الانعام عليهم، وأزوجه بأخص من
عنده[٢]. ويذكر من بعض سعادة ما يدل على ما هو أكثر مما نذكره، واختصر
١٩ ظ ذكر كثره؛ وهو أنه في هذه السفرة // احتاج السلطان إلى ذهب يفرّقه على
الأمراء، فعرّف لبكتمر أن الذهب الذي في الخزانة على فروغ ويريد ما ينفق
في الأمراء، فعرّف السلطان أن عنده حاصل أربعين ألف دينار، وحملها إليه
على سبيل القرض. وكان السلطان في هذه السفرة الذي ذكرناها معه ثلاث
آلاف ومایة عليقة، وكان مع بكتمر ثلاث آلاف عليقة له ولحاشيته، فكان
قريب من مصروف السلطان[٣]، وأما الخيل والجمال، أخبرني أمير
آخوره[٤]، أنه كان له ماية طوالة بماية سايس بماية سطل، وكان عليقة مستمر
ألف وماية عليقة[٥]، وهذا على سبيل الاختصار. ولما دخل إلى مصر طلب
السلطان المهذب[٦] كاتبه، وأحضره بين يديه وهدده أنه لا يخفيه شيء من
ماله، واتفق مع شرف الدين النشو، وكتب له أوراق تشتمل على أشياء لم
تحضر جملتها من الغلال ستة وثلاثين ألف اردب[٧] غير ما أظهر له من الجوهر

---

(١) وتؤكد ذلك جميع المصادر التي تحت أيدينا.

(٢) ويقصد جاريته التي أنجبت لبكتمر ولده أحمد، وكانت على قسط وافر من الجمال.
المخطوط: ٢٢و؛ ابن حجر ١: ٤٨٦.

(٣) كذا في المقريزي ٢/٢: ٣٦٤؛ وفي الصفدي، (الوافي ١٠: ١٩٥): «فكان ثقله وحاله (أي بكتمر) نظير ما للسلطان، ولكن يزيد على ذلك بالزراكش وآلات الذهب»، ووافق ابن حجر ما جاء في الصفدي.

(٤) وظيفته الاشراف على الاصطبل وتولي أمر ما فيه من الخيل والإبل وغيرها مما هو داخل في حكم الاصطبلات.
القلقشندي ٤: ١٨ - ١٩؛ AYALON, art. «Amīr Ākhūr», EI², I.P. 455b

(٥) عبارة المقريزي: «وكان عليق خيله دائماً ألفاً ومائة عليقة كل يوم».

(٦) توفي في شعبان سنة ٧٣٥/١٣٣٥.
ابن الدواداري ٩: ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٧) مكيال ضخم بمصر يضم ٢٤ صاعاً، والصاع مكيال يأخذ ٤ أمداد عند الرومان، وهو مكيال للسوائل والجوامد.

=

المثمّن والحواصل من السلاح وغيره ما ينيف عن المائة ألف دينار[1]، وآخر ما
و نذكره له على سبيل الاختصار أن موسى الصيرفي[2] الذي له // كان من
جملة ما خصّه بمفرده خمسة وعشرين ألف دينار[3] سوى الدواوين والمتحدثين
ومن يعلم أمره، وكان في هذا الرجل من الحشمة والرياسة والعقل والسكون
ما لا هو في أحد من أقرانه. وحكي لي المهذب كاتبه أنه لما رأى النشو قد
شرع في ظلم الناس في أول ولايته، ورأى السلطان قد مال معه وقصد
السلطان أن يستخدم المهذب رفيق النشو ومُوافِقه على فعله، وتحدث مع
بكتمر في أمره، طلبه إليه. وأنه لما دخل عليه كان ولده قاعد على مقعده
فأشار عليه أن يقوم، وأجلس المهذب بين يديه وقال: «يا مهذب، أنا أريد
أن أعرض عليك قضية، واصدقني فيها وانصح نفسك»، قال، قلت له:
«يا خوند، السمع والطاعة». قال: «السلطان يقصد أن تكون كاتبه ومتحدث
له، وتكون عوض عن النشو، فإن السلطان كره ظلمه»، قال لي: «فلما ذكر
لي ذلك القول ما كرهت أن أكون كما قال، وشامت نفسي إلى الارتقاء»،
ظ فقلت: «دعني اتنصل بحسن تأني»، فقال له: «يا خوند، أنا كنت // رجل
كاتب لناظر السلطان نصراني، وقد سعدت ورأيت على يديك الخير من
اسلامي[4] وقربي بخدمتك، وفي دين الاسلام النصح من الايمان، فإن كان
الأمير يرى لي هذا ويقصد لي فيه خير، فأنا تحت مرسومك، وإن كان غير
ذلك فما يمكن المملوك إلا كما يرسم به يفعله»، فقال: «الآن أنصحك»،

= المقريزي، النقود: ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨؛ هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية: ٥٨ - ٥٩؛
EUSTACHE, Les perles de Colliers, P. 172, n. 164

(١) قارن بابن حجر ١ : ٤٨٧.

(٢) هنا إشارة للعيني (٢٩١١/١٧ : ٧٧ظ) إلى أخذه عن اليوسفي بقوله: «قال صاحب النزهة: وآخر ما نذكره له على سبيل الاختصار أن موسى الصيرفي...».

(٣) في المقريزي (٢/٢ : ٣٥٧): «واتهم موسى الصيرفي في أنه خصّه مما سرقه مباشروه خمسة وعشرون ألف دينار».

(٤) ويشير المصدر نفسه (٢/٢ : ٣٣٤) إلى أن إسلام المهذب كان يوم الاثنين ١٥ ذي الحجة سنة ١٩/٧٣١ أيلول ١٣٣١.

قلت: «يا خوند، تجوز الأجر والفضل»، فقال: «إذا استشرتني، فوالله ما عند السلطان من يخدمه وسلم من الظلم؟ فإن كنت تريد الكبرياء فافعل وإن قنعت بنا فما نكرهك السلطان على خدمته، إذا كنت عندي يا مهذب، السلطان ما هو كما تعهده الناس ولا هو ناوي لأحد خير، وقد رغب في أخذ الأموال والظلم والعسف، فالله تعالى يجعل عاقبتنا معه إلى خير»[١]. وعندما قصد القيام من قدامه شال طرف مقعده وناوله صرّة فيها ثلثماية دينار [و] قال [له]: «تجَهَّز بهذا الى الحجاز».

ذكر نكت غريبة اتفقت يتعين ذكرها في هذا المكان

فإن جماعة كثيرة ذكرت عن الأمير سيف الدين بكتمر أمور دلّتهم على
٢١ و أنه كان يخشى على نفسه من السلطان //، لما كان يعلم من ملله وفروغه عمن له فيه أرب، فإنه يقبل عليه اقبال لا يمكن أن يحسب أحد له ادبار، ويدبر عنه ادبار من لا يدع له في الأرض ذكر ولا آثار[٢]، وأنه تلوح من السلطان أمور أنكرها في نفسه، ووجس بها خاطره، وصدّق ظنون حدسه، ومنها أنه لما عرّف الأمير سيف الدين تنكز نايب السلطان أن يجهز ابنته[٣] ويسيّرها إلى مصر لدخولها على ابن بكتمر فجهزها، كما تقدم ذكره، وحضرت الى مصر[٤]، ودخل بها أحمد بن بكتمر المتوفى إلى رحمه الله تعالى. فكان السلطان يدخل إليهم ومعه نحو ألف دينار، وطلبها إلى بين يديه وأعطاها الذهب، ووقع نظره عليها؛ وكان له شغف كبير في أنه إذا رأى امرأة سمراء ولها عيون سود وفيها طول شغف بها، ومالت نفسه لها، ولما نظرها أول يوم رأى طولها، ولم ير بقية وجهها، فصار يدخل إليها ويقول: «يا أم أحمد، هاتي

(١) و (٢) يود المؤرخ اظهار جانب آخر من شخصية السلطان.
(٣) وتدعى قطلو ملك. المقريزي ٢/١ : ٢٨٩.
(٤) كان حضورها في أول ذي القعدة سنة ١٨/٧٢٧ أيلول ١٣٢٧.
المصدر نفسه.

زوجة أحمد» فتحضرها اليه، فينظر إليها ويجلسها على ركبته ثم إلى جانبه ، //
ظ ويطلب أحمد ويدعُ الاثنين قدامه، وفي بعض الأيام يضع رأسه على ركبة[1] زوجة بكتمر ويبقى ينظر إليها ويتملقها. واستمر ذلك الحال وزوجة بكتمر قد علمت منه أنها وقعت في خاطره إلى أن قال لها يوم، لما طال شرحه: «يا أم أحمد، والله لو علمت أن بنت تنكز لها هذا القد وهذا العنق وسواد هذا العيون، ما كان يزوجها أحد غيري، وأنا أطلب مثل هذا الصفة وأفتش كثير ما يقع لي شيء»[2]. وكانت زوجة بكتمر من أعقل الناس وأدينهم وأعفّهم، ورأت من السلطان ما رأت وعلمت أن نفسه تطالبه بها، فتحيّرت في أمرها، وأسرّت لزوجها بكتمر ما رأته منه في هذه المدة، وطول نظره إليها واعجابه بها وقالت: «يا أمير، ما يخرب بيتي أحد غير هذه البنت فيا ليتنا لا كنا عرفناها». وكان بكتمر يغالطها بذلك ويُسْلِيها ويقول: «ربما السلطان يقول هذا الكلام طيبة خاطر لها لأجل أبوها»، وكان يعلم من السلطان أنه إذا
٢ و وقع في نفسه شيء لا بد منه، // وما يختار أن يُحقق ما تقوله زوجته خشية على خاطرها، وبقي في نفسه من ذلك شيء[3].

والفصل الثاني أنه رأى اقبال السلطان على الأمير قوصون والأمير بشتك، وعلم ميله إليهم وأنه يكره أن يكون عنده كبير أو عظيم أو من تقدم له هجرة عنده دون من يكون له أرب أو ميل، ثم ما يعلمه أنه إذا كثرت سعادة الأمير عنده مع فروغ غرضه يختار أن يأخذ ماله وأشياء كثيرة من هذه النسبة يوحش خاطره منها؛ فمن الناس من نقل عنه أنه اتفق مع جماعة من المظفرية[4] خشداشيته على العمل على السلطان، ومن الناس من ذكر أن

---

(١) الأصل: «ركبت».

(٢) يود المؤرخ اظهار جانب آخر من شخصية السلطان.

(٣) نقل العيني بالحرف هذه الرواية عن اليوسفي.
العيني ٢٩١١/١٧ : ٨٠ظ - ٨١و.

(٤) يقصد مماليك الملك المظفر بيبرس الجاشنكير.

الذي حسبه في أمر السلطان وخشيته كان الأصح، وأن السلطان الكلام الذي
ذكروه له عن بكتمر كان قد اختلقه عليه حتى يبلغ ما في نفسه منه، وأن
بكتمر توحّش خاطره بشيء من الغدر، وربما أشاع السلطان وأظهره بعد
موت بكتمر، أن المماليك الذي هربوا من خليص وأحضرهم جماز، أنه
٢٢ ظ عاقب أحدهم وأنه اعترف على بكتمر أنه عمّال على السلطان // وأنه الذي
قال لهم يدخلوا بلاد الشرق.

والفصل الثالث، وقد تقدم ذكر تقليد متعلق بناقله على أنني لم أذكر
شيء عن أمر وقع إلا ممن أثق به، ويشهر أمره بين جماعة ويشاع، وهو أن
السلطان قد شغف بالامير بشتك شغف كبير إلى الغاية، وقرّبه وأباح له
الركوب والنزول، وكان قد بلغه عنه أمور كثيرة من شغفه بالنساء وميله
إليهم، ويبلغه أنه إذا نزل الى اصطبله أحضر له أشياء كثيرة مما يجلب إليه من
حسان النساء ويتقربوا لخاطره، فكان لأجل غرضه فيه يبيح له ذلك، وسيأتي
ذكر ما كان يعتمده في مكانه، ولم يكن يخفي السلطان شيء مما في نفسه من
أحد، وأنه وصف زوجة بكتمر وما هي عليه من الجمال الفايق والملاحة
والسعادة والحشمة، وبقي يترصد النظر إليها إلى أن رآها وهي متّزية، ورأى
حسن قدّها، فوقعت في نفسه بمحل عظيم، وبقي يرى شغل خاطره بها إلى
أن خلى به السلطان في ليلة عرّفه ما وقع في نفسه من زوجة بكتمر، وأنه في
٢٣ و قلق // عظيم بسببها، وأن السلطان شرع يصبّره ويوعده ويقوله له: «طوّل
روحك» [إلى] أن طال الشرح، وقلق خاطره وفهم السلطان عنه ذلك،
فأخبرني ثقة أن آخر كلام السلطان له: «يا بشتاك، طوّل روحك بقى قريب
وحياتك، وهي وما له الجميع لك».

ووقع بعد موته شيء مما يناسب قوله[1] وجب أن نذكره، وهو أنه لما

(١) وذلك بأن أنعم على الأمير بشتك باقطاع بكتمر الساقي وجميع حواصله ومغله، ثم زوّجه بزوجته بعد وفاء عدتها.
انظر: المخطوط: ٢٤ظ ـ ٢٥ظ؛ المقريزي ٢/٢: ٣٥٧.

توفي بكتمر وولده، وقدمنا ذكر وقتهم، وأشيع الخبر ونقلوا للسلطان ما قالته زوجة بكتمر لما توفي: «يا ظالم، قتلت مملوكك، إيش كان ولدي حتى أفجعتني فيه؟». فكان السلطان، كلما ذكر ذلك القول، يحرج ثم يسكن حرجه لما يريد يفعله[1]. ولما وصلت إلى مصر سيّرت تستأذن السلطان أن ينقل ولدها وزوجها من المكان الذي دفنوهم فيه إلى الخانقاه[2] الذي أنشأها قريب حوش السلطان الملك الظاهر[3] ـ تغمده الله برحمته ـ. فسيّر السلطان لها الجواب يعرّفها فيهم ويطيّب خاطرها، وقصد الدّخول عليها يطيّب خاطرها بالكلام،
٣ ظ فسيّرت عرّفته أنها في العدّة، ولا يمكن // أن أرى أحد. ورسم[4] لأخو بكتمر قمارى بالركوب مع جماعة واحضار أخوه وولده إلى مصر، وسير صحبتهم الدليل وجماعة من حاشيتهم في خدمته إلى أن وصلوا العقبة،

---

(١) تؤكد المصادر التي اعتمدنا عليها أن السلطان، إثر مقتل بكتمر، قد أظهر الكثير من الندم والأسف.

(٢) عرفت بخانقاه بكتمر الساقي وكانت واقعة بطرف القرافة في سفح جبل المقطم مما يلي بركة الحبش.
ابن حبيب، درة ٢: ٢٣٥ظ؛ المقريزي، الخطط ٢: ٤٢٣ ـ٤٢٤؛ ابن حجر ١: ٤٨٦؛ ابن اياس ١/١: ٤٦٧، ٤٦٩.

(٣) هو السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري، رابع سلاطين دولة المماليك البحرية، ولعله أبرزهم لأن الفضل يعود إليه في ترسيخ دعائم دولة المماليك ما بين ٦٥٨ ـ ١٢٦٠/٦٧٦ ـ ١٢٧٧. توفي يوم الخميس ٢٨ المحرم ٦٧٦/١ تموز ١٢٧٧. ألّفت فيه سيرتان: الأولى كتبها محيي الدين ابن عبد الظاهر (الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر) واختصرها شافع بن علي (المناقب السرّية في السيرة الظاهرية)، والثانية للمؤرخ عز الدين ابن شداد (تاريخ الملك الظاهر) وهي من تحقيقنا.
انظر، ترجمته في: ابن شداد وابن عبد الظاهر وشافع بن علي، وابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ٥٠٣؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب: الورقة ٤٤٠؛ الذهبي، تاريخ الاسلام (وفيات ٦٧٦)؛ الصفدي، الوافي ١٠: ٣٢٩ ـ ٣٤٨.

(٤) يشير العيني (١٧/٢٩١١: ٧٧و) إلى أخذه عن اليوسفي بقوله: «وقال صاحب النزهة: رسم السلطان لقمارى أخي بكتمر بالركوب... واحتفلت زوجته احتفالاً كبيراً لذلك، قال الراوي: وبلغني أنها أصرفت على يد خادمها...».

فوجدوا المملوكين والعرب الـذي خلوهم عندهم، وقـد خشيوا عـلى أنفسهم من الوحش فأخرجوهم من القبر، ووافاهم قمـارى العقبة، ورجعـوا بهم الى أن وصلوا الى المدينة[1]، ورسم السلطان لأخـوته ومماليكه بـالنزول يحضـروا دفنه، وجمعوا له الفقهاء والقراء، وخرجت مشايخ الصوفية في جنازته، وغسّل هو وولده ودفنا بخانقته[2] المقدم ذكر عمارتها المجاورة لحوش الظاهر، وأقاموا سبع أيام بلياليها في صدقة ومعـروف وايثار وقـراء، واحتفلت زوجته احتفـال كبير لذلـك. وبلغني أنها أصرفت عـلى يد خـادمها بـرسم الصدقـة خصوص ثلاثين ألف درهم، وأخبـرني الشيخ زاده[3] شيـخ الخانقـاه الذي لـه، وكنت ممن بيني وبينـه صحبة أكيـدة وتردد إليـه، وكان رجـل حسن له ديـانـة وعلم
٢٤ و ومشيخـة في البلاد، ولـه كـرم. ولما فـرغ المهم أتيت إليـه // وسلّمت عـلى عـادتي، وجلست بعـد الـطعـام، أخبـرني أنـه ليلة ختم عليـه آخـر ختمـة، وانفضّت الناس، أنه رأى الأمير بكتمر وهو جالس مكان عادة جلوسـه، إذا حضر لزيارة الشيخ ودخل الخانقاه يجلس في صدر المكـان، ويكون ولـده عن يمينه، ورآه على عادته. ولما نظره الشيخ قام إليـه وصافحـه، وقال لـه: «حج مبزور وسعي مشكور، ونكون العام الآتي نحن وأنت على جبل عـرفة». وأن الشيخ خطر في نفسه أن الأمير مات هو وولده، وأنه يريد يسأله، فسبقه الأمير وقال: «يا شيخ، لا تصدق قول أحد أنني مت أنا وأحمد، نحنـا ما متنـا، ولا جرى علينا شيء إلا كنت حصل لي مرض وخلوني في مكان موحش، وسألت الله تعالى أن يخلصني منه حتى أجيء إلى بيتي، وأصـلّي معكم، وأقرأ معكم،

---

(١) المقصود مدينة القاهرة.

(٢) وذلك يوم الأحد ٧ ربيع الآخر سنة ٢٦/٧٣٣ كانون الأول ١٣٣٢.
المقريزي ٢/٢: ٣٦٤؛ وفي ابن اياس (١/١: ٤٦٧) سنة ١٣٣٣/٧٣٤ ـ ١٣٣٤.

(٣) الشيخ زاده الدُّوْقَاني، ولي مشيخة خانقاه بكتمر الساقي أواخر ذي الحجة سنة ٧٣٠/تشرين الأول ١٣٣٠، بعد وفاة سلفه الشيخ شمس الدين محمد بن الرومي.
المقريزي ٢/٢: ٣٢٧ ـ ٣٢٨.

وتدعوا لي وأدعو لكم»[1].

وشرع السلطان بعد ذلك في طلب أخوته وطيب قلوبهم وأوعد لأخوه قماری بتقدمه ألف[2] وزاد اقطاعه، وطلب ساير مماليكه وحفدته وأنعم
٤ ظ عليهم بـاقطاعـات في الحلقة[3]، وقـدّم بعضهم // وأخذ لنفسه جماعة من مماليكه، وطلب أرباب الوظايف الذي كانوا عنده مثل السلحدار[4] والجمدار والجاشنكير وأمير مجلس، الجميع رتّبهم في وظايفهم في بيت السلطان على عادتهم، وسيّر لـزوجته بـالانعام بـالمرتب الـذي كان عليهم ورسالة يـطيّب خاطرها ويسأل عنها، وهذا جميعه يفعله والأمراء والناس تتعجب من فعله وحفظ نـظامه، ويقـول للأمـراء: «مسكين بكتمر، رحمه الله، مات وهو يوصيني على مماليكه وأخوته وحاشيته، وأنا أحفظ خدمته عليّ»، وطلب أحمد الساقي المقدم ذكره، وأمّره عشرة، واستقر به على وظيفته ساقي، ثم أنعم بعد ذلك باقطاعه وحواصله ومغلّه على الأمير سيف الدين بشتك وكتب له مرسوم بساير الاقطاع والمغل كامل، فكانت هذه أول إمارة لاحت للناس فيما قدمنا ذكره.

والثانية ما أبطأ الأمر قليل، إلا وانتـظر الأمر الـذي استحق وفاء عدة

---

(١) نقل العيني نصاً ما جاء في اليوسفي.
العيني ٢٩١١/١٧: ٧٧و.

(٢) كذا في العيني؛ وفي الصفدي (الوافي ١٠: ١٩٦) «وأعطى أخاه قماری إمرة مائة».

(٣) لفظة استعملت في العصرين الأيوبي والمملوكي، وهي الخلية أو النواة الاساسية للتنظيم العسكري في ذلك الحين، كانت مؤلفة من عدة عناصر هم «أجناد الحلقة» أو «رجال الحلقة» وأحياناً أخرى «الأجناد».

AYALON, art. «Ḥalḳa», EI², III, P. 101b - 102a.

(٤) وترد منفصلة «سلاح دار»، وهو أمير كبير (من أمراء المئين) يحمل سلاح السلطان في المواكب العامة، ويتولى الاشراف على السلاح خاناه (بيت السلاح).

HUART, art. «Silāḥ-dār», EI, IV, P. 424a.

الزوجة الذي لولده[١] وأمّه[٢] أيضاً، وطلب كافور الهندي وست حدق[٣]،
٢٥ و ودخل جلس ورسم //أن يطلبوا زوجة بكتمر إليه فأحضروها، ووقفت وراء حجاب، وشرع السلطان في الاهانة، ويقول: «والك، نسيتي الذي قلتي وأنت تصيحي عليّ، وتقولي: قتلت زوجي وولدي؟ أنا إيش كنت من قتلهم؟ قتلهم الله تعالى، وفرغ أجلهم، وأنا فكنت أسمع عن زوجك أشياء كثيرة[٤] وما كنت أصدق فيه، ولو كان غرضي في قتله أو مسكه من كان يمنعني منه؟». وكانت المرأة من أعقل النساء وأدينهم، قالت له: «الله يحفظ السلطان، أمّا قوله أنني قلت، فالذي وقع في قلبي من حرقة ولدي وزوجي فما هو بقياس أن يكون لي عقل أعرف ما أقوله إن خطأ أو صواب، وأما قول السلطان أنه كان قادر على قتله وخراب بيته، فالسلطان يحكم في ساير الناس كلها، وأن السلطان كان يبلغه عنه أشياء كثيرة فكان خشداشيته يحسده لقربه منك وكبره عندك، والسعادة الذي وصلت لنا كلها فهي من صدقتك[٥]، ولو كان بكتمر في نفسه سوء ما كان أحد أقرب للسلطان منه ولا أقدر منه
٢٥ ظ عليك، // وقد كان السلطان يدخل وينام ويجعل رأسه على ركبتي وعلى ركبته مرار فما كان في الأمر أكثر من ذلك، وبعد ذلك أنا جارية للسلطان،

---

(١) يقصد زوجة أحمد بن بكتمر (قطلوملك).

(٢) يقصد زوجة بكتمر.

(٣) حدق القهرمانية الناصرية، كان الناصر محمد قد جعل إليها أمور نسائه، فتحكمت في داره تحكماً عظيماً حتى صار لا يقال لها إلاّ الست حدق. ماتت وهي عذراء، ولها جامع وحكر ظاهر القاهرة يعرفان بها.
المقريزي، الخطط ٢: ١١٦، ٣١٣؛ ابن حجر ٢: ٧.

(٤) إضافة إلى ما أكدته المصادر التي تحت أيدينا من سوء الظن الذي كان قائماً بين السلطان والأمير بكتمر الساقي، فقد ذكر المقريزي (٢/٢: ٣٦٦) وابن تغري بردي (النجوم ٩: ١٠٨) أن السلطان قد وقع على رسالة من الأمير ألماس الحاجب إلى بكتمر تؤكد تآمر هذا الأخير مع بعض الأمراء على قتل السلطان.

(٥) نقل العيني نصا ما ورد في اليوسفي.
العيني ٢٩١١/١٧: ٨٠ظ.

وما علمت رجل غير مولانا السلطان ومملوكه». فأخذ ذلك الوقت يلاطف خاطرها بالكلام، ويطيب قلبها، وقال: «إذا راح بكتمر كان عندي من هو خير منه لك، وإذا راح ولدك تجي إلى الأولاد، وأما بنت مملوكي فأنا أعرف لمن تصلح؟»[١]، وظهر من ذلك ما سنذكره في موضعه، ويتحقق كل أحد أن الذي قدمناه ذكره من الغرض لبشتك، فإن أمرهم شِيْع أنه يزوج بشتك بزوجة بكتمر، ويدخل هو ببنت تنكز، فكان كما قال: «طول روحك، خبزه وزوجته لك»، (وعلمهم في ذلك عند الله تعالى)[٢].

[ذكر النيل في هذه السنة]

كان النيل فيها تسع عشر ذراع وثمان أصابع[٣].

وأخبرني الأمير سيف الدين طَيْدَمُر[٤] الساقي عند حضوره إلى مصر أن السلطان لما هربت المماليك من خليص اقتضى رأيه أن يجردني وصحبتي جركتمر[٥] [بن بهادر] الجمدار، وقصد أن يجرد جماعة كبيرة، فعرّفه بكتمر

(١) نقل العيني نصاً ما ورد في اليوسفي.
العيني ٢٩١١/١٧: ٨٠ظ.

(٢) ما بين القوسين ساقط من متن الأصل ومستدرك بالهامش بالقلم نفسه.

(٣) كذا؛ وفي ابن الدواداري (٩: ٣٥٩، ٣٧١): «ثمانية عشر ذراعاً وتسعة أصابع»؛ وفي ابن تغري بردي، النجوم ٩: «سبع عشرة ذراعاً وست عشرة إصبعاً؛ وفي ZETTERSTÉEN (op.Cit.,P. 187) «سبعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع». والذراع ٢٤ إصبعاً، والاصبع ٦ حبات شعير مصفوفة بطون بعضها إلى بعض، وقيل خلاف ذلك. وكان قياس النيل يتم كل سنة بواسطة المقياس الموجود في جزيرة الروضة حيث كان يقام لهذه المناسبة احتفالات توزع خلالها الخلع.
ياقوت ١: ٣٥ - ٣٦؛ ابن دقماق ٤: ١١٤ - ١١٥؛ القلقشندي ٣: ٢٨٨ - ٢٩٦؛ المقريزي، الخطط ١: ٥٧ - ٦٠ و٢: ١٨٥؛ هنتس، المكاييل: ٨١، ٨٣ - ٩٣.

(٤) و (٥) كانا في جملة الأمراء الذين حجوا مع السلطان.
انظر: المقريزي ٢/٢: ٣٥١ - ٣٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١٠٢ - ١٠٣.

الساقي أن يفوت الأمير[1] الحج، واختصر الحال على ركوبنا الأميرين[2]
٢٦ و وطفيل[3] أمير المدينة، ونلحق به إلى // الجبل[4] وأمر بالقبض على ألطنبغا[5] السلامي، وكان يعلم منه الخفة، وكان شاب حسن مبدع بالحسن، وكان يكرهه لأجل خفة عقله وانهماكه على اللهو، فقبض عليه وعلى مملوكين أخر وعاقبهم على أن يعرفوا له السبب لهروب المماليك، وذكروا أنه عرض لهم بذكر بكتمر وغيره. وبعد ذلك أمر بهم أن يرجعوا إلى حبس الكرك.

ولما وقف على الجبل[6] حضرت أنا وجركتمر وطفيل وحرج علينا، ورسم أننا نرجع على حالنا ونحن محرمين ونقيم بالبرية إلى حيث نلقاهم، وركبنا فباس الأرض بكتمر وولده، وعرفوه أن هؤلاء محرمين، وشفعوا في رجوعنا فرجعنا. ورسم بعد ذلك بكتب إلى ساير بني بحر[7] وسكان نخلة[8] وغيرهم باقتفاء أثر المماليك. وهذه السفرة يتحدث أهل الحجاز واليمن والشرق مما كان فيها من الحراث والجلب من ساير البلاد ورخص الأسعار، وأنها ما وصل [إردب][9] الشعير في مكة بعشرين درهم وما دونها إلى عشرة دراهم،

---

(١) يقصد الأمير سيف الدين طيدمر الساقي.

(٢) يقصد طيدمر وجركتمر.

(٣) طفيل بن منصور بن جماز الحسيني، توفي بالقاهرة في رمضان ٧٥٢/تشرين الاول - تشرين الثاني ١٣٥١.
ابن حجر ٢: ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٤) و (٦) يقصد جبل عرفة.

(٥) لم يرد ذكر هذا الأمير في جملة من رافق السلطان إلى الحجاز، ولم نقع على أي ذكر له في المصادر التي اعتمدناها.

(٧) هم قوم من الأزد من سكان الصعيد بالديار المصرية
المقريزي، البيان والاعراب: ٦١؛ البري: القبائل العربية: ١٣٥.

(٨) جاء في معجم البلدان (٥: ٢٧٧) «نخلة محمود: موضع بالحجاز قريب من مكة فيه نخل وكروم، وهي المرحلة الأولى للصادر عن مكة». و«نخل» اليوم هي تسمية لعدة قرى تابعة لإمارة مكة. انظر: الجاسر ٢: ١٢٧٩.

(٩) ما بين المعقفين من المقريزي ٢/٢: ٣٥٧.

والبقسماط[1] يباع بالاعدال[2] فاعتبر، فكان الرطل[3] البقسماط بفلس، // والسكر بدرهمين الرطل، والعلبة الحلاوة بثلاث دراهم، والراس ٢٦
الغنم الثمن اثنا عشر درهم. ووصلت اقامة نايب الشام إلى قريب خليص[4]، وكانت فواكه وغيرها، وألفي إردب شعير، فلم يجد من يحمله، وكان انعام الأمير [تنكز] على سائر أهل مكة، وأنعم السلطان على الشريف رميثة بخمسة آلاف دينار وزوجته بخمسماية بعدما قدم له ماية فرس وألف راس غنم وغيرها، فرد عليه الجميع وأخذ فرسين، ولم يجدوا فيها غير شدة الجرّ في الطريق، فإنه كان سنة حارة، ورأت الدواب فيها موت كثير.

ملحق في أمر بكتمر الساقي

وكانت الاشاعة في أمر بكتمر الساقي وولده وقد كثرت بين الناس، وأن [الحكيم] صلاح الدين بن المغربي كان موافق على سقيه، وبقي الأمر إلى أن توفي السلطان الملك الناصر[5]، واجتمعت أنا وصلاح الدين، وكان بيني

---

(١) ويرد أيضاً برسم «البقسمات» و «البشماط» و «البجماط»، وهو معرب بكسمات بالفارسية، أصله من اللاتينية biscoctus ومعناه خبز مخبوز مرتين.
انظر: ابن منظور ١ :١١٢؛ ادي شير، الألفاظ: ٢٥؛ العنيسي، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية: ١٢.

(٢) مفرده عدل: نصف الحِمْل يكون على أحد جنبي البعير، وقد قُدِّر وزن الحمل حوالي ٢٥٠ كلغ تقريباً.
ابن منظور ١١ :٤٣٢؛ هنتس: ٢٦ - ٢٧.

(٣) كان أكثر وحدات الوزن استعمالاً في الديار المصرية وبلاد الشام، وهو يساوي ١٢ أوقية، ١/ ١٠٠ من القنطار، وقد اختلف وزنه حسب البلدان والعصور.
الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة؛ ١٦؛ القلقشندي ٣:٤٤٥؛ المقريزي، النقود: ٩٢ - ٩٤؛ هنتس: ٣٠ - ٣٧؛ EUSTACHE, Les perles de Colliers, P. 149, n. 17.

(٤) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٣٥٧) «إلى خليص».

(٥) توفي السلطان يوم الأربعاء ٢٠ ذي القعدة سنة ٧/٧٤١ أيار ١٣٤٢.
الشجاعي ١ :١٠١ - ١١٩؛ الصفدي، الوافي ٤ :٣٥٣ - ٣٧٤؛ ابن شاكر، فوات ٤ :٣٤ -=

وبينه ودّ وصحبة، وسألته يمين أن لا يخفيني ما كان[1] من أمره، فحلف إيمان كثيرة مغلطة أنه لم يكن عنده علم بشيء مما يقوله الناس، وأن بكتمر كان
٢٧ و يذكر له في الطريق وهم مسافرين أنه يجد // في نفسه توعك، وأنه وصف له تفرغ لطيف واستعمله فلم يجبه بشيء، وعمل له محرك وسقاه فأجابه اثنا عشر دفعة ورحل، وثاني يوم بكرة حضر إليه وجده وقد استرخى كل عضو فيه، وبقي إلى أن توفي بمرضه.

وأما بكتمر فإنه، لما بلغه موت ولده على ما قدّمناه، حضر رجلين مع السلطان على ثوب سرج، وطلبوا صلاح الدين، وقال له: «ابصر الأمير»، وأنه جسّ مفصله، وجده منزعج، فعرّف السلطان أن هذا بسبب ولده، وثاني يوم وقع في الضعف وركب المحّفة[2]، وأنه وجد وجهه وقد ظهر عليه حمرة وكبادة وبرد عظيم في ساير جسده، وأنه كان يشتكي بحرارة عظيمة في باطنه، وأن السلطان، لما سأله، عرّفه أن هذا المرض ذكرت الحكماء عنه أنه رديء جداً كون أن الحرارة والبرد موجود. ثم ذكر أنه بلغه من أمر السقيةما يشبه أن السلطان إن كان قد فعل شيء فيكون علمه مع أحمد الساقي[3] لا غير، وحكى لي حكاية عن أحمد نذكرها في مكانها بما يناسب الفعل، وأن السلطان طلبه بعض الأيام وقال له: «والك يا يوسف ابصرت إيش قالوا،
٢٧ ظ أني أنا وأنت أسقينا بكتمر // وولده، لو كان هذا جرى كنت أنت شريكي فيه» قال: «فقلت معاذ الله يا خوند». وقد أوردنا من أخباره ما وصلت القدرة عليه وعند الله تلتقي الخصوم.

= ٣٥؛ ابن خلدون ٥/٤: ٩٤٩ ـ ٩٥٠؛ المقريزي ٢/٢: ٥٢٣ ـ ٥٤٨؛ ابن حجر، الدرر ٤: ١١٤ ـ ١٤٨؛ العيني ٢٦: ٤٦ ـ ٥١؛ ابن العماد ٦: ١٣٤ ـ ١٣٥.

(١) «ما كان»: مكررة في الأصل.

(٢) مركب كالهودج، مصنوع من خشب، يجد به المسافر الراحة التامة. ابن منظور ٩: ٤٩؛ ابن فضل الله، التعريف: ٢١١ ـ ٢١٣.

(٣) راجع ما ورد في الورقة ١٥و.

وفيها كان الفراغ من عمارة[1] الأمير قوصون من تجديد دار الأمير بدر الدين البيسري[2]، وكان السبب لأخذ قوصون هذا الدار، أنه كان يختار أن يكون له بيت يسكنه في المدينة، وحصل له يوم ركوب من باب النصر[3]، ودخل على بين القصرين[4] ورأى بوابة الدار وما عليها من الحشمة والحرمة والباب الذي ما سبق إلى عمله؛ فنظر إليها وسأل عنها، فعرّفوه بسببها ولمن كانت، وأخبروا أيضاً لمن كان يتقرب إليه من الناس، وأخبره عن عمارة سلار[5] وغيره في ذلك المكان أخذ ومعه أمرها، وأنها ما عمل مثلها في مصر. وبقي في خاطره إلى أن عرّف السلطان وسأله في أمرها، فرسم أن ينحلّ في أمرها، فطلب الورثة وتحدث معهم أن السلطان ما يمكنه الحديث في أمرها لأجل أنها كانت لأمير كبير ومسموع بها، ولها سيرة بين الأمراء، وأوصاه أن يرتب أمرها مع الحكام. وبعد ذلك كثرت الكلام فيها، فطلب القاضي
و١ شرف الدين الحراني الحنبلي[6]// واتفقوا معه أن يفعل فيها كما فعل في حمام

---

(١) كانت داراً للأمير بدر الدين بيسري، أنفق عليها أموالاً طائلة، وهي واقعة بخط بين القصرين من القاهرة.

المقريزي، الخطط ٢: ٦٩؛ مبارك الخطط التوفيقية ٢: ١٠٣.

(٢) الأمير بدر الدين (وقيل شمس الدين) بيسري الشمسي الصالحي النجمي، كان من أجلّ أمراء السلطان بيبرس البندقداري. توفي في سجنه بقلعة القاهرة سنة ١٢٩٩/٦٩٨.

اليونيني، ذيل مرآة الزمان ٢٩٠٧/٣: ١٥١ظ - ١٥٢و؛ أبو الفدا، المختصر ٤: ٤٢؛ الصفدي، الوافي ١: ٣٦٤؛ ابن كثير ١٤: ٥.

(٣) أحد أبواب مدينة القاهرة.

(٤) موضع في القاهرة واقع بين قصر الامير بشتاك والدار البيسرية.

مبارك ٢: ١٠٣.

(٥) الأمير سيف الدين سلار. ولي نيابة السلطنة بالديار المصرية أيام الجاشنكير. توفي في سجنه جوعاً في ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٩/٧١٠ تشرين الثاني ١٣١١.

ابن الدواداري ٩: ٢١٠؛ أبو الفدا، المختصر ٤: ٦٠؛ ابن الوردي ٢: ٣٦٧ - ٣٦٩؛ ابن خلدون ٥/٤: ٩١٢ - ٩١٣؛ المقريزي ٢/١: ٩٧.

(٦) عبد الغني بن يحيى بن محمد، قاضي القضاة شرف الدين الحراني. توفي في ربيع الأول سنة ٧٠٩/ آب - أيلول ١٣١٠.

=

قتّال السبع[1]، فإن مذهبه [يقتضي][2] ذلك، وأوثقوا القضية، وطلبوا الورثة إلى عند الأمير قوصون وأوعدهم بمواعيد كثيرة، وضمن له[3] الامرة وغيرها، وما زال بهم إلى أن أنعموا بالبيع بعد ما عرّفوه أن هذه وقف وليس لأحد فيه تصريف، وكان ذلك جلّ قصد الورثة لتحصيل شيء ينتفعوا به. واتفق الحال على ذلك، وعرف السلطان فطلب علاي‌الدين‌ابن هلال الدولة، ورسم أن يأخذ صحبته شهود القيمة[4]، وينزل يقوّم الدار ويعمل أموره فيها على الوجه الشرعي. فنزل وصحبته شهود القيمة، وكنت[5] ممن صحبه ذلك اليوم عند نزوله إليها، وجدنا دار لا يمكن أنه بني على أرض مصر والقاهرة صفة البناء المحكم الذي كان فيها، وحسن صنعتها والرخام والذهب والأبواب جميعها مطعمّة عاج وأبنوس، وعمارة متقنة لا يمكن أن يكون في مثل ذلك الوقت، ووجدت مكتوب تاريخها في الدولة الظاهرية سنة تسع وخمسين وستماية، وكان الصانع كما خرج منها في كل صنعة كانت من الرخام إلى الذهب إلى البياض //.

٢٨ ظ ولما رأيناها دهش كل أحد لها، ووقف شهود القيمة وفيهم ابن بلوبة،

= ابن حبيب، تذكرة ٢: ١٢٧؛ المقريزي ٢/١: ٨٤؛ ابن حجر ٢: ٣٨٩، ابن تغري بردي، المنهل (ترجمة عبد الغني بن يحيى بن محمد).

(١) آقوش الموصلي، الأمير جمال الدين قتال السبع. أصله من مماليك بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل. عمر حماماً مشهوراً خارج باب القوس من ظاهر القاهرة. توفي سنة ٧١٠/١٣١١ - ١٣١٢م.

أبو الفدا، المختصر ٤: ٥٦؛ ابن الدواداري ٩: ٢١٠؛ ابن أبي الفضائل: ٧٠٣ - ٧٠٤؛ الصفدي، الوافي ٩: ٣٣٥؛ المقريزي، السلوك ٢/١: ٩٦، الخطط ٢: ٨٥.

(٢) ما بين الحاصرتين من العيني ٢٩١١/١٧: ٧٤ظ.

(٣) في المصدر نفسه: «لأحدهم».

(٤) انظر: ماجد، نظم دولة المماليك ١: ١٠٠ وما بعدها.

(٥) يشير العيني إلى أخذه هنا عن اليوسفي بقوله: «قال الراوي: وكنت أنا معهم، فلما نزلنا إلىها وجدناها داراً. . .».

العيني ٢٩١١/١٧: ٧٤ظ.

فنظر إليه ابن هلال الدولة وقال: «قوّم يا قـاضي!». فصار يمشي في جـوانبها وينظر إلى رفقته. وآخر الحال انتهى أنه قوّم الـدار جميعها بمـاية وتسعـين ألف درهم[(١)]، وتكون الغبطة[(٢)] لـلأيتام عشـرة [آلاف] فيكون الثمن مـايتي ألف درهم[(٣)]. فنظر إليه ابن هلال الدولة، وقال: «يا ابن بلويه، تـرى أين يكون مقعـدك في جهنم؟ تقـوم هـذه الـدار بمـايتي ألف درهم «فقلت جـوابـاً لـه: «يا أمير، هذا المقوِّم فأين يكون من يستحلّ بيع هذه الدار». قال لي: «فوق هذا بطبقات من طبقات جهنم». وطلع عرّف السلطان ذلك، ونزلوا للقاضي شرف الدين الحراني وأحضروا إليه كتبها، فأخبرني[(٤)] الشيخ الثقة فتـح الدين ابن سيـد الناس[(٥)] شيـخ الحديث أنـه وقف على كتبهـا، وكان عـدد العدول الذي شهدوا فيها اثنين وتسعين عدل[(٦)] من جملة عدولها القـاضي تقي الدين ابن دقيق العيد[(٧)] والقاضي ابن الـرزين[(٨)] والقاضي ابن بنت الأعـز[(٩)] كان

---

(١) فـي العينـي: «درهـم نقـرة»، وكان عيارها، منذ النصف الثاني من القـرن السابـع الهجري حتى نهايـة القـرن الثـامن، ثلثين من الفضـة وثلث من النحـاس، وقلّت الفضـة بعـد هـذا التاريخ.
القلقشندي ٣: ٤٣٩، ٤٦٢ ـ ٤٦٣؛ الكرملي، النقود العربية: ١١٣.

(٢) أي الزيادة في الثمن.
ابن منظور ٧: ٣٥٨.

(٣) في العيني ٢٩١١/١٧: ٧٤ظ: «درهم نقرة».

(٤) يشير العيني إلى أخذه عن اليوسفي بقوله: «قال الرواي: أخبرني الشيـخ الثقة فتـح الدين ابن سيد الناس شيخ الحديث. . .».
العيني ٢٩١١/١٧: ٧٤ظ.

(٥) له ترجمة مطولة في وفيات ٧٣٤.

(٦) كذا في العيني ٢٩١١/١٧ وفي المقريزي (٢/٢: ٣٦٢): «اثنين وسبعين عدلاً».

(٧) محمد بن علي بن وهب، القاضي تقي الدين ابن دقيق العيد، قاضي القضاة بالـديار المصـرية (شافعي) توفي بالقاهرة في ١١ صفر ٧٠٢/٦ تشرين الأول ١٣٠٢ ودفن بالقرافة. وله كتابات عديدة في الفقه والحديث، منها مؤلف من ٢٠ مجلداً بعنوان «الإلمام في أحاديث الاحكام».
الأدفوي، الطالع السعيد: ٥٦٧ ـ ٥٩٩؛ الدمشقي، الرد الوافر: ٥٨ ـ ٥٩؛ ابن القـاضي، ذيل وفيات الأعيان٢: ١٥؛ =

ذلـك الوقت لم يبلغـوا درجة القضـاء، وأنه لم يسمـع بأفحش من حـل هـذا
٢٩ و |الوقف ووقف //حمام قتّال السبع، وأبيع ذلك على مذهب الحنبلي، وقبضوا الثمن وألزموهـم بشـراء أملاك لهـذا الوقف ويـوفوا شـروطه. وبلغني أن هـذا الدار بناها الأمير بدر الدين بيسري الشمسي في الدولة الظاهرية، وأنها كانت قديما لما ملكت الافرنج مصر ودخلوا إليهـا(١)، ثم وقع الصلح بـين المسلمين والافـرنج بعـد حرب كـانت بينهم، واتفقوا عـلى أن يكـون نصف متحصّـل المدينة لـلافرنـج والنصف للمسلمين، وأنها كـانت على سبيـل الخمس إلى أن ملكـوا المسلمين وقتلوا الافـرنج، وتمـادى الأمر إلى الـدولـة المـظفـريـة(٢) ثم الظاهريـة، اتخذ البيسـري هذا الـدار وصار ينفق فيهـا أموال عـظيمة، فبلغ الملك الـظاهر، فـأنكـر عليـه، وقـال: «يـا بـدر الـدين، إيش خليت للغـزاة والبواكير؟»(٣). قال: «صدقات السلطان. والله يا خوند، مـا بنيت هذا الـدار إلا حتى يصل خبرها إلى بلاد العدو ويقولوا بعض مماليـك السلطان عمر داراً

EBEID et YOUNG, art., «Ibn Dakik al-Id», EI² (Suppl.), P. 384a.

(٨) محمـد بن الحسين (وقيـل الحسن) بن رزين القاضي تقي الـدين المعروف بـابن رزين قـاضي الديار المصرية (شافعي). توفي بالقاهرة ليلة الأحد ٣ رجب سنة ١٨/٦٨٠ تشرين الأول سنة ١٢٨١، ودفن بالقرافة.

النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٩: الورقة ١٢٣؛ الذهبي، دول الاسلام، ج٢: ١٤٢؛ الصفـدي، الوافي ٣: ٦٤ - ٦٥؛ السبكي، طبقـات الشـافعيـة الكبـرى، ج٥: ١٩ - ٢٠؛ الاسنوي ١: ٥٩٤ - ٥٩٥.

(٩) عبد الرحمن بن عبد الوهـاب بن خلف، القاضي تقي الـدين ابن بنت الأعز، قـاضي القضاة (شافعي). توفي بالقاهرة في ١٦ جمادي الأولى سنة ١٢/٦٩٥ آذار سنة ١٢٩٧.

النويري ج ٢٩: ١٧٨ و- ١٧٩ و؛ اليونيني ٣/٢٩٠٧: ٨٤ظ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام ٢١: ٢٣٠ظ؛ السبكي ٥: ٦٤ - ٦٥.

(١) كان ذلك سنة ١١٦٨/٥٦٤. راجع: ابن الأثير، الكامل ٩: ٩٩ - ١٠٠.

(٢) يقصد أيام السلطان الملك المظفر قـطز الذي قتـل سنـة ١٢٦٠/٦٥٨، وحـل محله السلطان الظاهر بيبرس.

(٣) في العيني (١٧/٢٠١١: ٧٤ظ)؛ «البيكـارات» ومفردهـا بيكار، وهي لفـظة أعجمية معنـاها حومة القتال.

ابن شداد، تاريخ: ١٥٣، حاشية ٥.

غرم عليها مال عظيم». فأعجب (السلطان ذلك)(١) وأنعم عليه بألف دينار، ولم يسمع عن الملك الظاهر إنعام أكثر منه في مثل بين القصرين نحو الفدانين بالقصبة وداخلها اصطبل وبستان وحمام إلى جانبها(٢). ورسم السلطان //
٢ ظ|للنشو أن يرصد نفسه للأصناف الذي تحتاج إليها، وتكفل النشو بأمرها. وشرع في طرح الأصناف وغيره وتحصيل الأموال، ووقع بالناس ظلم عظيم وعانت من كثرة الرمي والطرح.

ذكر دخول سنة أربع وثلاثين وسبعماية وحوادثها

قبض فيها على الأمير سيف الدين ألماس الحاجب(٣) وعلى أخوه(٤)، كان اتفق القبض عليه أسباب اتفقت نذكرها، أولها لما حج السلطان ورسم أن يكون مقيم [في دار النيابة](٥) بالقلعة، [و] كان بينه وبين الأمير جمال الدين(٦) نايب الكرك مودة ومحبة كل منهم يميل بها إلى صاحبه، فكانا يكثران الترسل بينهما بالرسل، وكان آقبغا عبد الواحد(٧) مقيم داخل

---

(١) ساقطة من متن الأصل ومستدركة على الهامش بالقلم نفسه.

(٢) عبارة المقريزي كما يلي: «وعدّ هذا من أعظم إنعام السلطان، فجاء سعة هذه الدار باصطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين».
المقريزي، الخطط ٢ : ٦٩.

(٣) سترد ترجمته في وفيات هذه السنة، وعن تاريخ القبض عليه قارن بابن الدواداري ٩: ٣٧٣.

(٤) ويدعى الأمير سيف الدين قَرَا، قتل سنة ٧٣٤/١٣٣٣ - ١٣٣٤.
الصفدي، الوافي ٩ : ٣٧١؛ المقريزي ٢/٢ : ٣٦٥.

(٥) أضيف ما بين المعقفين بعد مراجعة المقريزي. قارن بالصفدي، المصدر نفسه.

(٦) سترد ترجمته في وفيات ٧٣٦.

(٧) أقبغا عبد الواحد، الأمير سيف الدين الناصري، وهو أخو الخوندة طغاي زوجة السلطان الناصر محمد بن قلاوون الذي رقاه إلى أن صار أستادار ومقدم المماليك وشاد العمائر، ثم ولي بعد وفاة الناصر نيابة حمص. توفي بحبسه بالاسكندرية سنة ٧٤٤/١٣٤٣ - ١٣٤٤، وإليه تنسب المدرسة الأقبغاوية بجوار الجامع الأزهر.
الصفدي ٩ : ٣٠٤ - ٣٠٥؛ المقريزي ٢/٣ : ٦٦٠؛ ابن حجر ١ : ٣٩١؛ ابن اياس ١/١ : ٥٠٤.

القلة[1]، وكان يكره ألماس ويكره نـايب الكرك، وحصـل من ألماس في غيبـة السلطان أمور فاحشة لا تصلح أن تكون في أمير له وظيفـة وخصوص وظيفـة الحجوبية، وكان الرجل فيه ميل إلى حب الشباب والتلفت إلى معـاشرة أولاد الأمـراء والتقـرب إليهم والالتفـات إلى تحصيلهم، وأعيـاه ذلـك إلى أن كـان بجوار بيت النيابة مسجد أرضي يصـلّي الناس فيـه، فألجـأه التلفت إليهـم أن ٣٠ و فتـح بجوار قبلتـه // باب سـر يدخـل منه إلى بيت النيـابة، فكـان إذا قصد الاجتماع بأحد طلبه إليه، ويدخل به من ذلك الباب.

وأيضـاً لما اتفق مـا اتفق للسلطان في الحجاز، وأشيـع خبره في مصـر، وبقي كل أحد خـاطره متشـوش بذلـك السبب، ذكروا أنـه حصل منـه كلام فهمـه عنه آقبغا وحفظه عنـه، واختلق عليـه أشيـاء من الأمـور الآذية عنـد السلطان، والسبب الذي تحققت صحته أن الـرجل كـان له شغف عـظيم في جمع الدراهم والذهب وله متاجر في أمور فاحشة، فإنه كان في حجوبيته أخـذ بهواش[2] والنعناعية بالمنوفية[3] من الجنـد، وعوّضهـم السلطان عنهـا، وصنع فيها بساتين، وأنشأ فيها أراضي كثيرة، وكان أجلّ تجارته في اجلاب الخنازيـر من البـلاد[4] إلى عنده ويـدعهم في تلك البلاد ويسمنهم، وإذا حضـروا تجار الافرنج أو رسلها يطلب الترجمان ويشتري منهم البضائع ويبيع عليهم الخنزير وشحمه. وكان سيّر [إلى] البلاد جملة سلاح صحبة التجار شيء برسم الهدية لقرباه، وشيء على سبيل المتجـر، وسعد من ذلـك سعادة طـايلة إلى أن صار ٣٠ ظ يلهج بسعادة عند الأمراء ويقول: «عندي الـدراهم // والذهب، ومن فيكم

---

(١) المقصود: باب القلة، وهو أحد أبواب قلعة الجبل.
المقريزي ٢/١: ١٢٢.

(٢) الأصل «صهواج» ولم نقع عليه، وما هنا بعد مراجعة المقريزي ومبارك.

(٣) من مدائن الوجه البحري بالديار المصري، كانت مقر ولاية منوف.
ياقوت ٥: ٢١٦؛ القلقشندي ٣: ٤٠٥.

(٤) في المقريزي (٢/٢: ٣٦٦): «بلاد الشرق».

مثلي؟»، وزاد بهذا الأمر[1] إلى أن حضر السلطان من الحجاز، وسعى عليه آقبغا سعي كثير، وكان قد شغف بشاب يسمى عمير، فكان ينزل ويجتمع بالأوُراتية[2]، ويحضر الشاب ويشرب شيء من صُرما أو شيس، وكثر أمره وشغفه، وهو الذي حرك عليه هذا الأمر الساكن.

ولما عرفوا السلطان ذلك الأمر ونزوله، وبلّغوه أمر فتح الباب من المسجد وسعادته الطايلة، كان سبب الايقاع به، وقبض عليه ونزل على موجوده، وسيّر قبض على أخوه وكان في أخوه ظلم كثير وعسف وقوة نفس، وكان يشرب الخمر، ويتكلم بكلام توجب تعرضه للأمور الذي يكرهها السلطان. ونزل النشو وابن هلال الدولة وشاهد الخزانة إلى حوطته، فكان جملة ما وجد له من الدراهم في خيش بندق نحو الستماية ألف درهم، ونحو ماية ألف درهم فلوس، وأربع آلاف دينار[3] وثلاثين حياصة ذهب كاملة بكلوتاتها[4] وخلعها وبعض الجوهر. وأشياء تحف وأشياء مثمّنة لم تحصر قيمتها وأمر بالحوطة على ساير بلاده وغلاله. وكان عنده عبد رباه صغير وانتشأ،
٢ و وكان هو الذي يطلع على // أمره، فطلبه السلطان بعد القبض عليه وعاقبه، فاعترف له بجميع ما كان يفعله أستاذه، وصدّق كلام من نقل عنه هذا الفاحش، واستخبره السلطان على من كان يحضر إليه واحد بعد واحد، وذكرهم له الجميع من ساير أولاد الأمراء. وقصد السلطان قتل العبد فشفع فيه بشتك، فرسم بحبسه وفرّق ساير مماليكه.

---

(١) في المقريزي: «وزاد في هذا المعنى».

(٢) ويرد برسم «الأويراتية» و «العُويراتية» نسبة إلى «أويرات» و «عويرات». وهم عدة قبائل تتارية بلغ عدد أسرها ١٨ ألفاً طردوا من بلاد فارس أيام غازان سنة ١٣٩٦/٦٩٥، وقدموا إلى بلاد الشام، فأنزلهم السلطان كتبغا في بلاد الساحل، وأنعم على مقدميهم بالخلع والهبات. بيبرس المنصوري، زبدة: ١٩١ - ١٩٢. ZETTERSTEÉN, op. cit., P. 38 - 39.

(٣) كذا، وفي المقريزي (٢/٢: ٣٦٧) «وأربعة آلاف دينار مصرية».

(٤) في المصدر نفسه «بكلفتاتها» وتؤدي نفس المعنى، ومفردها كلفة وكلفتاة وكلفتة، وكلوتات: مفردها كلوتة ويقابلها بالفرنسية لفظة Calotte وهي غطاء للرأس. DOZY, Dict. Vêt., p. 387.

ذكر واقعة غريبة اتفقت بالحجاز الشريف بقتل بعض أمراء المغل

وكان وصلوا المبشرين [من مكة][1] في أوايل المحرم، وأشيع الخبر بمصر أن بعض ملوك المغل كان قصد الحج، وأنه قتل يوم رمي الجمار وبقيت الناس في ذلك منتظرين خبره إلى أن وصل الحاج، وكان الأمير سيف الدين برصبغا[2] قد حج تلك السنة، واستوضحت أمر ما اتفق، فأخبرني ثقة ممن كان له اطلاع في ذلك السبب أن قطلبك مملوك خواجا مجد الدين السلامي[3] حضر من عند أستاذه وصحبته كتاب أبو سعيد ملك الشرق، يذكر فيه أن ثم شخص من أعدانا، وقد حج في هذه السنة، وسأل السلطان في قتله وأخذ ماله، ولا يعود إلى البلاد، فإن عوده فيه فساد كثير، وأنه يخشى عاقبته.
٣١ ظ وأخبروا // عن هذا الرجل أنه كان يسمى ياسور، وأنه من عظم القان وأنه معروف بالفروسية والأقفنسة[4] وله وقايع كثيرة عرف له فيها بالشجاعة والاقدام، وأنه اتفقت له وقعة عظيمة رموا فرسه بالنشاب ووقع إلى الأرض واجتمعت عليه جماعة كثيرة من المغل، فوقف راجل وقاتلهم، فعرفه بعضهم وكان هو المطلوب، واجتمعوا جماعة كبيرة ورموه من الفرس بعد قتله جماعة

(١) ما بين الحاصرتين من العيني ٢٩١١/١٧: ٨١و.

(٢) وورد أيضاً برسم «برسبغا» و «برسنبغا»، وهو الأمير سيف الدين برسبغا الحاجب الناصري، كان مقدم ألف. قتل في محبسه بالاسكندرية في شوال سنة ٧٤٢/ آذار - نيسان ١٣٤٢.
الشجاعي ١: ٢٢١ - ٢٢٢، الصفدي، الوافي ١٠: ١١٤ - ١١٥، ابن حجر ١: ٤٧٤.

(٣) إسماعيل بن محمد بن ياقوت، الخواجا مجد الدين السلامي، تاجر الخاص في الرقيق. أصله من السلامية وكانت له وجاهة زائدة عند الناصر محمد وعند المغل. توسط بين المسلمين والتتار أيام القان أبي سعيد، وأثمر صلحاً بين الطرفين. توفي نهار الأربعاء في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٧٤٣ / ٢٧ تشرين الثاني ١٣٤٢، ودفن بتربته خارج باب النصر بالقاهرة.
الشجاعي ١: ٢٥١؛ الصفدي، الوافي ٩: ٢٢٠ - ٢٢١؛ ابن حجر ١: ٣٨١ - ٣٨٢. أما لفظ الخواجا (خواجه أو الخواجكيه) فهو لقب كان يطلق على التجار الأجانب. Dozy, **Suppl.**, I, P. 410-411; AYALON, **L'Esclavage du Mamelouk**, P. 37.

(٤) في العيني (٢٩١١/١٧: ٨١و) : «الشجاعة».

منهم وما وقع إلا وقد اثخنوا بالجراح، ووقع وعلموا أنه لم يبق فيه روح، واشتغلوا بغيره، وأنه أقام يومين وليلتين ملقى على الأرض، وأفاق ثالث يوم وقوّى نفسه ومشى إلى أن دخل في الليل قرية بالقرب من مكان الوقعة، والتجأ إلى طاحون، ودق الباب وخرج الطحان إليه فوجده في غاية الضعف، فسأله عن حاله، فقال: «أنا رجل وقعت على الحرامية وجرحوني، وأنا غريب فاربح معي حسنة وآويني، فإن عشت كافيتك وإن مت تربح أجري». فدخل به الطاحون وأكرمه، وأقام يداويه أيام إلى أن فاق من جراحاته وقويت نفسه، وخرج من عنده متنكر إلى أن تحيّل ووصل إلى // أهله، وكانت له شهرة عظيمة في تلك البلاد وشهر حاله وعلم [أن] أعداءه قد علموا بحياته وظهوره. وحكي لي[1] الناقل عنه، وهو من أعيان الأمراء الذي وصلوا من بلاد قازان، وكان رجل صادق وأمره السلطان في مصر، كان يعرف بنيروز[2]، وأنه رافقه وصحبه في البلاد، وآخر ما اتفق له أنه ذكر بين أمراء المغل، لما فعل أبو سعيد بجوبان وأولاده من الفتك، وأخبروا أبو سعيد أن جوبان قصد أن يقيم هذا كونه من عظم القان، واتفق لهذا الرجل أنه أسلم وحسن اسلامه، وصحب الفقراء والفقهاء وقوّى في أمر الاسلام إلى أن عرّفوه أن الحج من جملة فرايض الاسلام، فحضر لأبو سعيد واستأذنه، ونظر أبو سعيد إليه فهابه شكله ومنظره، وكان رجل أتمّ الرجال، على ما نقلوه والشجاعة لايحة بين عينيه، فأكرمه أبو سعيد وقرّبه وجهّزه بجميع ما يحتاج اليه، وأنعم عليه بعشرة طوامين[3]، ذهب بعد ذلك، وأصحب أمير ركب العراق أن يكون في خدمته ويعظمه.

---

(١) أخذ العيني الرواية نصاً عن اليوسفي، ويشير إلى ذلك بعبارة: «قال الراوي». العيني ٢٩١١/١٧: ٨١ وما بعدها.

(٢) وقد جعله السلطان أمير طبلخاناه.
القلقشندي ٧: ١٥٨ ـ ١٥٩؛ المقريزي ٢/٢: ٤٩٨.

(٣) الطوامين أو التوامين، لفظ فارسي، مفرده طومان أو تومان، وبالتركي تُمن وتومن، ويعني عشرة آلاف، وله دلالات عدة، والمقصود هنا عشرة آلاف دينار.

وبعد فراقه من أبو سعيد عرّفوه من أراو[1] قتله: «أن هذا الـرجل من
٣٢ ظ أصـل // القان الكبير، ولا نأمن، أن يتغير حـالـك، ويكـون الحكم لهـذا
الرجل. وإذا ولي أمـر المغل مثـل هذا عـظم شأنـه بين المغـل». واتفق الحال
طلب مجد الدين السلامي إلى أبو سعيد والوزير، وعرّفوه الصورة، وكتب أبـو
سعيد للسلطان الملك الناصر بذلك السبب، وعرّفه: «أن فلان قد حج، وأن
هذا رجل له أعوان وربما حصل منه أمر يخشى عاقبته علينـا وعلى المسلمـين،
وقـد أمكنت الفرصـة منه في هـذا الوقت». وسيّر الكتاب صحبـة قطلـوبـك
مملوك السلامي، ووصل السلطان. ولما وقف عليه وفهم المقصـود ونقل قـطلو
بـك ما معـه من المشـافـاة، رسم بـطلب دليلين من العـرب وأعـطاهم هجن
يصلحوا لهذا المهم، وكتب كتاب للأمير سيف الدين برصبغا وأفهمـه المقصود
فيه، وأن يشرك في أمره الشريف عطيفة[2] و[الشريف] رميثة[3] أمـراء مكة،
شرفها الله تعالى، ورسم أن يكون قطلو بك مملوك السلامي صحبتهم، فإنـه
سأله عن معـرفة الـرجل، ذكـر أنه رآه. وكـان حضوره إلى مصـر مستهل ذو
٣٣ و القعـدة وخروجـه من توريـز[4] الأردو[5] العشر // الأول من شـوال، وأقام
بمصر عشرة أيام، وركب فكان وصوله إلى مكة يوم دخول الحاج إليها[6]. ولما

(١) كذا في الأصل، ولعله يقصد «رأوا».

(٢) عطيفة بن محمد بن حسن الحسني، شريف مكة. توفي بـالقاهـرة نهار الاثنين ١٤ ربيـع الآخر سنة ٧٤٣/١٦ أيلول ١٣٤٢.

الشجاعي ١: ٢٥٠، ابن حجر ٢: ٤٥٥ - ٤٥٦؛ ابن تغري بردي، المنهل (ترجمة عطيفـة بن أبي نمي محمد).

(٣) وهـو أخو المتقـدم، وقد سبقت تـرجمته في الصفحة ١٣٨، الحاشيـة الأولى مـع الاشـارة إلى أن عطيفة لم يرد ذكره في رواية المقريزي.

(٤) توريز أو تبريز، وهي عاصمة مقاطعة أذربيجان الايرانية.

MINORSKY, art. «Tabrîz», EI, IV, P. 583a - 593b.

(٥) الأردو (ordu): لفـظة مغولية معناهـا المعسكر، والمـراد بها معسكـر سلطان الـدولـة المغـولية بفارس.

انظر: ابن أبي الفضائل: ١١٦، ١١٧، ٢٤٠، ٣٧٣.

(٦) يشـير المقريـزي (٢/٢: ٣٦٧) إلى أن وصول قـطلو بك السـلامي إلى مكـة كـان في أول ذي =

علموا بحضوره تشوشوا بسببه، وأشاعوا عن أمور كثيرة جرت بمصر، واجتمع مع برصبغا وأعطاه كتاب السلطان، فذكر لي من وقف عليه وقرأ عليه كان رفيق له في الطريق وهو ناصر الدين محمد بن عبد الرّزاق، أنه إذا وصل إليك مرسومنا تتقدم بطلب الشريفين أمراء مكة وتعرّفهم المقصود، ويكونوا عون لك على ما رسمنا، وتتحيّل في قتل المشار إليه بكل حيلة، ومهما كان صحبته من المال وغيره تختطفه، ولما فهم ما فيه أحضر قطلبك وعرّفه القصد، وأنه حضر من بلاد أبو سعيد بهذا السبب، وأن الأمير [برصبغا] طلب الشريف رميثة وعرّفه مرسوم السلطان الذي حضر والسبب لحضوره، وأن رميثة كان جوابه: «والله يا أمير، ما أحد منا يمكنه أن يفعل شيء من هذا مع ملوك ولا يليق بنا ونبقى أعداء لهؤلاء القوم، وربما حصل لنا من ذلك الضرر»، وكذلك قال عطيفة.

فلما علم قلة موافقتهم اعتمد على // نفسه، وشرع في التحيّل على بلوغ ٣٣
قصده، ولو تجاوز في الفحشاء حدّه. فيا همّة ما كان أقصر عند الله خطاها، ويا عزمة ما كان أسعده لو تخطاها. واقتضى رأيه أنه طلب بعض العرب النجابة[1] التي كانوا صحبته، وأوعده مواعيد كثيرة عنه وعن السلطان[2]، وعرّفه الغرض، فوافقه على مقصده، وصبر إلى أن وقفوا الوقفة، وضحّوا وحضروا لرمي الجمار[3]، وركب برصبغا وقد اعتدّ البدوي لما أعدّوه بسببه إلى أن قاربوا الرجل، وأشاروه أنه المقصد، فوثب عليه وضربه.

ذكر مقتل ياسور

ألقاه إلى الأرض، وكان خلفه بعض مماليكه، لما رأى

الحجة سنة ١٣/٧٣٣ آب ١٣٣٣.

(١) النجاب هو راكب النجيب من الابل (القوي منها والخفيف والسريع)، مهمته نقل الرسائل وتبليغها إلى أصحابها.
ابن منظور ٢ : ٢٤٥.

(٢) في المقريزي: «ووعده بما ملأ عينه».

(٣) في المصدر نفسه: «فلما قضى الحاج النسك من الوقوف والنحر، وركب ياسور في ثاني يوم النحر لرمي الجمار».

البدوي وقد ضرب أستاذه، رمى نفسه عليه، فطلبه، فهرب منه بين الخيل (١) فأشار برصبغا لبعض مماليكه بقتل البدوي، فضربه بالسيف أرماه وقتلوا مملوكه أيضاً. وكان برصبغا قتل البدوي خشية لا يقع في يد أصحابه يعترف على من عرّفه.

ولما رأت الناس ما هالهم في مثل ذلك المكان، مكان العفو والمغفرة ورمي الذنوب، أن يتفق قتل مسلم موحّد واقف بعرفة، ورفع الصوت
٣٤ و في // ساير الحاج وركبت الناس، وبلغ ركب العراقيين مقتل ياسور، وجاءت مماليكه وقد حملوه وهو مختضب بالدماء والناس حوله تتباكى حزن على مصابه. ولما رأته العراقيين هالهم أمره، وقامت نفوسهم، وركبوا نحو برصبغا وقالوا: «يا أمير، كيف يجرأ هذا على ملك من عظم القان حاج بيت الله الحرام ووقف بعرفة، ويقتل عند رمي الجمار؟». فعرّفهم أن أمره مشكل عليه، وأن مقتله كان من أهل البلاد(٢)، وأنه ربما اتبعه أحد من أعدائه، وممن له عليه دم أو ثأر، أو يكون أحد من غرمائه سيّر إليه فداوي قتله لأجل شيء في خاطره منه، «وقد قتلنا الذي رأيناه وقد ضربه، وهو رجل بدوي لابس حلية العرب، وقد غيّر حليته، وهذا ما فيه شك أنه حضر صحبته من العراق». واتفق بينهم كلام كثير إلى أن كادت تقوم بينهم فتنة(٣). وكان أمير الركب العراقي رجل كبير عاقل، وفهم الأمر الذي اتفق أن هذا بأمر أبو سعيد، فعرّف أصحابه ذلك الوقت أن الرجل فرط فيه الفرط، وربما حصل
٣٤ ظ من أمر هذا الرجل منازعة // أوجبت الحرب ونحن في بلادهم. ونهضوا من عنده وقد لطفوا الأمر مع برصبغا، وأُخرجوا على خير، وتسلّموا ياسور ومملوكه معه وغسّلوهم وكفّنوا ودُفنوا بمنا(٤). وكان عند الناس ذلك اليوم

---

(١) في المقريزي: «وهرب نحو الجبل».

(٢) يقصد بلاد الشرق (دولة القان أبي سعيد).

(٣) في المقريزي (٢/٢: ٣٦٨): «فانصرفوا عنه وفي نفوسهم منه شيء».

(٤) بلدة على فرسخ من مكة، طولها ميلان، في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم.

حزن وبكاء وتوجع بسبب هذا الرجل، وكيف حصلت له الشهادة في مثل ذلك الموقف، وصلّى عليه ساير أهل مصر والشام والعراق، وكان له يوم مشهود شهده الله والملايكة والناس. وبلغني من بعض مماليك برصبغا، كان يعرف بلسان المغل، أنهم لما وقع بينهم وبين برصبغا المفاوضة قال لهم الرجل أمير ركب العراق بلسان المغل: «إيش تقولوا، والله من حيث خرج ياسور من عند أبو سعيد وسافر معنا، علمت أنه يقتل، وأنه لا يعود إلى العراق، فإمّا كان قاتله معنا يراقبه، أو سيّر إلى صاحب مصر بقتله له مثل ما قتل دمرداش»[1]، وأنهم لما سمعوا كلامه سكنوا وانفصل الحال على دفنه.

ولما رحلوا حضر من عرّف برصبغا عن العراقيين أنهم ربما أعتبوا لقتله
مع جماعة ياسور الذي كانوا صحبته، وأنهم مقتفين أثره // في المنازل، وأنه ٥ظ
أخذ في الاحتراس على نفسه، وصار عند النوم يخفي نفسه عند الهجانة والغلمان، وينم مكانه الذي ينام فيه بعض الهجانة. وبقي بذلك الاحتراس الى أن خرج من مكة ونزل وادي الصفرا[2]. واتفق ضجة في الوادي في الليل، وركبت العراقيين وقصدوا منزلته، فلم يظفروا منه بشيء. وما زال أمرهم في خوف الى أن دخل مدينة النبي ﷺ وافترقوا من ركب العراق، فاطمأن من أمرهم.

وفي تلك الأيام ورد [تنكز] نايب الشام[3]، وسيّر مملوكه، من غزة يعرّف السلطان أنه واصل، ومتى يرسم يكون دخوله، وهذه كانت عادته، فرسم له بسرعة الحضور، وعرّف مملوكه أن يقول لأستاذه أن السلطان محرج على ابن هلال الدولة، فلا يتحدث معه فيه بكلمة واحدة، وسنذكر السبب

= ياقوت ٥: ١٩٨ - ١٩٩؛ القزويني: ١٢٣ - ١٢٤.

(١) يقصد دمرداش بن جوبان. راجع ما ورد في الصفحة ١٤٠، الحاشية رقم ٥.

(٢) سبق التعريف بهذا المكان. راجع الصفحة ١٤٣، حاشية رقم ٤.

(٣) وكان قدوم الأمير تنكز إلى غزة يوم الخميس ١٨ جمادي الآخرة. المقريزي ٢/٢: ٣٦٨.

الموجب لذلك، فإن النشو اتفق مع السلطان على أمور كثيرة نذكرها، وجمع رأيه على مصادرات، وشرع في مثل ذلك يتحدث مع مباشرين مصر والشام، ٣٥ ظ وطلبهم إليه، ورسم لهم بعمل الحساب وكذلك طرح على ساير التجار // من مصر والقاهرة.

وفي هذه المدة دخل القاضي جلال الدين[1] على الأمير قوصون في حضور ولده عبد الله[2] من دمشق إلى مصر، وأن يجمع شمله به ويضم عائلته، فعرّف السلطان بأمره، وشفع في حضوره، فرسم فحضر على البريد، ولم يكن له همة غير أنه انقطع في البحر. كان والده قد أخذ دار شمس الدين ابن الأطروش[3] بعشرة آلاف درهم، وأقام بها. فلما حضر، شرع عبد الله في عمارة دار إلى جانب دار أبوه، وأخذ صناع مصر والقاهرة إليها، واستمر في عمارتها، وعاد إلى ما كان عليه من اللهو والتيه والاعتكاف على الشراب،

(١) محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، أبو عبد الله، قاضي القضاة جلال الدين (شافعي). ولد بالموصل في شعبان سنة ٦٦٦/ نيسان - أيار ١٢٦٧. ولي قضاء القضاة في الديار المصرية والشامية. توفي بدمشق يوم الأحد في ١٥ جمادى الأولى سنة ٧٣٩/٢٩ تشرين الثاني ١٣٣٨، ودفن بمقابر الصوفية. ألف عدة كتب منها: «كتاب التلخيص في المعاني والبيان».
ابن الوردي: ٢: ٤٥٩ - ٤٦٠، الشجاعي ١: ٤٥؛ الصفدي، الوافي ٣: ٢٤٢ - ٢٤٣؛ السبكي ٥: ٢٣٨ - ٢٣٩؛ ابن كثير ١٤: ١٨٥، ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٩٩ - ٣٠١؛ المقريزي ٢/٢: ٤٧٠؛ ابن قاضي شهبه (نسخه البودليان): ٢٧٤ظ - ٢٧٥و؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣١٨؛ ابن طولون، الثغر البسام: ٨٧ - ٩١.

(٢) ولقبه جمال الدين، وعرف عنه انغماسه باللهو ومجالس الايناس، فأخرجه السلطان لذلك من مصر، وأقام بدمشق مدة ثم عاد إلى مصر بشفاعة الأمير قوصون، ثم أخرج مرة أخرى وأعيد. توفي في ١٥ جمادى الأولى سنة ٧٤٣/١٦ تشرين الأول ١٣٤٢. عمر بمصر على النيل بالقرب من جزيرة الفيل عمارة فخمة كما كان له دار أخرى داخل القاهرة عند دكة المحتسب.
الصفدي، أعيان ٣: ٥١ظ - ٥٢ظ؛ ابن حجر ٢: ٢٩٣ - ٢٩٤.

(٣) محمد بن علي بن أسد الأنصاري أبو عبد الله، شمس الدين المعروف بابن الأطروش. توفي بالقاهرة في ٢٤ رجب سنة ٧٣٧/٢٦ شباط ١٣٣٧، ودفن بمقابر باب النصر، وقد بلغ الثمانين.
ابن رافع، الوفيات ١: ١٦٥ - ١٦٦.

وتجاهر أعظم ما كـان، ونفق من أموال الأوقـاف ومن أمور كثيـرة لم يتجاسـر أحد على فعلها، ولا يمكنه أن يقدم عليها، فبلغ السلطان أمره وما هـو عليه، فطلب [الأمير ناصر الـدين] ابن المحسني[1] وعرّفـه أن يتحيل عـلى كبس ابن جلال الدين عبد الله، ومن معه بحيث أن يكون ذلك بشهـرة الناس. وكـان قصـده بذلـك أن يشهر حتى يتجنب والـده الشفاعـة فيه. وبقي ابن المحسني و يرقب ذلك إلى أن أحسّ عبد الله بشيء مما ذكر السلطان // فتجنب ما كـان يفعله[2].

ذكر أسماء المصادرين وما اتفق من أمورهم

وقد تقدم ذكـر القيام في ذلـك من النشو ومـا قصد بـه التقرب لخـاطر السلطان وميله مـع غرضـه، وأن يبلغ مقاصـده إذا بلغ السلطان مقصده من أَخْذِ أموال الناس، وظلم التجار ونهب الأمـوال من حيث وجدت. ولـما اتفق حضور كتاب لولو [الفندشي] وذكره مـرافعة الحلبيـين[3]، وأنه يـظهر أمـوال كثيرة من حلب ومن طرابلس وساير مباشرين الشام، وتكلم كلام كثير أوجب تسيير الأكوز[4] وحضوره، وعلم النشوأنه إذا حضر استعمله في أمور ينال بها مقاصده، فتحدث مع السلطان، وأتقن الأمر معه اتقـان جيد، وصـار يطلب المباشرين ويهددهم ويستعلم كل أحد منهم في وظيفته بالمرافعـة إلى أن اقتضى حضور الأكوز ولولو[5]، وكـان السلطان في الأهرام، وعـرف النشو أن لبعض

---

(١) سبقت ترجمته. انظر الصفحة ١٢٠، الحاشية رقم ٢.

(٢) في المقريزي: «فكف عما كان يعانيه من اللعب».

(٣) راجع ما ورد في الورقة ٦ وما بعدها

(٤) ويرد أيضاً برسم «الأكز» وهو الأمير سيف الدين الأكوز النـاصري. كـان أولاً جمداراً ثم رقي إلى مرتبة الامارة وجعله السلطان الناصر محمد مشـداً للدواوين، فتنوع في تعـذيب المصادرين من الكتّاب وغيرهم. تـوفي بـدشق في ١٥ رمضـان ١٧/٧٣٧ نيسـان ١٣٣٧، وقيـل سنـة ٧٣٨.

الصفدي، الوافي ٩: ٢٤٨ - ٢٤٩؛ المقريزي ٢/٢: ٤٢٥؛ ابن حجر ١: ٤٠٤.

(٥) كان قدومهما من الشام يوم السبت منتصف رجب من السنة/ ٢٢ آذار ١٣٣٤.

الكتّاب يعرف بابن أبو الزين جارية مبدعة بالحسن وصنعة العود، وسيّر إليها، [و] أحضروا أحد يعرّف السلطان لما حضرت، وصدق قوله ما عند
٣٦ ظ الكتّاب من // السعادة إلى أن حضر من الأهرام، وأحضر لولو، وعند حضوره قدّام السلطان طلب ساير المباشرين الذي بحلب وأوقفهم قدامهم، وسألهم عن الأموال، فعرّفوه أن حسابهم كمل، وأنهم لم يخونوا السلطان في شيء. فأشار إلى لولو أن يتكلم معهم ويحاققهم، ويذكر لهم الذي ذكره للسلطان في كتابه وعلى لسان الأكوز. فأخذ يتكلم مع كل واحد منهم في وظيفته، ويقول له كلام جُمْلي، وأفرط في الكلام الفاحش والاهنة إلى أن قال للفخر بن العلم ناظر حلب، والسلطان يسمع وبشتك وقوصون وساير الأمراء والحجاب، وهو يقول: «يا علق، يا منكوح، يا سلّاخ، أنت أخذت وفعلت وسرقت». وبقيت الامراء تتعجب ويضحك بعضهم على هذا الكلام. ونقل لي علاي الدين بن هلال الدولة عند انفصال هذا المجلس، وحكي لي ترجمة ما اتفق أن السلطان طلبه بعد خروجهم، وقال: «يا علاي الدين، إيش يكون تفسير قَوْل لولو يا منكوح، يا سلّاخ؟». وأنه
٣٧ و قال: «والله يا خوند، ما أعرف إيش يكون كيفيتها، وإنما // أسمع الأوباش مع الحماري يذكروا مثل هذا ولا أعلم ما هو». وكان آخر كلام لولو في حقهم قدّام السلطان: «يا خوند، سلّم لي هؤلاء، وأنا استخرج منهم مايتي ألف دينار»، ورسم بخروجهم وطلب [السلطان] النشو فدخل إليه، وشرعوا في البحث على المظالم، والنشو يفصح له عن كل باب يحصّل له منه أموال وسبب الوصول إلى أغراضه أسباب أوجبت قبولها في ذهن السلطان، والقيام معه في أمرها وموافقته.

ولما علم النشو أن السلطان وافقه على أغراضه، شرع يعرّفه أن حاله حال ضعيف، وليس له مال[١]، وأن السلطان قد كبّره وأنشأه وجعله عنده

= المقريزي ٢/٢: ٣٦٨ - ٣٦٩.

(١) في المقريزي (٢/٢): ٣٦٩) «وأنه فقير ليس له مال يبرطل به، ولا هو ممن يبرطل بمال السلطان».

قريب، وأنه يريد يملأ الخزاين والذخاير من الأموال والغلال وغيرها، وأن هذا الأمر ما يحصل إلا بعناد الأمراء ومعاداة الخاسكية والقريبين منه، وربما «يتغير خاطرك عليّ، وهؤلاء معتادين من يأخذ مالك وتعطيهم وتبرطلهم وتصانعهم وإلا ما يمكن أن يقربوا إليك ويتحدثوا فيه، ويكون كل ما يحصله
٣٧ المباشر نصفه لهم // وإلا ما يمشي حاله عندك، وقد عرّفت السلطان أمرهم، فإن أمكنتني منهم، حصلّت لك الأموال وملّيت لك الذخيرة، فإن متاجرهم وتجارهم حقوقها الذي تخص السلطان عليهم فوق المايتي ألف دينار، وخصوص قوصون وبشتك». وما نهض من عنده حتى عرّفه أن هؤلاء من بعض أعدائه عنده[١] واتفق معه على خراب البيوت العامرة وهتك الحريم وتحصيل الأموال، وأنه يتصرف في الدولة كيف يختار، ويحكم في ساير الأمور[٢]. وخرج وقد ملئت نفسه سروراً بحكمه، واستبشر بماقلّده من جوره وظلمه، وعلم أنه نال أغراضه من أعدائه، وملأ من مسرّته ما تمناه. [و] عرّف السلطان أن يرسم باستخدام أخوه المُخْلِص[٣]. عند بعض الأمراء الخاسكية، فاستخدمه عند الأمير سيف الدين اللناق[٤]، واستخدم أخوه رزق الله[٥] عند الأمير سيف الدين ملكتمر الحجازي[٦] وصهره ولي

---

(١) قارن بالمقريزي ٢/٢: ٣٦٩.

(٢) قارن بالمصدر نفسه.

(٣) سبقت ترجمته، أنظر: صفحة ١٢٠، حاشية رقم ٥.

(٤) كذا؛ وورد أيضاً «ألناق»، وهو الأمير سيف الدين ألناق الناصري، أحد مقدمي الألوف، توفي في ٢٨ شوال ٩/٧٣٦ حزيران ١٣٣٦.
المقريزي ٢/٢: ٤٠٥.

(٥) انظر: صفحة ١١٧، الحاشية الأولى.

(٦) ملكتمر الناصري الحجازي، الأمير سيف الدين، أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون، حظي عنده وزوّجه ابنته. توفي مقتولاً في برج قلعة الجبل في ١٩ ربيع الآخر سنة ٢٩/٧٤٨ تموز ١٣٤٧، وقيل غير ذلك.
الصفدي، أعيان ٧: ٢٥١ - ٢٥٢؛ المقريزي ٢/٢: ٧٥٥؛ ابن حجر ٤: ٣٥٨ - ٣٥٩؛ ابن اياس ١/١: ٥١٤.

الدولة[1] عند الأمير سيف الدين أرغون شاه[2]، وأخلع عليهم وطلب جماعة
٣٨ و من الكتّاب الذي يعلم نحسهم وظلمهم وقرّبهم // إليه وعرفهم أمور كثيرة في نفسه، وأن السلطان قد عيّنهم للمباشرة، وعرّفهم بعمل أوراق يتضمن على ابن هلال الدولة أنه أخذ من مال السلطان وأهمل، واتفق مع أولاد التاج إسحاق على مال السلطان، فكان من جملة من وافقه على ذلك أمين الدين[3] المستوفي[4] الملقب بقرموط والشمس ابن الأزرق ناظر الجهات، ونهضوا من عنده على عمل الأوراق.

واتفق ما قدره الله تعالى أن بعض الكتّاب يعرف بابن الغول، كان قد خدم في ديوان السلطان وأُصرف، كتب أوراق مرافعة في المباشرين وأحضرها لابن هلال الدولة، وعرّفه أنه يقصد الدخول قدام السلطان ويتكلم بأمور له فيها مصلحة، فنهاه عن ذلك وقصد اخماد الفتنة، وأن لا يفتح باب في ذلك. وكان الرجل قليل الشر، وشاع خبره وعرّف ابن هلال الدولة أمره للنشو، وأنه كتب أوراق، وأظهر النشو الفرح بسبب ذلك، وأظهر السرور لابن
٣٨ ظ هلال الدولة. وأنه قد فرح بأمره، وكان الرجل سليم الباطن ولم // يعلم بما

---

(١) أبو الفتوح بن الخطير، ولي الدولة. توفي مقتولاً يوم السبت ٢٦ صفر سنة ١١/٧٤٣ آب ١٣٤١.
المقريزي ٢/٣: ٦١٦.

(٢) أرغون شاه، الأمير سيف الدين الناصري، من مماليك الناصر محمد بن قلاوون. ولي صفد ثم حلب ثم دمشق. قتل بدمشق ليلة الخميس ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢/٧٥٠ حزيران ١٣٤٩، ثم نقل إلى الديار المصرية حيث دفن بمقابر الصوفية. الصفدي، الوافي ٨: ٣٥١-٣٥٤؛ ابن كثير ١٤: ٢٣٠؛ ابن خلدون ٥/٤: ٩٥٩-٩٦٠؛ المقريزي ٢/٣: ٨١٢؛ ابن حجر ١: ٣٥٠.

(٣) يرد أيضاً «أمين الدولة»، وقد انتهى به الأمر مسجوناً. وله بركة تعرف به واقعة ما بين اللوق والمقس.
المقريزي، السلوك ٢/٢: ٣٩٩، ٤٢٢، ٤٦٤، الخطط ٢: ١١٩، ١٦٤-١٦٥.

(٤) وهو الذي يضبط الديوان، وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج أمواله ونحو ذلك.
القلقشندي ٥: ٤٦٦.

يفعله النشو في حقه من السوء، ودخل النشو للسلطان وعرّفه مقاصد يبلغ بها غرضه، وكان قد طلب لولو إليه خلوة، وعرّفه أن يكون موافق له في ساير مقاصده، وأنه ضمن قتل موسى ابن التاج إسحاق، وحلف له أنه كل من اختار قتْله قَتَله موافقة له. واتفق معه على كل منكر وقبيح، ووجد النشو فيه هرج وقوة ونفس، فعلم أنه يبلغه مقصوده، وما خرج النشو من عند السلطان حتى اتفق أمرهم أن يدخلوا بساير الدواوين وابن الغول، ويتحاققوا قدّامه، ويسمع كلام يتفق بينهم مما ينالوا به غرض السلطان والنشو، ورسموا بطلب الجميع، وأجلس الجميع بين يديه[1]، وشرع يقول لابن الغول عن الأوراق الذي كتبها، وأنه يتكلم فيها. وقام وشرع في الكلام فانتدب له قرموط المستوفي، وقال: «يا خوند، وحياة راسك هذا ما يعرف صناعة الكتابة ولا كتب هذا الأوراق إلا بإشارة هذا المشد الذي خليته، وقد أهمل أموالك كلها وبرطل بها، وخشي منك أقام هذا سفيه له حتى يشغل السلطان // عن ٩
طلب ماله، فإن أموالك جميعها تروح برطيل وشيء تبطل حقوقه ويُسومح بها ويُعمل له خدمة على الأمراء». وأوسع في هذا الكلام والمرافعة في حق ابن هلال الدولة، وكان آخر كلامه: «يا خوند، إن أردت تملأ الخزاين استخدم لنا مشدّيكون يسمي الخبز قبز»، وكان ذلك جميعه باتفاق من النشو مع قرموط ليبلغ غرضه على لسان غيره. ولما سمع ابن هلال الدولة كلامه تقدم وحلف للسلطان بالطلاق من زوجته أن هذا الأوراق لم يكن بإشارته ولا له فيها علم. وكان رسم السلطان بضرب ابن الغول وعرّاه قدّامه وبكى، فحنّ عليه وأخرجه، وفضّ السلطان المجلس، وخرجوا وقد عشم كل أحد بالسوء.

وثاني يوم رسم لابن هلال الدولة أن يلزم بيته وعزله[2] من الشدّ،

---

(١) كان ذلك في ٥ رجب من السنة / ١٢ آذار ١٣٣٤.
الجزري: ٣٤٢.

(٢) عزل ابن هلال الدولة من وظيفته نهار السبت في ٥ رجب من السنة/ ١٢ آذار ١٣٣٤.
الجزري: ٣٤٢؛ ZETTERSTÉEN, op. cit., P. 188.

وأخلعوا على الأمير سيف الدين الأكوز لشد الدواوين ، وأخلعوا على لولو [كي] يكون لخلاص الأموال[1] والحديث مع المصادرين وخلاص الحقوق . وخُرج الأكوز في حرمة طايلة ولولو قدامه وجلسوا في دار الوزارة[2]
٣٩ ظ وطلبت // ساير الضُمّان والكتّاب والمعاملين وأرباب الوظايف ، ورسموا لهم بعمل أوراق تتعلق بابن هلال الدولة والذي أهمله ، ولم يتوقفوا في عملها بل طلبوا ابن هلال الدولة ، وتدرّج أمرهْ إلى ساير ألزامه وأقاربه ومن يلوذ به ، وقبض على خالد بن الزرّاد[3] مقدم الدولة[4] وعلى بكتوت الصايغ[5] وابن عبد الرزاق وأبوه[6] وساير من كان يلوذ به من حفدته وأقاربه[7] وعرّف السلطان الأكوز أن يدخل لابن هلال الدولة في مكانه ويكلّمه كلام حسن ، ويعرّفه : «إن السلطان بلغه عنك أمور كثيرة من تضيع أمواله ومصالحة الغير على حقوقه ، وأنك أهملت الأموال ، وأنت إذا خدمته ما يضيع خدمتك ، احمل المال الذي له وأنت عزيز ، وإلا حملته وأنت مهان»، فكان

(١) كذا في المقريزي ٢/٢ : ٣٧٠ وفي ZETTERSTÉEN فجاء ما يلي : «أخلع على الأمير سيف الدين الأكز ورُتب مدبر الدولة، وأخلع على بدر الدين لؤلؤ الحلبي ورُتب مشد الدواوين ونايب الأكز». قارن أيضاً بما جاء في ابن الدواداري ٩ : ٣٧٥.

(٢) بقلعة الجبل.

(٣) كان رقاصاً بدار الولاية بالقاهرة، ثم تدرج في وظائف الدولة إلى أن ولي تقدمتها. توفي في ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٧٤٥/ أول تشرين الثاني ١٣٤٤.
ابن الدواداري ٩ : ٣٧٥؛ المقريزي ٢/٣ : ٦٧٦؛ ابن حجر ٢ : ٨٢ - ٨٣.

(٤) عرّفه القلقشندي (٥ : ٤٦٨) كما يلي : «مقدم الدولة، وهو الذي يتحدث على الأعوان والمتصرفين لخدمة الوزير، والمراد المقدم على الدولة . . .».

(٥) يشير ابن الدواداري (٩ : ٣٧٦) إلى أن المذكور كان مملوكاً لوالد زوجة المؤرخ.

(٦) عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس القبطي المصري. كان من كتّاب الدواوين. ويذكر المؤرخون أن له ولدين توليا أعلى المناصب في الدولة (الوزارة) وهما : كريم الدين عبد الكريم المتوفى في ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣/٨٠٣ كانون الأول ١٤٠٠، وفخر الدين عبد الرحمن المتوفى في ١٥ ذي الحجة سنة ٢/٧٩٤ تشرين الثاني ١٣٩٣.
المقريزي ٢/٣ : ٧٧٨ و٣/٣ : ١٠٧٢؛ ابن حجر ٢ : ٣٣٠ - ٣٣١؛ ابن العماد ٦ : ٣٣٤.

(٧) قارن بالمقريزي ٢/٢ : ٣٧٠.

جوابه : « السمع وألف طاعة ، كل ما لي فهو للسلطان ، وإنما أقصد المهلة في الحمل أن يكون كل سوق شيء ، وأبيع أول بأول ، وإلا ما يتحصل من مالي شيء ويتصدق السلطان علي أيضاً بالكشف عن أمري ، فإن حضر أحد
٤٠ وذكر أنني تعرضت له بشيء فلا يرحمني » . وانفصل // أمره على المهلة في بيع حواصله وما يتعلق به ، وعرف الأكوز أنه يملك في حاصله ألفي دينار حاصله ، فرسم بحملها وشرع في بيع حاصله[1] .

ذكر نبذة غريبة

ينبغي للعاقل [أن] يعتبر بالقرآن كلام الله ، فإنه معجز ، ثم بكلام النبي ﷺ وتابعيه ، ثم كلام الحكماء والمجربين فمن قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾[2] الى آخر الآية ، وكلام النبي ﷺ : « اليهود والنصارى خونة لعن الله من ألبسهم ثوب عز ، لعن الله من ألبسهم ثوب عز » . ومن قول الحكماء : «إياكم ومصاحبة الأشرار ، وإياكم ومرافقة الرجل السوء » . . ومن قولهم : « الطبيعة مكافية لكل احد » .

والذي أذكره أن علاي الدين بن هلال الدولة كان بيني وبينه صحبة اكيدة واجتماع يؤول[3] إلى معرفة أحواله . ولما اتفق لكريم الدين[4] ما اتفق ، وخدم التاج إسحاق مكانه مشى علاي الدين على وظيفته ، وكان مترقب أن يناله منه سوء ، وكان التاج رجل فيه عقل معيشي وسكون فأحلّه
٤٠ منه محل وافر وقرّبه ، وكان ولده موسى يكره أن يكون ابن هلال الدولة// قريب منهم ، أو متطلع على أحوالهم ، ويذكر ذلك لأبوه ، فيصرفه عنه إلى أن ورد

---

(١) قارن بابن الدواداري (٩ : ٣٧٦ ـ ٣٧٧) حيث يورد رواية مختلفة .

(٢) سورة المائدة، الآية ٥ .

(٣) الأصل : يألى .

(٤) يقصد عبد الكريم بن هبة الله بن السديد المصري، القاضي كريم الدين الكبير، ناظر الخاص، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٩ ، الحاشية رقم ٤ .

الخبر للسلطان بخراب الحرم الشريف وأنه يحتاج إلى عمارة ، وتحدث السلطان مع الأمراء في ذلك ، واتفق على عمارته ، فطلب القاضي جلال الدين [القزويني] وعرّفه أن يجعل مال من المودع و [من] السلطان أيضاً لأجل عمارة الحرم ، ورسم للتاج إسحاق أن يجهز ما يحتاج إليه ، ويعين من يصلح لهذه الوظيفة . فرأى التاج إسحاق تَخْلّص في أمر خروج ابن هلال الدولة بإحسان، وتحدث مع القاضي فخرالدين[1] واتفقوا على أمره ، واجتمع القاضي فخرالدين بالسلطان في سبب العمارة وقال : « يا خوند ، من عيّنت لهذا الشغل ؟ » قال السلطان : « ابصر من تعيّن ». قال له : « يا خوند ، قد أفكرت للسلطان فكرة ، وهي من جملة سعادة السلطان في واحد كل ماتختاره تجده فيه ، وأنه ابن هلال الدولة » . قال السلطان : « هو ينفع السلطان هوني » . قال : « يا خوند ، إن كنت تقصد العمارة مثل إلناس ، فيكون هذا الرجل ويكون قرابته في مكانه إلى أن يعود » ، ووافقه السلطان على ذلك ، وأصبح عرّف الأمراء ، فما منهم إلا من استصوب رأيه ، وشرعوا
٤١ و في // شكر الرجل عنده . وقد تقدم ذكر سفره[2] وحضوره ومباشرته الشد ، وكنا نجتمع عنده جماعة في الليل ونجالسه ويتفق دخول النشو إليه فيبوس الأرض له ولمن حضر ، ويقف يتحدث في أمر مباشرته ، وعند خروجه يبوس رجله ، واتفق له كثير من ذلك بحضور الجميع ، وصار لا يكاد يفارق الركوب صحبته وملازم خدمته إلى أن جلب قلبه إليه ، ومال الى ناحيته وزاد معلومه .

واتفق طلب المباشرين[3] بين يدي السلطان ، فأول من شكر منه ابن

(١) يقصد القاضي فخر الدين ابن الحلي ناظر الجيش. وقد سبقت ترجمته، راجع صفحة ١٢٤، الحاشية الأولى

(٢) وقد سافر ابن هلال الدولة إلى الحجاز لعمارة الحرم في شهر شوال من سنة ٧٢٧/ آب - أيلول ١٣٢٧ ، ولما عاد قرره السلطان الناصر محمد في شد الدواوين.
ابن الدواداري ٩: ٣٤٩ - ٣٥٠؛ المقريزي ٢/٢ : ٢٩٠؛ ابن حجر ٣: ١٣٦ .

(٣) كان ذلك في شهر صفر ٧٣٢/ تشرين الثاني ١٣٣١ .

هـلال الدولـة وعرّف السلطان أن هـذا نصراني جيـد وكـاتب مليـح ، فنـظر
السلطان إليه وتحدّث معه ، ولاح له فيه فراسة يختارها، كما قدر الله تعالى، إلى
أن استخدمه عند ولده أنك، كما قدمنا ، وصـار يختلي معـه ويعرّفـه أغراض
كثيـرة في نفسه كـامنة لم يجـد من يـوافقـه عليهـا . وبقي إلى أن تـوفي التـاج
إسحاق ، وولي ولده موسى [نظر] الخاص ، وسعى على القاضي فخرالدين
وسعى القاضي فخرالدين عليه قبـل موتـه بأيـام[1] إلى أن عُزل مـوسى وولي
١ : النشـو [نظر] الخـاص[2] ووقف علاي الـدين وقـطع زنـاره بيـده // ورمى
عمـامته ، وكـانت من الذنـوب الذي عـددها النشـو له وكـذلـك والـدتـه .
واستمال النشو لابن هلال الدولة في العمل على موسى ومصادرته ، وكان ابن
هلال الدولة يخشى غايلة موسى ، فمال مع النشو بعدما أشرط على النشو أنه
لا يتعرض له بأذى ولا إهانة، وإنما يخرجه من الوظيفة ويـأخذ مـاله . واتفق
ما قدمنا ذكره[3] من القبض عليهم وتسليمهم لابن هلال الدولة وقيام النشـو
في عقوبتهم فلم يوافقه ، وذكر له الشرط الـذي كان بينهم ، وعلم النشـو قلة
موافقته عليهم ، فأضمر له السوء .

ولما حضر السلطان من الحجاز ، واتفق من تحصيل الأمـوال من بكتمر [الساقي] وغيره[4] ، ورأى أشياء نافـرت عقله من أعمال النشـو واهتمامـه سلّم أمره إليه، وصار ابن هلال الدولة يعارض النشو في أمـور كثيرة يفعلهـا مع الناس يقبحها عليه ، ويخلص منـه الناس ومـا معه يجـود به مـع الناس ، وهو يعتقد أن تلك الصحبة والمودة باقية من غير رياء ولا نفاق ، فكانت كلها صنعة من النشو في حقه .

= ابن الدواداري ٩: ٣٦٤، الصفدي، أعيان ٣: ١٢٩ظ-١٣٢و؛ المقريزي ٢/٢: ٣٤٣.

(١) انظر: المقريزي ٢٢-: ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) وذلك يوم الخميس ١٩ رجب ٧٣٢/١٦ نيسان ١٣٣٢.
المصدر نفسه: ٣٤٧.

(٣) راجع: ابن الدواداري ٩: ٣٦٣-٣٦٤ والمقريزي ٢/٢: ٣٤٨-٣٤٩.

(٤) انظر: المقريزي ٢/٢: ٣٥٧.

وملك النشو أمر الناس ، ونزل إلى دار القند(1) وطرح على السكريين
٤٢ و والعطارين // شيء نافر العقول ، ثم طلب أهل قيسارية(2) أمير علي وتجار
سوق الشرابشيين(3) وقصد أن يطرح عليهم المتجر وغيره ، فغلقوا الدكاكين
واحتملوا لابن هلال الدولة ، فسأله فيهم وعرّفه أن هؤلاء ما لهم عادة بشيء
من هذا كونهم سكان دكاكين المرستان(4). والأمير جمال الدين(5) ناظر عليهم ،
فلم يوافقه على إعفائهم ، فاعتصبوا جميعهم إلى نايب الكرك وعرّفوه(6)
أمرهم ، وأن ابن هلال الدولة تحدث معه ولم يقبل ، فسيّر إليه أستداره
وخاطبه في أمرهم ، فقال : « أنا ما لي حديث ، السلطان رسم » . وحمل

---

(١) وموقعها بفسطاط مصر، وهي خطة خارجة بن حذافة بن غانم العدوي، غربي دار البركة.
كان لهذه الدار رسوم (رسوم دار القند) الغيث أيام الناصر صلاح الدين الكبير.
ابن دقماق ٤ : ٦٦؛ المقريزي، الخطط ١ : ١٠٤؛ ٢٠٤.

(٢) وهي منسوبة للأمير علي بن الملك المنصور قلاوون (الملك الصالح) الذي توفي في حياة أبيه،
تقع بشارع القاهرة تجاه الجملون الكبير بجوار قيسارية جهاركس يفصل بينهما درب قيطون.
المقريزي، الخطط ٢ : ٨٧.

(٣) جاء في المصدر نفسه (ص ٩٨ - ٩٩) أن هذا السوق قد أحدث بعد انتهاء الحكم الفاطمي،
ويباع فيه الخلع التي يلبسها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم (عرف بسوق
الشرابشيين نسبة إلى الشرابيش (مفردها شربوش)، فإن السلطان كان إذا أمر أحد ألبسه
الشربوش وهو شيء يشبه التاج، مثلث الشكل يجعل على الرأس بغير عمامة (قلنسوة
طويلة).
انظر: أدي شير، الألفاظ: ٩٩.

(٤) ويرد أيضاً بصورة «البيمارستان»، وهو لفظ فارسي معناه المستشفى
DUNLOP, art. «Bīmāristān», EI², I, P. 1259a - 1261a.
والمقصود هنا البيمارستان الذي أنشأه المنصور قلاوون سنة ٦٨٣/١٢٨٤ بين القصرين
بالقاهرة.
راجع: المخطوط: ٤٢ظ - ٤٣و؛ ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور: ٥٥ - ٥٧؛
النويري ٢٩ : ٢٨٢و - ٢٨٣ظ؛ ابن الجيعان، التحفة السنية: ١٦؛ أحمد عيسى، تاريخ
البيمارستانات في الاسلام: ٨٣ - ١٣٣.

(٥) يقصد الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك، وسترد ترجمته في وفيات ٧٣٦.

(٦) الأصل: وعرفهم.

النشو نفسه بقوة ودخل على السلطان وعرّفه أن ابن هلال الدولة مهما دام واقف لا يتمكن النشو من شيء يفعله ، وأولغ في أمره، «وأن مال السلطان يروح برطيل للأمراء ويرضيهم بمال السلطان » وما خرج من عنده إلا وقد عقد أمر نكبته والقبض عليه .

وكان نايب الشام قد بلّغ النشو خروجه من دمشق ، فعرّف السلطان أن نايب الشام يحضر وربما سأل للسلطان في أمره ، واتفق على توخيره إلى
٤٢ حيث يحضر نايب الشام ، ويسافر وعرّفه أمر // نايب الكرك ، وأن التجار وقفوا له ، وأنهم يتعلق للسلطان معهم شيء كثير ، وأنهم مشتركين هم وابن هلال الدولة في شراء الخلع ويبيعوها للسلطان بفايدة النصف ، وأن لهم دين على السلطان نحو ماية وخمسين ألف درهم كلها فايدة ، وأن نايب الكرك قايم في حقهم بتحريض ابن هلال الدولة . فقال السلطان : « روح أنت واسكت » .

ولما نزل مملوك نايب الكرك عرّفه[1] الرسالة من النشو ، وانزعج وطلب دواة وكتب بخطه : « يا قاضي نشو الدين ، إيش عمل بك السلطان الملك المنصور[2] حتى تخرّب وقف الملك المنصور؟ ما استسلمك إلا السلطان الملك الناصر ، فإيش كان الملك المنصور منك ؟ » . فلما وقف عليها كظم لها وجعلها سلّم للفتنة، وأخذها ودخل على السلطان ، وأوقفه عليها فحرج لذلك وكظمها عليه .

ولما طلع نايب الكرك للخدمة وجلست الأمراء ، أخذ يعرّف السلطان

(١) الضمير عائد للسلطان.

(٢) يقصد السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي، ولي السلطنة بعد سلامش ابن الظاهر بيبرس في رجب سنة ٦٧٨/ تشرين الثاني - كانون الأول ١٢٧٩، وحكم لمدة ١٢ سنة. توفي في ٦ ذي القعدة سنة ٦٨٩/ ١٠ تشرين الثاني ١٢٩٠، ومولده في بلاد القبجاق على البحر الأسود.

RABIE, art. «Ḳalāwūn», EI², III, P. 505a - 507a.

أمر الوقف ، وتعرض النشو له ، وأخرج مراسيم عليها قلاوون الألفي أن أحد لا يتعرض للوقف ، ولا يطرح على سكانه شيء قلّ ولا جلّ ، فلم
٤٣ و يلتفت السلطان // إلى قوله ، وقال له : « يا أمير ، ما أنت أشفق مني على أبي ، الوقف وقف أبي ، وأنا إن شئت عمرته وإن شئت أخربته » . وكان كلامه معه محرج . وشرعت الأمراء يوافقوا السلطان في قوله ، وعلم كل أحد الغرض في ذلك ، وشرع النشو يعتب ابن هلال الدولة عتب الأصدقاء ، ويضحك في وجهه ويريه أن المودة باقية على حالها إلى أن حضر مملوك نايب الشام ، وعرّف السلطان أنه واصل ، ومتى يرسم بدخوله[1] فرسم بسرعة حضوره . وكانت الرسالة الذي تقدم ذكرها للنايب أنه لا يتحدث في ابن هلال الدولة . واتفق بعد ذلك من جملة سذاجة ابن هلال الدولة وسلامة باطنه أنه عمل لنايب الشام حياصة ريشم من أطراف الصنعة ، وعرّف النشو أمرها. ومن عادته إذا علم أن نايب الشام وصل إلى سرياقوس[2] يخرج يلتقيه . ولما وصل استأذن النشو في سفره لملتقاه ، وعرّفه أن يسد عنه أمر الطلب من جهة السلطان ، وأنه إذا طلب يُعرّف السلطان أنه شرب دواء ، فأنعم له بذلك ، ودخل للسلطان
٤٣ ظ وعرّفه أمرالحياصة ، وأنه غرم عليها // ألف دينار ، وأنه خارج إلى لقائه ، وربما يدبر معه أمر ، فكان ذلك السبب لقول السلطان لنايب الشام يفهمه [أن] لا يتحدث في أمره ، فكان في أمرهم وما اتفق من العمل والموافقة واختلاف النيات ما أوجب الغدر بينهم ، فإن التاج [إسحاق] عمل على خروج ابن هلال الدولة من مصر على أنه يفترد هو وولديه[3] ، فاتفق

(١) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة الورقة ٣٥و من المخطوط.

(٢) بلدة في نواحي القاهرة.

ياقوت ٣ : ٢١٨ ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ٤٢٢ .

AMÉLINEAU, La géographie de l'Egypte, P. 468 - 469.

(٣) وهما: شرف الدين موسى وعلم الدين إبراهيم. راجع صفحة ١١٩، حاشية رقم ٤ .

حضـوره ورفقته معهم ، وخشي عـاقبة مـوسى ، فوافق النشـو عـلى العمـل عليـه ، واتفق له مـا ذكرنـاه[1] ، ووثق ابن هلال الـدولة بـالنشـو فغـدر بـه وخـانه وأنشـأه على أن يكـون له[2] ، فلما انتشى صـار عليه . واتفق لـه يوم بحضـوري ، وقد طلعنـا جماعـةنسلم على ابن هـلال الـدولـة أول مـا قبض عليه ، وحضر له الأكوز وطالبه بـالمال ، ومـا لحقنا نقعـد إلا والنشو قـد طلع إليه، ودخل من باب المكان الـذي هو فيـه ، و [لما] رآه عـلاي الدين قـام إليـه فسلك معـه مـا كـان يسلكـه في منـزلـه عـلى عـادتـه ، والتقـاه بتقبيـل الأرض ، واحتضنـه وبكى بدمعـة وتوجـع ، وقال : « يـا خونـد ، لا عشت و يـوم أراك فيـه هكـذا » ، ثم جلس هـو // وإيـاه ، ودخـل الـرجـل عليـه وتضرّع له ، فضمن عن السلطان كل خير ، وعمل بعدها بما يشبهه .

واتفق بعد ذلك مسك خالـد المقدم[3] فـطلب المقدم ابن صـابر[4] من باب الولايـة ورفيقه ابن معـين[5] بمشورة النشـو ، وسلموا المصـادرين لهم ، وشرعوا في استخـراج المال ، وتسلط لـولو عـلى أهل حلب[6] وأهـل مصر ، وبذلوا من القبـايح والفـواحش في أمر الـظلم والعسف والعقوبـة ما تجـاوزت

---

(١) راجع : ابن الدواداري ٩ : ٣٦٣ - ٣٦٤ والمقريزي ٢/٢ : ٣٤٨ .

(٢) انظر : المقريزي ٢/٢ : ٣٤٨ .

(٣) راجع صفحة ١٨٢ ، الحاشية رقم ٣ .

(٤) إبراهيم بن أبي بكر بن شـداد، المعـروف بـابن صـابر المقـدم . تـوفي سنة ٧٤٤/ ١٣٤٣ - ١٣٤٤ ، وقيل سنة ١٣٤٢/٧٤٢ - ١٣٤٣ .
المقريزي ٣/٢ : ٦٥٨؛ ابن حجر ١ : ٢١ .

(٥) ولقبـه بدر الـدين، كان أحـد مقدمي الـدولة . ولي نيـابة البحيـرة أيام السلطان الأشـرف ابن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون، وصرف عنها سنة ٧٦٩/ ١٣٦٧ - ١٣٦٨ .
المقريزي ١/٣ : ١٥٧ .

(٦) يستفاد من هذه العبـارة أن لؤلؤاً القندشي قـد ظل عـلى وظيفته بحلب، بـالاضافـة إلى توليـه لوظيفة شد الدواوين بالقاهرة.
ابن الدواداري ٩ : ٣٧٥ .

عن حده ، واشتغلت قلوب العالم كلما رأوا من أمور المصادرين وإهانتهم ، وعرّج لولو على أولاد التاج إسحاق ، وتنوّع في عقوبتهم ، وصار النشو يطلب المقدمين إلى عنده ، ويوعدهم إذا قتلوا موسى بكل جميل ، وكذلك لولو إلى أن تناهى الحال في أمرهم ، وتُلِفَتْ رِجْل العَلَم ابن التاج من كثرة العقوبة ، وأبطلوا عنه العقوبة ، ولم يكن القصد إلا موسى ، وأحضر خالد المقدم وهدده لولو ، وعرّفه أن السلطان يستحضره ، واستوخاه على مرافعة ابن هلال الدولة . وفيها اقتضى رأي السلطان تسفير عاقول[1] الحاجب //
٤٤ ط صحبة نايب الشام[2] عوض عن (. .)[3] وأنعم على نايب الشام بماية ألف درهم ، وبعد ذلك رسم للأمير سيف الدين قجمار الملقب بُشاش[4] إلى نيابة حمص .

ـ ذكر الإفراج عن الأمراء المعتقلين ـ

وفي شهر صفر[5] سير أحضر الأمراء من سجن اسكندرية ، وهم الأمير بهاي الدين أَصْلَم[6] وأخوه [الأمير سيف الدين] قُرْبُجى[7] والأمير

(١) كذا؛ وفي المصادر الأخرى «آقول» وقد سُفرّ إلى الشام ليستقر حاجب الحجاب بدمشق. توفي في شعبان سنة ١٣٣٨/٧٣٨ .
ابن الدواداري ٩: ٣٧٤؛ المقريزي ٢/٢: ٣٧١، ٤٥٧ .

(٢) وكان سفر نايب الشام من الديار المصرية نهار الخميس ٣ رجب من السنة/ ١٠ آذار ١٣٣٤ .
المقريزي ٢/٢ : ٣٧١؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١٠٨ .

(٣) بياض في الأصل بعمدل كلمة واحدة .

(٤) ويرسم أيضاً قجماس»، سترد ترجمته في وفيات هذه السنة، وقد أخلع عليه بنيابة حمص يوم الخميس خامس المحرم من السنة/ ١٦ أيلول سنة ١٣٣٣ عوضاً عن الأمير سيف الدين بهادر السنجري بحكم وفاته .
المقريزي ٢/٢ : ٣٧١؛ ZETTERSTÉEN, op. cit., P. 187

(٥) كذا؛ وفي الجزري: ٣٣٤ وابن الوردي ٢: ٤٣١ والمقريزي ٢/٢: ٣٧١ و ZETTERSTÉEN أن الافراج عن الأمراء المعتقلين كان يوم الأحد مستهل شهر المحرم من السنة/ ٢ أيلول ١٣٣٣ .

(٦) و (٧) كذا في الجزري والصفدي وابن تغري بردي، وفي ابن الوردي: «الأمير سيف الدين =

بدر الدين بَكْتُوت القَرَمـاني[1] ، وكان مـدة اعتقال أصلم وأخـوه ست سنين وثمان شهور، واعتقال القرماني سبع سنين وأشهر[2] ، وخلع عليهم .

وفي هـذا الشهـر كـانت وفـاة الأمـير سيف الـدين ألمـاس الحـاجب بمحبسـه ، وكان من أمـره ما تقـدم ذكره من تلك الأمـور والفـواحش . ولما أخذ السلطان جميع أمواله وحواصله سير آقبغـا عبد الـواحد وصحبتـه جماعـة من المـأمورين ، وكـان قبلها قـد قطع عنـه الطعـام ثـلاثـة دراهم ، فـرحلوا وخنقـوه . وباكـر النهار حمـل على نعش من القلعـة ، ودفن في جامعـه الذي أنشـأه بخط حوض ابن هنس[3] ، ورُسم بـأخـذ الـرخـام الـذي في بيتـه[4] وقلع جميعه ، وكان قـد عمر هـذا الدار وصنـع // فيها من الـرخام المفتخـر رخام عظيم حمل له من ساير الأقاليم ، وبعد قتله .

ذكر سفر نايب الكرك

كان السبب لخروج نايب الكرك من مصر ، ما قـدمنا ذكـره ، لما بلغـه من الصحبـة الذي كـانت بينه وبـين ألماس وفصـول عدة منهـا كبره وحـرمتـه

= أسلام وأخيه» وفي ZETTERSTÉEN «أصلام وأخوهقرمشى».:توفي أصلم في ١٠ شعبان ٧٤٧/٢٦ تشرين الثاني ١٣٤٦ وقيل سنة ٧٤٦. وله جامع ظاهرالقاهرة يعرف بجامع أصلم. (الصفدي، الوافي ٩: ٢٨٥ ـ ٢٧٦ ؛ المقريزي ٢/٣: ٧٢٢؛ ابن حجر ١: ٣٨٩). وتوفي قرجى «قرمشى» أيضاً في شعبان سنة ٧٤٧/ تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٣٤٦.
(المقريزي ٢/٣: ٧٢٢؛ ابن حجر ٣: ٢٤٨ ؛ WIET, **Les biographies, fol. 227**)

(١) بكتوت القرماني، الأمير بدر الدين، كان من مماليك المنصور قلاوون. توفي بطاعون مصر سنة ٧٤٩/ ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩.
المقريزي ٢/٣: ٧٩٣؛ ابن حجر ١: ٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٢) كذا؛ وفي ZETTERSTÉEN : «سبع سنين وسبعة شهور».

(٣) هـو وقف الامير سعـد الدين مسعـود بن هنس بن عبد الله، أحـد الحجاب الخـاص في أيـام الصالح نجم الدين أيوب المتـوفى يوم السبت ١٠ شـوال سنة ٦٤٧/١٢٥٠. أمـا خط حوض ابن هنس فهي واقعة بالقرب من حارة حلب.
المقريزي، الخطط ٢: ١٣٣.

(٤) يقع بخط ابن هنس، وقد نقل رخامه جميعه إلى قلعة الجبل بأمر من السلطان. المصدر نفسه: ٧٤.

وقيام السلطان له كلما دخل الخدمة ومعارضته له في أسباب كثيرة كان السلطان لا يختارها منه[١] ، وكان قد شرع في الحديث معه في ظلم النشو وما يعتمده مع الناس ، فاحتاج أن يزيل ذلك جميعه عنه ، وأيضاً ينشىء غيره ، فطلب أستاداره[٢] عزالدين المصري إليه ، وعرّفه أن يقول لأستاذه عن السلطان « أنه بقي يستحي منه في أمور ، وأنت فقد بقيت رجل كبير عندي ، وما بقى يصلح أن تمشي في خدمتي ، وأشتهي أن أريحك ، فإن علمت أنه يختار يروح إلى طرابلس ويكون خاطره طيب وإلا يقعد ، فما عندي أعزّ منه » . وخرج من قدام السلطان إلى أن وصل لأستاذه ، وعرّفه قول السلطان جميعه ، فتبسم وقال : « روح قلّه أما إني أشتهي فلا ، وأما
٤٥ ظ مرسوم فما أخالفه » ، وبقيوا مماليكه كل[٣] // أحد منهم ساكت لا يجسر يرد عليه جواب ، وسكت زمان وهو مطرق ، والتفت لأستداره وقال : « والله ، ما بقى يخلّينا لا هونيك ولا هوني ، وأقل الاقسام لا نعذّب سرّنا ، والذي يفعله الله يكون » . فقال له : « يا خوند ، لا تجعل على نفسك شيء ، وربما يكون قوله حقيقة ويختار أن يريحك » . وما زال يتلطف معه إلى أن وافق على سفره ، ورجع بالجواب عن أستاذه للسلطان بالسمع والطاعة ، فأخلع عليه ثاني يوم ، وسيّر له ألف دينار ، وطلبه إليه وطيّب خاطره ، ورسم للأمير سيف الدين برصبغا أن يكون في خدمته ليقلده على جاري العادة . وعند سفره[٤] خرجت إلى وداعه فإنه كان

---

(١) وتؤكد ذلك جميع المصادر التي تحت أيدينا.

(٢) ويرسم أيضاً «أستاذ الدار» و«أستدار»، وهو المتولي لشؤون بيت السلطان أو الأمير من المطابخ والشراب خاناه والحاشية والغلمان، وإليه أمر الجاشنكيرية وكل ما تحتاج إليه هذه البيوت من النفقات، ويكون عادة أمير ألف.
القلقشندي ٤ : ٢٠ ؛ المقريزي، الخطط ٢ : ٢٢٢.

(٣) لفظة «كل»: مكررة في الأصل.

(٤) هناك اختلاف حول تاريخ سفر نايب الكرك إلى طرابلس، ففي ابن كثير (١٤ : ١٦٥) «أوائل ربيع الآخر»، وفي المقريزي (٢/٢ : ٣٧١) «تاسع عشره (المحرم)»، وفي ZETTERSTÉEN (op.cit., P. 187) سادس عشرة (ربيع الأول)»، بينما اكتفى ابن الدواداري (٩ : ٣٧٨) بذكر =

حصـل لي به أنس قليـل ، ولما وصـل إلى بلبيس[1] وجـدتـه قـد انعـزل عن وطـاقـه بمفـرده ، ورآني عـلى بعـد فـأشـار إليّ فحضـرت ، وقــال : « إيش جابك ؟ » قلت : « أودعـك وأدعو لك». قال : « مـا أفاد أحـد الدعـاء مع الملك النـاصر ، روح ارجـع ولا تنسـانـا » . ثم طلب مملوكَين من ممـاليكـه و وعرّفهم أن يكون صحبتهم شـربدار[2] يـركب // معهم ويكونـوا في خدمـة برصبغا ، ومهما اقتضت الحاجة إليه يكـونَ يحمل إليـه ، ثم طلب أستداره ، وقـال : « روح إليـه وسلم عليـه ، وعـرّفـه أنني أنـا رجـل أشتهي أن أكـون بمفـردي مع نفسي ، ومـا أختـار أنني أبقى معـك في التـرسيم[3] ، إن ركبت تـركب معي أو نـزلت تنـزل معي ، كـون وحـدك وأنـا وحـدي ، وأنـا والله هروب ما أهرب » ، ورجعت من بلبيس وقد رحل منها . وبعـد قليل وصـل بـرصبغا من عنـده[4] ، وعرّف السلطان أنـه جلس في طـرابلس ، ورسم لـه أن يكـون حاجب صغـير ، وأمير مسعـود ابن خـطير[5] حـاجب كبـير مكـان الماس ، وأخلع على الإثنين ، ورسم لبرصبغا أن يتأدب مع أمير مسعود .

= إنعام السلطان علي نايب الكرك بنيابة طرابلس «في يوم الاثنين ثالث عشر ربيع الأول» .

(١) مدينة من الاعمال الشرقية في الديار المصرية.

أبـو الفدا، تقـويم: ١١٨ ـ ١١٩؛ ابن دقماق ٥: ٥١؛ المقـريـزي، الخطط ١:١٨٣؛ ابن الجيعان، التحفة السنية: ١٤.

(٢) وهو المتحدث في أمر الشراب خاناه (بيت الشـراب) التي تحتوي عـلى أنواع الشـراب المرصـدة لخاص السلطان أو الأمير.

القلقشندي ٤: ١٠، ١٣.

(٣) راجع ما ورد في الصفحة ١٢٦، حاشية رقم ٣.

(٤) يشير ZETTERSTÉEN (op. cit., P. 187) إلى عودة برصبغا من طرابلس في ٢٦ ربيع الآخر من السنة/ ٤ كانون الثاني ١٣٣٤.

(٥) مسعـود بن أوحـد الـدين بن الخـطير، الأمـير بـدر الـدين. ولـد في جمـادي الأولى سنـة ٦٨٣/١٢٨٤. ولي غـزة وطرابلس عـدة مرات وتـوفي بدمشق في ٧ شـوال ٧٥٤/ ٥ تشـرين الثاني ١٣٥٣.

الـذهبي، ذيـول: ٢٩٢ ـ ٢٩٣؛ المقـريـزي ٢/٣: ٩٠٥؛ ابن حجـر ٤: ٣٤٨. أمـا لفظ الخطير، فهو لقب معناه: الكبير الجليل القدر. انظر: القلقشندي ٦: ٨١.

و[في يوم الخميس ثاني شعبان](1) رسم بعزل [ناصر الدين] ابن المحسني عن ولاية القاهرة ، وولي أيْدَكين البريدي(2) . وكان السبب لعزل ابن المحسني أنه كان بدار الولاية [بالقاهرة](3) شخص من المقدمين يعرف بـ[محمد](4) بن الأشموني ، وكان رجل ظالم نحس قليل الدين ، ولم يُرَ في أبناء جنسه أنحس منه . وكان قد حضر بين يدي السلطان مراراً ويتلوح
٤٦ ظ من وجهه الظلم والنحس ، وكان النشو // من جملة من يعرفه بالظلم ، ونفس السلطان قد أضمر للناس سوء يدْخره عنده لما كان مضمره ، ويقول لابن المحسني : « هذا احفظه ، فإن لي به شغل » . فكبرت نفسه على ابن المحسني وتعاظم عليه ، فحضر إليه من شكا منه ، وأنه أخذ منه فضة قطع مصانعة ، فمسكه وضربه ضرب مؤلم ، وجعله في الكسبة أشهر ، فراح أبوه لنايب الكرك ودخل عليه ، فسيّر لابن المحسني يشفع فيه فأطلقه ، وأقام مدّة في بيته ، وتوفي . فكان النشو يعرّف السلطان أن ابن المحسني لما وصّاه السلطان عليه ، وعلم أن السلطان له به شغل قتله ، فطلب ابن المحسني ، وقال السلطان له : « أين المقدم الذي أوصيتك عليه ؟ » . قال له : « يا خوند ، مات » . قال : « والك مات من عقوبتك له » . قال : « يا خوند ، كان رجل ظالم يتعرض للرعية ، وكان مفسد » ، ونفر السلطان فيه نفور الحرج ، ورأى النشو حرج السلطان ، فاختار أن يتمّ حرجه عليه ، وعرّفه أنه أخذ من أولاد الخروبي لنفسه ماية ألف درهم .

وكان اتفق لهؤلاء أمر غريب فإنهم من أكابر أهل مصر وسعدائها ، واتفق
٤٧ و لهم مع // رجل فقير حسن ظن وأكرموه ، وفُتح على يديه لهم بشيء كثير من السعادة ، ومن الناس من اتهمهم بلقية حصل منه شيء كثير ، وأقاموا

(1) الزيادة بعد مراجعة ابن الدواداري ٩: ٣٧٨ والجزري: ٣٤٢ والمقريزي ٢/٢: ٣٧٢.

(2) أيدكين الأزكُشي البريدي، علاء الدين، مملوك الأمير بدر الدين محمد بن الأزكشي نايب الرحبة. توفي في حدود سنة ١٣٣٩/٧٤٠ ـ ١٣٤٠.
ابن الدواداري٩ :٣٧٨؛ ابن حجر ١: ٤٢٨.

(3) و(4) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن الدواداري ٩: ٣٥٦.

مـدة وهـم يواصلوا ذلـك الرجـل بالنفقـات والكسوة إلى أن حصـل بينهم أمر أوجب انحمـال الفقـير عليهم ورافعهم . (وحكى ابن الخـروبي عن هـذا الرجل في حـال ابتدائـه معهم أمور كثيـرة أوجبت اعتقادهم فيـه ، وأنه كـان يحضـر إلى أخوه ويقـول : « قم هات ألف درهم يـا قواد » ، فيستنكـر ذلـك ويمنحه ، فيقول : « القواد غدا يجـرأ عليك من كيت عـلى كيت » . فيتفق له ذلـك مراراً عـديـدة ، فصـاروا لا يمنحـوه شيء إلى أن كثـرت عليـه الـدنيـا واتسعت وفسد حالـه ، وأزال عنه مـا كان عليـه ففعل مـا فعل)[1] . ورسم السلطان بقتلهم لابن المحسني ، فعـاقبهم عقوبـة عظيمـة ، وحمل منهم لبيت المـال مايـة ألف وعشـرين ألف درهم، وعـرّف السلطان عنـد حضـوره من الحجاز، ورسم له بالإفراج عنهم.

ولمـا رأى النشـو حـرج السلطان عـلى ابن المحسني أراد أن يتمكن منـه في ذلـك الوقت ، ولمـا عرّف السلطان أن المـال أخذه لنفسـه ، طلب الأكـوز وعـرّفه أن يـطلب ابن المحسني ، ويطلب صـلاح الخـروبي ويستعلم المـال في جهـة من ؟فخرج الأكـوز وطلب ابن الخروبي وابن المحسني ،ورأيت من ابن الخـروبي في هذه الـواقعة مـروّة عزيـزة وصدق وخـوف من الله تعالى وإبقـاء لدينه ، وأن النشـو طلبه إليـه وعرّفـه الصورة ، وأوصـاه بأشيـاء يبلغ غرضـه بهـا ، وعـرّفـه : « أن ابن المحسني مـا فعـل في // حقـك خـير ، وهـزأ وقتل » . ولما حضر إلى الأكوز طلب ابن المحسني ، وقـال الأكوز للخـروبي : « إيش أخـذ هـذا منـك ؟ » . قـال : « يـا خـونـد ، أخـذ مني مـايـة ألف وعشـرين ألف » . قال لابن المحسني : « اسمـع إيش يقول » . قـال : « يـا خوند، صدق الرجـل». قال: «وأين المـال الذي أخـذته، احضـره؟» قال: «ياخوند، المال حملته للخزانة، وأخذت وصول من بيت المال به»، وأخرج الـوصول . قـال الأكوز : « لا ، مـا هـو الـذي أخـذتـه للسلطان إلا الـذي أخـذته أنت لنفسـك » . قال : « يـا خونـد ، هذا الـرجل حـاضر ، الأمـير ظ

(١) ما بين القوسين ورد على الهامش بالقلم نفسه .

يسأل منه » . فالتفت لابن الخروبي ، وقال : « السلطان يقول لك إيش أخذ هذا منك ؟ » ، قال : « يا خوند ، ما أبيع الآخرة بالدنيا ، الذي أخذ مني حمله للسلطان ، وما تعرّض لنفسه مني بشيء » . فوخر أمرهم ، ودخل للسلطان عرّفه ، فرسم ذلك اليوم بعزله من غير مصادرة ، وولي أيدكين البريدي .

ونقل لي ابن المحسني أنه في ذلك الوقت أفكر أنه عاقب ابن الخروبي[1] عقوبة بالغة ، وأنه إذا سئل قال كل ما يختاره ، فكان يصدق

٤٨ و علّي ، ولكن بقيت في خجل منه ، فجزاه الله خير . ولما بلغ // النشو ما قاله ابن الخروبي من الصدق ، طلبه ، ، وأنكر عليه كونه كذّبه عند السلطان ، فكان جوابه : « والله يا سيدي ، ما وسعني من الله تعالى أن أرمي رجل في شدة ، وأكذب عليه » . فكان هذا الرجل من أرباب المروءات[2] .

وشرع أيدكين متولي القاهرة في التعاظم والمظالم والكبسات على بيوت المساتير والتهجم على المقاصد الشنيعة والتعرض لأموال الناس ، واستولت عليه المفسدين ، وبلغ من أمر تتبّعه الناس إلى أن كان يتنكر في الليل ، ويلبس لبس الجبلية ، ويعمل في رجله زَرْبول[3] ، ويمشي في أزقة المدينة ، ويتسمع على من في بيته غناء أو شرب يكبسه ويعرّيه ، ويأخذ منه المال يحمل بعضه للسلطان ، واستعمله النشو في أشياء كثيرة ، كان يبلغ غرضه من الناس بها ، حتى اتفق له أن بعض تجّار قيسارية جركس من كبار تجارها ، وله في خزانة السلطان نحو تسعين ألف درهم[4] ، ويطلع كل

---

(١) لم نقع على ترجمته، لكن يستفاد مما ورد في ابن حجر أن أصل عائلة الخروبي من رحبة الخروب بمصر، وقد عُرف أبناؤها بأنهم كانوا من كبار تجار الديار المصرية .

ابن حجر: انباء الغمر بأبناء العمر ١ : ١٢١؛ والدرر ١ : ٤٥٠ ـ ٤٥١ .

(٢) راجع العيي ٢٩١١/١٧ : ٨٢و ـ ٨٢ظ .

(٣) ويقال زَرْبون وشربيل، وهو حذاء خفيف مصنوع من جلد الماعز.
DOZY, Dict. Vêt. , p. 224.

(٤) عبارة المقريزي (٢/٢ : ٣٧٢) كالآتي: «تأخر في الخزانة السلطانية عن ثمن مبيع نحو تسعين ألف درهم» .

يوم يطالب النشو ، وكان الرجل مشغوف بالشراب وله حرفا تجتمع عليه ،
ظ ولا تمكنه أن يبيت في غير بيته ، وكان النشو // يعلم هذا من حاله ،
فعرّف أيدكين المقصود منه ، فترقبه إلى أن خرج من المكان الذي كان
فيه ، ومسكه في الطريق ، وأخذ[ه] بين العالم إلى دار الولاية ، وأحضر له
الشهود[1] وشهدوا عليه بالسكر ، واختصار الأمر أنه كتب عليه حجة أنه
أبرأ بيت المال بجميع ما كان له فيه ، ولم يبق له عند السلطان الدرهم
الفرد ، وطلع بالابراء للنشو ، فشكره على فعله وعرّف السلطان ما اتفق
بسبب التاجر وقرىء عليه الابراء . ورأى السلطان تسعين ألف درهم قد
أوفيت عنه ، فأعجبه ذلك ، وشكر أيدكين شكر أنه يلازم ما اعتمده ، ولا
يلتفت على أحد ، وأفتك في مصر إفتاك عظيم إلى أن أنشأ للناس فعايل
قدادار[2] وغيره .

وكان للأمير قوصون تاجر يعرف بمبارك شاه له عنده صورة ،
فبلغه[3] أنه اشترى فص بَلَخْش[4] ، فسيّر إليه يطلبه منه فأبى أن يعطيه
له ، فسيّر جماعة من الأعوان أحضروه ، وهو منكل به ، وكان أجار
لجركتمر[5] بن بهادر فوصل إليه الخبر أن مبارك شاه أخذته أعوان الوالي ،
٤ و فركب في أثره فوجده أول // دخوله إليه عراه قماشه وقصد [أن] يضربه

(١) كذا؛ وفي المقريزي : «بالعدول» .

(٢) ويرسم أيضاً «قدودار» و «قديدار» ، الأمير سيف الدين. ولي القاهرة يوم الجمعة ٢٣ رمضان سنة ١٣/٧٢٤ أيلول ١٣٢٤ ، ففتك في العامة ومنع الخمور وأراقها، فعظمت هيبته. توفي في ١٦ صفر سنة ٩/٧٣٠ كانون الأول ١٣٢٩ .
ابن الدواداري ٩ : ٣٥٤؛ المقريزي ٢/١ : ٢٥٦ ، ٢/٢ : ٣٢٧؛ ابن حجر ٣ : ٢٤٤ .

(٣) الضمير عائد لأيدكين والي القاهرة.

(٤) البلخش، بالفارسية اللَّعْل، جوهر أحمر شفاف مسفر صافٍ، يضاهي الياقوت في اللون.
ابن الأكفاني، نخب الذخائر في أحوال الجواهر: ١٤ ـ ١٥؛ أدي شير، الألفاظ: ٢٦ .

(٥) جركتمر بن بهادر، رأس نوبة. كان من مماليك المنصور قلاوون الألفي. قتل في سجنه بالاسكندرية سنة ١٣٤١/٧٤٢ ـ ١٣٤٢ .
الشجاعي ١ : ٢٢١ ـ ٢٢٢ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٦١٥ ؛ ابن حجر ١ : ٥٣٤ .

بالمقارع ، فأدركه [جركتمر] ابن بهادر ، وعرّفه أنه تاجر عند قوصون ، فقال : « أنا أعرف أنه تاجر عند قوصون ، ولا بد من قتله » ، وما زال يلاطفه ابن بهادر إلى أن أخذه من عنده وهو لا يصدق . وبلغ قوصون الخبر باكر النهار ، فنزل لرمي النشاب ، وطلب الوالي وشرع في إهانته والإخراق به ، فجاوبه جواب منكي إلى أن انحمل وحط يده في السيف فمنعوه جماعة من الذي كانوا معه ، وطردوا الوالي . وطلع قوصون القلعة وهو يحرج عليه بهذا السبب ، ودخل للسلطان ورأى السلطان في وجه قوصون الغيظ ، فسأل منه ، فعرّفه الذي اتفق له مع أيدكين ، فعبس السلطان في وجهه ولم يعبأ بكلامه ، وقال : « أنتم كلما وليت أنا واحد ينفعني تريدوا تخرجوه ، ولو كان من جهتكم كنتم كل وقت تشكروا منه عندي » . واقتضى ذلك مفاوضة بينه وبين السلطان إلى أن حرج السلطان عليه وأهانه وسبّه ، وخرج من قدّامه لا يعرف الطريق .

ذكر دخول مهنا بن عيسى إلى مصر تحت الطاعة[١] //

٤٩ ظ وقد تقدم ذكر هذا الرجل وما كان يتفق للسلطان معه من الطلب والحثّ على دخوله تحت الطاعة ، وهو يأبى ذلك ، وكان السلطان يرغب أولاده وأخوته وحجّابه وساير من يلوذ به في الأموال والضياع وغيرها ، ويوعدوه مواعيد كثيرة من حضوره إلى مصر ، فلم يوافق على ذلك . وكان آخر ما اتفق له بعد أربع دفوع يطرده السلطان ويجرد أجردة العسكر من الشام ومصر وحلب ويخرجوه من البلاد ، ثم يأتوا أولاده ويدخلوا إلى مصر ويصلحوا أمره ويعود إلى البلاد . وسيّر السلطان إليه ، ويطلب الخيل الذي يصفوها له ويرسلها ، ويرسل السلطان أثمانها بزيادة كثيرة ، وإذا غضب عليه يولي أخوه[٢] ، وإذا رضي عنه يرد الامرة إليه . وكان الأخوين متفقين

---

(١) أخذ العيني نصاً هذه الرواية عن اليوسفي .
العيني ٢٩١١/١٧ : ٨٣ظ - ٨٦و.

(٢) شجاع الدين فضل بن عيسى بن مهنا. ولاه السلطان أميراً على العرب مكان أخيه مهنا في

في الباطن مختلفين في الظاهر .

واتفق في السنة الخالية [أن] حضر إلى السلطان موسى ولده وأحمد وفياض[1] ، وأنعم عليهم السلطان إنعام كثير وأرغبهم وحلفوا له أنهم لا بد أن يأتوا بـ [أبيهم] مهنا إليه إن شاء أو لم يشأ ، وخرجوا من عنده واجتمعوا بإخوته وعمومتهم حتى أنهم حملوا النساء عليه // وعرّفوه « أن السلطان الملك الناصر ليس قصده منك إلا أن تطأ بساطه ، وأنه حلف لهم إيمان مغلظة على ذلك » . ولما رآهم الجميع قد احتفلوا في أمره قال : « أنا أحكي لكم حكاية ، فإن اكتفيتوا بها ، وإلا خليّت الأرض وسكنت البّر » . قالوا : « وما هي ؟ » . فأخذ يضرب لهم مثل أن بعض الملوك رأى على شجرة حمامة قد جمعت من كل لون جنس إلى أن أذهلت عقله ، وأعجبه زيّها ، فعرّف وزيره أن يتحيل على هذه الطيرة ، ويأتي بها إليه ، فطلب الوزير كبير الصيّادين ، وعرّفه مطلوب الملك ، وعرّفه المكان والشجرة . ورأى الصيّاد من حسن زيّها أمر غريب فنصب شبكته ، وأقام شهر كامل كل يوم يأتي وينصب الشبكة ، ويرمي الحب ويكثر الطعم ، وهي تراه ولم تلتفت إليه ، وتأتي الطيور والحمام وغيرهم يجتمعوا إليها ، وينظروا الصياد وقد بذر الحب ونصب الشبكة ، فينزلوا إليه ويلتقطوا الحب ويطلعوا ، ولم يجدوا من يشوش عليهم ، فيقولوا لتلك الطيرة : « لم لا تنزلي معنا وتأكلي ؟ » . فتقول : « أوَمَا تروا هذه الشبكة المنصوبة ؟ »

= سنتي ١٣١٢/٧١٢ و ١٣١٦/٧١٦.
ابن خلدون ٥/٤ : ٩٤١ - ٩٤٢؛ المقريزي ١/٢ : ١١٨، ١٦٠؛ ابن حجر ٣: ٢٣١.

(١) كذا في العيني أيضاً، وتوضيحاً لهذه العبارة نشير إلى أن أحمد وفياض هما أيضاً من أولاد مهنا. توفي موسى بتدمر في جمادى الأولى سنة ٧٤٢/ تشرين الثاني ١٣٤١ (الذهبي، ذيول: ٢٣٠؛ الشجاعي ١ : ٢٢٠؛ المقريزي ٢/٣: ٦١٥)، وتوفي أحمد بسلمية في رجب ٧٤٩/ آب - أيلول ١٣٤٨.
(ابن الوردي ٢: ٥٠٠ - ٥٠١؛ المقريزي ٣/٢:٩٧٢؛ ابن حجر ١ :٣٢١ - ٣٢٢)، وتوفي فياض في العراق سنة ١٣٥٩/٧٦١ - ١٣٦٠. (ابن حجر ٣: ٢٣٤).

٥٠ ظ فيقولوا : « وها نحن // ننزل ونأكل ، وما نرى شيء يشوش علينا » . تقول لهم : « ما أنتم المطلوبين وما ثمَّ مطلوب غيري ، فأنا لو نزلت معكم ما رأيتوا من هذا الحب حبة ، ولا رأيتوا صياد ولا شبكة ، وها أنا لكم سبب الرزق ، ومتى وقعت في هذه الشبكة ما لكم بعدي رزق » . وما زالوا بها وطال الشرح منهم ، وحكموا عليها إلى أن وافقتهم ونزلت ، فما لحقت تلقط حبة حتى طبق الصياد الشبكة ، وأخذ تلك الطيرة وذبح الجميع . فاكتفوا بما أقول لكم ، وكُلُوا رزق هذا الرجل ، فوالله لولا مهنا ما رأيتم شيء من هذا ، ودعه يطعمكُ[1] عليّ ، فالهناء لكم » . ونهض من عندهم كالمغضب ، واتفقوا أن كتبوا للسلطان بأنهم قد غلبوا فيه ، وأنه لم يطاوعهم ، فكتب السلطان إليه صحبة مملوك نايب حلب[2] كتاب بالإنكار عليه ، وأنه يخرج من بلاده قول واحد ، وأنه متى أقام جرّد إليه عسكر .

فلما وصل إليه الكتاب والمشافاة قال : « قلّة ما أدعك تعذب الناس ، ألا والله لأرحلن إلى أرض غير أرضك ، وأدخل تحت طاعة ملك أكون آمن على نفسي منه » .

٥١ و وركب من مكان نازل فيه ، واقتضى رأيه أن // يدخل على أبو سعيد ويقيم عنده . وبلغ ذلك أخوه حديثة ومحمد وأولاده فركبوا إليه ، وقصدوا منعه فأبى ، وقال : « أنا ألزمت نفسي يمين الأبد أن أدخل بلاد أبو سعيد ، وأقيم مع التتار » ، وغلب على رأيهم وفارقوه وهمّ إلى أن عدا الفرات ، ووصل خبره إلى أبو سعيد وعرّفوه أن هذا الرجل ملك العرب

---

(١) الأصل في الدراجة، والمقصود: ودعوه يطعمكم.

(٢) هو علاء الدين ألطبنغا الحاجب الناصري. ولي نيابة حلب سنة ٧٣١. توفي مخنوقاً في معتقله بالاسكندرية سنة ١٣٤١/٧٤٢ ـ ١٣٤٢.
الشجاعي ١: ٢٢١ ـ ٢٢٢؛ ابن حجر ١: ٤٠٨ ـ ٤٠٩؛ ابن طولون، أعلام الورى: ١٦ ـ ١٧.

بأسرها ، وقد دخل البلاد وما دخل إلا لأمر في نفسه . وكان أبو سعيد يعلم حاله مع السلطان وغيظه عليهم في كل وقت ، ويسيّر لأبو سعيد وجوبان أن يكونوا عون له على طردهم ولا يدعوهم يدخلُ(١) بلادهم ، ولا يقيموا بأرضهم . فسيّر إليه القراولية(٢) ، وكتب للنواب بالإقامات تحمل إليه واكرامه واحترمه إلى أن وصل إلى الأردو ، وركبت إليه الأمراء ، ودخل على أبو سعيد ، وتلقاه وأكرمه ورحب به ، وطلب الوزير(٣) وعرّفه أن يكون متبتل لخدمته ، ولم يسأله ذلك اليوم عن شيء من سبب حضوره إليه .

وأخبرني مجدالدين السلامي أن أبو سعيد ، لما وصل إليه خبر مهنا
١ ظ وحضوره ، ذكروا أمر أشيع في الأردو أن مهنا ما // دخل هذا البلاد وتقرب لأبو سعيد إلا أن يطمعه في أخذ البلاد ، ويكون هو وعربه عون له على أخذها. وبقي ذلك في خاطر السلامي إلى أن اجتمع بالوزير وعرّفه تلك الإشاعة ، وأنه يخشى من أمر فساد الصلح بين الملكين(٤) ، فاقتضى رأي الوزير أن يصبر إلى حيث يحضر ويتبين حضوره إيش سببه ؟. واتفق أنه اجتمع بأبو سعيد ثاني دفعة ، وسأله أبو سعيد عن سبب حضوره ، فقال : « نحن ناس عرب ، وعلينا طاعة مفروضة للملوك ، ورأينا من سلطاننا أمر فخشينا عاقبته ، فخرجنا عن طاعته ، فسيّر يقول : « اخرج من بلادي ، فخرجت من بلاده إلى بلادك ، ونزحت من طاعته ، فإن قبلتنا أقمنا ، وإن كنت تكره جوارنا رحلنا عنك ، فالبر للبدوي متسع » . فقال له أبو سعيد : « البلاد بلادكم ، وحلّت بك البركة » . وأن بعض

---

(١) الأصل في الدراجة ، والمقصود: يدخلوا.

(٢) مفردها قراولي، وهم جماعة من العسكر المغولي كان يناط بهم كشف وحراسة الطرق.
DOZY, Suppl., II, P. 321

(٣) يقصد جوبان وزير أبي سعيد التتري.

(٤) إشارة إلى الصلح الذي حصل بين الناصر محمد وأبي سعيد سنة ١٣٢٢/٧٢٢، إثر وساطة ناجحة قام بها مجد الدين السلامي، راجع الصفحة ١٧٠، حاشية رقم ٣.

المغل تحدث مع أبو سعيد بلسان المغل ، فعرّفه أن يقول لمهنا على سبيل أن
يستشيره ليعلم ما في نفسه «إيش رأي الأمير في عبوري بعسكري إلى
الشام ، وإيش صنعة بلادها ، وإيش تشير عليّ هل أبقى على صلح الملك
٥٢ و الناصر أو لا ؟ » . فأخذ أبو سعيد // يتحدث مع مهنا في مثل ذلك ،
ومهنا يصْغي إليه إلى أن فرغ حديثه ، فقال له مهنا : « اعلم أن ما عند
العرب أصعب من الكذب ، والكذب يتبعه الغدر ، وأنتم بينكم إيمان ،
ومن غدر منكم صاحبه نصره عليه الله بغدره له ، وأما أمور البلاد
والإسلام فلهم رب يدبّرهم ، وما مثلي يشير على مثلك بشيء يكون فيه
فساد » . ولم يبلغ أبو سعيد منه مقصود ، فأخذ هناب[1] ملأه قمز[2]
ومسك له بياق بُلغة المغل يعني تعظيم له وكبر قدر ، فقال لأبو سعيد :
« ما شربت لأحد شيء ، ولا أكلت طعام لملك ، وليس لي ما أقوت به
غير لبن ناقتي وقرص من الملّة[3] يصنعه لي عبدي بين يدي » . وأقام نحو
الشهر زمان ، وبقي مجد الدين [السلامي] قلقان بسبب إقامته ، وعرّف
الوزير أن يحسن لأبو سعيد خروج هذا الرجل من بلاده ، فعرّفه « أن هذا
لا يمكن ، فإن الرجل ملك على حال ، والصبر في هذا أولى » .

واتفق أن الوزير عمل لمهنا طعام كثير وحلاوة وحمله إليه ، ودخل
٥٢ ظ الوزير ومعه جماعة من الكبراء وسألوه أن يأكل من الطعام وأبى ذلك // ،
فقال لحاجبه : « كيف الأمير ما يأكل طعامنا ، هو يعتقد أنه حرام ؟ » .
فقال له الحاجب : « لا والله يا مولانا الوزير ، ما يعتقد أنه حرام ، وإنما
الأمير ما له عادة أن يأكل لأحد طعام ، ولا يأكل إلا ما تراه » . وقدم

---

(١) وهو قدح للشراب ، ويقابله بالفرنسية (hanap)

DOZY, Suppl., II, P. 765.

(٢) لفظ تتري الأصل ، وهو نبيذ يصنع من لبن الخيل .

DOZY, Ibid, II, P. 405; LANE-POOLE, A Hist. of Egypt, P. 278.

(٣) الملّة هي الرماد الحار والجمر ، توضع فوقها الخبزة لتنضج ، ويقال خبز ملّة وملة خبز .

ابن منظور ١١ : ٦٢٩ - ٦٣٠ ؛ DOZY, Ibid, II,.P. 608

قدامه قصعة وقرص ملة وفُتّ له في اللبن ويأكل منه . فحرج الوزير من كلامه ، واختار أن ينكيه بالكلام ، فقال للحاجب : « والله ، إن أَكْل الأمير الطعام أخير من العصيان والخروج عن طاعة مَنْ أمر الله بطاعته » . فلما سمعه مهنا قال : « ومن يكون عديم الدين قليل الوفاء غدار مكّار، كيف يكون له طاعة تجب على كل أحد ؟ » ، وعمل كلام الوزير في نفسه إلى أن وجد منه حرج عظيم ، ولم يقم بعدها(١) .

وعند خروجه من الأردو كتب [مجدالدين] السلامي صحبة مملوكه يعرّف السلطان أن مهنا خرج من عند أبو سعيد ، وحكى كيفية خروجه ، ففرح السلطان بذلك ، وكان ولده موسى قد حضر عند السلطان قبل وصول الخبر إليه ، وعرّفه أن أبوه عاصٍ وخرج من أولاده ، وحلف أنه لا يقيم ، فوصل كتاب السلامي يخبر السلطان بأمره، فطلب موسى وعرّفه أن أبوه مهنا // قد رجع إلى البلاد، فركب موسى إلى لقاء أبوه . وما [أن] وصل موسى قريب من سلمية(٢) حتى بلغه أن مهنا قد ركب إلى مصر تحت الطاعة للسلطان الملك الناصر ، وأنه لم أجد ما هو السبب ، وبقي إلى أن اجتمع بمهنا ، وعلم قصده ، واختار يعلم حقيقة أمره ، فسأل وألحّ عليه في السؤال فأجابه ، ومن شعره :

أتينا وساقتنا إليه المقادر ... فإما وفا أو قاتل [لك](٣) غادر .

وأخبرني حاجبه أن هذا البيت أنشده ارتجال ثم أتمّه بقصيدة وأوعدني

---

(١) ويشير المقريزي إلى توافق جوبان والمجد السلامي للعمل على إخراج مهنا من بلاد العراق مراعاة لرغبة الناصر محمد بقوله: «فتعمد وزيره مع المجد السلامي عليه حتى فارق بلادهم مراعاة لخاطر السلطان، وكتبا بذلك إلى السلطان».
المقريزي ٢/٢ : ٣٧٣.

(٢) مدينة قريبة من حمص تمر بها طرقات هامة تصلها بالعديد من المناطق.
أبو الفدا، تقويم: ٢٦٤ - ٢٦٥ ؛ DUSSAUD, Topog. Hist., P. 201, 244, 252, 257.

(٣) ما أضيف لتقويم المعنى وضبط الوزن.

أن يحضرها إليّ ، ولم يحصل لي بعد ذلك اجتماع . وأنه عرّف ولده أنه رأى رؤ يا[1] يأمره فيها بدخوله إلى مصر ، ويطأ بساط الملك الناصر ، فقال له ولده : « وكيف تأمنه على نفسك ، بعدما كنت تعرف منه ما كنت تقوله لنا ؟ » . فقال : « أوصينا بمن يحضر معك ومن يكون بعدك » . فقال : « والله ما يتبعني غير أخي حديثة ولا يخاف أحد عليّ ، فإن ضامني ثقة » . ولم يفصح له عن الرؤ يا إلا بعد رجوعه من مصر ، ودخل[2] إلى

٥٣ ظ نايب الشام على غفلة من أمره ، وكان صاحب حماه[3] // قد علم بركوب مهنا إلى مصر ، فسيّر واستأذنه أن يكون في صحبته ، فأذن له ، وكتب للنايب يعرّفه إلى أن دخل مهنا ، وركب نايب الشام إلى لقائه وأكرمه وأنزله بالقصر الأبلق[4] ، وأقام عنده يومين ، وسيّر نايب الشام يعرّف السلطان أمر حضوره ، وكان أحمد ولده وفياض سيّروا قاصدهم للسلطان فما صدّقهم ، حتى وصل مملوك نايب الشام يعرّفه وصوله[5] ، ففرح السلطان حتى كاد أن يطير من الفرح بسببه ، وجهز له خيل للركوب ، وسيّر إلى

---

(١) المقصود: رؤياه النبي محمداً (صلعم) في منامه. راجع: المخطوط: الورقة ٥٤ والمقريزي ٢/٢ : ٣٧٣.

(٢) وكان ذلك يوم الجمعة رابع ذي الحجة من السنة/ ٦ آب ١٣٣٤.
الجزري : ٣٤٨.

(٣) محمد بن إسماعيل بن علي، الملك الأفضل، ناصر الدين الأيوبي (ابن المؤرخ أبي الفدا). ولي حماه بعد وفاة أبيه سنة ٧٣٢. توفي بدمشق في ١١ ربيع الآخر سنة ٢٤/٧٤٢ أيلول ١٢٤١، ثم نقل إلى تربته بحماه.
ابن الوردي ٢: ٤٧٣؛ الشجاعي ١: ٢١٩ - ٢٢٠؛ الصفدي، الوافي ٢: ٢٢٤ - ٢٢٧؛ المقريزي ٢/٣: ٦١٥؛ ابن حجر ٣: ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٤) قصر عظيم بناه الظاهر بيبرس سنة ١٢٦٧/٦٦٥ تحت قلعة دمشق، في الميدان القبلي.
النويري ٢٩: ٣٣ظ؛ كرد علي، خطط الشام ٥: ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥) كان وصول مهنا إلى الديار المصرية يوم الأحد في ٢٠ ذي الحجة من السنة/ ٢٢ آب ١٣٣٤.
ابن الدواداري ٩: ٣٧٩؛ المقريزي ٢/٢: ٣٧٢؛ ZETTERSTÉEN, op. cit., P. 188.

ساير ولاة الشرقية[١] وقَطْيا[٢] ، وسيّر أمير جندار والمهمندار[٣] ونوبة خيم وساير ما يحتاج .

ولما تقرر طلوعه القلعة طلب الأمير سيف الدين بشتك ، ويعرّف كل منهم أنه عنده في السر أكبر من صاحبه ، فأسرّ لبشتك : « أنك عندي كبير القدر ومهنا يسمع بذكرك ، وهذا الرجل رجل مَلَك على ساير العرب ، وأنا أريد أُعظمه ، وتعلم أنك كبير عندي ، فاركب إلى لقائه ، واصحبه إلى حيث يحضر » . وخرج من عنده ، ركب وتلقاه من قبة النصر [خارج القاهرة][٤] . وطلب قوصون ، وقال له : « إن هذا الرجل كبير القدر // و وما يمكن يلقاه إلا كبير مثله ، وهو يعلم أنك عندي كبير ، وقد سيّرت بشتك يلقاه من قبة النصر ، وتكون أنت واقف على باب السّر[٥] عند طلوعه ، وتأخذ بيده إلى حيث يدخل عليّ » . وكان هذا إرضاء منه بينهم ، لما كان يعلم ما بينهم من الحسد . وخرج قوصون أيضاً من عنده وقف على باب السر إلى حيث أقبل مهنا وبشتك صحبته ، فأخذ قوصون بيده وسلم عليه ، وترحب به إلى أن دخل للسلطان ، فأقبل عليه وأكرمه ، واستأنس منه ، وقال « يا مهنا كم تهرب من الحضور إليّ وتخرج عن طاعتي ؟ » . قال : «الله يحفظ السلطان ، لولا أمرت أن أحضر ما جسرت

---

(١) عمل هام من أعمال الوجه البحري من الديار المصرية، قاعدته مدينة بلبيس.
القلقشندي ٣: ٤٠٠ - ٤٠١.

(٢) وتكتب أيضاً «قَطْية»، وهي قرية في الطريق بين مصر والشام في وسط الرمل قرب الفَرَما، وبها عامل مقيم لأخذ العشر من التجار، وقاض وناظر وشهود ومباشرون. وهي اليوم مندثرة.
ياقوت ٤ : ٣٧٨؛ ابن بطوطة: ٥٤.

(٣) مهمته استقبال الرسل والعربان الواردين على السلطان، وينزلهم دار الضيافة ويتحدث في القيام بأمرهم.
القلقشندي ٤ : ١١، ٥ : ٤٥٩؛ DOZY, Suppl., II, P. 621

(٤) ما بين الحاصرتين من المقريزي ٢/٢ : ٣٧٣.

(٥) أحد أبواب قلعة الجبل.

على حضوري إليك ، وعلمت أن ضامنه ثقة » . فقال له السلطان : « بحياتي كيف سبب قدومك ؟ » قال له : « لما كنت عند أبو سعيد وفارقته ، وأقمت أيام وصرت مفكر في أمري معك ، وكيف كل ساعة مهجج في البرية ، وسألت الله الموت أخْيَر من هذا العمر ، فرأيت تلك الليلة النبي ﷺ وهو يقول لي : يا مهنا قد قرب موتك ، فلا تموت وأنت
٥٤ ظ عاصي ، فقلت : يا رسول // الله ، وما عصياني ؟ قال : عصيت أن تطأ بساط الملك الناصر ، قلت : يا رسول الله ، أنا خايف منه . قال : لا ، روح إليه وطأ بساطه وضمانك عليّ ، واستيقظت فما عرفت أحد من أهلي ولا وُلْدي ، وأتيت إليك ، وكل من رآني تعجب من أمري وقد حصلت ، وبعدها ما أبالي إن كنت حيّ أو ميت ؟ » .

فلما سمع السلطان ذلك أعجبه ، وفرح واستبشر برؤية هذا المنام ، وكون النبي ﷺ أمر لمهنا بطاعته ، وأن يطأ بساطه ، وقصد بعد ذلك نزوله في الأشرفية(١) ، فأبى ذلك ، واختار النزول في الميدان(٢) ، وشرع السلطان بعد ذلك يعرّف الأمراء رؤية مهنا ، وأنه سبب لحضور مهنا إليه ودخوله تحت طاعته. وسيّر السلطان سماط عظيم عمل له في الميدان فاستعفى ، وسيّر يقول : « ما لي عادة آكل غير لبن الجمال والملة »(٣) . وبقي ذلك أربعة أيام ، وخامس يوم طلب دستور للسفر(٤) ، وأجلسه السلطان .

(١) المقصود القاعة الاشرفية بالقلعة نسبة إلى بانيها الاشرف خليل بن قلاوون، ثم أعاد بناءها الناصر محمد بن قلاوون، وصارت تعرف بالايوان أو دار العدل. المقريزي، الخطط ٢ : ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

(٢) هو الميدان الاسود، تحت قلعة الجبل، خارج القاهرة من شرقيها، ويقال له أيضاً ميدان القبق وميدان العيد والميدان الأخضر وميدان السباق.
ابن شداد، تاريخ: ١٦٦ ؛ المقريزي، الخطط ٢ : ١١١.

(٣) يستفاد من المقريزي (٢/٢ : ٣٧٤). أن استعفاء مهنا مرده إلى معرفته بدس السم في الطعام.

(٤) سافر مهنا من مصر يوم الخميس في ٢٤ ذي الحجة من السنة/ ٢٦ آب ١٣٣٤.
ابن الدواداري ٩ : ٣٧٩ ؛ ZETTERSTÉEN, op. cit., P 189 : ويشير الجزري (ص ٣٤٩) إلى أن وصوله إلى دمشق كان في ٨ المحرم من سنة ٧٣٥/٨ أيلول ١٣٣٤.

وشرع يتحدث معه في شيء يختاره ، قال له : « يا مولانا السلطان ، والله
٥ الذي // عملته مع العرب أفسدت أحوالهم ، وعترت المسلمين معهم ، وأضعفت جيشك ، متى كان مهنا وأولاده يعرفوا يلبسوا نساءهم الحرير والزركش ، والعنابر والذهب والفضة ؟ والله لقد رأينا شيء ما رأيناه في أيام الظاهر [بيبرس] ولا غيره من الملوك ، ولا كانت العرب تعرفه ولا يروا من السعادة ما رأوه في أيامك ، وكبرت نفوسهم وحمقتهم ، ولو ردت أن تغير هذا الحال عنهم ما قدرت ، وأنا والله رجل قد كبر سني والموت بين عينيّ ، ووالله وجب علي نصحك ، قوّي جيش المسلمين ، فإن أمراء الشام[1] ضعفاء الحال ، فلا ترجع لكلام العرب وقوة وجوههم في الطلب ويبقى اللوم عليك » . وأخذ يعظه من هذا الكلام إلى أن طاوعه السلطان ، وقال : « نعم بسم الله ، أسيّر لنايب الشام ونايب حلب وأتفقد أحوالهم وإزيح أعذارهم ، ولكن أنت ما لك إقطاع ولا لك في بلادي رزق ، ولا بد من شيء يكون لك مني على سبيل الانعام ، فما يليق بمثلك يحضر إلى مثلي ويخرج بلا إنعام » . فشرع يتنصل من ذلك ، ولم
٥٥ يقبل السلطان منه ، وقال : « هذه أرض // دُوْمة من أعمال دمشق ، تكون إنعام عليك وعلى أولادك بعدك ، ولا بد من ذلك » ، فقبلها[2] .

وكان ذلك اليوم قد توفي أحد الأمراء يعرف بأسندمر العمري وبيت المال وارثه ، فنزل النشو لحوطته ، فوجد في خزانته من الذهب تسعة آلاف دينار سوى ما وجد له من الحواصل فأخذها ، وعرّفه الذي حصله ، فرسم أن يسلّمها لحاجب مهنا ، وعرّفه أن هذه برسم الزوادة[3] ، ورسم

---

(١) يقصد تنكز نائب الشام وألطنبغا الحاجب نائب حلب.

(٢) كذا في المقريزي ٢/٢ : ٣٧٤؛ أما الجزري (٣٤٨ - ٣٤٩) فقد ذكر أن السلطان قد أنعم على مهنا بثلاث قرى إحداها قرية دومة وهي «لم تقطع لأحد قبله»، وقرية بسلمية وأخرى بالرحبة.

(٣) كذا في المقريزي؛ وفي الجزري (ص ٣٤٨) أن السلطان قد أعطى مهنا ثمانية عشر ألف دينار مصرية وثلثماية ألف درهم.

للقاضي محيي الدين بكتابة منشوره بقرية دُوْمة ، فكان من إنشاء ولده القاضي شهابُ الدين .

نسخة منشور مهنا

الحمد لله الذي جعل الفايز بكرمنا مهنا ، والحايز لنعمنا لا يتعنّى ، والجايز إلى حرمنا لا يحتاج إلى [أن] يشيم برقا ، ولا يستسقى مزْنا . نحمده على أن أحسن إلى أبوابنا العالية الرجوع ، وأعاد بقربنا ما كان ينكره البعيد عنا من الهجوع ، وعوض بمواهبنا الشريفة عما كان طعامه لا يُسمن ولا يُغني من جوع ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي عفا الله به عما سلف ، وشفى بتجاوزه من الأسف .

٥٦ و وبعد ، // فإن الطيف ينفر ويعود ، والطير وإن أطال الحوم لا بد له من الورود ، والليل يمحوه الصباح ، والطود لا تحرّكه الرياح ، والشجرة تميل ثم تستقيم ، والدرر تفترق ثم يجمعها العقد النظيم ، وكان الجناب العالي الأميري[1] الحسامي مهنا بن عيسى هو آخر من بقي من السلف الكريم ، ولقي حقّ ما ائتلف من ولائه القديم ، وهو صاحب الهجرتين ، والتابع فيهما بإحسان السابقين الأولين ، ومَنْ أوتي أجره مرتين ، فكم له من سابقة جميلة قصرت الجياد عن مداها ، وعارفة جليلة تيقّظ لها ، وقد مالت أعناق النجوم مثقلة بكراها ، وتمسك على موالاتنا في وقت كان المتمسك فيه بدينه كالقابض على الجمر ، وتظاهر بمحبتنا ولم يخشَ من زيد ولا عمرو ، وكانت له بين أيدينا الشريفة في المواقف التي يشهد لديها الله والملائكة الكرام ، والاجتهاد الذي[2] لم يترك السيوف تقر في الأغماد ولا

---

(١) «العالي الأميري»: لقب يطلق على أمير العرب بالبلاد الشامية عند المكاتبة إليه. وربما أضيف إليه «الكبيري العالي، المجاهدي، المؤيدي».
القلقشندي ٧: ١٨٤ - ١٨٦.

(٢) في الأصل: التي.

الأرواح في الأجسام ، فكم له موطن أنجد فيه بآرائه(١) وآخراً بحضوره ،
٥٦ وعد // الله على اعدائه(٢) ، وله في مرج الصُّفَّر(٣) اليد الطولى والمجاهدة التي اتبع في النوبة الأخيرة سبيل الصحابة ، رضي الله عنهم ، في النوبة الأولى ، ثم تتبع من ولّى منهم مدبراً لم يعقّب ، ونوّع دماءهم بين غريق في الفرات وتائه في القفار ، وقتيل بدمه مختضب . فلما أوجس في نفسه خيفة فارق بيته راجع ، ونزع نَزْع السّهم المراجع ، وغاب كالنجم ثم أقبل مثله وهو طالع ، وذهب ، فقال كل أحد : « إنه غير طايع » ، ثم بدا له ولقومه من بعدما رأوا الآيات ، وعلموا أن حكمنا الشريف لا يؤاخذ بما فات ، وعرفوا من سجايانا الشريفة الرعاية لحسناته ، فكيف يذهب واحد ، والعفو من وفائنا(٤) بالحقوق القديمة ما لا تضيعه لأنه خرج عنا ، وما كان لإحساننا بجاحد ، وحضر إلى أبوابنا من غير طلب ، فجاء وفود ولائه يسعى لديه ، وحسن ظنه بالله وبنا يحفظه بمعقّبات من بين يديه ومن خلفه ، فأنعمت صدقاتنا الشريفة عليه بما لم ينهض به همة شكره ، ولا يقدر على مثله في مكافأة وليّه السحاب إذا جاد بقطره ، ولم يكن له
٧ معين // يرجع إذا نابت النوب إلى حاصله ، ولا يسكن إليه إذا سحب السحب أذيالها مثقلة بواصله ، ورسمنا له فتوقف تخفيفاً ، وأبى أن يسوم ندانا ، وهو البحر الزاخر تكليفاً ، فأبت نعمنا إلا أن تشمله ، ودِيَمنا(٥) إلا

(١) في الأصل : باياراته .

(٢) في العيني (١٧/٢٩١١ : ٨٥ظ) : «فكم له من موطن قهر فيه أعداء المسلمين، ونصر فيه الاسلام، وأقام منار الدين» .

(٣) يقع على مقربة من دمشق حصلت فيه معركة بين المماليك والتتار انتهت بانتصار المماليك، وذلك في ٢ رمضان ٧٠٢/٢٠ نيسان ١٣٠٣ ، ويقال لها أيضاً وقعة «شقحب» .
أبو الفدا، المختصر ٤ : ٤٨ - ٤٩؛ ابن الدواداري ٩ : ٨١ - ١٠٠؛ النويري ٣٠ : ٣٣٧ظ وما بعدها؛ الصفدي، الوافي ٤ : ٣٦٠ - ٣٦٤؛ المقريزي ١/٣ : ٩٣٠ - ٩٣٨؛ LANE-POOLE, A History, , P. 297 - 301

(٤) الأصل : والفر من وفايانا .

(٥) مفردها ديمة ، والديمة من المطر الذي لا رعد فيه ولا برق.
ابن منظور ١٢ : ٢١٣ .

كـان قد كـرهـه(1) ، وتـوفي والسلطان في بـر الأهـرام ، وسـيّر آقبغـا [عبـد
الـواحـد] أستـادار حضـر دفنـه(2) وكـان أوصى الأمـير // سيف الـدين 58 ظ
قوصون ، فإن زوجته كانت حامل وله منها بنت .

وأيضـاً تـوفي(3) الأمـير سيف الـدين صـوصـون(4) أخـو الأمـير سيف الـدين قوصـون ، وكان هـذا الرجـل قد حضـر من بلاد أزبـك هو ووالـدته ولمجك وجماعة من الذي كـانوا أقـارب قوصـون ، وأكرمهم السلطان ، وأمّـر أخوه وتنقل إلى أن صار أمير مـاية فـارس ، وأزوجه بنت الأمـير سيف الدين البوبكري(5) . ولما مات منكلي بغا أزوجه الخاتـون(6) بنت أزبك الـذي تقدم حضـورها ، ودخـل بها السلطان وأقـامت أيـام ، وأزوجهـا لمنكـلي بُغَـا بعـد طـلاقها منـه ، ولما تـوفي رسم أن يزوجهـا لصوصـون ، فأقـامت معه إلى أن توفي(7) . وحضر خبرهَ والسلطان بالأهرام وعزّى أخوه قوصـون فيه ، وشـرع في تسهيـل أمره عليـه ، وكان من القليلين الشـر ليس له همـة غير الاجتمـاع

---

(1) قارن بالصفدي، الوافي 16 : 449 وابن تغري بردي، النجوم 9: 303.

(2) دفن طغيتمر بالقرافة نهار الثلاثاء في 28 ربيع الأول من السنة/ 7 كانون الأول 1333.

(3) توفي ليلة الجمعة في 14 جمادى الأولى في السنة/ 21 كانون الثاني 1334.
الجزري : 382؛ المقريزي 2/2 : 376؛ ابن تغري بردي، النجوم 9:303؛
ZETTERSTÉEN, op. cit., P. 187 - 188.

(4) ويـرد أيضاً بصـورة «سوسـون». انـظر: الشجـاعي 1 : 102؛ ابن تغـري بـردي، النجـوم 9:303.

(5) أرغـون البوبكـري، الأمير سيف الـدين؛ أحـد رؤوس النـوب. تـوفي سنـة 767/ 1365 - 1366.
المقريزي 3/1:126؛ ابن اياس 1/2 : 42.

(6) وهي الخاتون طلنباي ويقال دلنبية ويقال أيضاً طولونية. حضرت إلى الديار المصرية بطلب من السلطان في شهر ربيع الأول سنة 710/تموز- آب 1311، وقد تزوجهـا السلطان يوم السبت 2 ربيع الآخر من نفس السنة/ 29 آب 1311.
الشجاعي 1 : 120، المقريزي 2/1 : 203 - 205.

(7) ودفن بالقرافة. الجزري : 382.

بـالنساء ، وهـو على اعتمـاد المغل وأهـل البلاد في أمـر دينه ، وبقي مـدة في مصـر إلى أن عرف الإسـلام وتحققه ، وتـوفي على خـير وإيمـان ـ تغمـده الله برحمته ـ .

[و] تـوفي[1] الأمير سيف الـدين أُلماس الحـاجب كـان من الممـاليـك
٥ و النـاصريـة وتنقل من الجـاشنكيريـة // إلى الحجوبيـة ، وكبر عنـد السلطان وقرّبه إلى أن اتفق له عند حضوره من الحجاز الشـريف مااتفق، وقـد ذكرنـا من ترجمته مـا يغني وكذلـك أخوه[2]، وتـوفي الإثنين مقتـولين ـ تغمـدهم الله بالرحمة ـ .

وأيضاً توفي جمال الدين يوسف[3] أمير طبـر[4] وكان هـذا الرجـل من أكابر أهل المروءات والعصبية ، وكان كثير اللهو منعكف عـلى الطيبـة ، وبلغ من أمـرها مّـا لا يوصف ، حتى أنـه كـان لـه خيمـة في الجيـزة من العـام إلى العـام ، ولم يـدع أحـد من أهـل الـطرب الحسن ولا شيء مستحسن إلا وأحضـره مـع طـرف وَكَيْس ولـطف وذكـاء . وكـان يـروي أشعـار العـرب وغيـرهـا ، ويحفظ شيء من المـوسيقى ، وكـانت لـه زوايـد هـزليـة نـذكـر بعضهـا ، كان لـه مغنية تعـرف بعروس الحـولى حجّت في تلك السنة واتخـذ

(١) توفي خنقاً في ليلة ١٢ صفر من السنة (وقيل في السنة السابقة)، ودفن بجامعه بالشارع خـارج بـاب زويلة. وكـان أغتماً لا يعـرف العـربيـة. انـظر تـرجمتـه في: الجـزري: ٣٠٣، ٣٨٢؛ الصفـدي، الـوافي ٩: ٣٧٠ ـ ٣٧١؛ ابن حبيب، درة ٢: ٢٣٥ظـ ـ ٢٣٦و والتـذكـرة ٢: ٢٤٥؛ المقـريزي ٢/٢: ٧٥؛ ابن تغـري بردي، النجـوم ٩: ٣٠١ ـ ٣٠٢ والمنهل الصـافي (ترجمة أُلماس).

(٢) ويدعى الأمير سيف الدين قَرَا، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١٦٧، حاشية رقم ٤.

(٣) يوسف بن علم الدين سليمان، الأمير جمال الدين، تـوفي ليلة السبت ١٣ جمادى الآخـرة من السنة/ ١٩ شباط ١٣٣٤، وكان أمير عشرة.
المقريزي ٢/٢: ٣٧٦.

(٤) عرّفـه القلقشنـدي بأنـه «لقب على الـذي يتحدث عـلى الـطبـرداريـة الـذين يحملون الاطبـار (الفؤوس) حول السلطان في المواكب ونحوها».
القلقشندي ٥: ٤٦٢.

المماليك ، وكان هذا الرجل فيه سكون وجـودة ومعرفة ، وله في بيت السلطان قدم هجرة ـ تغمده الله برحمته ـ .

ذكر من توفي بدمشق

حضـر الخبر بـوفاة نـايب حمص الأمير سيف الـدين قجمـار[1] ويلقب
٦٠ ظ بشاش.// كان هـذا الرجل من الأمراء الأكـابر البـرجية ، خشـداش الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير [و] كان من المماليـك النافعـة مقدام في سـايـر الأمـور ، وكـانت لـه سعـادة طـايلة ، وأقـام في السجن نحـو العشـر سنين[2] . ولما أفرج[3] عنه جـرّده [السلطان] إلى اليمن ، كما تقـدم ذكره . وكان له دين يرجع إليه ـ تغمده الله برحمته ـ .

وأيضـاً توفي بمصـر الشيخ فتـح الدين ابن سيـد الناس اليعمـري[4] ، شيـخ الحديث بـالديـار المصريـة ، وكان هـذا الـرجـل من المجيـدين في أمـر الحديث وحفظ الأنساب حتى أن جماعة كثيـرة كانت تفضّله عـلى من تقدّمـه من شيـوخ الحديث ، وكـان مع ذلـك لـه مصنفـات كثيـرة ، وشـرح كتـاب

(١) ويرد أيضاً بصـورة «قجماس». تـوفي في ٢٢ ذي الحجـة من السنـة/ ٢٤ آب ١٣٣٤، ولم يكمل في ولايته السنة الواحدة.
الجزري: ٣٨٢؛ المقريزي ٢/٢: ٣٧٧.

(٢) و(٣) اعتقـل يـوم الخميس ١٦ ذي القعـدة سنـة ١٧/٧٠٩ نيسـان ١٣١١، وأفـرج عنـه في مستهل ربيع الآخر سنة ٥/٧١٥ تموز ١٣١٥.
المقريزي ٢/١: ٧٦، ١٤٤.

(٤) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس، الشيخ الامام فتح الدين أبو الفتح اليعمري الربعي، شيخ المدرسة الظاهريـة بالقـاهرة. ولـد في العشر الأول من ذي الحجـة سنة ٦٧١/ حزيران ١٢٧٣، وتوفي فجأة يوم السبت في ١١ شعبان سنـة ١٧/٧٣٤ نيسان ١٣٣٤، ودفن بالقرافة.
انـظر ترجمتـه في: الجـزري: ٣٦٧ ـ ٣٧١؛ الـذهبي، ذيـول: ١٨٢؛ الصفـدي الـوافي ١: ٢٨٩ ـ ٣١١ وأعيـان ٦: ٣٤٢ ـ ٣٨٤؛ ابن حـبيـب، تـذكـرة ٢: ٢٥٣ ـ ٢٥٤، ودرة ٢: ٢٤٠و ـ ٢٤١و؛ الاسنوي: ٥١٠ ـ ٥١١؛ ابن حجر ٤: ٢٠٨ ـ ٢١٣؛ الدمشقي، الرد الـوافر: ٢٦ ـ ٢٨؛ العيني ١٧/٢٩١١: ٨٧ظ ومـا بعدهـا: ابن تغري بـردي، النجوم ٩: ٣٠٣ ـ ٣٠٤؛ ابن اياس ١/١: ٤٧٩ ـ ٤٧٠.

الترمذي[1] شـرح مـا سبق إليـه . وتـوفي ولم يكمله ، وبقي محتـاج إلى
تكميله ، فعجز عنه ، وله نظم فـايق ونثر ، وكـان قد أصـابه في خـده نزلـة
وكبرت ، وكان يـرى منها شـدة وأثر فـاحش في نظره للعـين . وحكى لي أنه
ذكـر ذلك بعـد الليالي في نفسـه ، وقال : « يـا سيدي يـا رسـول الله ، قـد
ضـرّني ما أرى من هـذا الأثر في وجهي » ، وتـوسـل بـه ، فـرأى تلك الليلة
٦ و النبي ﷺ ، وقد مرّ بيده // الطاهـرة على تلك الكبـة فانفجـرت ، واستيقظ
لمـا أحسّ بها ورآهـا وقد جـرى منها شيء كثير ، واستبشر بهـذا ، وشرع في
نظم مجلد مدح في النبي ﷺ ، عـلى حروف المعجم تسـع وعشرين قصيـدة ،
ولم يبق أحد من الأكابر حتى استنسخها ، وكتب بهـا نسخة لمـا كان فيهـا من
العلم والعمـل والنـظم الفـايق ولقّبـه « بُشـرى اللبيب بـذكـر[ى][2]
الحبيب » ، وله « [تحصيل][3] الإصابة في تفضيـل الصحابـة » ، وله « نـور
العيـون في سيرة الأمـين والمأمـون » ، سيرة سيـدنـا محمـد ﷺ ومغـازيـه التي
غزاها[4] ، واختصرها في كتاب سماه « نـور العيون » ، ولـه أشياء من مـدح
النبي ﷺ ومدح الصّحابة[5] اختصرناه ، وكان ـ تغمده الله برحمتـه ـ حافـظاً
لأسـماء العرب وحفظ وقـايعها ، ولـه ذهن حاذق في النـظم والنـثر . ولـه في
قصيـدة مدح فيهـا القاضي كـريم الـدين [الكبـير] ، وعـرض فيهـا بـذكـر
القاضي بدر الدين بن جماعة في قضية كانت اتفقت منها وقـايع تقـدمت[6] ،

---

(١) عنوانه «النَّفْخ الشّذي في شرح جامع الترمذي».
الصفدي، الوافي ١ : ٢٩٢ ؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

(٢) ما بين الحاصرتين أضيف بعد مراجة الصفدي وابن حجر وابن تغري بردي .

(٣) ما بين الحاصرتين أضيف بعد مراجعة الصفدي وابن تغري بردي .

(٤) عنوانه «عيون الأثر (السّـير) في فنون المغـازي والشمائـل والسّير». وهـو من منشورات مكتبـة القدسي (جزءان)، القاهرة ١٣٥٦ هـ.

(٥) وهو «المقامات العلية في كرامات الصحـابة الجليـة». الصفدي، الـوافي ١ :٢٩٣. وللاطـلاع على آثار ابن سيد الناس. انظر: فهرس الظاهريـة بدمشق (قسم التـاريخ) ليوسف العشي. دمشق ١٩٤٧ .

(٦) راجع : الصفدي، الوافي ١ :٢٩٢ .

واختصرنا من أمرها شيء كثير جداً ، وحضرتُ بعض الأيام معه بالظاهرية(١) وأوقفني على كتاب ورد عليه من ابن عمه من المغرب ، فلما انتهيتُ إلى آخره أخذه من يدي ، وكتب جوابه .

نسخة الكتاب

منها :

٦٣ و أبو الفتح فتح // الدين ناهج سبله ومستنبط الأحكام من محكم الذِّكرِ
وكم(٢) سنة المختار أكرم مرسل وصَحْب له أهدى من الأنجم الزُّهرِ
فأهلاً بها أهلاً وسهلاً ومرحباً عقيلة أتراب من العرب الغرِّ

النثر فيها : من يعمر الشم الأنوف البيض الوجوه عند لقاء السيوف .

أولئك(٣) قوم بارك الله فيهم على كلِّ حالٍ ما أعفَّ وأكرما

واعطف على در بحرهم ، وغرَّة فخرهم الذي افتخرت به المحابر والأقلام ، وطلع بدراً في سماء الصدور والأعلام ، وبدا جمالاً في وجوه وجوه الإسلام ، وحَسُنَ به التفاخر بالآباء الكرام .

نسخة كتاب الشيخ له

معلِّلةَ المتيَّم والغواني حبال عهودها(٤) ابداً رمائمْ
أما لي في وصالك من نصيبٍ ولا لك في عذابي من مساهمْ
الى ابن ابي الحسين الحسن ثغري وثغر الجود من جدواه باسمْ

(١) وهي المدرسة الظاهرية بالقاهرة التي كان ابن سيد الناس شيخ الحديث بها. راجع مصادر ترجمة ابن سيد الناس المثبتة في الصفحة ٢١|٦ ، الحاشية رقم ٤.

(٢) كذا في الأصل، ولعل صوابه «رعى» أو ما بمعناها.

(٣) الأصل: أولياك.

(٤) في الصفدي (أعيان ٦ : ٣٨٣): «وعودها».

ومـن يـكُ قـدره قـدراً عـليـاً   ففي عليـاه تحتضـر العـظائمْ
يُـسـرُّ جميـله فيـذيـع عـنـه   ونشر الروض تَشْفيه النواسمْ //
٦٣ ويـكـتـم مـا يجـودُ بـه حيـاء   وريـح المسـك لا يخفيـه كـاتمْ
أمتخـذ المكـارم كـالـدراري   يـزيـن بهـا عقـود الـدر نـاظمْ
تُـرَجِّـع كـلَّ ذي أمـلٍ بنُعمى   يـرى مقـدارهـا فـوق النعـائمْ

النثر : « وردت المشرَّفة الكريمة الصَّادرة عن المقر الكريم العالي في المناقب ، علواً تمادى في صعوده ، كأنما يحاول ناراً عند بعض الكواكب ، المسندة [إلى] سؤدد أطلع في ليل الخطب هلالا ، وأصبح وجه الدهر به يتلالا ، وأنشد لسان الحمد هكذا هكذا ، وإلا فلا لا ، أبي عبدالله أبقاه الله تعالى بقاء الليالي والأيام ، وأدام لرفعة قدره وبسطةِ أمره الإجلال والإعْظَام ، ولا يزال سيفاً في هدى الإسلام ، وسهماً سهماً يصمي مقيل الكفر عند طيش السهام ، والنصر بلوائه معقود ، والفتح بسيفه المشهور مشهود ، والرعب يقذف في قلوب أعدائه قبل الورود ، فيتطلع أسنَّة من النجوم ، وتلمع صوارمه من البروق ، وتسمع كوساته من الرعود ، ولله
٤ درّها بل لله درّها . لقد سلب المهج // من فصاحتها بما يَسْبي العقول وَيُصبي القلوب ،﴿ فأعيذها بربِّ الفلق ، وأُقسم من أنفاسها وقرطاسها بالليل وما وسق ﴾[1] ، لقد جاءت بما سكن القلق وأخمد الحَرق ، وجادت بما أبهج الحدَق ، وأجحد الوابل الغدق ، حين وافت من الرسل على فترة ، وَزُفَّتْ للقلوب قراراً ، وللعين قُرَّة » .

ومن غريب ما أُؤَرِّخه عنه ، ولما علمتُ منه أنه لم يتفق أن يكون إذا حضر مجلس أو جمعت له جماعة أو جالس مجلس علم أو أدب أو فقه ، وكان أول القوم وآخرهم ، وكان رجل في مبدئه مستغرق بالشراب والمناداة حتى كانت لا يمكن أن يتمّ مجلس أنسهم إلا به إلى أن اتفقت له[2] وظيفة

(١) سورة الانشقاق، الآية ١٧ .
(٢) الأصل : «أنه».

صاحبنا » ، فـركبت ، وسألت عن الحـال وكيفيته ، فعـرّفني : « أنـه حضـر إليـه وعرّفـه أنه اجتمـع بناصـر الدين بن جنكـلي ، وذكر مـا قـالـه لـه ، ثم
٦٦ و اجتمـع بي وذكر مـا قـالـه لي ، ثم قصّ عليـه القـول في المنـام // والإنـابـة ويستجعل منه في حلّ ، وأنه فارقه وطلع إلى بيتـه بأعـلى الظاهـرية ، وجلس ساعة فوجد في نفسـه تخلّي ومغص ، فقـام نزل إلى المنصـورية[1] ، واجتمـع بشمس الـدين الأكفاني[2] ، وعـرفه فـأعرض لـه ، فـوصف لـه شيء يسهله وأعطاه شرابـاً ، وخرج من عنـده وطلع إلى بيته ، واستنـد ساعـة ، ونام إلى القبلة وانتقـل إلى رحمـة الله تعـالى ، وبلغ النـاس أمـره فـاجتمعت الأمـراء والجنـد والقضاة وغيـرهم . وكـان لـه مشهـد عـظيم ويـوم مشهـود ، وكلنـا يتذاكر قوله وسعيه في ذلك اليوم ، وكان من جملة قوله ذلـك اليوم : « قـرب مـوتي ، فـإنني وصلت إلى ثـلاث وستـين سنـة من عمـري ، والـدي كـان كذلك ، وتـوفي في سن الثلاث وستين سنة ، وجـدي كذلـك ، وما بقي إلا الموت » ـ تغمد الله بـرحمته ـ . وولي بعـده علاي الـدين مُغْلِطَاي[3] بعنايـة القـاضي جلال الـدين ، وكـان هـذا الـرجـل مملوكـاً ، واشتغـل بالحديث، وصحب القاضي جلال الدين وقرأ عليه .

---

(١) المقصود: المدرسة المنصورية التي أنشأه الملك المنصور قلاوون سنة ١٢٨٤/٦٨٣ داخل بـاب المـارستان الكبيـر المنصوري بخط بـين القصرين بـالقاهـرة، ورتب بها دروسـاً أربعـة لقضـاة المذاهب الأربعة ودرساً للطب، وتعرف اليوم بجامع قلاوون وبجامع البيمارستان.
ابن عبد الظاهر، تشريف: ٥٥ ـ ٥٧؛ المقريزي، الخطط ٢: ٣٧٩ ـ ٣٨٠؛ مبارك ٢: ٨٩.

(٢) محمـد بن الأكفاني، رئيس الأطباء، شمس الدين. تـوفي يـوم الأربعـاء ٢٣ شـوال ١٤/٧٤٩ كانون الثاني ١٣٤٩.
المقريزي، السلوك ٣/٢: ٧٩٧؛ ابن اياس ١/١: ٥٢٣.

(٣) مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري الحنفي، الشيخ عـلاء الدين، أبـو عبد الله. تـوفي الثلاثاء ٢٤ شعبـان ٢٨/٧٦٢ تموز ١٣٦١. ولـه مصنفات منهـا: «شرح البخـاري» نحو ٢٠ مجلداً و «إكمال تهذيب الكمال» في ١٣ مجلداً.
ابن حبيب، درة ٣: ٩ ومـا بعـدهـا، المقـريـزي ١/٣: ٧١؛ ابن حجـر ٤: ٣٥٢ ـ ٣٥٤؛ العيني ٢٦: ١٣٣؛ ابن قطلوبغا، تاج التراجم في طبقات الحنفية: ٥٧.

فلما حصل توفي الشيخ عُني به القاضي جلال الدين وولّاه //
ظ الظاهرية ، وركب البغلة وجنح العمامة وفخم كلامه ، وكانت الناس تتحدث في ولايته وتقول : « قالوا قولاً مغلطاي يا ويه وديه » . فإنه لم يشهر عنه حفظ الحديث ، وكان أصله مملوكاً . وكان بينه[1] وبين صلاح خليل الصفدي أحد الموقعين مكاتبات وترسلات ، وكل منهم يكتب إلى صاحبه ، فلما حصل سفر الصفدي من مصر كتب إلى الشيخ وكتب الشيخ [إليه] ، فنقلت قليلاً من مكاتباتهم .

نسخة كتاب الصفدي

سلو نسمة الوادي إذا هي هبتِ ... سُحيراً وهزَّتْ في الرُّبى كلَّ أيكةِ
فكم ليَ في أثنائها[2] من رسالةٍ ... أضمنُها شوقي إليكم ووحشتي
وما طاب ريَّاها إلى أن تحمّلتْ[3] ... ثنائي على علياكمُ وتحيتي
إذا عانقتْ في الروض أغصانَ بانةٍ ... حَكتْ خطرات الغيد لما تثنّتِ
وما[4] صافحت وجهَ الرياض وإنّما ... تقبّل في أوطانكم كلَّ تربةِ
وتنشر من طيب الثناءِ عليكمُ ... محاسنَ يُنْسي نَشْرُها كلَّ روضةِ
و وإن ما تَلَتْ ذكراً تداعت صبابةً ... له الوُرْقُ فارتاحتْ وناحت وحنّتِ //
ولو تنصف الأيام لَمَّا[5] تحكّمت ... صروف لياليها بِبَينٍ وفرقةِ
لَمّا سرت عن ذاك الجناب الذي حوى ... من الفضل والعلياء كل عظيمةِ
عسى الدهر أن يدني إلى ظل قربكم ... مشوقاً رأى في البعد كل مشقةِ

يقبّل الأرض ، وينهي وصف قلقه وشوقه الذي تناءت منه غُمَرَ

---

(١) الضمير عائد لابن سيد الناس.

(٢) في الصفدي (أعيان ٦ : ٣٦٠): «فكم لي من ثناياها».

(٣) في المصدر نفسه: «تضمنت».

(٤) أيضاً: «وإن».

(٥) الاصل: «ما إن».

طافية، وشبَّ عنه عمرو طوقه[1]، ودمعه الذي جاء طوفانه من تحت ناظره ومن فوقه، وفكره الذي بلّد ذهنه بعدما كان اكتسبه بمصر من حلاوة ذوقه، ويذكر محبته الذي يشهد بها نار البرق ودمع الغمامة، وثنائه[2] الذي[3] تتعلم في الروض من أسجاعه الحمامة، وولائه الذي عُرف به، فمن رآه قال: «هذا ابن جلا وإن لم يضع العمامة. انه فارق الديار المصرية ومولانا، فعدم البحرين، وفقد ذلك الفضل وحنو مولانا، فغاب عن البَرَّين، ورعى نجوم الليل، فلو رعت له عهداً لطار منها بجناح النَّسْرَين، وتذكر عهد السالف، فقابل أنهار دمشق من سائل دمعه بنهرَين.

٦٧ ظ ومن يفارق كما فارقت مثلك لم يَعْدَمْ سوى جَلَدي إن كان لي// جلدُ
لا صبَّر الله قلبي في مصيبته إن حلّ مثلك عندي في الورى أحدُ

جواب الشيخ له

وشَفَتْ تعبي بُلِّغت كل محبة[4] ونلت بها المأمولَ فيك ومُنْيتي

ومنها:

وأهديتها عذراءَ بالحُسن أفردت وما بين أغصانِ اليراعِ تَثَنَّتِ
جَلَتْ كلَّ معنىً من بديعك باهراً وأبْدَت فنوناً من علومك جلّتِ
فكم نظم درٍ لا يُسامَ لمفلسٍ وكم دُرِّ نثرٍ لا يُسامى بنثرةٍ
وإني لما سرت عني وإن أكن بداري لبعدي عنك في دار غربتي

---

(١) الأصل: «ووصف شوقه وقلقه الذي سآت منه عمر طاقية، وشبّ عنه عمرو طوقه»، ولعل ما أثبتناه هو الصحيح استناداً إلى المثل السائر: «شب عمرو عن الطوق»، والذي يقال في شخص تعالى عن الأمور الصغيرة.

(٢) الأصل: وشابه.

(٣) الأصل: التي.

(٤) الشطر الأول مطموس في الأصل، ولعل ما أثبتناه يراعي المعنى والوزن.

ورد المشرّف الكريم الصالحي ، فأكْرِمْ به وارداً وأعزز [بـه][1] وافداً يجلو عـلى الأبصـار مـا شـاء من زين ، ويجلو عن البصاير مـا شـاء من زَيْن ، حـائزاً من نـظمـه ونثـره [مـا][2] استمـد منـه راحتـه ، وإذا رمت راحـه ، وألقى لديه انشراحه ، ونال به على الدهـر اقتراحـه ، بعدمـا وجد من فـراق بـه [ما] وجـد ، وقد أضرم بقلبه من نـار الخليل لفـراق الخليل مـا وقـد ، فـراح كليم اشتياق ، وفي أليم احتـراق ، ينادي منـادي الأشواق قـد لسعتْ حيـة النـأي كبـدي ، فـلا طبيب لهـا ولا راق ، وواقفـه وقـد شـطت الـدار
و وتناءى // عنه المزار بحسناء هي بلطفهـا نسيم الصبا ، وبـاهي بحسنها[3] شمسَ الضُحى ويعرْفها زهر الربى .

ومن ذلك رسالة ثانية من الصفدي إليه :

أهـلاً بهـا مـن تحيّـةٍ صـدرتْ   عن راحـةٍ بـالفضـايل اشتهـرتْ
يـا حسن مـا سـطرتْ أنـاملهـا   ولـطف مـا نـظمت ومـا نَثَـرتْ
فـضضـت عنهـا ختـامهـا فـإذا   بـالشمس في حضرتي وقـد سَفَـرتْ
فـشـرّفَـتـني وشَـنَّـفَـت أذُني   بـدرٌ ألـفـاظـهـا الـتي بَهَـرتْ
لا متّـعـت مـقـلتي بـرؤيـتـهـا   إن نـظرتَ مـثـلهـا أو انـتـظرتْ
مُـذْ بَـرُدتْ حـرقـتي تحيـتـهـا   ملّت سعـاهـا الـدعـا ومـا فتـرتْ
وأصـبحـتُ أدمـعـي أكـفـكـفـهـا   يـا جيرة النيـل كـالفُـرات جَـرَتْ
يـا سيـد النـاس وابن سيـدهـم   ديـار مـصـرٍ بفـضلك افـتخـرتْ
اذا أنْـتَ في ربـعـهـا تـقـوم   تحفظ سنـة المصـطفى إذا ذُكـرتْ

يقبِّل الأرض التي مجالس العلم بها مشهودة وبـركاتهـا مشهورة ، وكتب السّنـة بهـا منصـوصـة وكتـابتهـا منصـورة ، ونفـائس الآداب مسـرودة ،
ظ ونفوس // أهلها مسرورة ، وهي مطولة .

ذكر الأنام لنا ، فكان قصيـدة   أنت البديع الفرد من أبياتها .

---

(١) و(٢) إضافة اقتضاها السياق.

(٣) الأصل: تحتها.

فكتب الشيخ جوابه :

حيَّتْ فأحيتْ وعندما حَسَرَتْ[1] ... خمارها كلَّ مهجةٍ سحرتْ
يا خجلةَ الشمس عندما سَفَرَتْ ... وغيظة[2] الغصن كلما خطرتْ
ما كنت أسلو جمالها أبداً ... لولا التي بالجمال قد بهرتْ
يا حبذا للصَّلاح نسبتها ... خليلها من به العلا افتخرتْ
أبْياتها من عقودها نظمتْ ... ونثرها للكواكب انتثرتْ

كدرت مذ غبت عنه عيشه ... [. . . . .][3]

يُقبل اليدَ العالية الصلاحية لا زالت صالحة الشِّيم ، سافحة الديم ، بل الباسطة الكريمة لابرحت واسطة عقد النعم ، وينهي ورود المشرف العالي قدماً الحالية من البدايع الروايع درّاً ، المرتعة في رياض الفصاحة زهراً ، الطالعة في سماء البلاغة زهراً ، التي جليت على أرباب البراعة ، فقالتا : أتينا طائعين ، فلا يجري في ميدانها خيل طراد ، ولو قام مقام قس في إياد .

[و] منها : فما الظن بوحيد يحتاج إلى الزمام ، وربيط في الرغام ،
٦٩ و لا عهد له في السرايا ، // ولا أنس له بالدخول في الفئام ، إن عدل في حَلْبَة الرهان وتطول لمقاتل الفرسان ، أو ينـاطق تثاقل عنه من سحب ذيلاً على سحاب ، وهل تستفاد تلك المعادن من غير ذلك الواد ؟ وهل استولى على أَمَد ذلك الجواد غير ذلك الجواد ؟ ولن يُكاثر البحارَ الزواخرَ من ورده الثماد ، ولن يطاولَ النجومَ الزواهر مَنْ قراراته الوهاد .

ومنها في شكر كتاب له : وردت الأبيات الأبيَّاتُ[4] التي فاقت

(١) في الأصل : جرت ، والتصويب عن ابن حجر ٤ : ٢١٢ .
(٢) في المصدر نفسه : «وغصة» .
(٣) الشطر الثاني ساقط في الأصل ومطموس في الصفدي (أعيان ٦ : ٣٧٦) .
(٤) في الصفدي ، الوافي ١ : ٢٩٥ «الأبيات الأبيّات الصادرة عن السجيّات السخيّات» .

الكنديّين ، وطوت ذكر الطائيين[1] ، تقف الفصاحة عندها وتقفو البلاغة حدَّها ، فللّهِ درّ الفضل الوافي ، بل ذلك السحر الحلال الشافي ، بل تلك القوى[2] في القوافي ، بل تلك المقاصد التي[3] أقصدت المنى[4] في المنافي ، بل تلك المعاني التي حوتْ[5] المعاني وفعلتْ في الألباب ما لا تفعله المثالث والمثاني ، بل بتلك الأوضاع التي حاك[6] الربيع وشيها ، وامتثل القلم أمرها ونهيها ، فهو يصرّفها كيف يشاء مَرْسوماً ، ثقة منه أنها لا تخالف له مَرْسوماً . لقد آل فضل الكتاب إليها ، وآل فضل الخطاب لا وقف إلَّا بين يديها » . وله من ذلك كثير ـ تغمده الله برحمته ـ .

ذكر النيل

٦ ظ كان النيل // فيها تسع عشر ذراع واثنتين وعشرين إصبع[7]

ذكر دخول سنة خمس وثلاثين [وسبعماية] وحوادثها

[وفيها][8] اقتضى رأي السلطان عَزْل الطواشي عَنْبَر السَعرَتي[9]

(١) في المصدر نفسه «وطوت ذكر الطائيين، ما شئت من بدايع إبداع وروايع إبداع».

(٢) في الأصل: القرى.

(٣) في الأصل: الذي.

(٤) في الأصل: المنا.

(٥) كذا في الأصل؛ وفي الوافي: «حيّرت».

(٦) في الأصل: حال.

(٧) كذا؛ وفي ابن الدواداري: ٣٧٣ «ستة عشر ذراعاً وعشرين إصبعاً». وفي المقريزي (٢/٢: ٣٧٥) «ستة عشر ذراعاً». وفي ZETTERSTÉEN (op. cit; P. 189) وابن تغري بردي، (النجوم ٩: ٣٠٥) «ستة عشرة ذراعاً واثني وعشرين إصبعاً».

(٨) وذلك «يوم الأحد رابع المحرم».

المقريزي ٢/٢: ٣٧٧؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١٠٩؛

ZETTERSTÉEN, op. cit; P. 189.

(٩) عنبر السعرتي، الطواشي شجاع الدين، مقدم المماليك، عزله الناصر محمد بسعاية النشو عليه ثم=

والحرج عليه وأخذ طبلخانته ، وكان هذا الخادم قد تقدم عند السلطان ، كان من الخدام الحسنة الوجوه ، وجعله مقدم على المماليك تحت يد آقبغا ، فكبرت نفسه على المماليك وعلى آقبغا ، واتفق له مع النشو كلام أوجب الحقد عليه من النشو ، وكان الخادم مشغوف بلعب الأكرة[1] والرمح وآله الفروسية ، فنمّ عليه النشو ، وعرّف السلطان عنه أموراً قبيحة مما يوجب الحرج ، وأنه مشتغل عن الخدمة والإلتفات لمصلحة السلطان ، وربما تصور في نفسه مما يعانيه أمر يكون فيه فساد ، وكان السلطان في نفسه خيال كثير ممن يتعانى مثل ذلك الأسباب ، وما زال أو أمال السلطان لعرضه وحرج عليه وأعزله ، وقصد نفيه فشفع فيه بشتك ، ورسم بطبلخانته للطواشي سُنْبُل قُلّي[2] ، وأخلع على آقبغا وجدّد حكمه على المماليك[3] ، وسدد أمرهم ، وأوصاه وصايا كثيرة على الإخراق بهم ، وكان قد بلغه أن جماعة من المماليك عندهم أتباع من أبناء // الناس ومن أولاد الأوراتية ، وقد فسد حالهم بهم ، فرسم لآقبغا بعرضهم للأطباق[4] . وخرج الجميع من ٧٠ و

= أعيد إلى وظيفته سنة ٧٤٧ ، ثم صرف في رمضان ٧٤٨ وصودر ونفي إلى القدس . توفي سنة ١٣٤٨/٧٤٩ - ١٣٤٩ . المقريزي ٢/٣ : ٧٩٦ ؛ ابن حجر ٣ : ١٩٩ .

(١) أو لعب الكرة ، ويراد هنا اللعبة المعروفة الآن باسم Polo ، وهي رياضة درج على ممارستها الملوك والسلاطين زمن الايوبيين والمماليك .

القلقشندي ٤ : ٤٦ - ٤٧ ، ٥ : ٤٥٨ .

AHSAN, **Social life under the Abbasids**, P. 252-254; MASSÉ, art. «Čawgan», **EI²**, **II**, **P.16b-17b.**

(٢) سنبل قلي ، الطواشي سعد الدين ، أحد مقدمي الطباق . ولي تقدمة المماليك السلطانية نيابة عن آقبغا عبد الواحد أستدار الناصر محمد بن قلاوون . توفي في ٢٦ ربيع الأول سنة ١٩/٧٤١ أيلول ١٣٤٠ .

الشجاعي ١ : ١٢٠ ؛ ZETTERSTÉEN, **Beiträge**, P. 216

(٣) إضافة إلى وظيفة الاستادراية .

المقريزي ، السلوك ٢/٢ : ٣٧٧ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٩ : ١٠٩, ZETTERSTÉEN

Ibid, P. 189.

(٤) أو الطباق ، مفرده طبقة ، وهي ثكنات الجيش المملوكي الكائنة بساحة الايوان بالقلعة حيث تضم كل طبقة أبناء الجنس الواحد من المماليك .
=

عندهم ، وجلس آقبغا وأعرضهم ، وأخرج الجميع ومنهم مماليك امتنعوا أن يخرجوا الذي عندهم(1) ، فضربهم ضرب مؤلم ، وكانوا أرباب وظايف من السلحدارية والجمدارية . ولما ضربهم عرّف السلطان أمرهم ، فرسم بخروجهم إلى صفد ، وسفروا من يومهم .

ثم رسم [السلطان] بعزل أيدكين [الأزكشي] والي القاهرة(2) ، وذكرنا ما كان يفعله في المدينة من الظلم وقطع المصانعة والعسف وهتك المساتير وفواحش كثيرة ، إلى أن اتفق له مع الأمير سيف الدين قوصون مدة ووجة ، كلما دخل السلطان يجد فيه التنكر ، وعلم سببه ، فتطيب خاطره واعتذر عن حرجه عليه ، واحتاج إلى أن أعزله ، ورسم بخروجه من مصر إلى الشام بطّال .

و [فيه](3) طلب بلبان(4) الحسامي البريدي ، وكان من مماليك طرنطاي(5) ، نائب الملك المنصور ، وكان السلطان قد عمله شحنة(6) ، ثم عمله بريدي ، ثم ولّاه المدينة ، ولما طلبه كانت الخيل في الربيع ، فطلع

= ابن فضل الله، التعريف: ٩٨ - ٩٩؛ المقريزي، الخطط ٢: ٢١٣ - ٢١٤.

(1) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢: ٣٧٧) «لامتناعهم من إخراج أتباعهم»، وفي ابن تغري بردي (النجوم ٩: ١٠٩) «لامتناعهم عنه».

(2) وذلك يوم الأبعاء ٢١ جمادى الأولى.
الجزري: ٤١٣؛ المقريزي ٢/٢: ٣٧٧؛ ZETTERSTÉEN, op. cit., p. 189.

(3) ما بين الحاصرتين أضيف بعد مراجعة المقريزي.

(4) بلبان الحسامي، الأمير سيف الدين. توفي في رمضان سنة ٧٣٦/ نيسان - أيار ١٣٣٦.
المقريزي ٢/٢: ٤٠٥؛ ابن حجر ١: ٤٩٣.

(5) طرنطاي بن عبد الله المنصوري، الأمير حسام الدين، أبو سعيد. تولى نيابة السلطنة للمنصور قلاوون في ١٤ رمضان ١٨/٦٧٨ كانون الثاني ١٢٧٩، وتوفي سنة ٦٨٩/ ١٢٩٠ - ١٢٩١ . بنى مدرسة بالقاهرة تعرف به.
الصفدي، الوافي ١٦: ٤٢٩ - ٤٣٠؛ ابن حبيب، تذكرة ١: ٤٩، ١٣٦؛ ابن كثير ١٣: ٣١٨؛ ابن الصقاعي، تالي كتاب وفيات الاعيان: ٩٤؛ المقريزي، الخطط ٢: ٣٨٦ - ٣٨٧.

(6) جمعه شحاني، وهو المسؤول عن الأمن في بلد من البلاد.
DOZY, Suppl., I, P. 733.

القلعة وهو راكب بهيم[1] ، ونزل وهو راكب فرس الامرة ، ومشى في
٧ ظ ولايته مشي حسن مع أهل المدينة.// وكان أيدكين صنع حسنتين في ولايته لم يسبقه أحد إليها ، هدَّ دكاكين الصيارف بظاهر باب زويلة[2] مجاورة لسور الباب ، وكانوا الناس منهم في ضرر كثير من فساد أمرهم وزغلهم ، وجرى بينه وبين القاضي جلال الدين [القزويني] بسببهم أنه لا يخرّبهم ، فإنهم للوقف قوي عليه ، وعرَّف السلطان عنهم شناعة كثيرة من الفساد ، فوافقه السلطان ،وأخربهم،وكذلك داخل باب زويلة أخرب الدكاكين نحو عشرة ، وعرّف السلطان أن هذا باب مشهور ، وأنهم ضيقوا طرقه ، فرسم بخرابهم ، وجاءوا من أحسن ما يكون واتسع طريقهم للسالك ، ورتب على باب زويلة جبلية[3] تضرب من بعد العصر وجاءت أحسن ما يكون .

ذكر الإفراج عن الأمراء المعتقلين[4]

و [في شهر رجب][5] رسم للأمير ركن الدين بيبرس[6] السلحدار [أن] يركب [إلى ثغر][7] الاسكندرية ، ويحضر المحابيس الذي بها ،

---

(١) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٣٧٧) «فلم يجد فرساً يركبه، فركب حماراً إلى القلعة».

(٢) أحد أبواب مدينة القاهرة.
المقريزي، الخطط ١ : ٣٨٠ - ٣٨١.

(٣) كذا؛ وفي المقريزي (الخطط ١ : ٣٨١) «خليلية».

(٤) أثبت العيني هذه الحادثة نقلاً عن اليوسفي مشيراً إلى ذلك بعبارة: «وقال صاحب النزهة».
العيني ٢٩١١/١٧ : ٩٣ظ - ٩٤و.

(٥) ما بين الحاصرتين أضيف بعد مراجعة الجزري: ٤١٥ وابن الوردي ٢ : ٤٣٩ وابن تغري بردي، النجوم ٩: ١٠٩.

(٦) هو نائب الفتوحات بآياس. توفي سنة ٧٤٢/ ١٣٤١ - ١٣٤٢.
الشجاعي ١ : ٢٢١؛ المقريزي ٢/٣: ٦١٦.

(٧) الاضافة بعد مراجعة الجزري: ٤١٥.

وركب أحضرهم[1] ، وكان منهم الأمير ركن الدين بيبرس[2] الحاجب ، وقد تقدم ذكر القبض عليه في سنة خمس وعشرين عند حضوره من اليمن[3] ، والأمير سيف الدين طُغْلُق كان من الأمراء الأشرفية ومن //
٧١ و الوجوه الحسان والأشكال الحسنة ، وكان تتري الجنس وقبض عليه [سنة] اثنتي عشرة [وسبعماية] ، فكان له مدة ثلاثة وعشرين سنة ، ومن الإتفاق الغريب أنه أفرج عنه وأقام مدة في بيته أسبوع ، وتوفي إلى رحمة الله تعالى ، وأفرج عن أمير غانم ابن أطلس خان ، وقد تقدمت ترجمته ، لما قفز السلطان ، وكان هذا الرجل مجرد صحبة الأمير جمال الدين قتّال السبع في سنة ثمان [وسبعماية] في سلطنة بيبرس [الجاشنكير] ، ولما حضر العسكر ، كان الأمراء اختلفت على بيبرس ، وبلغ العسكر ذلك ، فقفز إليه هذا الرجل هو ومن معه من جنده ومماليكه ، وبقي في ذهنه أنه إذا دخل مصر ينعم عليه بتقدمة ، فقبض عليه سنة عشرة [وسبعماية] وحبسه خمس وعشرين سنة ، والأمير سيف الدين بُرْلُغي[4] قريب السلطان ، فقبض عليه سنة اثنتي عشر ، و[الأمير] سيف الدين بَلاط[5] والشيخ

(١) في المصدر نفسه و ZETTERSTEEN أن إحضار الأمراء كان «يوم الاثنين ثالث عشرين رجب»، وفي المقريزي» يوم الاثنين ثاني عشرين رجب»، والحقيقة أن يوم الاثنين المذكور يصادف في الرابع والعشرين من الشهر كما جاء في ابن الدواداري ٩: ٣٩٣.

(٢) بيبرس بن عبد الله الحاجب، الأمير ركن الدين، نائب حلب. توفي في شهر رجب الفرد سنة ٧٤٣/ تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٣٤٢ . بني بالقاهرة داراً عرفت به .
الصفدي، الوافي ١٠ : ٣٥١؛ المقريزي، الخطط ٢ :٥٥؛ ابن حجر ١ : ٥٠٨؛ ابن تغري بردي، المنهل (ترجمة بيبرس الحاجب) والنجوم ١٠ : ١٠٠ ـ ١٠١ .

(٣) وذلك في ٢٠ ذي القعدة سنة ٧٢٥/١٨ تشرين الثاني ١٣٢٥ .
ابن الدواداري ٩: ٣١٨ ـ ٣١٩؛ المقريزي ٢/١ : ٢٦٠ ـ ٢٦٨؛ العيني ٢٩١١/١٧ : ٢و وما بعدها.

(٤) برلغي الصغير، الأمير سيف الدين، قريب السلطان وزوج ابنة بيبرس الجاشنكير. توفي سنة ٧٤٩/ ١٣٤٨ ـ ١٣٤٩ .
المقريزي ٢/٣: ٧٩٣؛ ابن حجر ١ : ٤٧٧ .

(٥) توفي بطرابلس في جمادى الأولى سنة ٧٨٥/ تموز ١٣٨٣ .
المقريزي ٢/٣ : ٥١٠؛ ابن اياس ٢/١ : ٣٤٣.

يونس[1] من الأمراء البرجية المظفرية ، و [الأمير حسام الدين] لاجين العُمَري و [الأمير] طَشْتَمر أخو بَتْخَاص[2] قُبض عليهم في نيابة الجوكندار[3] .

ومن الأمراء الشاميين : بيبرس العلمي ، من الأمراء الأكابر البرجية ، كان قبض عليه في دمشق ، وقطلبك الوشاقي[4] ، والشيخ علي[5] //
٧١ ظ مملوك [الأمير سيف الدين] سلار . وأفرج عن الأمير سيف الدين تمر الساقي[6] . كان نايب طرابلس ، وقبض عليه سنة أربع عشر ، وكان من الأمراء المنصورية وأكابرها ، ورسم بعد سفره بخروجه إلى الشام بطبلخاناه ، ورسم لبيبرس الحاجب بسفره إلى حلب على خبز الأمير شمس الدين آقسنقر[7] مشد العمارة بسبب القبض عليه في حلب ، ورسم بالحوطة على ساير موجوده ، وطلع به قلعة حلب ، وكذلك طشتمر إلى دمشق و [أيدمر] اليُونُسي وبَلاط إلى طرابلس ، ورسم بإقامة أمير غانم بمصر .

---

(١) كذا؛ وفي ابن الدواداري والمقريزي وابن تغري بردي و ZETTERSTÉEN «أيدمر اليونسي».

(٢) الأمير بتخاص المنصوري . توفي في ذي القعدة سنة ٧٧١/ آذار - نيسان ١٣١٢ .
ابن حجر ١ : ٤٧٢ - ٤٧٣ .

(٣) بكتمر الجوكندار، الأمير سيف الدين، نائب السلطنة أيام الناصر محمد بن قلاوون، سبقت ترجمته في الصفحة ١٣٤ ، حاشية رقم ٤ .

(٤) كذا؛ وفي المقريزي وابن تغري بردي «الاوجاقي»، وفي ZETTERSTÉEN «الوشامي».

(٥) كذا في المصادر نفسها؛ وفي الجزري (ص ٤١٧): «والشيخ سيف الدين علي الأملي».

(٦) تمر الساقي، الأمير سيف الدين، ولي نيابة طرابلس سنة ٧١٢/ ١٣١٢ . توفي في أواخر ذي الحجة سنة ٧٤٢/ حزيران ١٣٤٢ وقيل سنة ٧٤٣/ ١٣٤٢ . انظر ترجمته في: ابن الوردي ٢ : ٤٧٧؛ الشجاعي ١ : ٢٢٣؛ المقريزي ٢/٣ : ٦١٦؛ ابن حجر ١ : ٥١٩ .

(٧) آقسنقر بن عبد الله الرومي، الأمير شمس الدين. توفي بدمشق سنة ٧٤٠/ ١٣٣٩ - ١٣٤٠ ، وإليه تنسب قنطرة آقسنقر على الخليج خارج القاهرة والجامع بسويقة السباعين على البركة الناصرية فيما بين مصر والقاهرة.
المقريزي ٢/٢ : ٥٠٥؛ ابن حجر ١ : ٣٩٣؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩ : ٣٢٢ .

وفيهـا وصل رسـول أُزبكـ من البلاد وصحبته كتـاب من أُزبك يـذكر فيـه شيء من العتب بسبب الخاتـون الـذي حضـر من جهتهم ، وأن أزبـك بلغـه من القصـاد أن السلطان دخـل بها ، وبعـد أيـام أخـرجهـا من عنـده وأزوجها لبعض مماليكه[1] ، فصعب على أزبك بذلـك السبب ، وسيّر كتـاب يعتب منـه ومشافـاة يقول فيهـا : « إن السلطان سـيّر إليّ دفـوع بسبب بعض بنات القان ، وأنـا أدافع الأمـر إلى أن استحيت من السلطان ، وسيرت إليـه خيار بنات القان ، وبلغنا أنها لم تلق بخـاطرك ، فكـان الواجب تسيّرها //
٧٢ و إلى مكـان خرجتْ منه ولا أَعْطَيْتَهـا لبعض مماليكـك ، فما يليق بمثلك يضـير بنـات القانـات ، هذا وأنحس ، ونحن نسـألك في رجـوعها إلينـا ، فتكـون عنـد أهلها والجـوار[ي] عنـدك كثير ، والبـلاد متسعـة » . فلما وقف عـلى الكتاب وسمع المشافاة ، أسـرع برد الجـواب للرسول ، وقـال : « كل مـا[2] بلغ لأخي أزبـك من هذا الكـلام كـذب ، وأنـا مـا فـرّطت في الـذي سيّـره إليّ ، وإنمـا أمـر الله تعـالى مـا يمكن أن يقـدر السلطان ولا غيـره أن يـرده ، وهـذه المرأة سيّـرها أخي ودخلت بهـا ، وأقامت معي سنـة وضعفت وتوفيت إلى رحمـة الله تعالى » . وكـان السلطان قد علم لمـا ورد خبر حضـور رسـول أزبـك أنـه لا بـد أن يخاطب بسببهـا ، فـطلب القـاضي جـلال الـدين [القـزويني] ، وعرّفـه الأمر ، وأنـه يقصد إثبـات مـوتهـا ، وينـظم بـذلـك مشهـود ويكون عنـده حاصـل ، فعرّفـه جـلال الـدين الـطريق في أمـرهـا ، وأحضروا خادمين ونفرين من المماليك ، وشهد عليهما أنهم شـاهدوا الخـاتون فـلانة بنت فـلان ، وقـد تـوفيت من ضعف أصـابهـا إلى رحمـة الله تعـالى ، وَوَرَّخ وشهد الشهود ، وأثبتـه القاضي عليـه ، وبقي إلى أن وقع الحـديث ،
٧٢ ظ وعـرّفهم السلطان الأمر ، وأخـرج // لهم المشروح مثبـوت بخطوط الشهـود وقاضي الحكم ، فسكتوا بعد ذلك ، وأقاموا أيـام ، وسيّر صحبتهم هـدية ، وكتب الجـواب بمـا قـدمنـا ذكـره . وبعـد سفـرهم طلب الأمير زين الـدين

(١) راجع ما جاء في الصفحتين: ٢١٢ -٢١٣ .
(٢) الأصل: كلما.

عمر(١) بن أرغون نـايب السلطنة ، وكتب كتـابه عـلى بنت أزبك(٢) زوجـة صوصون بعد وفاء العدة(٣) .

و [في يـوم الخميس رابـع ربيـع الأول](٤) رسم السلطان لـولـده أبـو بكر أن يركب بشربوش الآمرة من اسطبـل(٥) قوصـون ، ويركب إلى القلعـة من باب القرافة ، فركب والأمراء الخاسكية صحبته ، وعمـل الأمير قـوصون مهمّ عظيم له وللأمراء ، ولبس الشربوش وطلع من باب القرافة .

ذكر القبض على الأمير جمال الدين [آقوش] نايب الكرك(٦)

كـان سبب القبض على الأمـير جمال الـدين ، أنـه لما رسم لـه بنيـابـة طـرابلس ركب إليها ، وكـانت سنة حصـل للنـاس فيهـا الغـلاء ، ووصلت

---

(١) توفي في منتصف ذي الحجة سنة ٧٧٣/ ١٨ حزيران ١٣٧٢ .
أبو زرعة ، ذيل تاريخ الاسلام: ٣٣و؛ ابن حجر ٣: ١٥٤ .

(٢) كذا في العيني؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٣٧٨) «بنت أخي أزبك».

(٣) اثبت العيني هذه الرواية نصاً كما جاء في اليوسفي .
العيني ٢٩١١/١٧ : ٨٩ظ - ٩٠و.

(٤) ما بين الحاصرتين من المقريزي وابن تغري بردي و.(ZETTERSTÉEN (Beiträge, P.189

(٥) موقعه بجوار مدرسة السلطان حسن، يتألف من مجموعة مبان لأجل سكنى الامير هو وأسرته ومماليكه وخيوله، على غرار الاسطبلات التي كانت تنشأ في العصر المملوكي . ولهذا الاسطبل بابان أحدهما من الشارع بجوار جدرة البقر، والثاني تجاه باب القلعة (باب السلسلة).
المقريزي، الخطط ٢ : ٧٢ - ٧٣ .

(٦) كان ذلك يوم الخميس نصف جمادى الأخرة من السنة (وقيل في أحد الربيعين)، وسجن في قلعة صفد، ثم نقل إلى ثغر الاسكندرية في شوال من نفس السنة/ ١٣٣٥ .
ابن الدواداري ٩: ٣٩٤؛ الجزري: ٤١٢ و ٤٢٠؛ ابن كثير ١٤: ١٧٠؛ المقريزي ٢/٢: ٣٧٩؛ ابن قاضي شهبه (نسخة البودليان): الورقة ٢٦١؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١١١ - ١١٢؛ ZETTERSTÉEN, op. cit., P. 189.

الغرارة[1] بدمشق بمـاية وسبعـين درهم ، وقلَّ الـواصل إلى طـرابلس ، فسيَّر إلى مصر يحضر الغلال ، واشترى من ماله ما يوسع به عـلى أهل طـرابلس ، ووجـدت أهلها منـه العدل والحـرمة إلى أن اتفق أن بعض مـراكب الإفرنـج من له عادة أن يـركب البحر ، ويتحرم فيـه على المسلمين وغيرهم ، فـركب

٧٣ و إلى أن وصل // إلى رؤ يا العين من طرابلس ، ووقـع الصوت فيهـا بسببه ، وركبت الأمراء والجند والنـايب ، وأتوا الميـنة ورأوا المركب والـريح قـد دفعه عنهـا ، ورجع ، فقـال الأمـير جمـال الـدين : « أين المـراكب الـذي في هـذه المينة ؟ » . عرفوه أن ما تَمَّ في مينة طرابلس مـركب غير مـركب واحد يحتـاج إلى العمـارة ، وأن العـدو أتى في السنـة الخـاليـة ، وأخـذ من مينتهـا مـركب للتجار ، وهو هذا المركب الـذي عاينـوه في هذا الـوقت ، فوقف ذلـك اليوم بنفسـه إلى أن طلب سايـر الصنـاع ومـا يحتـاج إليـه ذلـك المـركب ، وأقـام بعمارته من ماله بنحـو الأربعين ألف درهم ، وصـار كل يـوم يركب إليـه إلى أن كمـل عمارتـه ، ونزل بـه المينـة ، فـاتفق وصـول مـركب الحـراميـة تلك الأيـام ، فـركب جمـاعـة من العسكـر ، وركب خيـار ممـاليكـه في المـركب ، وأعـطاهم جميع مـا يحتاجـوا إليه ، ونفق في الأسـطول من مالـه ، وركبـوا في المـركب ، وسهَّـل الله تعـالى لهم الـريـح إلى أن التحقـوا بتلك المـركـب ، وحميت الريح عـلى مركب العـدو وأوقفتها في وسط البحـر ، ولما رأوا المـركب

٧٣ ظ التحقت بهم وقفـوا وقاتلوا ونصـر الله المسلمين عليهم ، وكـان فيهـا // من الجنـد الجياد والممـاليك الأقنفسيـة النافعـة ، فصدقـوهم في القتال ، وملكـوا المـركب ، وقتلوا من الإفرنـج جماعـة كثيرة ، وردّوا بـه إلى مينـة طـرابلس ،

---

(١) الغرارة مكيال دمشقي للحنطة ، وهي تتألف من ١٢ كيلاً أو ٧٢ مداً دمشقيـاً . وقيل أن الغرارة الواحدة + مد ونصف مد كـانت تساوي ٣ أرادب مصـرية تقـريباً اي حـوالي ٢٠٤,٥ كلغ قمح .

القلقشندي ٤ : ١٨١ ؛ هنتس : ٦٤ ؛

G. - DEMOMBYNES, La Syrie à L'époque des Mamelouks, P. 137.

وعن تطور أسعار القمح في هذه الفترة راجع :

ASHTOR, Histoire des prix, P. 285 (Tableau des prix du froment).

وخرج ساير من فيها بالطبول والملاهي ، وكان نهار عظيم بالنصر على الأعداء ، وطاحوا بمن فيه مشهورين ، وأحضروهم قدام الأمير جمال الدين ، وكان صاحب المركب رجل محتال ، له مقدرة على الكلام بالعربي ، ولما سأله عن سبب ركوبه البحر ، فعرفه : « إني تاجر ، وما حضرت إلا على سبيل التجارة إلى بلد السلطان ، وأن مالي قد نهب ، وأنا صاحب مال جزيل ، وتنصّل من الحرامية بكل شيء . فقال له : « كيف حضرت في الشهر الخارج ، ورجعت ؟ » قال : « ما يمكّني الريح من الذخول [إلى] المينة » .

وحضرت بعض التجار المسافرين إلى قبرص وعرفوه ، وعرّفوا الأمير جمال الدين أنه حرامي ، وأنه أخذ لهم مركب كانت لتجار من قبرص ، وكانوا فرنج ، وأنه أخذهم وأخذ مركبهم وقاتلوه ، فعند ذلك سيّر الشهود وأحضر ما كان معه من الحواصل ، فوجدوه شيء كثير ووجدوا معه آلة
٧٤ و القتال ، وعاقب بعض // الفرنج النواتية اعترف أنه حرامي ، وهو الذي دخل في السنة الخالية وأخذ المركب من المينة ، فكتب للسلطان يعرّفه بالواقعة التي اتفقت ويذكر أنه أخذ المركب ، وهو مركب عظيم . ولما وصلت لم يكترث بما كتبه إليه لِمَا وقع في نفسه من بُغضه ، وكتب له الجواب بالشكر ، ويعرّفه أن يسيّر المركب إلى الباب .

وعند وصول الكتاب إليه قيّد صاحب المركب وأرسله صحبة البريدي . ولما وصل وتصوّم قدام السلطان وسأله عن قضيته ، وأخذ يتظلم ويعرّف السلطان أنه رجل تاجر ، وأنه قصد بلاد السلطان بهدية إليه سنية ، وأن نايب طرابلس ظلمه وجعله حرامي ، وأخذ كل ما كان معه من التحف والمتجر والهدية ، فما كان إلا أن سمع كلامه ، وتبيّن له من ذلك نيل أغراضه وشفى أمراضه ، وطلب إليه الأمراء ، وصار يقول : « ابصروا نايب الكرك إيش عمل في بلادي ، ويريد يفسد عليّ التجار ، ويجعل سمعتي سمعت نحس عند الافرنج وملوك البحر » . وأخذ يقول

للإفرنجي : « قول للأمير وحدّث » . واستطال الإفرنجي عندما رآه
٧٤ ظ يقبل // لشكواه وتكلم ، وأوسع القول وتظلّم إلى أن عجبت الأمراء من ذلك ورحموه ، وطاوعوا السلطان في الرحمة ، وما خرج الافرنجي من بين يديه حتى أن يكتب كتاب لنايب الكرك يعيد للافرنجي مركبه وجميع ما أخذ له من ماله ، وعرّفه أن هذا رجل تاجر وما يليق التعرض على التجار ، ولوّح له فيه بإنكار قليل .

ولما وصل إليه الكتاب جادت أخلاقه التي تقتضي الحق ، ورد الجواب : « إن هذا قد تحققوا الناس أنه يقطع الطريق ويؤذي ، والسلطان لا يسمع قوله بأنه كذّاب » ، وسيّره صحبة مملوكه . وكلما وقف على الجواب أنكر على مركبه وعرّفه أن يعيد إليه مركبه وماله قولاً واحداً ، فكان ذلك أشدّ على نايب الكرك من كل شيء ، وكان السلطان قام في ذلك قيام كلي حتى يتكرر القول ، ويعلم من نايب الكرك أنه لا يرجع ، فيقيم الحجة عليه ويجعلها السبب لبلوغ قصده منه ، وكذلك كان .

ولما وصل مملوكه بالجواب سلّم المركب لصاحبه وكتب يعرّف السلطان أن طرابلس تحتاج إلى مراكب تكون في مينتها ، وأنها[1] لم توافقه ويتضجّر
٧٥ و منها ، // ويقصد مكان يكون فيه خالي من الحكم ، ويكون مستريح ، ووصل الكتاب للسلطان وكان موافق لغرضه ، فكتب الجواب أنه قد أجاب سؤاله ويخيّره إما صرخد[2] وإما بعلبك ، وطلب برصبغا[3] الحاجب وعرّفه ما يفعله ، وكتب لنايب الشام بما يعتمده ، وسافر إلى أن وصل إلى طرابلس ، وأعطاه الكتاب فقرأه وتبسّم ، وركب من يومه صحبة برصبغا . ولما توسطوا الطريق قال له : « يا أمير ، نحن نروح إلى صرخد أو ندخل دمشق ؟ » . قال له برصبغا : « يا خوند ، العادة أن تلبس من نايب الشام

---

(١) الضمير عائد لنيابة طرابلس.

(٢) بلدة صغيرة ذات قلعة مرتفعة حصينة، وهي من جملة بلاد حوران من أعمال دمشق.
ياقوت ٣ : ٤٠١ ، أبو الفدا، تقويم: ٢٥٨ - ٢٥٩ ؛ DUSSAUD, **Topographie**, P. 366

(٣) كذا؛ وفي المقريزي «برسبغا» وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١٧٠ ، الحاشية رقم ٢ .

وترجع » . حكي لي[1] مملوك برصبغا أنه تبسّم قليل ، وقال : « بالله عليك ، ما حاجة تعذّب سرّي إلى دمشق ، خذ سيفي من هون ، وردّني إلى حيث رسم لي به ، فما أنت أخبر مني بالسلطان ؟ » . فشرع برصبغا ينتفي من الأمر ، ويقول : « يا خوند ، أعوذ بالله من هذا القول » . وبقي إلى أن وصل قريب دمشق ، وخرج نايب الشام تلقاه مع الأمراء ، ونزل (صبحته)[2] إلى دار السعادة ، وأحضر له الطعام ، وأكلوا ، وقام من عنده على أنه يخرج ، أخذ سيفه في الدهليز ، والتفت إلى برصبغا ،
٧٥ ظ وقال : « ما قلتُ // لك ما حاجة تعذّب سرّي ؟ » ، ومدّ يده حلّ سيفه ، وناول له ، وقال : « قل للسلطان ، والله يطيب خاطره ، لا فارس الخيل ، ولا وجه العرب » . ورسم بسفره إلى قلعة صفد ، وكان القبض عليه يوم الخميس النصف من جمادى الآخر ، وأقام إلى مستهل شوال ، وسيّر [السلطان] أحضره إلى حبس اسكندرية[3] ، ورسم برجوع الأمير سيف الدين طيلان[4] [الحاجب] إلى نيابة طرابلس ، ونقل بكتمر العلائي[5] إلى نيابة حمص .

وفيها[6] اقتضى رأيه خراب جامع القلعة[7] وعمارته في غير مكانه ،

---

(١) يشير العيني إلى أخذه عن اليوسفي بقوله : «قال الراوي : وأخبرني مملوك برصبغا أنه تبسّم قليلاً ، وقال : بالله عليك لا تعذب سري . . .» .
العيني ٢٩١١/١٧ : ٩١ ظ .

(٢) ما بين القوسين ورد على الهامش بالقلم نفسه .

(٣) راجع : الصفحة ٢٣٦ الحاشية الأولى .

(٤) وورد أيضاً برسم «طينال» وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١١٤ ، حاشية رقم ٣ .

(٥) بكتمر العلائي المنصوري ، الأمير سيف الدين . ولي حمص ثم غزة ثم عاد إلى حمص ، وتوفي بها سنة ٧٤٥/ ١٢٤٤ ـ ١٣٤٥ .
المقريزي ٣/٢ : ٦٧٥ .

(٦) في المصدر نفسه (٢/٢ : ٣٨٠) «في شهر صفر» ؛ وفي ابن كثير (١٤ : ١٧٠) وابن قاضي شهبة ، نسخة البودليان (٢٦١ و) : «وفي شهر المحرم» .

(٧) أنشأه الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبل سنة ٧١٨/ ١٣١٨ ـ ١٣١٩ .
المقريزي ، الخطط ٢ : ٣٢٥ .

ورسم بهدم المطبخ أيضاً ، وشرع في العمارة ، وصار كل يوم يأتي إليه ويقف على عمارته ، وكذلك الأمير آقبغا [عبد الواحد الأستادار] ، وحُملت له العواميد[1] وغيرها ، وصنع دايره جميعه رخام ، وأخذ من أرض حارة مختص وبيوت الطشطخاناه ، وأوسع فيه العمل ، وجاء من أحسن ما يكون ، وبعد عمارته أوقف عليه أوقاف كثيرة قُرّاء ومؤذنين ، وجلس بنفسه واستقرأ كل منهم بمفرده ونقّى خيار ما فيهم ، ورتّب لهم الرواتب الحسنة ، وكذلك في ساير وظايفه ، وكتب دكاكين القلعة وَقْف عليه
٧٦ و دايم[2] ، وعمر // المطبخ جميعه عقودات حجر وأخرق له حارة مختص ، وجاء مكان فسيح .

ورسم بطلب الأمير بدر الدين ابن التركماني[3] من طرابلس . وكان السبب لحضوره نايب الشام ، فإنه كان بلغه فعايل [القاضي شرف الدين] النشو و [الأمير بدر الدين] لولو وما يتفق على الناس من أمور المظالم والطرح ومصادرات العالم وعقوبتهم . ولما حضر[4] [نايب الشام] إلى مصر ، وجلس مع السلطان على عادته ، أخذ السلطان يذكر له همة النشو وهمة لولو وتخليصهم للأموال الذي كان الغير يهملها ويضيع حقوقه ويبرطل بها ، ويشكر ويثني ، وكان نفس نايب الشام يقتضي أن يتحدث

---

(١) لهذه العواميد رواية طريفة ، للاطلاع عليها انظر: ابن الدواداري ٩: ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٢) كان الانتهاء من تجديد هذا الجامع في آخر شعبان من السنة ، وصلي فيه أول رمضان.
المقريزي ٢/٢ : ٣٨٠؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 190.

(٣) محمد بن عيسى بن التركماني ، الأمير بدر الدين . ولي شد الدواوين بطرابلس سنة ١٣٢٦/٧٢٦ ، ثم اعتقل وأفرج عنه يوم السبت ١٤ رجب سنة ١٠/٧٣٥ آذار ١٣٣٥ ، وطلب إلى الديار المصرية ليباشر مع القاضي شرف الدين النشو عوض بدر الدين لؤلؤ . توفي بالمقس في ٥ ربيع الآخر سنة ٣١/٧٣٨ تشرين ثاني ١٣٣٧ . وله جامع بالقاهرة بخط باب البحر داخل درب التركماني.
ابن كثير ١٤: ١٨١؛ المقريزي: ٢/٢: ٣٨١؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان: ٢٧١ظ؛ ابن حجر ٤: ١٣٢؛ مبارك ٤: ١٤٦.

(٤) كان ذلك في ١٣ رجب من السنة (وقيل في العاشر منه)/ ٩ آذار ١٣٣٥ .
الجزري: ٤١٦؛ المقريزي، المصدر نفسه، نفس الجزء والصفحة.

مـع السلطان في أمرهم . فلما عـرّفه السلطان ذلـك أخذ نـايب الشام يعـرّفه
أن التجار والمسافـرين والناس في ظلم كبـير والسلطان فما عنـده خبر ، وكـان
الـواجب أن يكون مـع النشو أحـد من أرباب الكلوتـة عارف يتحـدث معـه
ويحفظ المـال ، فإن حـرمة السلطان كبيـرة ، وربمـا يؤخـذ من النـاس أمـوال
كثيـرة ما يصـل للسلطان منهـا إلا القليـل ، وهـذا لـولـو هـو رجـل مخـروق
الحرمة ، مملوك ضامن[١] ، وأخذ يحرج الأمر عـلى عزل لـولو ، وذكـر له ابن
التركماني // أن يكون مباشـر مع النشـو ، ووافقه السلطان عـلى ذلك وكتب ٧٦ ظ
بطلبه إلى مصر[٢] .

ذكر ما اتفق للمصادرين والإفراج عن ابن هلال الدولة[٣]

وقد تقدم ذكر تولية الأكوز ولولو في سنـة أربع [وثـلاثين] ، وسلّمـوا لـه الحلبيين الـذي حضروا من حلب ، ثم تسلّمـوا سايـر الولاة والمبـاشـرين والكتّاب وأولاد التاج إسحاق وابن هلال الـدولة وأقـاربه ، فكـان من الولاة قنغلي متولي البهنسا ، وقشتمر متولي الغربية وفخرالـدين اياس الـدويداري ، وشـرع في الاخـراق بهم ، ويحضـرهم قـدام الأكـوز ، ويكـون هـو المترجم عليهم ، فأبى قشتمر والي الغربية ، فإنه كـان صهر الخـازن[٤] ويوصـوا لولـو بـإكرامـه ، وأنه يحمـل ما عليـه من غير إخـراق ، فحمل نحـو ثمانـين ألف

(١) والمقصود الحط من قدر لؤلؤ بتذكير السلطان أن المذكور كـان مملوكاً لقنـدش الضامن بحلب.
انظر: المخطوط: ٦و وما بعدها.

(٢) وكان حضور ابن التركماني إلى القاهرة في ٥ رمضان من السنة/ ٢٩ نيسان ١٣٣٥ .
الجزري: ٤١٧ .

(٣) وقد أفرج عنه في ١٤ رجب من السنة/ ١٠ آذار ١٣٣٥ .
المصدر نفسه: ٤١٦ .

(٤) هو سنجر السرووي، الأمير علم الدين المعروف بالخازن، كان أحد ممـاليك المنصـور قلاوون توفي يوم السبت ٨ جمادى الأخرة سنـة ٧٣٥/٣ شباط ١٣٣٥، عن نحـو تسعين سنـة. ولي الولايات الكبار أبرزها ولاية القاهرة. وإليه ينسب حكر الخازن خارج القاهرة.
المقريزي ٢/٢: ٣٨٧ ـ ٣٨٨؛ ابن حجر ٢: ١٧٢ .

درهم ، وأفرج عنه ، وأما قنغلي فإنه صار يتجلّد ويُضرب كل يوم على أكتافه بالعصي ، وهو يستعمل الجَلَد إلى أن عُرِّي ولم يبق إلا ضربه بالمقارع ، فحمل نحو خمسة وسبعين ألف درهم . وأما اياس ، فقد قدمنا ذكره وأنه تحدث مع ابن هلال الدولة ، وهو مشدّ ، وقرر مع السلطان أن
٧٧ و يقرر عليه ألف دينار ويفرج عنه ، فأبى ذلك ، ولما ولي لولو // أحضره وأهانه بالضرب وتجلّد فعرّاه وضربه بالمقارع ضرب مؤلم ، وقرر عليه أن يحمل كل يوم خمسة آلاف درهم ، فكان يحمله إلى أن توفي مقتول بالمقارع قريب ثلثماية ألف درهم ، وتوفي بحبسه ، وكذلك أستادار أصلم[1] كان مشد سوق الغنم ضُرب ضرب مؤلم بالمقارع ، وأُخذ منه مايتي ألف درهم ، وحمل من جهة خالد المقدم إلى آخر حملة ثلاث ماية ألف وثلاثين ألف بعد أن ضُرب بالمقارع ضرب كثير ، ووجدته وقد قرر عليه ، بعدما سأل إعفاء من الضرب ، كل يوم حمل عشرة آلاف درهم ، وكان آخر مصادرته ، فحمل في شهر واحد ماية ألف درهم ، ولم يُضرب . ولما وجدته سألته كيف أوجبت على نفسك حمل هذا المقدار كل يوم أسرّ لي : « أن ابن صابر عدوي وقصد قتلي ، ودأبه قد ضربني على مكان يفسد حالي ويثقب مزق جلدي ، فلو تجلّدت حتى يضربني يوم واحد مت ، فاشتريت نفسي بمالي وختم الجزاء الذي لي » . وحمل من جهة بكتوت الصايغ بعدما اغتاظ عليه نحو ماية ألف درهم ، وحمل من جهة عبد الرزاق وولده محمد
٧٧ ظ قريب المابة [ألف][2] درهم // وكانت زوجة عبد الرزاق داخل الدور فعجزت عن خلاصه ، ولم يقبل النشو فيه شفاعة ، وحمل من جهة نور الدين وزين الدين وشهاب الدين ألزام ابن هلال الدولة قريب الماية

---

(١) أصلم القبجاقي ، الأمير بهاء الدين ، أحد مماليك المنصور قلاوون . توفي يوم السبت ١٠ شعبان سنة ٧٤٧/٢٦ تشرين الثاني ١٣٤٦ ، وقيل سنة ٧٤٦/١٣٤٥ ، وهو صاحب الجامع والتربة والحوض في رحبة الغنم خارج القاهرة.
الصفدي ، الوافي ٩ : ٢٨٥ ـ ٢٨٦ ؛ المقريزي ٢/٣ : ٧٢٢ ؛ ابن حجر ١ : ٣٨٩.

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزي ٢/٢ : ٣٨١.

وخمسين ألف درهم ، وقد ذكرنا[1] أن ابن هلال الدولة سأل السلطان على لسان الأكوز أن يبيع حواصله على مهل ويكون حمله الاثنين والخميس ، فأجيب إلى ذلك ، فكان يبيع أثاثه وحواصله ، ويحمل كل سوق شيء إلى أن كل ثلثماية ألف درهم وعشرة آلاف . وكان النشو قد قام في حقه أن يضرب أو يخرق به ، وعرّف السلطان أنه أصرف عليه من الشونة أربعة آلاف إردب فول وأخذها لنفسه ، فإن السلطان كان لما يقول النشو عن ابن هلال الدولة شيء ، يقول السلطان : « يا نشو ، ابن هلال الدولة ، ما كان يأخذ من مالي شيء ، إلا أنه كان سقيع الذقن ، ويستبخس عليَّ مالي » . فعرفه النشو أن قرموط المستوفي يحاقق ابن هلال الدولة على أربعة آلاف إردب فول أخذها ، فطلب السلطان الأكوز ولولو ، وقال : « ادخلوا
٧٨ و لابن هلال الدولة » . وطلب قرموط واعترف قدّامه // أنه يحاققه على الفول وعلى شيء من مال أُلماس الحاجب التمسه منه ، فأخذه الأكوز ودخلوا لابن هلال الدولة ، وعرفه الأكوز قول قرموط للسلطان عنه ، ووقف قرموط وأخرج ورق الحساب ، وأنه أخذ الفول ، قال له ابن هلال الدولة : « يا قاضي ، هذا الفول من أين شونة ؟ » ، قال : « من شونة السلطان » قال : « في أيما شهر ؟ » . قال له : « في الشهر الفلاني » . قال الأكوز : « يا خوند ، أنا ما يمكن فتح شونة السلطان بمفردي ، الأمير يسأل ويطلب الشهود والأمناء والترّاسين الذي شالوها ، والفول يعرّفكم أين ودّوه » . قال الأكوز : « صحيح ، وإيش زاده ؟ » . قال قرموط[2] : « أخذت حياصة[3] من تركة أُلماس[4] زنتها أربعماية دينار ، وحياصتين أُخر زنة كل واحدة مايتي وخمسين » . قال ابن هلال الدولة . « يا خوند ، صحيح ، الأمير يسأل السلطان عن هؤلاء الثلاث حوايص ، فإن عرف

---

(١) راجع : المخطوط : ٣٩و وما بعدها .

(٢) كذا في المقريزي وابن تغري بردي ؛ وفي ابن الدواداري «قريميط» .

(٣) راجع الصفحة ١٤٥ ، حاشية رقم ٢ .

(٤) سبقت ترجمته في الصفحة ٢١٣ ، والحاشية الأولى .

السلطان أمرهم ، وإلاّ المملوك يقوم بهم » . قال الأكوز : « أقول للسلطان عنك هذا القول ، وإن كان السلطان ما يعرفهم أخذتهم منك » . قال : « نعم » . وشرع لولو ينفخ عليه بالكلام ، ويقول : « إذا كان مقدم عندك
٧٨ ظ حمل ثلاث ماية وثلاثين // ألف درهم ، وأنت قاعد مشدّ الدولة والخواص ، متحدث في مصر والشام ، ما تحمل للسلطان غير القليل » . قال : « يا أمير ، لي أتحدث قريب عشرين سنة ، وأذني تحت المصادرة ، هات واحد يقول أخذت له درهم أو ظلمته في فلس واحد ؟ » . ونهضوا من عنده وعرّف الأكوز السلطان عن قوله أن يكشف أمر الفول ، فقال : « صدق ، آطلب مباشرين الاهراء » ، وطُلبوا وكشفوا عن أمرها ، فوجدوها وقد حملت ألفي إردب إلى سرياقوس ، وألفي إردب إلى دواليب الخاص ، فقال السلطان للأكوز[1] : « أنا أعرف أنه ما أخذ لي شيء » ، وعرّفه [الأكوز] أمر الحوايص ، فقال السلطان بعدما أفكر ساعة : « صَدَق ، هو أحضرهم إليّ ، وأنا أنعمت بهم على الأمراء » ، وهي الذي كانت سبب الرفق في أمره[2] ، وكاد النشو أن ينشق كبده من الحسرة كونه لم ينل منه غرض ، وأنه لم يُضرب ولم يهان ، وكان الرجل له صدقة ومعروف وخدمة للحرم الشريف ووقف على عمارته[3] ، وأحسن للمؤذنين والمشايخ كثيرة في الحرم ، والتزامه فيه من الخير ما كان سبب حماته منه .

ولما حجت الحجاج وهو مسجون ، بلغ أهل مكة أنه قُبض عليه ،
٧٩ و فكان المؤذنين // يدعوا له والمشايخ والذي أحسن اليهم . وأقول : إن سبب تلك الحراسة من الله تعالى جل ما أحسن وقوفه في بيته ، وعمل فيه من الآثار الحسنة ، فأقول : إن الله دفع عنه السوء .

ولما علم النشو أن أمره أعيا ، وأن السلطان ثبت عنده أمانته ، صبر

---

(١) الأصل: لا لاكوز.

(٢) في المقريزي: «فظهرت براءته من ذلك».

(٣) راجع المخطوط: ٤٠ظ ـ ٤١و.

إلى أن مسك نايب الكرك ، وحبس بصفد ، دخل للسلطان وعرّفه أن يوقع الحوطة على بيت نايب الكرك ، وأوهمه أن نايب الكرك حصّل مال من المرستان ومن مال بكتمر الحاجب ، ورسم له بالنزول إلى بيته[1] وصحبته لولو والمقدمين ، وأخذوا جميع حواصله ، وضربوا أستاداره ، وكشفوا ستر حريمه وأخذوا كل ما عندهم ، وتوّجعت الناس لهم . وعند طلوعه عرّف السلطان أن ابن هلال الدولة كان متفق مع نايب الكرك، ويدخل له بالمنجمين ويقرؤا عليه الملاحم ، ودخل في ذهنه أنه يملك ، وأن يكون ابن هلال الدولة متحدث له ، وأراد أن يصدق قوله ، ويقرّب لذهن السلطان شيء يصدق قوله . وكان بالمدرسة الناصرية[2] رجل منجم قدم من دمشق ، وأقام بالمدرسة ، وكان ابن هلال الدولة يقيم بعض الليالي بالمدرسة ، ويحضر ذلك الرجل ، ويضرب له الرمل ولمن كان يحضر ،
٧٩ ظ واتصل ذلك الرجل بأحد الجمدارية ، وضرب له بخت رمل // ورأى أشكال رمله جيدة ، فعرّفه أن يتأمّر في شهره ويكبر ، ويحصل له رزق من السلطان ، فحصل لذلك الرجل إمرة وإنعام من السلطان ، فطلب المنجم واستخدمه في بيت السلطان ، وأنعم عليه بدراهم وفرس . فبلغ النشو أمره فعرّف السلطان به ، فطلبه وأوقفه قدامه ، وسلّمه لابن المحسني ، ورسم له بقتله ، فقتله في حبسه ، وكان السلطان يكره أرباب هذه الصنعة ، ورسم للوالي[3] أن لا يدع منجم بعدها على قارعة الطريق . ولما ذكر النشو للسلطان ذلك القول ، قال : « يا خوند ، وأصل هذا كله المنجم الذي قتله السلطان ، فإن ابن هلال الدولة هو الذي أحضره من دمشق وأسكنه

---

(١) ذكره المقريزي (الخطط ٢ : ٥٥) باسم «دار نائب الكرك» فقال: «هذه الدار فيما بين خط الخرشتف وخط باب سر المارستان المنصوري، وهي من جملة أرض الميدان. وهو اليوم مندثر.

(٢) تقع هذه المدرسة بجوار القبة المنصورية من شرقيها ما بين القصرين. أمر السلطان كتبغا المنصوري بإنشائها، وبعد خلعه رسم السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإكمال بنائها، وتم ذلك في سنة ١٣٠٣/٧٠٣ وأقام فيها قضاة المذاهب الأربعة.

النويري ٣٠: ٣٣٩وما بعدها؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٩٥١ - ٩٦٠، الخطط ٢ : ٣٨٢.

(٣) في المقريزي (٢/٢ : ٣٨٢) : «متولي القاعة».

عنده بالناصرية ، وكان يأخذه ويجتمع بنايب الكرك[1] ، ويوعده بالمُلك ، ومتى ضُرب ابن هلال الدولة بالمقارع اعترف بجميع ذلك » . فقام السلطان لذلك ، وخرج وطلب الأكوز ، وعرّفه أن يدخل لابن هلال الدولة ويقتله بالمقارع ، ويهدده في الأول ، ويقرره على ما كان بينه وبين نايب الكرك من القول ، وكان الأكوز له عناية فعلها الله تعالى في خاطره ورفق لابن هلال الدولة مع وصايا كثيرة من الأمراء فيما بينهم وبينه ، ولم يُظهروا السلطان عليها ، ويرى النشو يحط عليه ليبرق خاطره . ولما //
٨٠ و رسم السلطان بذلك اجتمع به النشو وحرّضه على قتله بالمقارع ، وطلب أيضاً لولو وأتقن معه القضية ، وكان الكلام في ذلك المغرب ، فأمهل النشو إلى باكر النهار ، وحصل في خاطر الأكوز لما يريد الله تعالى من سلامة الرجل الشفقة .

فلما أذّن المؤذن في القلعة لبس الأكوز قماشه ، وخرج إلى دار الوزارة[2] ، ودخل على ابن هلال الدولة على غفلة منه ، وطلب المقدم ، وعرّفه ما قاله السلطان له من حديث نايب الكرك ، وهدّده وتوعّده ، فلم يجد عنده شيء من أمره ، فطلب ابن صابر ، ورسم أن يعرّيه قماشه ، فلما كشف رأسه بكى ، وقال : « يا خوند ، والله ما لي جلد على مقارع » . فحَنَّ عليه وضربه مقرعة واحدة ، وكنت أجد أثره في جسده حين عبوره الحمام ، ثم بطحه وضربه نحو عشرة عصي[3] ، ولولو قد دخل ، وقال : « يا خوند ، السلطان رسم بضربه بالمقارع . قال الأكوز له : « ضربته » . وخرج من عنده ، ولم يرض لولو لما فعله ، ودخل الأكوز للسلطان وعرّفه أنه هدّد ابن هلال الدولة وضربه بالعصي ثم بالمقارع ، ولم

---

(١) يقصد : جمال الدين آقوش المعروف بنائب الكرك .

(٢) يعني بالقلعة ، وهي تختلف عن دار الوزارة الكبرى التي بناها الأفضل بن بدر الجمالي بالقاهرة والتي سميت فيما بعد بالدار السلطانية .
المقريزي ، الخطط ١ : ٤٣٨ - ٤٣٩ .

(٣) في المقريزي : «ثم ضربه بالعصا قليلاً» .

يعترف بشيء غير أنه حلف بالطلاق ثلاثة أنه لم يكن عنده خبر من الذي ذكروا عنه ، قال السلطان : « ضربته بالمقارع » . قال : « والله ، ضربته
٨٠ ظ قليل ، // ووجدته لما رأى المقارع وكشفت رأسه ارتجف ووقع إلى الأرض ، ورأيته ابن ناس وبكى ، فرحمته » . قال السلطان له : « جيد عملت . فإنه رجل ما يحمل شدة وابن ناس ، وأيضاً له عليّ خدمة » .

ولما انفصل الأكوز تقدم لولو ، وقال : « يا خوند ، ما يرسم السلطان أن نقرر ابن هلال الدولة ونهيت عليه » . قال السلطان له : « لا » .

وفي تلك الأيام عمل النشو على أمين الدين قرموط المستوفي وابن أبو الزين رفيقه ، وكان السبب لذلك أن قرموط كان سبب الإيقاع بابن هلال الدولة وعزله ، وعرف السلطان أن هذا يودر مالك ويصالح عليه ، وقال : « أريد معي مشد يقول للخبز قُبز » . وأراد بها نكاية أنه رجل بلدي ويريد رجل غتمي ، واتفق ولاية الأكوز ، فنهضت نفسه وقويت ، وصار يكرر الدخول للسلطان ويترجم عليها ، ويتقدم بكلامه على النظار وغيرهم ، فخشي النشو من تقدمه ، لما كان يعرف من جسارته وإقدامه على السلطان ، إلى أن قال يوم بحضور السلطان : « يا خوند ، أنا لو عرفت أن في الكُتّاب من يمسك قلم حسابي قطعت يدي ، وأنا ما كانوا يبعدوني عنك إلاّ لمعرفتي في تحصيل مالك » . فأمهله النشو إلى أن خرج ، وعرّف
٨١ و السلطان // أن هذا ورفيقه ابن أبو الزين أخذوا من مال السلطان شيء كثير ، وقد حكموا الدولة في هذا الوقت ، وعرّف السلطان أن خالد المقدم يحاققه[1] على ماية ألف دينار ، ورسم السلطان للأكوز أن يُخرج خالد المقدم[2] ، ويقبض على قرموط وابن أبو الزين المستوفيين[3] والنظار[4]

---

(١) في المقريزي (٢/٢ : ٣٨٢) : «يحاققه ورفيقه».

(٢) وأخلع عليه وأعيد إلى تقدمة دار الولاية بالقاهرة. وحول سيرة هذا الرجل. انظر: ابن الدواداري ٩: ٣٧٥ - ٣٧٦، ٣٩٢.

(٣) و (٤) وهم: الشمس بن قروينة، والعلم المستوفي، والنشو كاتب الرواتب، وبرهان الدين ابن=

ويقابل بين خالـد وبينهم . وعند خـروج الأكوز وجلوسه في المجلس ، شرع الأكـوز يقيم واحد بعـد واحد إلى أن أتـوا لقـرمـوط ، التفت إليهم بنفـرة ، وقـال الأكـوز : « والمملوك أيضـاً » قـال لـه ابن صـابـر : « نعم ، ومـولانـا أيضـاً » . وأرسل النشـو لخالـد المقدم في السجن ، وعـرّفه أنـه تـوسط عنـد السلطان بخـلاصه عـلى شرط أن يحـاقق لقرمـوط وابن أبو الـزين ، وأوصـاه عـلى الكلام فيهم بمـا يحصل بـه الغرض ، فـرد عليـه الجـواب : « بـالسمـع والطاعة » .

وأصبح الأكوز باكر النهـار واستحضر قـرموط ورفيقـه ، وأحضر خـالد المقـدم ، وقال : « السلطان يقـول لـك إيش أخـذوا هؤلاء من مـالـه ؟ » . وكان خالد رجل ملسن فصيح بالكـلام ، فأجـابه : « يـا خونـد ، وإيش هو الـذي خلّوا هؤلاء للسلطان ؟ » . وشـرع يعـرّف الأكـوز : « أن لقـرمـوط
٨١ ظ غـلام ، متى ما سُلّم إليّ أستخـرج منه أربعـين ألف // دينـار »[١] . وتكلم كـلام ، وأن ابن هـلال الـدولـة كـان مـاسـك لكم البقـرة وأنتم تحلبـوهـا ، وأجرى لسانه في القول ، وناهيك فيمن أوعد بخلاص نفسـه ومضرة غيـره ، ودخـل الأكوز وعـرّف السـلطان الذي اتفق ، فـرسم بعقوبتهم واستخـلاص المال منهم .

ومن غريب الإتفاق أنه أُحضر يـوم بعبد الـرزاق وولده ، وعُـرّي عبد الـرزاق وضرب بـالمقارع ، وتجلد عـلى الضـرب . قـال قـرمـوط لـلأكـوز[٢] ولولو : « هذا قوّاد ، جلّد مـا يقرّ ، اضـربوا ولـده قدامـه حتى يزن المـال ، فإنه مـا يهون عليـه ضرب ولـده » . وكذلـك اتفق لقرمـوط ، فإنهم شـرعوا يضربوه بالمقارع ، وهـو يتجلّد على الضـرب ، فقال الأكـوز للولو : « هـات

= البرلسي ورفيقه تقي الدين ابن الاقفاصي ناظر الـدولة ، وقـد قبض عليهم في ربيع الأول من السنة/ ٢ تشرين الثاني ١٣٣٤ . المخطوط: ٨٢و؛ المقريزي ٢/٢ : ٣٨٢ .

(١) عبارة المقريزي (٢/٢ : ٣٨٢)كالآتي : «والتزم أنه يستخلص من قرموط أربعين ألف دينار» .

(٢) الأصل: لا لاكوز.

ولده ، اضربه قدامه » ، فأحضروه وعرّوه وضربه ، وهو ينظر ويتحسّر ويتوجع لولده ، وقال : « يا خوند ، إيش كان ولدي حتى تضربوه ؟ » قال الأكوز للولد بالتركي : « قلّه أنت ، ما قلت لعبد الرزاق هذا جلّد ، اضربوا ابنه قدامه حتى يخرج المال » . فقال لولو له ذلك القول ، فسَكت ، وصار يتحدث مع الأكوز وهو باهت لكلامه [ثم] قال للولو : « قله والله أنت تتكلم كلام كثير ، وأنا بالعربي ما أعرف ، وأنت اخترت
٨٢ و أن يباشر معك // رجل غتمي يقول إذا سمي الخبز قُبز ، وأنا ما أعرف الذي يقوله » . فانظر إلى صنع الله كيف أظهر على فلتات لسانه ما قوصص به عاجل ، فظهر لعيانه غلوائه. وقوله تعالى : ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ، ولا يظلم ربك أحدا﴾[1] وتمّ الأمر إلى أن أوجعته العقوبة ، وقويت نفسه عليه ، فنزل إلى جامع الصالح[2] ليدبّر الحمل ، فأخذ سكين وضرب بها نفسه في زردمته[3] ، فأراد الله بشفاه وعقوبته ، فلم يقطع منه إلّا الجلد ، وأسرعوا وأخذوا السكين من يده ، وطلعوا به إلى الأكوز وعرّفوه ما اتفق منه ، فضربه ضرب مؤلم بالمقارع ، وتنوع في عقوبتهم إلى أن ضرب القصب في أظافير ابن أبو الزين ، وصاروا ينزلوا كل يوم ويحملوا إلى بيت المال . وأمّا الناظرين برهان الدين ابن البرلسي وتقي الدين ابن الاقفاصي ، فإن النشو كان يسيّر ابن صابر يطلع إليهم ، ويقول : « يا سيدنا ، رسم القاضي شرف الدين أن تحملوا مال السلطان » . » يقول ابن البرلسي له : « انزل يا قطعة نحس ، ومن هو النشو حتى تقول رسم ؟ » ، وينهره ويعظّم نفسه ، وكانت نفسه فيها عظمة ، وله رياسة ،

---

(١) سورة الكهف، الآية ٤٩.

(٢) بناه الصالح طلائع بن رزيك وزير الفائز والعاضد الفاطميين خارج باب زويلة، بقصد نقل رأس الامام الحسين من عسقلان إليه.
القلقشندي ٣: ٣٦٢؛ المقريزي، الخطط ٢: ٢٩٣ ـ ٢٩٤.

(٣) في المقريزي، السلوك (٢/٢: ٣٨٢): «فلما اشتد به البلاء ضرب نفسه بسكين في حلقومه ليهلك».

٨٢ ظ وكـان السلطان // يأمنـه ، وأما ابن الأقفـاصي يقول : « والله مـا لي شيء غير اكديش وسـرجه » ، فـأباعـه بماية وثمانـين درهم . وكان السلطان يعلم حالهم ، ويقول للنشو إذا تكلم فيهم : « هؤلاء ما هم مثل غيرهم » . ولما تصفـوا جميـع المصـادرين الـذي قـدمنـا ذكـرهم ، وعلم النشـو لم يبق فيهم رمق ، أفكـر مـع السلطان في أمـر غيـرهم ، واستـأذنـه في سفـره إلى الاسكنـدرية ، وتحصيـل الحمـل على العـادة . وعنـد سفـره أراد الله تعـالى بالإفراج عن ساير جماعة ابن هلال الدولة .

واتفق حضـور الأمـير سيف الـدين تنكـز نـايب الشـام إلى مصـر عـلى عـادتـه[1] ، فتحـدث مـع الأمـير سيف الـدين قـوصـون في أمـر ابن هـلال الدولة ، ولم يرجع يذكره له ، فإنه لما حضـر نايب الشـام وسيّر السلطان إليـه يعرّفه أنه لا يتكلم في ابن هلال الدولة قَبل منه [ذلـك] ولم يذكـره . واتفق أن السلطان ذكـره لنايب الشـام وقوصـون جـالس معهم ، فلم يتكلم نـايب الشـام في أمره ، لمـا تقدم لـه من الوصيـة . فأمـا قوصـون فإنـه شرع يقـول للسلطان بكـلام غليظ : « إيش عمل بـك هذا الـرجل حتى تـأخـذ مـالـه ، وتسمـع فيـه كـلام النشـو؟ والله مـا يلتقى مثله ، والنشـو يكـذب عليـه ،
٨٣ و وإيش مـع هذا مـال حتى يأخـذه ؟ » . فقال السلطان : // « أنـا محتاج إلى مـاله ، وإلا أنـا أقتله كون أنـه فرّط في مـالي ، وبرطـل بـه » ، وألجـا الأمـر بينهم إلى أن حـرج السلطان من كـلامـه ، وقـال : « والله لأقـطع جلده بـالمقـارع حتى أبصـر إيش تنفعـه أنت » . ونهض السلطان وهـو محـرج من كلام قوصون ، وقال نايب الشام لقوصون : « يا أمير ، لا تـرجع تتكلم فيـه تؤذيـه » ، وبقي الأمر إلى أن حضـر نـايب الشـام ثـاني سنـة ، وحضـر هـو وقـوصون عنـد السلطان ، وذكـر السلطان أنـه أفـرج عن المصـادرين الـذي كانوا مع ابن هلال الدولة . قال نايب الشـام له : « يـا خونـد ، وما أطلقت

(١) وكان حضوره إلى مصر يوم الجمعة ١٣ رجب من السنة (وقيـل يوم الأربعـاء ١١ منه)/٩ آذار ١٣٣٥ ، وهو مقدمه العاشر.
الجزري : ٤١٦ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٣٨٢ ؛ ZETTERSTÉEN; Op. Cit., P. 189.

الآخر بجملتهم ؟ » قال : « لا يا أمير » . فأخذ نايب الشام يريض أخلاقه إلى أن عرّفه أنه كل سنة يقدم له شيء ويخدم بيته وعمارته ، وقال : « والله يا خوند ، عام الأول سيّر قدم لي هذه الحياصة » ، وكان لنايب الشام قصد في ذلك ، فإنه بلغه الذي قاله النشو للسلطان : « إن ابن هلال الدولة قدّم لنايب الشام حياصة بأربعين ألف درهم ، فاختار أن يريها له تكذيب لما ذكروه ، فنظر السلطان إليه ، وقال : « سمعت بها ، هي هذه ؟ » . قال : « نعم » . ثم عرّفه أنه كان أنعم عليه بجارية وهي
٨٣ ظ زوجته ، وصار له منها ولد ، // وأحسن الشفاعة في أمره إلى أن أنعم السلطان بالإفراج عنه ، ونزل إلى بيته ، وفرحت الناس به ، وكان النشو يوم الإفراج عنه قد حضر[1] وبلغه ما اتفق ، فسكت ، وعلم أن تنكز ما بقي السلطان له رجعة في أمر شفاعته ، فسكت إلى باكر النهار ، وعند دخوله للسلطان قال له : « يا شرف الدين ، نايب الشام شفع في ابن هلال الدولة واستجبت منه وخلّصناه . فأجابه على الفور : « والله يا خوند ، وحياة راس السلطان ، أكثر أهل المدينة باتوا البارح بلا عشاء . قال : « بسبب إيش ؟ » . قال : « لما نزل ابن هلال الدولة إلى بيته حجبه الخلق ، ولم يبق تاجر ولا بيّاع ولا صاحب وظيفة إلا حمل له حمولة ، وطلبت الناس الشواء والخبز والنقانق ، فلم يجد أحد شيء ، وكذلك لم يبق مغنية حتى راحت إلى بيته ، وربما لما دخل بيته بسطوا له شقق في الدهليز ، وأقام الخيال بايت على بابه والمغاني »[2] . فلما سمع ذلك حرج حرج عظيم ، ودخلت الأمراء الخدمة ، فطلب نايب الشام ، وقال : « يا أمير ، تدري إيش فعل ابن هلال الدولة ؟ » وأعاد عليه جميع ما قاله النشو من تعظيم أمره ، وعلم نايب الشام أن هذه من النشو ، فقال نايب //
٨٤ و الشام : « يا خوند ، ومن هو ابن هلال حتى تُبسط له شقق ، السلطان لا يسمع هذا ، كلّه كلام مَنْ يحسده ، والسلطان يعلم أن هذا الرجل له

(١) وكان قد سافر إلى الاسكندرية. راجع: المخطوط: ٨٢ظ.

(٢) وقد أكدت عبارة المقريزي (٢/٢ : ٣٨٣) ما ورد هنا، وهي كما يلي: «وأغرى به السلطان».

سنين في خدمة السلطان ، وقدْ رأوه وقع في شدة وغضب السلطان عليه مدة سنة ، وتصدّق وأفرج عنه لا بد فيهم شفقة ومحبة فحضروا هنّوه، ويدعوا أيضاً للسلطان . وما زال به نايب الشام إلى أن سكن حرجه عنه ، وكان لما تحدث النشو معه سيّر إلى الوالي أحضره إلى القلعة ، فلما سكن حرجه ، قال للأكوز[1] : « اخرج هينه واشتمه ، وقلّه لا يجتمع بأحد ، ارجع اشنقه »[2] . فطلبه إليه ، وعرّفه ما رسم به السلطان ، ونزل من القلعة وأقام بالقرافة ، ولم يدخل المدينة . ثم رسم أيضاً بالإفراج عن المصادرين من قرابته وألزامه وتجار الشرابشيين ، بعدما كتب على جميعهم حجج أنهم لم يكن لهم في بيت المال شيء قلّ ولا جلّ. وكان أول ما مسكوهم عرف السلطان أمر التجار الذي شكوا لنايب الكرك ، وأنهم كانوا شركة مع ابن هلال الدولة ، ويبيعوا على السلطان المثل مثلين ، ويقتسموا بينهم ، وأن له (دين)[3] في الخزانة خمساية ألف درهم على السلطان من
٨٤ ظ ثمن القماش ، فطلب // جميع معاملين الشرابشيين وصودروا ، وأخذ أموالهم الذي قدروا عليها ، وكتبوا على كل منهم حجة أن ما له عند السلطان في بيت المال شيء . وكان في جملة التجار شخص يُعرف بناصرالدين بن غنايم الشرابشي ، وكان قد أصابه ضعف فطلعوا به على جمال ، وصار ينادي ويصيح على رأس الجمال : « والله ما لي عند السلطان شيء » ، إلى أن دخلوا به قدام الأكوز ، وهو يقول ذلك الكلام ، ورآه شيخ كبير فرحمه ، وقال : « إيش لك عند السلطان ؟ » ، قال : « يا خوند ، قد شهد عليّ كل من في القلعة أن ما لي عند السلطان شيء ، فالله تعالى يجعل السلطان في حلّ من كل شيء لي ولغيري » . فتبسم الأكوز ، وكتب عليه إبراء وأطلقه ، ولم يأخذ منه شيء ، واستأصل مال

(١) الأصل: لا لاكوز.

(٢) في المقريزي (٢/٢ : ٣٨٣) «وخرج إليه الاكز وأخرق به، وبلّغه عن السلطان أنه متى اجتمع به أحد شنقه».

(٣) ما بين القوسين ورد على الهامش بالقلم نفسه.

جماعة كثيرة منهم إلى أن قتل ابن الصلاح بالمقارع ، وأخذ كل ما معه . ولما أراد يسبوه ، سيّر آقبغا عبد الواحد يقول للأكوز : « خذ دار الشرابشي لي » . فإنها كانت مجاورة للدار الذي عمرها آقبغا ، فأخذها بعشرة آلاف درهم ، وحملت من جهته لبيت المال إنعام .

وفيها رسم السلطان بعد سفر[1] نايب الشام أن يكتب إليه بحضور//
٨٥ و ابن المرواني[2] والي بر دمشق إلى مصر، وكان السبب لحضوره الأمير بدر الدين أمير مسعود الحاجب ، فإن السلطان عرّف الحاجب أن يبصر له كاشف يكون ظالم لأجل عرب الشرقية ، فعرّفه أمير مسعود أنه ما يعلم في مصر أحداً ، وإنما يعرف في الشام والي البر يعرف بابن المرواني ، ووصف عنه ظلم وأمانة . فرسم السلطان بحضوره ، وكان نايب الشام قد بلغه عنه أمر أخرجه عليه ، فطلبه وقصد مصادرته ، وعند وصول المرسوم له ثاني يوم باكر النهار ، حضر ، فقال له نايب الشام : « روح ، السلطان طلبك وخلصت مني » . ولما حضر دخل إليه فوجد شكاله حسنه وتكلم معه ، وقال : « قد شكروا لي منك ، وأنا أريد تعمل عمل أرضى عنك به في أهل الشرقية ، وأكبرك بعدها » . فأخبرني[3] من حضر مجلسه أنه كان جوابه للسلطان : « يا خوند ، عليّ أن أرضيك وأسخط الله تعالى » .

---

(١) ورد في المقريزي (٢/٢ : ٣٨٣) أن سفر نايب الشام من مصر عائداً إلى بلاد الشام كان يوم السبت في ٢١ رجب من السنة/ ١٧ آذار ١٣٣٥ .

(٢) علي بن حسن المرواني، الأمير علاء الدين. تولى ولاية البر بالشام سنة ٧٢٢/ ١٣٢٢، ثم طلبه السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى القاهرة وولاه الصعيد إلى أن نقله إلى ولاية القاهرة في ١٦ جمادى الآخرة سنة ٧٣٦/ ٣١ كانون الثاني ١٣٣٦، وعرف عنه أنه كان ظالماً سفاكاً للدماء. توفي يوم الخميس ١٢ رجب سنة ٧٤٠/ ١٣ كانون الثاني ١٣٤٠ .
الشجاعي ١: ٩٠؛ الصفدي، أعيان ٣: الورقة ١٧٩؛ المقريزي ٢/٢: ٥٠٥؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣٢٣؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 204.

(٣) أشار العيني إلى أخذه عن اليوسفي بقوله: «قال صاحب النزهة: أخبرني من كان حاضراً في هذا المجلس أن جوابه كان بأن علي أن أرضيك وأسخط الله تعالى . . .».
العيني ٢٩١١/١٧: ٩٠ظ.

قال : « فاقشعر بدني منه » ، وأخلع عليه كاشف الوجه البحري ، وركب إلى أن نزل بلبيس ، وشرع في كبس البلاد ، ووقع بجماعة من المفسدين ، وجمع منهم نحو ستين نفر ، فأحضرهم إلى بلبيس ، ونصب أخشاب
٨٥ ظ ووسّط // الجميع ، فكانوا مايه وعشرين خشبة .

وفي تلك السنة لم يجسر أحد من بلبيس ولا من مدينة مصر أن يأكل رطب منها ، وإذا أحضر إلى مصر ، يقولوا : « هذا من بلبيس لا يجسر أحد على شراه من كثرة الطير الذي كان يقعد على الموسّطين ، ويطير يقعد على النخل ، ثم استسنّ في ولايته أن يُنعل الرجل في رجليه كما يُنعل الفرس ويعصبهم ، ويقول للمشاعلي : « لبّسه نعل على صفة الزربول » . ثم اقترح الكلاليب أن يُعلّق الرجل في خطاف [من حديد][1] في حنكه ، ويُبقي به إلى أن يموت ، وركب بعدها إلى إقليم الغربية والبحيرة والمنوفية وإشمون وأثّر في كل إقليم هذه الآثار الشنيعة . وبلغ السلطان من أمره ما سرّه ، وشكره عليه .

ذكر مصادرة كاتب السر بدمشق

كان السبب لذلك حمزة[2] المقدم ذكره ، وكان لما اتفق لناصر الدين الدويدار ما اتفق مما ذكرنا ، وكان شرف الدين[3] كاتب السر وممن هو وناصر الدين مصطحبين ، وبينهم مودة لما كان من النسبة بين أرباب

(١) ما بين الحاصرتين من المقريزي ٢/٢ : ٣٨٣ .

(٢) حمزة الدوادار التركماني، الأمير شمس الدين. أصله من تركمان الشرق، اتصل بالأمير سيف الدين تنكز نائب الشام، وحظي عنده، وعمل على دواداره ناصر الدين محمد إلى أن عزله تنكز وأحلّه مكانه في ذي القعدة سنة ٧٣٣/ تموز ـ آب ١٣٣٣، واستمر في وظيفته حتى رمي بتهمة، فاعتقله نائب الشام وسجن في قلعة دمشق ثم نقل إلى بحيرة طبرية وأغرق فيها سنة ١٣٣٤/٧٣٥ ـ ١٣٣٥ .

الجزري: ٤١٤ ؛ ابن كثير ١٤ : ١٦٢ ، ١٧٠ ؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان: ٢٦١ظ.

(٣) أبو بكر بن محمد بن شهاب الدين محمود، شرف الدين كاتب السر بدمشق. وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٢ ، حاشية رقم ٥ .

الوظائف ، وبقي كلما نظر إلى حمزة ينظره نظر المبغض ، وحمزة يعلم ذلك
٨٦ و وخشي عاقبته ، فشرع // في العمل عليه وتتبّع آثاره إلى أن طلع له على بعض الأشياء ، وأنه أخذ من جماعة كثيرة في دمشق البرطيل على قضاء الأشغال ، ومباشرة المناصب ، ويكتب الكتب عن نايب الشام والمراسيم بما يختاره من غير علم نايب الشام ، وأن من جملة ذلك أن يكشف عن سيرة أحد القضاة من ولاة الحكم ، وشيء مما يتعلق بأمر القدس ونابلس وغزة ، وأنه أخذ من القاضي بغلة مثمنة ونصبة قماش وماية دينار ، ورتّب جماعة من دمشق يذكروا عنه أشياء كثيرة ، وكتبوا فيه القصص . فلما بلغ ذلك نايب الشام ، طلبه إليه ، وقال : « أنت تعرف إيش قلت للسلطان عنك ، وعملك كاتب السر في مصر ، وما حسنت تمشي ، واستعفيت من خدمة السلطان ، وأخذتك عندي أن تكون رجل جيد ، ولا تقطع مصانعة أحد ، وبلغني أنك تكتب عني كتب ما أرسم لك بها ، وقول لي الحق كيف أخذت من القاضي البغلة والقماش ، واصدقني » . فعرّفه أن البغلة اشتراها منه بمبلغ ، وأوصله إياه ، وأنه لم يصل إليه شيء غير البغلة . فما
٨٦ ظ هو إلا أن سمع بالبغلة وأقامه قيام منكر ، وقصد الاخراق // به وإهانته ، فردّه الله تعالى عنه ، وكتب إلى السلطان يعرّفه أمره ، ويطلب موقّع(١) يكون عنده ، واقتضى رأي السلطان في عرض الموقّعين ، وتخير منهم جمال الدين بن الأثير(٢) ، ويكون صحبته رضي الدين بن الموصلي(٣) ، وأوصاه

(١) الموقع هو الذي يكتب المكاتبات والولايات في ديوان الانشاء، وكان يعرف باسم كاتب الدرج. القلقشندي ٥: ٤٦٤ - ٤٦٥؛ ابن شاهين الظاهري: ١٠٠؛ حسن حبشي ورفاقه، أبو العباس القلقشندي: ٩٥ - ٩٦.

(٢) عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن الأثير الشافعي، الرئيس جمال الدين. باشر كتابة السر بالشام بعد شرف الدين محمد بن الشهاب محمود سنة ٧٣٥/ ١٣٣٤، واستمر بها إلى سنة ٧٦٤/ ١٣٦٣، ثم انقطع في بيته. توفي بالقاهرة في ٢٢ جمادى الآخرة سنة ٦/٧٧٨ تشرين الثاني ١٣٧٦، وله أربع وسبعين سنة
ابن حبيب، درة ٣: ٢٤٣ - ٢٤٤؛ أبو زرعة: ٩ظ - ١٠و؛ المقريزي ٣/١ : ٢٨٧؛ ابن اياس ٢/١ : ١٩٧؛ ابن العماد ٦: ٢٥٧.

(٣) ويشير المقريزي (٢/٣ : ٦٩٣) إلى أن الرجل قد ولي نظر نيابة حلب ثم صرف عنها في شوال

وصايا كثيرة من ملاطفة نايب الشام والحرص على رضاه عليه .

وفي تلك الأيام[1] وصل [الأمير] بدر الدين ابن التركماني إلى مصر ودخل للسلطان ، فلم يُقبل عليه ولا أراه وجه رضى ، وكان السبب لذلك أن النشو ، لما تقدم الكلام في ابن التركماني من نايب الشام وشكره عند السلطان ورسم بحضوره ، علم أن نايب الشام أراد أن ينكّد عليه ، وأنه إذا حضر وولي منصب الشد ، ما ينال النشو غرضه من أحد ، لما كان يبلغه عنه من اقدامه على السلطان ومعرفته ، فسعى عليه عند السلطان ، وعرّض بذكره : « إن الذي حصّله ، يا خوند ، ابن التركماني في دولتك ما حصل لوزير ولا لغيره ، وإنه إلى اليوم في طرابلس له مراكب وتجارات في البحر والجزاير بنحو المايتي ألف دينار[2] ، وربما سيّر لنايب الشام جوهر له
٨٧ و قيمة حتى يسعى في الحضور // إلى مصر ويحصّل مال آخر » . وقال في آخر كلامه ، لما رأى السلطان مال إليه : « إن عنده شخص من الكتّاب قد عمل أوراق على ابن التركماني بمايتي ألف وستين ألف دينار أخذها من مال السلطان ، وأنه يحاققه عليها ، وربما أنه إذا حضر يحضر صحبته شيء كثير يبرطل به الأمراء ، ويسعى » . واتفق مع السلطان أن ساعة وصوله يقبض عليه ويأخذ الذي معه ، وانفصل مجلسه مع السلطان أنه عند حضوره يقبض عليه ، ويأخذ ماله .

ولما وصل البطاقة بحضوره قربت ، كان [الأميران سيف الدين] بشتك و [سيف الدين] قوصون حاضرين ، فعرّفهم[3] أن ابن التركماني وصل ، وشرع يحط عليه ، ويعرّفهم أنه يريد مصادرته ، فقال له بشتك : « يا خوند ، أنت قلت : إن نايب الشام ذكر عنه معرفة ونهضة ، فكيف

= سنة ٧٤٦/ شباط ١٣٤٦ .

(١) كان ذلك في ٥ رمضان من السنة/ ٢٩ نيسان ١٣٣٥ .
الجزري :٤١٧؛ المقريزي ٢/٢ : ٣٨٣ .

(٢) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٤٨٤) : «تنيف على مائة ألف دينار» .

(٣) أي السلطان.

رجعت عن أمره إلى المصادرة ؟ » . وشرع السلطان يعرّفهم كلام النشو ، وأن ثَمَّ من يحاققه على المال الذي أخذه لي ، فعلموا أن النشو فعلها ، وأن السلطان ما بقي يرجع عن قوله ، فأخذ بشتك يلطّف قضيته ويوافقه قوصون ، وأن هذا الأمر ربما يصعب على نايب الشام ، وينكسر خاطره
٨٧ ظ كونه شكر // منّ إنسان ، وأنه يُحضره يَنْصَح السلطان يُصادَر . وما زالوا به حتى سكن ما كان أضمره في نفسه من السوء له . ولما طلع[١] ووقف ، باس الأرض وباس يد السلطان ، فرسم أن يستريح في بيته[٢] ، وخرج الرجل وفي نفوس الناس أنه حضر لأمر ، فمنهم من تقرّب إليه ومنهم من خشي عاقبته مع النشو لئلا[٣] يبلغه أنه اجتمع به . وبلغ ابن التركماني طرف مما اتفق من النشو ، فسيّر ولاطف أمره مع الأمراء إلى أن سكن الحال عنه .

وفيها حضر الشريف عطيفة وعرّف السلطان ضعف حاله ، وأن أخيه رميثة قطع ساير معاليمه والذي كان يستهديه من التجار الواردة ، وسأل السلطان أن يستمر به على أن يكون شريك له في الامرة والاقطاع ، فرُسم له بذلك وكُتب له تقليد[٤] وكتاب للشريف رميثة[٥] واستمرت العقوبة على أولاد[٦] التاج إسحاق إلى أن لحق رِجْل العَلَم ورم من المعاصر آل إلى الفساد ، فأُفرج عنه ، وعُوقب موسى أخوه العقوبة الشديدة ، وكذلك لابن أبو الزين وقرموط ، وصاروا يمشوا والقصب في أظافيرهم ، وأخرجوا

---

(١) المقصود : ابن التركماني.

(٢) عبارة المقريزي (٢/٢ : ٣٨٤) «فنزل ابن التركماني ولزم بيته» .

(٣) الأصل : لا لا .

(٤) وذلك يوم الاثنين ١٩ شوال من السنة/ ١٢ حزيران ١٣٣٥ .
المقريزي ٢/٢ : ٣٨٤؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 190.

(٥) أثبت العيني (٢٩١١/١٧ : ٩١و) هذه الرواية نصاً كما وردت هنا .

(٦) هم : شمس الدين موسى وعلم الدين ابراهيم وسعد الدين ماجد .
راجع الصفحة ١١٩ ، حاشية رقم ٤ .

٨٨ و لهم ودايع من بيوتهم(١) // ومن بعض الكتّاب لها قيمة ، وزاد لولو بمطاوعة النشو ، ورسم له السلطان بطبلخاناه ، وصار كل يومين يلبس خلعة ، وفتح في بابه باب البرطيل من الناس ، وخافته التجار والعامة وأرباب الوظايف ، وتقدمت له المناحيس ، وزاد بالضرب على ايباس الدويداري إلى أن توفي تحت العقوبة ، وسُلّم لأهله .

وفيها طلب النشو شخص من أهل دمياط ، وعرّفه أن يرافع أخو المحسني(٢) واليها ، فعرّفه أن الرجل من حيث ولي دمياط لم يتعلق منها بشيء ، ولا تعرّض لمال السلطان ، وله سيرة حسنة ، فاقترح عليه أمر فيه تلاف نفسه ، واتفقوا على ذهاب المال والنفس ، وعرّفوا السلطان أن دمياط خربت ، فقال للنشو ، « كيف خربت ؟ » . قال : « يا خوند ، كان في وسط البحر بين البرزخين(٣) أساس قديم صنعته الحكماء ، وكتبوا عليه طلسمات(٤) تمنعه ، وأشياء غير واحدة أحكموها لأجل منع الماء المالح ، إذا جاءت به الريح العاصف تمنعه العبور إلى دمياط وأن الوالي احتاج إلى عماره ، وكتب أن دار السلطان وغيره تحتاج إلى عمارة ، وأن الحجر عنده
٨٨ ظ حاصل ، وعمل بذلك حجة إلى أن أخذ // مراكب من دمياط وعمل فيها سلب وسرياقات ، وصار ينزل بالغطاسين ، ويخرجوا حجراً بعد حجر وملّى دمياط منه ، وباع منه شيء كثير ، وحصل منه أموال ، وخرب مكانه ، وراح الطلسم وآل دمياط إلى الخراب ، فإن الماء المالح ليس بقى له مانع يمنعه(٥) ، وتلفت البساتين وبطلت الأسواق » ، وتكلم أشياء نافرتْ العقل

---

(١) عبارة المقريزي هي كالتالي : «حتى أظهروا مالاً كثيراً» .

(٢) أحمد بن بيليك المحسني ، الأمير شهاب الدين . كان فقيهاً شافعياً وشاعراً وأديباً له عدة مصنفات منها : «كتاب التنبيه في الفقه» . توفي في أواخر سنة ٧٥٣/ ١٣٥٣ .
الصفدي ، الوافي ٦ : ٢٨٠ ؛ المقريزي ٢/٣ : ٨٨٦ ؛ ابن حجر ١ : ١١٦ .

(٣) كذا ؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٣٨٤) : «البرجين» .

(٤) الأصل : طلمسات .

(٥) في المقريزي (٢/٢ : ٣٨٤) : «حتى تلفت الطلسمات وغلب البحر على النيل» .

إلى ان حرج السلطان بذلك السبب ، ورسم بركوب بريدي لحضور متولي دمياط ، فأحضره في سرعة . ولما دخل سأله السلطان : « والك أخربت بلدي » ، ولم يسمع له جواب ، ولا قبل منه حجّة وسلّمه للولو يستخرج منه أموال الناس ، وشرع يتكلم في النشو ويرافعه ويقول : « عندي أوراق تتعلق بمال أخذه » . فلم يقبل منه ولا سمع له قول ، وحضر[1] النشو وقتله بالمقارع قتل مؤلم ، وكان يحمل كل يوم ويستلف . ثم رسم للأمير سيف الدين آقبغا أستادار أن يركب إلى ثغر دمياط ويكشف أمرها ، فركب ووصل إلى دمياط ، وأحضر المراكب والريسا ، وأهل الثغر ، وسأل عن حقيقة الأمر ، وكان النشو قد سيّر كتّاب أوصاهم بما يقولوا من أمر يوجب صدقه // .

٨٩ و ولما ركب آقبغا حضرت إليه دمياط[2] وعرّفوه أن الضرر واقع بسبب دخول الماء المالح إليهم ، وأسرّ له بعضهم أن الماء له عادة بالدخول إلى الحلو[3] واختلاطه به في أيام اختلاف الريح وهيجان البحر . وركب آقبغا إلى المكان بين البرزخين ، ووقف وسألوا منه الحجر ، فوجده حجر عظيم إلى الغاية ، ورسم أن لا يرجع أحد يشيل منه شيء ، وأَخبرتْ جماعة كثيرة من أهل البلد ، لما استخبرناهم عن أمره ، أن العادة المستقرة في بعض السنين أن المولية وهي الريح العاصفة تدخل إلى الماء الحلو وتختلط به ، وتبقى إلى أن يصل إلى قريب فارس كور[4] ، وتقيم أيام ثم تعود الرياح كما جاءت ، وأن هذا الأمر ليس هو مستجد ، وإنما عظّمه النشو عند السلطان ليبلغ غرضه من الرجل ، وبلغ منه ما أراد .

---

(١) الأصل : وحظر.

(٢) المقصود : أهل دمياط.

(٣) يقصد : ماء النهر.

(٤) وردت أيضاً برسم «فار سكر» و «فار سكور» ، ويستفاد من ياقوت (٤ : ٢٢٨) وابن بطوطة (ص ٣٥) أنها كانت بلدة على ساحل النيل قرب دمياط من كورة الدقهلّية ، وهي اليوم من مراكز مديرية الدقهلية .

وفي تلك الأيام زاد الأمر على موسى ابن التاج إسحاق بالعقوبة إلى أن بلغ منها مبلغ عظيم ، وهو صابر إلى أن اقتضى رأي النشو ، فتحدث مع السلطان وعرّفه أن الصندوق المطلوب عند زوجة موسى ، فرسم للولو بطلبها ، وكانت قد اختفت ، فاقتفى النشو أثرها إلى أن وقعت
٨٩ ظ وسُلّمت // للولو . واتفق في أمرها ما لا يسمع به أحد في دولة من الدول ، ولا بلغ أحد من الظلم مبلغها ، وهي أنها كانت حامل ، وأحضروها إلى العقوبة فعوقبت بالمعاصير والكسارات[1] ، وتنوعوا في عقوبتها ، وهي صابرة ، وأقام ذلك أيام وهم يكرروا عليها العقوبة . واتفق يوم عقوبتها وقع بها الطلق ، وولدت ولد ذكر ، ورحموها بيت الأكوز إلى أن سيّروا لها خرق بيض وشيء سترت حالها وولدها به ، وخاطبوا الأكوز في أمرها ، فعرّف للسلطان بما اتفق لها ، فرسم بإبطال العقوبة عنها ، وكانت بنت شمس الدين غربيال[2] ، وأخبرني أن أختها سألتها ، وقالت : « يا أختي ، كيف كنت تحملي هذه العقوبة كلها ؟ » وأنها قالت : « والله يا أختي ، ما كنت أعرف بضرب ولا بعصر إلا أول وهلة ، ولم أرجع أحس بشيء مما يصنعوه » .

وكانت الأمراء والجند والعامة تقف في بعض الأوقات ويسمعوا عقوبتها وعقوبة زوجها ، وما منهم أحد إلا ويدعي على من هو السبب في ذلك ، ويتوجع ويتباكوا مشهورين بذلك إلى أن بلغ النشو أن أولاد
٩٠ و الجيعان[3] تكلموا في أمرهم ، والتوّجع // لعقوبتهم ، هم ونساؤهم ،

---

(١) هي من أدوات التعذيب، كما يتضح من اللفظ والسياق، ولم أجد في المصادر التي بين يدي على تعريف يتجاوز هذا الوصف العام، إلى التحديد الدقيق. وللاطلاع على أنواع أدوات التعذيب التي كانت معتمدة في العصور الاسلامية، راجع:
التنوخي، كتاب الفرج بعد الشدة: ٣٦٤ - ٣٦٨.

(٢) كذا؛ والمقصود: غبريال.

(٣) في المقريزي (٢/٢ : ٣٨٤) : «أولاد ابن الجيعان كتاب الاسطبل».

وكان النشو قد اتخذ له عجايز كثيرة ، وعرّفهم أن يدخلوا بيوت الكتّاب[1] على أنهم دلالات يبيعوا القماش، ويعاملوا النساء ويصبروا عليهم إلى أجل يقع فيه الوفاء ، ويتكلموا بكلام يكون فيه الدعاء على النشو ، ويذكر ظلمه وعسفه وما يفعله ، ويسمعوا ما يقولوه من الخير والشر . فحضر بعضهم وعرّفه أنها دخلت إلى بيت ابن الجيعان ، وأخرجت القماش الذي معها ، وأعرضته عليهم ، فقلّبوه وقالوا : « يا أختي ، ومن يتفزع اليوم يلبس قماش على أيام النشو ، وما في نساء الكتّاب إلا من لبس الأبيض وينتظر له عثرة ، فقد فعل في الناس الظلم » ، وأكثروا من شتمه وذمه وتكلموا بما كان في نفوسهم ، فحضرت وعرّفت النشو الذي اتفق[2] ، وكان أحد أولاد [ابن] الجيعان في الاسطبل كاتب ، فسيّر النشو طلبه إلى عنده ، وقال له : « اعمل لي أوراق بما نفقته في الاصطبل والوارد الذي ٩٠ ظ عندك » . فقال : « ما جرت بهذا عادة ، ولا سُمع أن كاتب // اصطبل يعمل حساب لناظر الخزانة » . واتفقت بينهم مفاوضة ، وكان ابن الجيعان من الكتّاب الملتسنة ، ودخل النشو للسلطان وعرّفه كلام ابن الجيعان ، وما ينفق في الاصطبل ما يعلم له أصل ، وأنه طلب كاتب الاصطبل وأبى أن يعمل له حساب ، فنظر السلطان نحو الشباك[3] ، وقال : « اطلبوا كاتب الاسطبل » .

فلما حضر [ابن الجيعان] ، قال [له السلطان] : « ليش ما تعمل حساب الاصطبل وتعطيه للناظر؟ » قال : يا خوند ، بدال ما تطلب حساب عبي ومقاود ، اطلب حساب الذهب الذي يدخل خزانتك ، والأصناف التي تحمل بالألوف ، وأنت تسمع من هذا الكلام الذي ما له أصل » . واقتضى مفاوضته مع النشو قدام السلطان ، وأجرى لسانه عليه

(١) كذا؛ وفي المقريزي: «بيوت الكبار».

(٢) ويضيف المقريزي (٢/٢ : ٣٨٤) إلى ذلك ما يلي: «وبلّغنه أيضاً أن أحد أولاد ابن الجيعان يسعى في نظر الجيش، والآخر يسعى في نظر الخاص».

(٣) المقصود: شباك القصر كما جاء في المقريزي ٢/٢ : ٣٨٤.

إلى أن قال : « ونعمة مولانا السلطان . أُظهر في جهتك من حيث باشرت مايتي ألف دينار » ، والسلطان يصغي إلى قوله ، والتكن النشو قدام السلطان ، وقال : « يا خوند ، كل هذا أعرف أنه تجرأ عليّ بسبب نصحي وخلاص المال الذي يلعبوا هؤلاء فيه » . وكان آخر كلام السلطان له :
٩١ و « إذا أعطيتك مكانه // تقوم مقامه » . فقال : « يا خوند ، معاذ الله ترميني في نار جهنم » . فحرج السلطان بعد ذلك وسلّموه للولو ، وبعد أيام توفي تحت القتل هو وأخوه[١] .

وانفصل الحال من قدامه إلى باكر النهار ، ودخل النشو عرّف السلطان : « أن ابن الجيعان أخرج الليلة صندوق فيه خمسة آلاف دينار ، وأعزل منه ثلاث آلاف يبرطل بها ، ويرافع إلى أن يباشر [نظر] الخاص ، وقد تأخرت ألفي دينار شالها في الصندوق ، وأن الخبر وصل إليّ من امرأة كانت حاضرة في بيته . وما زال حتى طلب السلطان لولو ورتبوا معه أن يقبض على أولاد [ابن] الجيعان وينزل إلى بيوتهم ، ويأخذ كل ما يجده فيها . ونزلوا إلى بيوتهم بعدما قبضوا عليه وعلى أخوته وساير قرابته ، ودخلوا بيته ، وأخذ كل ما فيه ، ووجدوا أشياء ليس لها صورة ، فإنه كان ألعن من النشو ، وحسب حسابه في أنه لا بد أن يرافعه ، فكان يقول : « أما أنا ، وأما هو » . فأخذ الذي لا يؤبه إليه فرقه ، وأودعه . ولما وقع حسابه صحيح لم يجدوا في بيته شيء طايل ، فسيّر لولو عرّف النشو ،
٩١ ظ فبلغني أنه سيّر له // دينار وقماش يختص بكساوى النساء مثمّن ، وعلم أن مصير المال إليه ويتمكن من عدوه ويفسد صورته وكذلك كان . ولما طلع لولو عرّف السلطان أنه وجد في بيتهم أثر نقلوه من القماش ، وأنهم أودعوا شيء كثير ، وكان القصد الذي قصده النشو بلغ مناه من أولاد [ابن] الجيعان ، وصادر بسببهم جماعة كثيرة ، كان في خاطره منهم ،

---

(١) أثبت العيني هذه الرواية نصاً كما وردت في اليوسفي .
العيني ٢٩١١/١٧ : ٩٢ظ - ٩٣و.

وصار يطلب كل أحد ويقول : « هات الوداعة الذي أودعوها » . ونال غرضه من جماعة كثيرة بذلك السبب .

ذكر هدم قناطر السباع[1] وعمارتها

كان السبب لهدم القنطرة المعروفة بقنطرة السباع ، كان السلطان الملك الظاهر ـ تغمده الله برحمته ـ قد عمرها وعمل عليها أربع سباع حجر رنكه[2] وعُرفتْ بقنطرة السباع ، وكان المشهور بين الناس أن السلطان قال للأمراء : « إن هذه القنطرة ، لما أركب إلى الميدان ، وأعبر عليها ، يألمني ظهري من علوها » ، فكان هذا القول هو الشهرة بخرابها بين الناس لما سمعوا ذلك من لفظه . وكان الأمر بخلاف ذلك ، وهو أنه كان يكره أن
٩٢ و يرى آثار أحد من // الملوك المتقدمة ويكره مكان يعرف بأسمائهم ، ولما يجد عند ركوبه [قناطر] السباع رنك الملك الظاهر عليها كره ذلك ، وأقام هذا الكلام حجة على هدمها ، وطلب ابن المرواني[3] ، وكان قد ولاه القاهرة ، وأضاف إليه شد الجهات وأعزله عن الكشف ، وعرّفه أن يهدمها ويكون متولي عمارتها ، فهدمت ، وطلب ساير الصنّاع ووقف إلى أن فرغ العمل منها[4] ، وأوسعها عن مقدارها الأول نحو العشرة أذرع ، وجاءت من أحسن ما يكون .

(١) بناها السلطان الملك الظاهر بيبرس على الخليج بين مصر والقاهرة.
الصفدي، الوافي ١٠ : ٣٤٠؛ ابن شاكر، فوات١ : ٢٤٣؛ المقريزي، السلوك ٢/٢ : ٣٨٥، والخطط ٢ : ١٤٦ ـ ١٤٧ .

(٢) الرنك، جمعه رنوك، وهي كلمة فارسية بمعنى لون، وقد استعمل المماليك هذه الكلمة في الديار المصرية والشامية للدلالة على الشارة أو الشعار أو العلاقة التي يتخذها الشخص لنفسه وينفرد بها دون غيره، وقد اختص بها السلاطين والأمراء وكبار رجال الدولة.
أحمد عبد الرزاق أحمد، مقالة «الرنوك»، المجلة التاريخية المصرية ٢١ : ٦٧ ـ ١٠١؛ DOZY, Suppl. I, P. 561.

(٣) علي بن حسن المرواني، الأمير علاء الدين. انظر ترجمته في الصفحة ٢٥٤ ، حاشية رقم ٢ .

(٤) جاء في المقريزي (الخطط ٢ : ١٤٧) أن الفراغ من عمارة القنطرة كان في جمادي الأولى من السنة/ ١٣٣٥ .

وكـــان في تلك الأيـام قـــد حصـــل للسلطان شغف عـــظيم في بعض مماليكـه يعـرف بـالـطنبغـا[1] المـارداني ، كـان أهــداه صـاحب[2] مـاردين للسلطان ، فحصـل له هـوى وشغـف ، ولحقـه في جسمـه ألم أوجب إقـامتـه بالميدان ، وصار السلطان يتردد إليه في بعض الأوقات ، وكـان يسمع النـاس يتحدثوا في أمر القنطرة ، وأنـه ما أخربها إلا حتى يبقى اسمـه عليها ، وأنـه رسم للوالي أن يكسر السباع الحجر ويرميها . ولما استفـاض ذلك القـول بين الناس إلى أن بلغ ألطنبغـا ذلك ، وحصـل له العـافية ، وركب إلى القلعـة ،

٩٢ ظ وكـانت طريقـه // على القنـطرة ، ولما وصـل للسلطان أجلسه وسـألـه عن حاله ، فأخبره أنه طيب ، فسأله : « عبرت على القنطرة ؟ » ، قـال : « نعم يا خونـد » . قال : « أعجبتـك عمارتها ؟ » . قال : « والله يـا خونـد ، ما بنى أحد أحسن منها ، ولكن يـا خونـد ، ما كملت » . قـال له « : كيف مـا كملت ؟ » . قال : « يا خوند ، السّباع الذي كانوا عليها شالوها ، والنـاس تقـول أن السلطان له غـرض في شيلهـا ، كـون أنها رنـك سلطان غيـره » . أجابه السلطان : « السّبعـة عيدوهـا » ، وطلب الوالي بعـد ذلك ، ورسم أن يعيد السّباع لما كانت عليه ، فركبت مكانها[3] .

ذكر عمارة جامع المارداني[4]

كان الأمير ألـطنبغا لمـا وجد الألم ، ورأى منـه الموت عيـان ، وبلغ من

(١) الـطنبغا المـارداني الناصـري ، الأمير عـلاء الدين . تـوفي في صفر سنة ٧٤٤/ حزيـران ـ تموز ١٣٤٣ ، وهو في نيابة حلب ، ودفن خارج باب المقام بمصر . وله جامع عظيم .

ابن الوردي ٢ : ٤٧٧ ؛ الشجاعي ١ : ٢٦٦ ؛ المقريزي ٢/٣/٢ : ٦٥٨ .

(٢) صالح بن غازي بن قرا رسلان التركماني ، الملك الصالح ، توفي بماردين سنة ٧٦٦/ ١٣٦٤ ـ ١٣٦٥ . حكم مدة ستين سنة وقد جاوز الثمانين .

ابن حبيب ، درة ٣ : ٦٧ ـ ٧٠ ؛ ابن حجر ٢ : ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ؛ أبو زرعة : الورقة ٢٠ ؛ العيني ٢٦ : ١٤٣ ؛ ابن تغري بردي ، المنهل الصافي ١ : ٣٠٠ .

(٣) قارن ذلك بما جاء في رواية المقريزي ، الخطط ٢ : ١٤٧ .

(٤) جاء في المصدر نفسه (ص ٣٠٨) أنه يقع بجوار خط التبانة خارج باب زويلة . ولا يـزال هذا الجامع عامراً بشارع التبانة بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة .

الشدة أمر كبير وترخص حاله على الإسترخاء تخيّر الله حسن العاقبة . ولما وجد القوة في جسده ، كان يركب إلى الأماكن المباركة والآثار الحسنة ، ويزور الفقراء وما دخل بمكان إلا وأثر فيه الخير ، وحصل له زيارة الآثار النبوية وعمرها وأكساها بالبسط ، وأثر فيها آثار حسنة ، وحصل له أن يعمر جامع يقيم فيه الخطبة ، وتخيّر مكان مقابل ربع الأمير سيف الدين
٩٣ و طُغجي[1] وشراء أماكن في أرضه ، وكان يطلب // صاحب البيت إلى عنده ، ويحضر إليه الكتب ، ويشتري منه شراء برضاه[2] . ويطيّب خاطره ، فكان يشتري بالعشرة آلاف والثمانية آلاف ، وعلم السلطان ذلك فلم يطيب على خاطره ، وقال : « يا أمير ، الساعة تغرم مالك كله على شراء الأملاك ، فخلّي النشو يتحدث في شراء الأملاك ، وإلا ما تقدر تعمر شيء ، فقال له : « يا خوند ، أخشى أن النشو يظلم الناس ، ويدعوا عليّ ، قال : « لا ، الأرض أرض السلطان ، ويعطيهم القيمة » ، وطلب النشو وعرّفه الغرض ويشتري ما يحتاج إليه من الأملاك ، فسيّر طلب ساير من كان له مُلك مما يحتاج إليه من الجند وغيرها ، ويقول : « احضر كتب دارك أو اسطبلك » . فإذا أحضرها وقف عليها وأعطاه نصف المشترى فيتضور لذلك ويقول : « يا مولانا ، إني اشتريت ، وأصرفت على العمارة » ، فيقول : « برضى ، وإلا الأرض أرض السلطان ، اهدم ملكك ، وخذ حاصلك ، وخلّي للسلطان أرضه » . وفعل كذلك بساير الأملاك الذي أخذها ، وكان المُلك مشتريه صاحبه بأربعة آلاف ، ويغرم

---

(١) طغجي الأشرفي، الأمير سيف الدين، كان من جملة مماليك السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، وترقى في خدمته حتى صار من كبار أمرائه. توفي مقتولاً يوم الخميس في ١٦ ربيع الأول سنة ٦٩٨/ ٢٢ كانون الأول ١٢٩٨، وله ربع ومدرسة يعرفان به.

الصفدي، الوافي ١٦: ٤٥٢ـ٤٥٣؛ المقريزي، المقفى: ٨ظ ـ ٩ظ، الخطط ٢: ٣٩٧ـ ٣٩٨.

(٢) وتؤكد عبارة المقريزي (٢/٢: ٣٨٥) ذلك: «واشترى عدة دور من ملاكها برضاهم»، بينما يورد ابن تغري بردي (النجوم ٩: ١١٢) عكس ذلك: «واشترى عدة دور من أربابها بغير رضاهم».

على عمارته عشرة آلاف ، فيعطيه ألفي وإذا تناهى الحال إلى رأس ماله ،
٩٣ ظ كان يكون قد ربحه ، وخربت تلك الأماكن كلها // وشرعوا في عمارته ، والذي اتفق من عمارة هذا الجامع لم يتفق لجامع غيره ولا عمر في مصر أكثر زخرفة منه ، ولا أحسن اعمال فيه من الذهب والرخام والأعمدة والنقوش الذي تحيّر بها الصناع ، وكان موفق الدين في ذلك الوقت كاتب عند الأمير ألطنبغا ، فأخبرني أنه الذي أنفق عليه من ماله خاصة ثلاث ماية ألف درهم وكسور ، سوى ما أنفق فيه من جهة السلطان من الخشب والرخام وغيره ، وكان رسم أن يؤخذ الأعمدة الذي في جامع راشدة[١] بقرب الرصد[٢] وبركة الحبش[٣] ، فامتنع الموفق من ذلك . وفي الجملة أنه لم يُعمّر في مصر جامع أكثر زخرفة منه ، ولا أنور ولا أحسن عمارة من القبة والمئذنة ولا ما أنفق عليه ، واتخذ له الأوقاف الحسنة ، وأول من خطب فيه كان الشيخ ركن الدين عمر بن الجَعْبَري[٤] وسأل أن يكون

---

(١) وهو الجامع المعروف بالحاكمي فيما بين دير الطين والفسطاط في خطة راشدة (نسبة إلى إحدى القبائل العربية . وهو اليوم مندثر).
ابن دقماق ٤ : ٧٨ ـ ٧٩؛ المقريزي، الخطط ٢ : ٢٨٢ ـ ٢٨٣؛ ابن الزيات، الكواكب السيارة: ١٨٣ ـ ١٨٥؛ مبارك ٤ : ٢٣٧ .

(٢) هو ظاهر القاهرة، يقوم على جبل مطل على بركة الحبش، أقامه الأفضل بن بدر الجمالي لرصد الكواكب.
المقريزي، الخطط ١ : ١٢٥ ـ ١٢٨ : مبارك ٤ : ١١٤ .

(٣) كانت تعرف ببركة المغافر وبركة حمير وغير ذلك، طولها نحو ميل مشرفة على نهر النيل خلف القرافة. ومحلها الآن بعض أراضي قرية البساتين الكائنة قريباً من قبة الامام الشافعي من الجهة القبلية.
ياقوت ١ : ٤٠١ ـ ٤٠٢؛ ابن دقماق ٤ : ٥٥ ـ ٥٧، ٥ : ٤٥؛ المقريزي، الخطط ٢ : ١٥٢ ـ ١٥٥؛ مبارك ٣: ١٠٦ .

(٤) عمر بن إبراهيم الجعبري، الشيخ ركن الدين. توفي يوم الخميس آخر ذي الحجة سنة ١٢/٧٤٧ نيسان ١٣٤٧ .
المقريزي ٢/٣: ٧٢٣.

خطيباً بلا معلوم ، وكان كثير ما يحط في خطبه على أكابر الدولة وكتّابها[1] .

ذكر عمارة قلعة جَعْبَر[2] على يد نايب الشام

وكانت هذه القلعة[3] من قلاع المسلمين ، ثم ارتجعت إلى ملك
٩٤ و المغل وتلاشى أمرها إلى الخراب ، وكانت من القلاع // الحصينة الذي يحسن آثارها وكانت في بر الشرق ، وهي على جانب الفرات . ولما حصل لنايب الشام ما حصل من العبور إلى البلاد والصيد فيها ، وعلم من أمرها ما أخبروه عن حسن صفات هذه القلعة اعتمد على عمارتها[4] ، وسيّر كتاب للسلطان بذلك السبب ، وأنه يختار عمارتها بمرسوم السلطان[5] . فرسم له بعمل ما يختاره ، وطلب نايب حلب وجماعة من المباشرين والحجّارين . وما برح حتى أحضر المهندس ، ورتب حالها ، وأحضر لها الأسرى من ساير القلاع ، وكتب على ضياع حلب وأعمالها وجميع بلاد

---

(١) هناك تطابق بين رواية العيني عن عمارة جامع المارداني وما ورد في اليوسفي .
العيني ٢٩١١/١٧ : ٩٤ظ - ٩٥و.

(٢) ذكرت بعض المصادر عمارة قلعة جعبر في حوادث سنة ٧٣٦.
انظر: ابن الدواداري ٩: ٤٠٠؛ ابن الوردي ٢: ٤٤١؛ المقريزي ٢/٢: ٣٨٥ - ٣٨٦ والعيني ٢٩١١/١٧: ٩٥و. قارن بالجزري: ٤٤٧ - ٤٤٨ وابن حبيب، درة ٢: ٢٤٥ظ - ٢٤٦و؛ وابن قاضي شهبه، نسخة البودليان: ٢٦٤ظ.

(٣) قلعة حصينة من ديار بكر في البر الشرقي الشمالي من الفرات بين الرقة وبالس، وكانت تعرف بقلعة دوسر.
أبو الفدا، تقويم: ٢٧٦ - ٢٧٧؛ القلقشندي ٤: ١٣٨؛ البغدادي، مراصد الاطلاع ٣:١١٨، وعن تاريخ هذه القلعة حتى خرابها على يد هولاكو، انظر ابن شداد، الاعلاق ١/٣: ١١٠ - ١١١.

(٤) قارن بابن الوردي ٢: ٤٤١.

(٥) كذا في ابن الوردي وابن حبيب (درة) وابن قاضي شهبه، وفي ابن الدواداري: أن الأمير مهنا بن عيسى هو الذي أشار على السلطان ببنيان القلعة وعمارتها وليس تنكز، «فبرزت المراسيم الشريفة بذلك».

الساحل بحضور الرجال ، واهتم في أمرها وشرعوا في العمارة [وندب لشاد عمارتها الأمير علم الدين سنجر الحمصي][1] ورسم أن يكون مشدّها .

ذكر خروج عمّير من مصر

وفي تلك الأيام وقعت قصة في دار العدل ، وفيها مكتوب أن النشو قد حكمته في ظلم الرعية ، وسلط قرابته على أبناء الناس ، وأن صهره ولي الدولة[2] قد عشق شاب من أبناء الترك ، وقد ودر عليه أموال عظيمة من خزانتك والتحف الذي تصل إليك ، وكان قبل وقوع هذه القصة ، تكلم الأمير سيف الدين قوصون في مثل ذلك ، وعرّف السلطان أن الشاب الذي كان أُلماس قد شغف به ، وأعلم السلطان بأمره ، وعرف بعميّر أن
٩٤ ظ النشو وقرابته قد شغفوا // بهذا الشاب ، وأن أموال كثيرة تنفق عليه من أموال السلطان . وكان السلطان لا يلتفت إلى قول أحد من الأمراء إذا ذكر النشو ، فأعرض السلطان عن أمره ، ولم يجب عنه بشيء .

ولما اتفق وقوع القصة أخذها السلطان بيده ، وقال : « أنا عرفت من كتب هذا » . وطلب النشو إليه وأعطاه القصة ، وحكى له ما نقله الأمير سيف الدين قوصون عنه ، فحلف بحياة السلطان أن هذا الشاب لم يعرفه ، ولا رأى عمره وجهه ولا أحد من قرابته ، وإنما هذا كله شغل القريبين من الأمير قوصون[3] ويختاروا أنهم ينقلوا لأستاذينهم أمور كثيرة عنا ، ويعلموا أن أستاذينهم ما يخفوا من السلطان شيء ، فيعملوا على أذانا

---

(١) ساقطة من متن الأصل، وما أضيف من ابن الدواداري ٩: ٤٠٠ .

(٢) ولي الدولة أبو الفتوح بن الخطير، صهر القاضي شرف الدين النشو. توفي يوم السبت ٢٦ صفر سنة ٧٤٢/١١ آب ١٣٤١ .
المقريزي ٢/٣: ٦١٦.

(٣) في العيني (٢٩١١/١٧ : ٩٥ظ): «قرايب الأمير قوصون»، وفي المقريزي (٢/٢ : ٣٨٦) وابن تغري بردي (النجوم ٩: ١١٣) : «حواشي الأمير قوصون».

عنـد السلطان ، وأخـذ يتنصـل من أمـر هـذه الكـاينـة ويحلف ، وبكى بـين يـديه . وعنـد قيامـه طلب السلطان قوصـون وأنكـر عليـه ، وقـال : « أنت تسمـع من المناحيس كـلام ، وتجي تنقله لي حتى تغيّر خـاطـري عـلى كـاتب عندي ينفعني ، والساعة حلف بحياة راسي أنه ما يعـرف هذا الشـاب ، ولا أحـد من قرابتـه ، وحلف إيمـان كثيـرة » . فقـال قـوصـون : « وحيـاة راس السلطان يكـذب ، وأنت سيّر احضـر هـذا[1] الصبي إلى عنـدك وعـاقبـه أو
٩٥ و يعتـرف لك // إن كـان كذب قـابلني ، وإن كان صـدق أعـطيـه جـزاه » .
فحرج السلطان لكلامه ، وطلب أمير مسعود الحاجب وعـرّفه أن يـطلب هذا الصبي «وتحضر له المعاصير والمقـارع ، ولا تدعـه حتى يعترف لـك بكل من صحبه ومن دخل بيتـه ، ومن هو مشغـوف به في هـذا الوقت ، وكـل من[2] أسمـاه لك تكتبـه في ورقة وتحضـر بهـا إليّ ولا تكتم عني أمـر » ، ولم يعـرّفـه إيش الصـورة . فنزل الحـاجب وطلبـه ، وأحضـر إليـه المعـاصـير ، وهـدده وعـرّفه الـذي رسم به السلطان ، فلم يكتمـه شيء فـطلب دواة وكتب فيهـا جمـاعـة كثيـرة ، شيء من أولاد القضـاة منهم جـلال الـدين[3] وشيء من القبط ، وذكـر ولي الـدولـة بجملتهم وشيء من المتعممـين ومن أربـاب السعادة ومن أرباب الكلِوتة ، وذكر جماعة كثيـرة من المستورين ، وبقي أمـير مسعود في ذلك الأمـر لا يعرف العـاقبة منـه إلى أن تنتهي . ولما كتب الـورقة أخذها أمير مسعود ، وربما خشي على هتـك جماعـة رؤساء فيهـا سترهـا[4] .
ولمـا حضر عنـد السلطان سألـه : « إيش جرى ، اشتهي أن تختصـر القضيـة وتخرجها على ستر جميـل » ، فقال للسلطان « : يـا خونـد ، والله هذا الـولد الزنـى ما خـلا أحد في المـدينـة حتى ذكـره ، والله يـا خـونـد ، وأعتقـد أنـه
٩٥ ظ كثيـرهم يكـذب عليهم » . // وكـان السلطان في مثـل هــذا الأمـور حشم

(١) لفظة «هذا»: مكررة في الأصل.
(٢) الأصل: وكلمن.
(٣) المقصود: بعض أولاد قاضي القضاة جلال الدين القزويني.
(٤) ويؤكد ذلك المقريزي وابن تغري‌بردي: «فخشي مسعود على الناس من الفضيحة».

النفس ، قال يا بدر الدين : « ذكر لمن من الدواوين ؟ » . تبسم وقال : « والله يا خوند ، من خوفه من العقوبة ما خلا أحد حتى ذكره »[1] . ففهم السلطان المقصود من كلامه ، ورسم أن يخرج هو وأبوه إلى غزة ، ويكتب صحبته كتاب لنايب غزة إذا وقع لهم خبز[2] يعطيهم ، وأخرجوهم من القاهرة إلى غزة .

ذكر واقعة النشو مع القاسمي[3]

ولما اتفق هذا الإتفاق كان بعض المماليك الناصرية من الأمراء يعرف بالقاسمي ساكن بجوار بيت النشو وله مملوك يعرف بأردويغا ، كان شاب حسن وأقام يعاشر ولي الدولة صهر النشو وأخوه وجماعتهم يجتمعوا على مملوكه ولهم به اهتمام ، وبلغ القاسمي أمرهم مرار عدة وهو يختشي أن يتكلم معهم إلى أن زاد به الأمر ونزل على غفلة منهم ، ولم يجد مملوكه ، وأخبروه أنه عند ولي الدولة وأخو النشو ، فهجم عليهم ، وأخذ المملوك من عندهم وقصد الإخراق بهم فخشي عاقبتهم . ولما خرج من عندهم حسبوا أنه يشتكي أمره لأحد من الأمراء ، ويبلغ السلطان أمره ، فتجدد عليه أمر ما تقدم ، وعرّفوا النشو ما اتفق لهم مع القاسمي ، وأتقنوا أمره
٩٦ وا معه ، وعند دخوله باكر النهار عرّف السلطان أن القاسمي // ساكن بجواره ، وأنه كل يوم ينزل إلى بيت مملوك له يهواه ، ويحضر إليه جميع الشهوات وجميع ما يختاره من النساء ، وأنه ركب هواه وغلب عليه السكر إلى أن هجم على بيته وحريمه ، وقصد أن يهتكهم ، وربما جذب سيف ، وقال : « هؤلاء أعداء المسلمين » ، ويتمتم عليه ، وقال : « كلما قصده

---

(١) كذا ؛ وفي المقريزي وابن تغري بردي : «ما خلا من خوفه أحداً حتى ذكره» .

(٢) جمعه أخباز ، ومعناه اقطاع من الأرض ، ويقابله Apanage في أنظمة العصور الوسطى في أوروبا DOZY, Suppl. I, P. 348.

(٣) أثبت العيني هذه الواقعة نصاً كما وردت هنا .
العيني ٢٩١١/١٧ : ٦٠ظ - ٦١و.

الإنسان في من يأذيه » ، وما طلعت الأمراء للخدمة حتى طلب [مسعود] الحاجب ، وقال : « رَسّم على طيبغا القاسمي إلى أن يخرج من مصر في ساعته هذه هو ومملوكه إلى الشام » . فحضر الحاجب إليه ، وأخذه من الخدمة ، وخرج ولم يعلم أحد من الأمراء ما سبب ذلك إلى أن خرج من الخدمة ، وسيّر لقوصون يدخل عليه أن يكون يبيت الليلة [ثم] يجهّز أمره ويخرج . وتحدث قوصون مع السلطان في أمره ، فلم يقبل ، وخرج ولم يجسر قوصون [أن] يعاوده ، وخرج من مصر ، ووصل إبراهيم ولد السلطان من الكرك[1] .

ذكر من توفي فيها

توفي الأمير صلاح الدين طرخان بن الأمير المرحوم بدر الدين بيسري - تغمده الله برحمته - . وقد تقدم ذكر ترجمته . والسبب لحبسه من شكوى[2] الحاج الملك[3] فيه ، وكان هذا الرجل فيه من الدين والعفة ونزه
٩٦ ظ النفس شيء كثير ، وله بيت وأصالة وعقل ، // وتوفي بسجن الاسكندرية ، وكان مدة اعتقاله أربع عشر سنة . وفيها توفي الأمير علم الدين سنجر الخازن[4] ، وكان هذا الرجل من المماليك المنصورية ، وتنقل في الدولة

---

(١) وذلك يوم الاثنين في ٣ ذي الحجة من السنة/ ٢٥ تموز ١٣٣٥ .
المقريزي ٢/٢ : ٣٨٧ ؛ ZETTERSTÉEN , Op. Cit., P. 190.

(٢) يوضح المقريزي (٢/١ : ٢٣٢) أن موضوع هذه الشكوى هو اتهامه من قبل زوج أخته الحاج آل ملك بأنه قد «أكل مال زوجته» فأمر السلطان بالقبض عليه وسجنه في الاسكندرية وذلك في سنة ١٣٢٢/٧٢١ .

(٣) الأمير الحاج آل ملك الجوكندار. أصله من الأسرى الذين كسبهم الظاهر بيبرس في وقعه البلستين سنة ١٢٧٧/٦٧٦ ، فاشتراه قلاوون وهو أمير، ثم نقل وترقى حتى صار نائب السلطنة أيام السلطان إسماعيل بن الناصر محمد. توفي مقتولاً بالاسكندرية في جمادى الآخرة سنة ٧٤٧/ تشرين الأول ١٣٤٦ ، وينسب إليه جامع ومدرسة .

المصدر نفسه ٢/٣: ٧٢٣ .

(٤) توفي يوم السبت ٨ جمادى الآخرة عن نحو تسعين سنة . وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٢٤٢ ، الحاشية رقم ٤ .

الأشرفية إلى أن بقي من جملة الخزّان ، ثم ولي شد الدواوين ، ثم ولي البهنساوية[1] ، ثم تولى القاهرة ، وأضيف إليه شد الجهات ، وكان في جميع مباشراته من أحسن الأخلاق وقلّة الظلم وكف عن المظالم أسباب كثيرة ، وكنت ممن ألوذ بصحبته والإجتماع به ، وكانت الناس تتحدث عن سير الولاة المتقدمة مثل الأمير علم الدين [سنجر][2] الخياط ، وسيف الدين بن أسبا سلار[3] من محاسن المعروف والإصطناع ما يتجاوز عن حده .

فلما ولي القاهرة أنسى الناس ما كانوا يتحدثونه عمن قبله ، وحضرت له بعض الليالي ، وقد حضر شخص من المماليك السلطانية ، وأسرّ له أن زوجته لم يجدها في بيته ، وأنه ضرب الجارية اعترفت أن سيدتها في مكان ، وأتت به إليه ، فوجده بيت أحد الحكام ، فحضر وعرّفه ، فطلب والي طوف ، وأخذ الرجل صحبته ، وكبس البيت وأحضروا بالرجل وزوجته والحاكم ، فلما فهمه الخازن استحى منه ، ورسم أن يكونوا الجميع في الترسم إلى باكر النهار ، وأتقنوا أمر الرجل إلى أن
٩٧ و أحضروا شخص من الحرامية من // السجن وألبسوه جميع ما على ذلك الحاكم حتى الشاش والفرجيّات[4] ، وأطلقه في آخر الليل . ولم يحضر إليه ولا رآه ، وأفهموا الحرامي القضية ، وعرّفوه إيش يقول . ولما خرج الصبح

(١) كانت أيام المماليك ولاية من ولايات الوجه القبلي بالديار المصرية مركزها مدينة البهنسا، وهي مدينة قديمة من الصعيد الأدنى بالبر الغربي من النيل. ياقوت ١ : ٥١٦ ـ ٥١٧؛ أبو الفدا، تقويم: ١١٠ ـ ١١١؛ القلقشندي ٣: ٣٩٣؛
المقريزي، الخطط ١ : ٢٣٧ ؛ AMÉLINEAU, La géographie, P. 90-93.

(٢) ما بين المعقفين من المقريزي ٢/٣: ٨٠٠.

(٣) أبو بكر بن أسبا سلار، الأمير سيف الدين. ولي مصر عدة سنين وتوفي في ربيع الأول سنة ٦٧٩/ ١٢٨٠ ـ ١٢٨١.
المقريزي ٢/١ : ٦٨٤ ـ ٦٨٥.

(٤) مفردها فرجيّة، وهي ثوب فضفاض يصنع عادة من الجوخ، أكمامه واسعة وطويلة.
DOZY, Suppl., II, P. 248.

جلس على الباب ، وأجلس مملوك السلطان إلى جانبه ، وأوقد الفانوس واستحضر الرجل والمرأة . ولما وقف بين يديه شرع الخازن يعنفه ويقول : « أنت رجل مستور ، وتحكم في الذمّي والفروج ، وتفسد حريم مماليك السلطان » ، والرجل متكس الرأس . وشرع يقول بذلة وخضوع : « يا خوند ، ما بقى إلا سترك واصطناعك ، ونحن قد أخطينا وعفوك يسعنا » وتنصّل ، والمملوك زوج المرأة ينظر إليه ويحقق النظر فيه ، ويقول بالتركي : « يا أمير ، ما هو هذا الرجل » ، وهو يكاسر بكلامه ، وآخر القضية قال له : « ما تستحي هذا الذي لقيناه مع زوجتك » . وشرع يعرّفه أنه يطلع بهم إلى السلطان ، ويقول : « تهتك زوجتك بين خشداشيتك » . وما زال به إلى أن عفا عنه وقلّده ألماته ، وبطح الرجل وضربه وقطع أكمامه وأطلقه .

وأيضاً إتفق لبعض نساء الأكابر بلغ الخازن أن بعض مماليك الأمراء عمل على تلك المرأة وأخذها إلى بستان ، وأخذ قماش من عليها له
٩٧ ظ صورة ، فبلغه ، فسيّر طلب المملوك //فأنكر ، وبلغ الخبر للسلطان ذلك اليوم ، فطلبه وأسرّ إليه « كيف يجري في المدينة شيء وما تخبرني به ؟ » ، وعرّفه الواقع بعينه ، فقال للسلطان : « يا خوند ، معاذ الله تعالى أن يكون مثل هؤلاء ، البيت وكبره وحشمته يقع في مثل هذا أو يفعله ، وإنما يا خوند ، أكشفت الأمر فوجدتهم جواري من جهتهم سيّرتهم إلى مرج بعض ألزامهم ، وألبستهم قماش مفتخر من ملبوسها، ورأتهم زوجة هذا المملوك غرمت عليهم حيلة منها ، واتفاق بينها وبين زوجها ، وأدخلتهم بستان ، وفعل زوجها ما فعل من أخذ ما عليهم وستر أمر تلك المرأة ، ولم يذكرها » . وطلب السلطان عاجل الوقت لذلك الأمير وعرّفه ما فعل مملوكه ، ورسم له بضربه وطرده ، وأخذ القماش فسلّمه للخازن ، فنزل الأمير وضرب مملوكه ضرب مؤلم وطرده ، وأخذ القماش فسلّمه للخازن ، فسيّره لتلك المرأة . ولما وصل إليها سيّرت له ذهب له صورة ، فأبى أن يأخذ لها شيء ، وردّ عليها جميع ما أخذ لها . وكان فيه من الاصطناع

والمعـروف والتغافـل عن مسـاوىء النـاس وعصبتـه لمن يصحبـه مـع معـرفـة وسعـادة طايلة ، واقتنى من الأمـلاك والأمـوال شيء كثـير ، وكـان مشغـوف

٩٨ و بجمعها والتطلع لأمر الدنيـا وكان كثـير شغفه بخـزن الغلال . // ولمـا توفي وجد في حاصله أربع عشر ألف إردب غلة عتيقـة ، وكان قـد تضعف مدة ، ثم نصـل ثم انتكس ، ولحقه صرع ، فكان النشـو يبيت كل ليلة[1] عـلى باب ابن صابر المقدم وجماعة من أعوان الـظلم ، وينزل إليـه كل يـوم لولـو يتفقد أحوله ، وختم على ساير حواصله ، وكان يزى هذا جميعه بعينه .

واتفق لي معـه بعض أيـام ، وقـد رأيت مرضـه مـرض يؤ ول إلى الفسـاد ، فخليت به ، وقلت : « يـا خونـد علم الدين ، أنت متهـوم بالمـال عند السلطان والناس ، ووارث مـا تمّ لك ، والمصلحـة تقتضي أن تفعل مـا فعله القاضي فخرالدين[2] ، تسيّر تعـرّف السلطان أن ثم وداعة عنـدك له ، وتعيّنها وتسد فمـه وفم الغير بشيء ، وإلا بعـدك ينهب مالـك وخدمـك » . فنـظر إليّ طويـلاً ، وقال : « يـا سبحـان الله ، أنت تعـرف أن عنـدي مـال أعطيه ؟ » وولى وجهه عني إلى ناحية أخرى ، وتـوفي ـ تغمده الله بـرحمته ـ . ونـزل النشو ولـولو في حـوطته ، وأخـرجوه فـريداً ، ولم يجسـر أحـد عـلى ان يخرج يشيّع جنازته خوف من النشو ، ودفن بخانقته الذي هي معروفـة بتربـة الصـاحب تـاج الـدين ابن حنـا[3] ، كـان قـد ابتـاعهـا من ورثتـه وجعلهـا خانقاه ، وعمل فيها مئـذنة وأرصـد لها شيـخ ، وفقراء مقيمـين بها ، وأوقف

---

(١) الأصل: له.

(٢) يقصد: القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش، وقد سبقت ترجمتـه في الصفحة ١٢٤، الحاشية الأولى.

(٣) محمد بن محمد بن علي، الصاحب تاج الدين ابن حنا، عاش مـا بين ٦٤٠ ـ ٧٠٧/ ١٢٤٢ ـ ١٣٠٧، وله ولعائلته تربة في القرافة.
اليونيني ٤: ١٤١ظ ـ ١٤٢و؛ الصفدي، الوافي ١: ٢١٧ ـ ٢٢٨؛ اليافعي، مرآة الجنان ٤: ٢٤٢. وعن أخبـار هذه التـربة راجـع ما ورد في ابن الـزيـات، الكـواكب السيـارة: ١٠٦ ـ ١٠٨.

٩٨ ظ عليها أوقافاً ، ولم //ٍ يستمر أكثرها ، وخليت بعده حتى لم يجدوا فيها شيء . وكان له دكان سبيل مقابل الشهود المجاورين للصالحية[١] ، وله معروف وصدقات ، وهو أول من أنشأ الميدان المقدم الذكر في دار الملك العادل كتبغا ، وقد قدمنا ذكره ، أنه كان ميدان السلجوقية على الأيام المنصورية ، واتخذه كتبغا ميدان ، فأول من حكر فيه كان علم الدين الخازن ، وفتح باب الدرب وبنى فوقه مسجداً وحوض سبيل واسطبل ، وحكرت الناس بعده ، واستجدّوا فيه عمارات كثيرة على بركة الفيل[٢] ، ووجه على الميدان ، وهو إلى الآن يعرف بحكر الخازن[٣] .

ولما دفن مسكوا جميع حاشيته وعوقب منهم خزنداره[٤] وبعض مماليكه ، وأخرجوا للنشو صندوق فيه حوايص ذهب ، ونحو أربع آلاف دينار ، وأشياء لم يطّلع السلطان عليه ، واتفق النشو وصدر الدين الطيبي على غلاله وماله وجميع موجوده ، وأظهروا منه ما اختاروه ، وكان هذا الطيبي من جملة من أنشأه في الدولة ، وباشر ناظر ديوانه ، وعرّف النشو جميع ما كان له ، ورتّبه النشو بعد ذلك ناظر المواريث[٥] ، فحصل للناس

---

(١) يقصد : المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٩ بجزيرة الروضة بين القصرين والقلعة، بخط بين القصرين الذي يعرف بشارع النحاسين.
المقريزي، الخطط ٢ : ٣٧٤ ـ ٣٧٥؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٤٦٣، مبارك ٢ : ٩١.

(٢) موقعها في الجهة القبلية من القاهرة.
المقريزي، الخطط ٢ : ١١٠، ١٦١.

(٣) يقع هذا الحكر ما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولوني، كان داراً أنشأها الأمير سيف الدين سلار باصطبل الجوق ثم عمله العادل كتبغا ميداناً سنة ٦٩٥، ثم عمر فيه سنجر الخازن بيتاً فعرف بحكر الخازن.
المقريزي، السلوك ٢/١ : ٥، الخطط٢ : ١٣٥ .

(٤) هو المتحدث على خزانة السلطان أو الأمير، وما بها من نقد وقماش.
LITTLE, art. «Khaznadar», EI^2; IV, P. 1219b - 1220a.

(٥) هو الذي يتحدث على ديوان المواريث الحشرية ممن يموت ولا وراث له، أو له وارث لا يستغرق ميراثه، وهو الذي يأذن بدفن الموتى من المسلمين وغيرهم.
القلقشندي ٤ : ٣٣.

ما سنذكره(١) . والمتفق عليه من الناس أنه ما هتك ستراً ، ولا أخرب بيت ، ولا فضح مستوراً ـ تغمده الله برحمته ـ .

وفيها توفي الأمير سيف الدين طغلق ، وقد تقدم ذكر الإفراج عنه
٩٩ و من سجنه(٢) ، وتوفي في // بيته بعد أسبوع من خلاصه ، وكان من
الأمراء الأجواد الكامل صفات المحابيب من جنس المغل ـ تغمده الله
برحمته ـ .

وفيها توفي الصاحب شمس الدين غربيال(٣) كان ناظر الشام ، وقد تقدم ذكر هذا الرجل ، وأصله كاتب الأمير شمس الدين قراسنقر [المنصوري] ، وانتقل بعده إلى ديوان السلطان إلى أن بلغ ما بلغ من نظر الشام ومصر ، وأطلق عليه اسم الصاحب شمس الدين بدمشق ، وباشر في أيام [القاضي] كريم الدين [الكبير] وسعى سعيه ، ومشى على نوره ومكارمه واتّجر في ساير الأصناف ، وكانت له قراضات ومعاملات وتجارة اقتنى منها مال كثير وسعادة طايلة ، وكان عبدالله بن كريم الدين يذكر أن والده أعطاه أربعين ألف دينار يتجر له فيها ، وصدقته جماعة على ذلك .

ولما اتفق توفي كريم الدين وأحضر ولده ، كما تقدم ذكره ، بالأهرام ، ورسم السلطان بعقوبته حتى يعرّف بحواصل أبوه ، كان الشمس غبريال في ذلك الوقت مباشر النظر مع الجمالي(٤) ، وأول ما حط

---

(١) راجع المقريزي ، السلوك ٢/٢ : ٤٣٥ ـ ٤٣٦ ، ٢/٣ : ٥٦٥ .

(٢) راجع : المخطوط : ٧٠ظ ـ ٧١ و .

(٣) ويرد أيضاً برسم «غبريال» وهو عبد الله بن الصنيعة المصري . شمس الدين غبريال . وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١١٦ ، حاشية رقم ٨ .

(٤) مغلطاي الجمالي ، الأمير علاء الدين ، أحد المماليك الناصرية . ترقى في الخدمة حتى ولي الوزارة . توفي في طريق العودة من الحجاز في ١٧ المحرم سنة ٧٣٢/ ٢٠ تشرين الأول ١٣٣١ ، ثم نقل إلى القاهرة ودفن بخانقاته ، وإليه تنسب المدرسة الجمالية بالقرب من درب ملوخيا بالقاهرة .

أبو الفدا ، المختصر ٤ : ١٠٤ ؛ المقريزي ٢/٣ : ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ؛

ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 148, 184.

رجـل عبدالله في المعصـار ، اعترف أن لأبـوه وداعـة عنـد الشمس غـربيـال أربعين ألف دينار . وطلب غبريال وعـرّفه مـا ذكره فـأنكر ، واتفقـوا مع ابن هلال الدولة والشمس غبريال ، واشتهوا أن يخمدوا الفتنة ، وأصلحـوا الأمر
٩٩ ظ مع // الجمالي وعرّفوه « أن هـذا الشاب ، ومـا يحمل عقـوبة ، ومتى وقعت عليـه عصاة كـذب على النـاس ، وتعبت أنت أيضاً فيـه » ، وسـدّوا النـوبـة وبطل أمرها ، ولما اتفق عـزله عمـل النشو عليـه ، وعرّف السلطان حـاله ، وأنه قد ملك الشـام ، وبقي خلفه إلى أن عـزل وطلب منه الحمـل ، وتأخـر أمره إلى حيث استكمل حمله خمسمـاية ألف درهم ، وشـرع بشتك وقـوصون يتحـدثوا مـع السلطان في أمره ، وأنـه بقي فقير ، ورجـل شيخ ، ويتصـدق السلطان عليـه أن يكون مقيم في بيتـه بـطّال ، فيقـول السلطان : « نعم » ، ويعرف النشو ما قالـوه الأمراء ، فيقـول : « يـاخـوند ، وحيـاة راسك معـه أضعاف ما وزنه ثلاث مـرار » . فيكاسـر السلطان عنه إلى أن أعيـا السلطان أمرهم وشفاعتهم ، فـرسم بالإفـراج عنه ، وأقـام في بيته إلى أن تمـادى عليه أشهـر وصار يسيّر إلى الأمراء ، ويسـأل منهم الاعانـة ، فكـانـوا يسيّـروا لـه النفقـات والمونـة ، ويذكـر ذلك للسلطان ، وقـال له بشتـك بعض الأيـام ، وقـد أخرجـوا حديث غبـريـال : « والله يـا خـونـد ، اليـوم فقـير من فقـراء المسلمـين ، ومن أيـام سيّـرت لـه خمس أرادب قمـح من شـونتي » . وسـأل السلطان في أن يـرتب له راتب ، فـأنعم لـه . واجتمـع السلطان بـالنشـو في
١٠٠ و مثل ذلك ، وأشار أن يرتب لـه راتب // فتبسم النشو وقـال : « يا خـوند ، وحيـاة راسك ، لـو سَلِمت من الأمراء لأخـرجنّ منه قـدر الـذي حمله عشـر مـرار ، وإنما هـذه كلها صنعـة الكتّاب » . وبقي ذلـك في ذهن السلطان إلى أن وجد في نفسه المرض وتوفي ، ونـزلوا في حـوطته ، فلم يجـدوا له شيء . وبعـد أيام قليلة حضـر ولده إلى مصـر ، وطلب وراثتـه من أختـه ، وجـرى بينهم أمـور قبيحة أوجبت اجتمـاع ولده بـالنشو ، وشكى أختـه أنها أخـذت مال أبوه ومنعتـه إرثه ، وكـان ذلك مـوافق للنشو وتصـديقه عنـد السلطان . ودخـل النشو وعـرّف السلطان ونزلـوا بالحـوطة ، وقصـدوا عقـوبـة البنت ،

فأخرجت له حوايج وتحف وصندوق وجدوا فيه ذهب ، وكيس فيه فصوص ولولو ، وفي وسط الكيس ورقة بخط غبريال بودايع عند أكابر دمشق وتجارها من عين ذهب وأصناف وأشياء غير واحدة ، فكانت لقية تلك الورقة من أعظم المسرات على قلب النشو ، وكتب كتاب لنايب النشو في حال الوقت يطلب أرباب الودايع وأخذها منهم ، ووصل البريد ، وفهمت الناس وقوع ذلك الطلب ، فصار كل من عنده وديعة يحضر بها لنايب الشام بعدما أمر منادي من جهته : « معاشر أهل الشام ، قد وجدت ورقة
١٠٠ ظ بخط غبريال بكل واحد وما عنده من الودايع // فليحضرها ، ومن أخفى شيء نهب ماله وشنق » . فهرعت الناس ، وأحضرت ساير ما كان مودوع عندهم ، وجماعة كثيرة أحضرت شيء من الودياع مثل نحاس كفت وفضيات وما يناسب ذلك من كل فن حسن ، وأملاك طلق ووقف اشتملت تركته على ألف ألف درهم[1] ، واستمر من الوقف شيء قليل .

وتسلّط بعد ذلك النشو على السلطان بسبب أنه لا يقول له شيء إلا وهو صحيح ، وتسلّط السلطان بكلامه على الأمراء ويقول : « لم كنتم تقولوا غربيال اليوم رجل فقير وشحات ، وأنتم تكذّبوا النشو في جميع ما يقوله ، وقصدكم أن لا تدعوا أحد يخدمني وينصحني » . ولم يجسر أحد من الأمراء أن يجاوبه بشيء ، وكان هذا الرجل قد سار سير كريم الدين في المكارم والمعروف والصدقات ، وأثر آثار حسنة ، وعمر جامع بدمشق ومسجد ، وأشياء مما يناسب المعروف ، ورأى في عمره سعادة عظيمة . وتوفي ـ تغمد الله برحمته ـ .

وأيضاً وصل مملوك نائب حلب وأخبر بوفاة الأمير حسام الدين مهنا ابن عيسى ملك العرب . توفي في أواخر عشر ذي القعدة[2] . ولما مرض

(١) كذا في الصفدي ، أعيان ٣ : ٣٤و ـ ٤٧ظ ؛ وفي المقريزي ٢/٢ : ٣٨٨ «ألف درهم» وهو أمر غير معقول .

(٢) هناك اختلاف في تاريخ وفاته ، فقد ذكره بعض المؤرخين في وفيات ٧٣٤ والبعض الاخر في وفيات ٧٣٥ .

مـرض الموت ، وكـانَ مرضـه بالبـطن ، فاستقـل أيـام ، ثم تنكس ، وتـوفي الظهر ، وقعد إلى بكرة ثـاني يوم إلى أن حضـر ولده مـوسى من حماه ، ودفن
١٠١ و بتـربته بتـل العدا قـريب // من سلمية وكـان هذا الـرجل مشهـورٍ بـالـدين والعفة[1] . وكان عفيف عن أموال الرعية كثير العـدل في أحكامـه ، وطاعتـه سـاير العـرب وجميع مـا كان يلبسـه ما يسـوى قيمتـه خمسـين درهم . وكـان السلطان إذا غضب عليه يؤمّر أخـوه فضل مكانه، ويحـرِّض لفضل عـلى طرد مهنا من البلاد ، وكان الأمر بينـه وبين أخيـه في الباطن مسـالمة ، وكـان يكره إنعـام السلطان عليه ، ويـرّد هدايـاه ، ويقول لـه : « يا ابن قـلاون ، والله لقد أفسدت العرب على التـرك ، وأخرقت حـرمتهم ، وأفسدت حتى النسـاء في بيـوتهم » . ويعاتبـه إذا أخذ ضيعـة من أمير وأعـطاه لأحد وُلْـدِه ، ومـرار سـيّر إليـه يقــول : « يـا سلطان ، والله ، مـا دمت أعيش لا رأيتني أطـأ بساطك إلا إن قـدّر الله تعالى بشيء في سـابق علمه ، فخـلّي مال المسلمـين ينفعـك عند الحـاجة ، وكـل ما يقـولوا أولادي لـك كـذب منهم ، ويعـدوك بمواعيد غير صحيحة »[2] .

وبلّغني من حضـره ، وقد أحضـروا له الخيـل ، وكان يـزن في الفرس إذا عـرف نسبته العشـرة آلاف والعشـرين ألف ، وكـان أكـثر قُـوْتـه من لبن
١٠١ ظ نـاقـة لـه قـدام بيتـه ، وقليـل من قـرص ملة يفت فيـه ويـأكـل . // وإذا اشتهت نفسه الزفر يركب من خيله من يعلم جودتها ، ويـأخذ بيـده حربـة ، ويركب معه من أولاده ، وإذا وجـد الصيد إفتـرد بنفسه لـه وقتله وأحضره ، وأكـل من لحمه . ولم يعـرف لـه مكـارم كـما تقـدم للعـرب من مكـارمهـا ، وعاش عمراً طويلاً قريب الثمانين سنة ، وقيل أزيد ، ومـات عن ستة عشـر

= انظر: الجزري: ٣٨٧؛ ابن خلدون ٥/٤: ٩٤١ ـ ٩٤٢؛ ابن فضل الله ٢٧: ٢٠٧ظ؛ ابن حبيب، تـذكـرة ٢: ٢٦٤، درة ٢: ٢٤٣ظ ـ ٢٤٤و؛ المقـريـزي ٢/٢: ٣٨٩؛ ابن قـاضي شهبه، نسخة البودليان: ٢٦٤و.

(١) راجع ما ورد في المخطوط: ٤٩ ـ ٥٧ ظ.

(٢) راجع المخطوط: ٤٩ظ وما بعدها.

ولـد ، كان أكبـر ولده مـوسى ، وولد مـوسى محمد وولـد محمد زيـد ولزيـد ولده رآه مهنا حتى يقـال في المثل : « يـا جدي ، قم كلّم جـدك » ، ووردت سـاير العـرب ونسوانها في عـزائه ، وملّوا دسـوت دبس ، وبقيت المرأة تلطخ وجههـا بالـدبس ، ثم بالـرماد[1] ، وكـانت له ولايم عـظيمـة كـل أحـد من أولاده يعمـل مايـة منسف ومايـنين وثلثمايـة منسف كل أحـد على مقـدرته ، وحضرتها ساير العرب بأسرها متفـاوتين مـدة أيام كثيـرة ، ولا احتفلوا بأمـره من قـراءة ختم ولا مـواعيـد ولا وعّـاظ كـما يفعـل في المـدن ـ تغمـده الله برحمته ـ . وتـوفي مبطون شهيـد ، وعاينـه كاتبـه مسطر هـذا المجلد المبارك .

وكـان السلطان والأمـراء ، لما حضـر إلى مصـر وأكـرمـه السلطان ، اختـار
١٠٢ و الأمـراء أن يعلم نفس السلطان أمره ، فقـال لـه قـوصـون // وبشتـك « يـا خـوند ، قـد تمّت لك السعـادة بحضور هـذا الرجـل إليـك تحت الـطاعـة ، وكـان لك زمـان تعمل عـلى حضوره ، وقـد أمكن السلطان أمره » . قـال : « والله كـان في نفسي منـه شيء ، لـو بـذلت ملكي كله لمن يـأتي بـه إلى طـاعتي ، فلما بلغني أنه يـريد يحضـر ما صـدّقت إلى أن رأيته ، وسـألتـه عن سبب حضـوره بعدما فعل ما فعل ، قال لي : ما أتيتـك بأمـري ، وإني رأيت النبي ﷺ وأمـرني بـطاعتـك ، وكـان ضـامن لسـلامتي ، أتيتـك ، وفي جملة قـولـه : إنّ النبي ﷺ قـال لـه : مـا بقى من عمـرك إلا القليـل » ، فقـد صـدقت رؤ يـاه ، والحـديث عنـه ﷺ : « شيـطان لا يتمثـل بي ، ومن رآني فقـد رآني حقاً » . ومـات موتـة ربه لا سُم ولا غيـره ، ومن نقـل غـير ذلـك ليس بصحيـح ـ وكان حـاضر مـوته ولـده حمـام ومعـالـج مهنـا في مـرضـه ، وكـاتب هذا المجلد المبـارك ـ . وبعـد هـذا لم يجعـل الله في قلبي بعـد هـذا حسرة من الدنيا ، فإني كنت أخشى أن أمـوت ويبقى قراسنقـر[2] فيشمت ،

---

(١) وذلك تعبيراً عن الحزن الشديد.

(٢) يقصد الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصوري الذي اختلف مع السلطان الناصر محمد وخرج إلى التتار سنة ٧١١/ ١٣١١ ـ ١٣١٢، وقد حقد عليه السلطان.

انظر: ابن الدواداري ٩: ٢١٨ ـ ٢٤٢، ٢٦٨ وما بعدها.

والثانية كنت أتمنى قبل موتي [أن] يدخل مهنا تحت طاعتي ويطأ بساطي ، والثالثة لا يحكم في ملك غيري ، ولا يعترض عليّ فيما أفعله ، وقد بلغت
١٠٢ ظ كل ما[1] كان [في] نفسي وتولّني الله له // ولا بقي في قلبي شيء أريده » .

وفاء النيل في هذه السنة

كان النيل فيها ثمان عشر ذراع وأحد عشر إصبع[2] ، وروى ساير الأقاليم .

ذكر دخول سنة ست وثلاثين وسبعماية وحوادثها

[في المحرم][3] وصل مملوك نايب حلب وصحبته مملوك مجد الدين السلامي وقاصد صاحب ماردين[4] ، وأخبر أن السلطان أبو سعيد قد وجد في نفسه ألم منعه من الركوب والحركة ، وأنه تصدّق بصدقات كثيرة على الفقراء والصعاليك والزوايا، وكتب إلى بغداد وتوريز والموصل بإبطال مكوس كثيرة عن الناس . واتفق أنه أسلم [سديد الدولة][5] ديّان[6] اليهود في بغداد ، وكان له صورة في أهل ملّته ، وسبب إسلامه أنه مرّ في طريقه على مسجد وفيه مقرىء يقرأ قوله تعالى : ﴿يأيها الناس اتقوا ربّكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ [7] ، فوقف لتوقيفه وكرر على خاطره ذلك

(١) الأصل: كلما.

(٢) كذا في المقريزي و ZETTERSTÉEN، وفي ابن تغري بردي (النجوم ٩ :٣٠٨) «ثماني عشرة ذراعاً وإحدى وعشرون إصبعاً».

(٣) ما بين المعقفين من المقريزي ٢/٢ : ٣٨٩.

(٤) كانت قلعة مشهورة من ديار ربيعة، وهي اليوم مدينة من البلاد التركية.

MINORSKY, art. «Mardîn», EI, III, P. 273b - 277a.

(٥) ما بين المعقفين من المصدر السابق: ٣٩٠.

(٦) هو القائم على أمور الدين بين طائفته.

انظر: القلقشندي ٥: ٤٧٤.

(٧) سورة النساء، الآية الأولى.

القول ، وبكى بكاء شديداً ، ونظرته الناس فوقفوا ينظروا إليه ثم نطق بالشهادة ، وأعلن بكلمة الإسلام ، وانقلبت[1] بغداد ذلك اليوم وغلقت ساير دكاكينها ، وهرعت إليه حتى النساء من البيوت ، وقيل أنه أسلمت معه ذلك اليوم ستة نفر من أكابر اليهود ، وهجمت أهل بغداد على كنايسهم أخربوها ، ونهبوا ما فيها . وأخبر أن مرض أبو سعيد مرض
خطر // ، ولما بلغ السلطان ذلك ضاق صدره ، وكتب الجواب للسلامي ١٠٣ و
أنه إن اتفق لأبو سعيد موت يسرع بخبره إليه .

وفيها كان فروغ الخانقاه[2] الذي أنشأها الأمير سيف الدين قوصون ، وكان قد شاور السلطان في عمل خانقاه بجوار جامع[3] له كان أنشأه ، فرسم له بذلك ، فاستهم في عمارتها ، وجاءت من أحسن ما يكون ، وصنع فيها كل ما يحتاج إليه ، وعمل بجوارها حمام ، وأتقن عمارتها ، وكان قد سار إلى مصر الشيخ شمس الدين الأصفهاني[4] ، وكان رجل له علوم كثيرة وأجلها في العلوم العقلية ، وكان له شهرة كثيرة في العلم . ولما قرب فروغها أشار عليه الشيخ مجد الدين والشيخ قوام الدين أن يكون مثل هذا الرجل في مثل هذه الخانقاه ، فطلبه إليها ، ورتّب فيها [ما] يحتاج إليه ، واتفق أمره مع المشايخ[5] .

---

(١) كذا؛ وفي المقريزي : «وارتجت».

(٢) فتحت يوم الخميس في ٢ صفر من السنة، وهي خارج باب القرافة.
الجزري : ٤٥٠؛ المقريزي، السلوك ٢/٢ : ٣٩٠، الخطط : ٤٢٥؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان : ٢٦٤ظ؛ .ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 190-191

(٣) تَمَّ الفراغ منه في رمضان سنة ٧٣٠/ حزيران ـ تموز ١٣٣٠ .
أبو الفدا، المختصر ٤ : ١٠١؛ الذهبي، ذيول: ١٦٤ .

(٤) محمود بن عبد الرحمن بن أحمد الأصفهاني، الشيخ شمس الدين. ولد بأصفهان في ١٧ شعبان ٦٧٤/٥ شباط ١٢٧٦ (وقيل سنة ٦٩٤). كان إماماً بارعاً في العقليات والأصلين. توفي بالقاهرة في ذي القعدة سنة ٧٤٩/ كانون الثاني ـ شباط ١٣٤٩ .
الذهبي، ذيول: ٢٧١؛ الأسنوي: ١٧٢ ـ ١٧٤؛ ابن حبيب، تذكرة ٢ : ١٥٠؛ المقريزي ٢/٣ : ٧٩٧؛ النعيمي ١ : ٢٧٢ .

(٥) انظر: العيني ٢٩١١/١٧ : ١٠١و.

وفيهـا رسم بخـروج بغـا الـدوادار[١] إلى صفـد ، والسبب الموجب لـذلك أن بعض تجار قيسارية جركس يعرف بابن الـرجـاني ، كـان تـزوج ببعض جـوار[ي] الأمير سيف الـدين قـوصـون ومن بنت السلطان أيضـاً . واتفق أن النشو طرح عليهم ثياب شرب[٢] وقمـاش اسكندراني بقيمـة المثل ثـلاثة[٣] ، وتكـرر ذلك ، وشكـا أمره لجـارية السلطان وجـارية قـوصـون ،
١٠٣ ظ وتكلم كـل منهم إلى أن وصـل إلى // السلطان فنهـر من تـكلم في ذلـك الأمـر ، وجارية قوصـون تكلمت معه ، قـال : « خلّيه يكتب قصـة ويشكو فيهـا أمره » . ولمـا كتب القصة عـلى ما ذكـره أرسل قـوصـون لبغـا الـدوادار [أن] يأخذ القصة يوصلها للسلطان إذا وقف صاحبهـا له ، وكـان السلطان قد ركب لسَرْيـاقُوس[٤] ، فـوقف له في الـطريق ، ورأى السلطان بزّة رفيعـة وحلية تاجـر ، وقف وطلبه إليـه وأخذ قصتـه ، وسألـه عن شكواه ، وقـرئت قصتـه عليه ، وعلم أن ذلـك الرجـل الذي ذكـروه لـه النسـاء . ولمـا جلس طلبـه وطلب النشـو ، وكـان الخبـر قـد وصـل إلى النشـو بحضـور الـرجـل ووصـولـه لقـوصـون ، ولمـا حضـر النشـو قـدام السلطان رآه واقـف ، وقـال السلطان لـه بحرج : « قـول كم يشتكوا النـاس منـك . إسمـع إيش يقـول هـذا عنك ، أنـك ترمي عليـه القماش بـالغالي ، وتـريد تكسـر النـاس » . فالتفت بسرعة ، وقال : « يا خونـد ، هذا مـا يشتكي من أمر القماش، وإنما هذا للسلطان عليه ثلاثين ألف دينار ، وهو هـارب مني ، وأنا أطلبـه ما يقـع

---

(١) بغا الدوادار الناصري ، الأمير سيف الدين. عزله السلطان عن الدوادارية وأخـرجه إلى صفـد منفياً في ٦ ربيع الأول ٢٣/٧٣٦ تشرين الثاني ١٣٣٥ ، وتوفي بها في ٢٩ المحرم سنة ٧/٧٣٧ أيلول ١٣٣٦ .

المقريزي ٢/٢ : ٤٢٦ ؛ ابن حجر١ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 191.

(٢) ثياب شرب : ثياب مصبوغة وملونة .

ابن منظور ١ : ٤٩١ .

(٣) كذا ؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٣٩٠) : «بضعفي قيمتها» .

(٤) جاء في معجم البلدان (٣ : ٢١٨) : «سرياقوس ، بليدة من نواحي القاهرة بمصر» ، انـظر أيضاً : AMÉLINEAU, La géographie, P. 468-469

لي » ، قال السلطان « من جهة إيش لك معه ؟ » قال : « يا خوند ، هذا الرجل تزوّج واحدة جارية من جوار[ي] الشهيد أخوك الملك الأشرف [خليل] ، وكان معها جهاز يساوي مايـة ألف دينار من فصوص ولولو
١٠٤ و وجوهر وزركش[1] ، وماتت // فأخذ كل شيء لها ، ولم يظهر السلطان على شيء » . والتفت [النشو] للرجل وقال له : « بحياة راس السلطان ما كنت مزوّج فلانة ؟ » . قال له : « نعم » . فلم يسمع السلطان بعد ذلك له كلمة إلا أن قال : « سلّم هذا لابن صابر[2] يستخرج مالي منه » . فأخرجوه من قدام السلطان ، وسُلّم لابن صابر المقدم ، وأشهروه في المدينة ، وصاروا يدخلونه قيسارية جركس[3] ويقتلوه بالمقارع ، والناس تبكي عليه وتتوجع له ، ويتصدقوا عليه إلى أن أخذ منه نحو خمسين ألف درهم ، وضرب بالمقارع الضرب المؤلم . وسعى [النشو] بعدها على بغا[4] الدويدار ، وأوحى للسلطان عنه أموراً منكيّة ، وأنه يأخذ البرطيل ، ويوافق على أمور كثيرة تختص بالدولة ، واختلق له أمور أفسد حاله بها إلى أن رسم بخروجه من مصر إلى صفد .

واتفق في تلك المدة أن وقع بينه وبين طُقْتَمر الخازن[5] كلام أوجبت الوحشة بينهم ، فعرّف السلطان أن طقتمر الخازن يتعرض لأشياء كثيرة من مال الخزانة ، وأنه يريد [أن] يسرقها ، وأنه يمنعه [من] ذلك ، وعرّف السلطان في ضمن ذلك أنه رجل متهم في دينه ، وأنه يميل إلى دين النصرانية ، وينزل كل وقت إلى الكنايس خفية ، ورسم بسفره إلى قلعة

(١) لفظ فارسي مركب من زَرْ (ذهب) وكش (ذو)، وهو الحرير المنسوج بالذهب (وأحياناً بالفضة) .

أدي شير، الألفاظ الفارسية : ٧٨؛ العنيسي، الألفاظ الدخيلة : ٣٢ .

(٢) راجع ترجمته في الصفحة ١٨٩ ، حاشية رقم ٤ .

(٣) راجع ما ورد في الصفحة ١٣٤ ، حاشية رقم ٣ .

(٤) سبقت ترجمته في الصفحة السابقة، الحاشية الأولى .

(٥) طقتمر الخازن، الأمير سيف الدين. توفي بحلب في ١٧ رمضان سنة ١٧/٧٤٠ آذار ١٣٤٠ .

ابن الوردي ٢ : ٤٦٥ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٩٤ ؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 208.

حلب [نائباً بها][1] .

فيها حضر كتـاب نايب الشـام يشكو من نـايب صفد[2] ، ويحط عليـه
١٠٤ظ بأمور منكرة ، والسبب لذلـك // أن هؤلاء الأميرين ، كـما تقدم ذكـرهما ، أخـرجهم السلطان إلى دمشق ، وأوصـاهم أن يجتمـع رأيهم ، وحصـل بينهم مـا قـدمنـاه إلى أن خـرج السلطان عـلى أرقـطاي وأخـرجـه من دمشق إلى حمص ، وأقام نايباً بها سنتين ونصف ، ونقله إلى نيابـة صفد ، وعنـد دخولـه دمشق صلح الأمـر بينه وبـين نايب الشـام ، وبقي نـايب صفـد يسـيّر أولاده إلى نـايب الشام يقيمـون عنده الشهـر والشهرين ، ويتصيـدوا مـع أولاده إلى أن تـوفي ولد نـايب الشام ، واتفق خـروج أولاد أرقطاي من دمشق من غـير دستـور نايب الشـام ، فصعب عليه ، وقـال في نفسه : « مـا خرجـوا هؤلاء من عندي بعد موت ولدي إلا بطلب أبوهم ، وأنهم فـرحوا لمـوت ولدي » ، ويحل في نفسه ذلـك ، وأنهم نكروه ، وسـوّلت له نفسـه أمر ركيب منـه هوى نفسه ، وشرع يحط على نايب صفد ، وسيّر لمبـاشرين ديـوان صفد ومشـدّه ، وكان [علاء الدين][3] ابن رنقش [التركمـاني][4] ، يعرّفـه أنه لا يتصـرف في شيء إلا أن يشـاور نـايب الشـام ، وإذا قـال لـه نـايب صفـد شيء لا يقبله ، وعلم ذلـك الـرجـل نفس نـايب الشـام ، فصـار ينكث عـلى نـايب صفد ، ولا يقضي له أمـر ولا مرسـوم . وعلم نايب صفـد ذلك ، فعلم أن نـايب الشام قـد رجع إلى سـوء أخـلاقـه ، فكـان يكـاسـر ويمـوّه بـأمـور //

(١) وذلك في ٢٩ رجب من السنة/ ١٣ آذار ١٣٣٦ .
المقريزي، ٢/٢: ٣٩١ .

(٢) الحاج أرقطاي الجمدار، الأمير سيف الـدين. نائب صفـد وطرابلس وحلب. أصله من مماليك المنصور قلاوون، ثم انتقـل إلى الأشرف خليـل، ومن ثم إلى الناصـر محمد، حيث تـرقى في مناصب عدة. توفي بظاهره حلب في ٥ جمادى الأولى سنة ٧٥٠/٢٢ تموز ١٣٤٩ .
الصفـدي، الوافي ٨: ٣٦١ - ٣٦٣؛ المقـريزي ٢/٣: ٨١٢ - ٨١٣؛ ابن حجـر، الدرر ١: ٣٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٠: ٢٢٤ - ٢٤٥؛ WIET, Les biographies, fol. 188b.

(٣) و (٤) ما بين الحاصرتين أضيف بعد مراجعة الورقة ٢٢ظ من المخطوط .

١٠٥ وكثيرة ، وكان نايب الشام قد عمل في صفد مرستان للمرضى ، وأولى أمره لأستدار نايب صفد ، فسيّر طلبه في ذلك الوقت وطلب المباشرين معه ورسم عليهم ، ونكل بهم ، وبلغ من أمره إلى أن علم أن شخص يعرف قرمشى ، كان أبوه حاجب يدخل لأرقطاي ويأنس به ويخلو معه ، فسير إليه طلبه على أنه يفسد حاله إذا حضر . فلما رآه قصد أن يقربه ليأخذ ما في نفسه ، ويتكلم في أرقطاي بما يعجبه ، ولما يريد الله تعالى لسلامة الرجل لأمور قدّرها الله تعالى في سابق قدمه ، بما سنذكره من أمره ، حسن حاله عنده وقرّبه ، وصار ابن رنقش يحط على نايب صفد ، ويكتب بساير ما يتفق له من الأمور إلى أن خرج نايب الشام ، وسيّر كتباً له بالشكوى منه ، والسلطان يقصد رباط خاطره ، ويصبّره إلى أن ضجر منه .

واتفق أن لنايب صفد أخوّة بينه وبين أيتمش(١) ، وكان أيتمش قد أصابه مرض اعتراه الفالج ، فبقي يدخل الخدمة ويخرج وهو متكرّه لما به من المرض ، وكنت أنا وهو نتحدث في أمر مرضه ، وأنه يستحي عند عبوره الخدمة ، واستشارني فيما بيني وبينه ، وقال : « يا فلان ، هذا أستاذنا ، أعرف خلقه ، إذا مرض عنده مملوك يشتهي موته ، وإذا حصل
١٠٥ ظ له حياة يبقى ينظره // نظرة المكره ، وفي نفسي أن أستعفي من الخدمة لما ظهر عليّ من المرض وأرمي خبزي وإمرتي ، وأكون مقيم بالقدس ، وأنا فما يمكنه أن يخرجني إلى الشام أبداً ، فإن أخي أرقطاي نايب صفد ، ولا يمكنه أن يجمعنا في مكان واحد » . فقلت : « يا خوند ، أنت اليوم أمير ماية فارس ، والماية الذي عندك عند كل منهم عشر نفر يأكلوا الخبز ، وربما إذا فعلت هذا من نفسك يكون قد قطعت رزقهم وتكون السبب فيه ، وربما

---

(١) أيتمش (أوتاش) المحمدي ، الأمير سيف الدين . ولي صفد عوضاً عن شقيقه الحاج أرقطاي في ٨ شعبان سنة ٧٣٦/ ٢٢ آذار ١٣٣٦ ، وتوفي بها بعد أن أقام فيها نحو نصف سنة .
ابن شاكر ، عيون التواريخ : ١٧ ؛ ابن قاضي شهبه ، نسخة البودليان : ٢٦٧ظ ؛ ابن حجر ١ : ٤٢٣ - ٤٢٤ ؛ WIET, Les biographies, fol. 278b.

يحصـل منهم كسر خـاطر ، وإذا فعـل السلطان شيء تكـون أنت بـريء من أمـرهم » . فرجـع إليّ وسكت ، ولم تبطء المدة أكـثر من ستة عشـر يـوم إلى أن حضر كتاب نايب الشام بسبب أرقطاي ، يفهم السلطان أنه مـا بقى يمشي لنـايب صفد مـع نايب الشـام أمـر إلا بعـزلـه ، وقـدر الله تعـالى في خـاطـر السلطان طلب أيتمش ، وأخلع عليـه ، وعرّفـه أنه لم يخـرجه من مصـر كـره فيه ، «وإنما أنـك اعتراك هـذا الضعف ، وبقيت خدمتـك تصعب عليّ إذا رأيتك ، فتكون مكـان أخوك في صفـد[1] ، وأخوك يحضـر على إقـطاعك في مصـر» ، وأخلع عليـه ، وكتب لنـايب الشـام بعـزل أرقـطاي ، حسب مـا أراد ، وكتب بحضـور أرقـطاي إلى مصـر طيّب القلب منشـرح الصـدر ، ١٠٦ و وعـرّفه في كتـابه أن أخـوه يحضر نـايب مكانـه ، // وأنه يحضـر على إقـطاع أخـوه في مصر . وشـرع كل منهم في تجهيـز أمره ، وركب أرقـطاي من صفد إلى أن حضر إلى مصر[2] ودخل للسلطان ، فأقبل عليه وأكرمه .

ذكر القبض[3] على ابن هلال الدولة ثاني دفعة وابن المحسني وسفرهم اسكندرية .

كـان السبب لذلـك أن المدينـة توقف حـالها من أمـور الفلوس وتحسّن سعـر الغلة ، وبقيت الناس لا تجـد الخبز إلا بمشقـة عظيمـة ، فوجـد النشـو لـذلـك فـرصـة ، وكـان لما أفـرج عن ابن هـلال الـدولـة واتفق لـه سكن القـرافة ، ثم دخـل المدينـة ، وأقام في دار بيـدرا[4] ، وكان [نـاصـر الـدين

(١) و (٢) رسم لأيتمش بنيابة صفد يوم الجمعة ١٠ جمادى الآخرة، ثم أخلع عليه وسافر إليها يوم الاثنين ١٢ رجب (وقيل ١٥ رجب) من السنة. وكـان أرقطاي قـد وصل إلى قلعـة الجبل يوم الأحد ٢٦ جمادى الآخرة، وأنعم عليه بإقطاع أيتمش وتقدمته.

الجزري : ٤٥٣ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٣٩١ ؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P 191

(٣) كان ذلك في ١٣ رجب من السنة/ ٢٦ شباط ١٣٣٦ (وقيل في ١٢ منه).

المقريزي ٢/٢ : ٣٩١ ؛ ZETTERSTÉEN, Beiträge, P. 191

(٤) بيـدرا، الأمير بـدر الدين، كـان عـلى رأس الأمراء الـذين قتلوا السلطان الأشـرف خليل ابن قـلاوون، وقد حـاول أن يتسلطن ولقب بالملك القـاهر. مـات مقتولاً في المحـرم سنة ٦٩٣/ كانون الأول ١٢٩٣ .

محمد](1) ابن المحسني مقيمٌ بطّال في البندقانيين(2) ، (ورسم بطرد أبوه وأخوته إلى طرابلس بطالين)(3) ، فعرّف النشو السلطان أن سبب هذا التوقف من اتفاق ابن هلال الدولة وابن المحسني ، وأن الاثنين سكنهم قريب من بعضهم البعض ، وأنهم يجتمعوا في الليل ويتفقوا على المناحس(4) ، ويسيّر يطلبوا من العامة ويثقوا به ، ويعرّفهم يغلقوا الدكاكين ، ويتعنتوا على الناس في أخذ الفلوس ، وأن ابن المحسني عنده ناس من الحرامية ربما يزرّقهم على النشو ، ويقفوا له في أماكن يقصدوا قتله . وآخر ما قاله : « إن هؤلاء الاثنين متى أقاموا في المدينة فسد أحوال كثيرة ، وذكر السلطان بما فعله ابن المحسني أخو ناصر الدين من قبل
١٠٦ ظ مكين(5) الترجمان باسكندرية ، وأن هؤلاء قوم // مناحيس إلى أن أصبح السلطان قبض على الاثنين وسفّرهم اسكندرية .

وفيها وصل أدّي(6) صاحب المدينة وشكا ابن أخوه طفيل(7) ، وشكا طفيل من أدّي ، وسأل أن يكون بمفرده أمير بالمدينة ، فلم يوافقه السلطان على ذلك . فسأل أن يكون له إقطاع ، فأُخرج له إقطاع ببلاد حوران ،

= أبو الفدا، المختصر ٤ : ١٣٠؛ المقريزي ١/٣ : ٧٩٢ .

(1) ما أضيف بعد مراجعة المقريزي وZETTERSTÉEN

(2) خط البندقانيين بالقاهرة، يسلك إليه من سوق الزّجاجين وسويقة الصاحب وسوق الابزاريين وغيره، وكان في هذا الخط سوق مزدهر تلاشى أمره بعد سنة ٨٠٦/ ١٤٠٣ - ١٤٠٤ .
المقريزي، الخطط ٢ : ١٠٤ - ١٠٥ .

(3) ما بين القوسين ساقط من المتن، ومستدرك على الهامش بالقلم نفسه .

(4) في العيني (٢٩١١/١٧ : ١٠٠و): «المنحسة» .

(5) الأصل: مكان .

(6) أدّي (ويقال ودّي) بن جماز بن منصور الحسيني، من آل بيت أمراء المدينة . كان على خلاف دائم مع ابن أخيه طفيل، منافسه في الامرة . فكان السلطان الناصر محمد يؤازر هذا حيناً وذاك أحياناً، ؛ ثم استمر أدي منفرداً في إمرة المدينة سنة ٧٣٦ حتى ٧٥٠/ ١٣٣٥ - ١٣٤٩، حيث عزل ثم قبض عليه وسجن سنة ٧٥٢/ ١٣٥١ ، فمات بالسجن .
ابن حجر ١ : ٣٤٦ - ٣٤٧؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٠ : ٢٥٠ .

(7) وردت ترجمته في الصفحة ١٦٠ ، حاشية رقم ٣ .

وأن يكون مقيم بها ، ولا يرجع إلى المدينة ، وأخلع على أدّي ، واستقل بمفرده في مدينة النبي ﷺ(1) .

ورسم [السلطان] أن يؤمّر ولده إبراهيم(2) ، ونزل قوصون ، وبشتك إلى المدرسة(3) وعملوا له مهم كبير ، وزيّنوا له بالشمع .

[وفي] تلك الأيام ورد خبر بتوفي أبو سعيد(4) ملك الشرق ، واختلف الأمر بعده أياماً، إلى أن اتفقوا أكابر المغل على تولية شخص من عظم القان،إلى أن سيّروا إلى القان الكبير ويعرّفوه أمره ، وأن يكون الملك مسلوك النظام إلى حيث يرد خبر بما يعتمدوا عليه ، واتفقوا مع الخواتين أيضاً ، وطلبوا الرجل ، وكان يعرف بأربا كاؤون(5) ، فملك بعد أبو سعيد وطاعته الأمراء ، وسيروا طَمْغَاوات(6) إلى بغداد وساير الممالك من

---

(1) نقل العيني هذه الرواية عن اليوسفي ٢٩١١/١٧ : ٩١و.

(2) وذلك في تاسع رمضان من السنة/ ٢١ نيسان ١٣٣٦ .

المقريزي، السلوك ٢/٢ : ٣٩٢ ؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 191

(3) المدرسة المنصورية، وهي بخط بين القصرين بالقاهرة داخل باب المارستان الكبير المنصوري، أنشأها المنصور قلاوون الألفي، ورتب فيها دروساً للمذاهب الأربعة وغير ذلك.

المصدران نفساهما، والخطط٢ : ٣٧٩ - ٣٨٠ .

(4) توفي في ربيع الآخر، وستر ترجمته في وفيات هذه السنة.

(5) أربا كاؤون (Arpa Gâûn) بن سوزا بن سانج من سلالة جنكزخان. ولي بعد وفاة أبي سعيد، لفترة وجيزة، وقتل في شوال سنة ٧٣٦/ أيار - حزيران ١٣٣٦ .

المخطوط: ١١٢ظ - ١١٤ظ؛ ابن حبيب، درة ٢ : ٢٤٧ظ؛ ابن حجر ١ : ٣٤٨؛

ZETTERSTÉEN, Op. Cit. , P. 192.

ZAMBAUR, **Manuel**, P. 245; SPULER, art. «Īlkhāns», EI², III, P. 1148b - 1151b; D'OHSSON, **Histoire des Mongols**, IV, P. 720 et suiv.

(6) مفردها طَمْغَا (دمغة - تمغا) وهي الختم، والمقصود هنا البراءة التي تصدر عن السلطان بالعفو والأمان. DOZY, Suppl., I, P. 461.

مملكتهم ، وكتبوا لعلي باشا[1]، ولأولاد سُوتاي[2] ، ولنايب الروم[3] ، وضرب الدراهم والدنانير[4] .

وفيها حضر التاج كاتب الفتّاح[5] ، وتوصل للسلطان بقصة كتبها في
١٠٧ و حق محيي الدين [ابن فضل الله] كاتب السر وولده // شهاب الدين [أحمد] ، والسبب في ذلك أنه كان كاتب للانشاء بغزة ، وكانت كتبه تحضر إلى مصر بصيغة كتاب القبط ، فإنه كان كاتب في الدولة المظفرية ، وقبلها عند الأمير بدر الدين بكتوت الفتاح [الذي] كان من أكابر الأمراء البرجية ، وحظي هذا الكاتب عنده حظوة بالغة ، ورأى في أيامه سعادة طايلة وأوقات سلفت له مما ينال الكتّاب . ولما اتفق القبض على مخدومه أقام مدة بطّال ، وسعى في كتابة السر بغزة . وبقي إلى أن حضر محيي الدين ووقع إفصاله منها ، وكتبوا توقيع لبعض من اعتنوا به بالوظيفة . ولما حضر كتب قصة ، وذكر أنهم أفصلوه بغير مرسوم السلطان عناية بصاحبهم ،

---

(١) مات في النصف الأول من المحرم ٧٣٧/ آب ١٣٣٦ .
ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 192-193; D'OHSSON, Op. Cit., I, P. 721, 724 - 725.
راجع أخباره مفصلة في المخطوط: ١١٢ظ ـ ١١٤ظ.

(٢) سُوتاي، الأمير سيف الدين، صاحب ديار بكر. توفي ببلاد الموصل سنة ٧٣٢/ ١٣٣١ - ١٣٣٢ ، وقيل أنه قد تجاوز المائة.
الصفدي، نكت الهميان: ١٦١ - ١٦٢؛ ابن حبيب، تذكرة ٢ : ٢٣٤؛ ابن حجر ٢ : ١٧٨ - ١٧٩؛ العيني ٢٩١١/١٧ : ٦٩ظ - ٧٠؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٢٩٦.

(٣) أُرَتنا، الحاكم ببلاد الروم من قبل القان بو سعيد. توفي في المحرم سنة ٧٥٣/ شباط ـ آذار ١٣٥٢ .
الصفدي، الوافي ٨: ٣٣٧ - ٣٣٨؛ المقريزي ٢/٣: ٨٨٥؛ ابن حجر ١ : ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٤) أثبت العيني هذه الرواية نقلاً عن اليوسفي.
العيني ٢٩١١/١٧ : ٩٨ظ - ٩٩ظ.

(٥) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٣٩٢) : «الأمير بكتوت التاج»، ولعل ما ورد في المخطوط هو الصحيح. والفتاح هو الأمير بدر الدين بكتوت الفتاح. كان أحد مماليك المنصور قلاوون، ثم اختص بالمظفر بيبرس الجاشنكير لما تسلطن. توفي سنة ٧١٠/ ١٣١١ - ١٣١٢.
المخطوط: ١٠٦ظ - ١٠٧و؛ ابن حجر ١ : ٤٩٠.

فطلبه السلطان وتكلم معه ، وأحضر كاتب السر وولده، فعرّفوا السلطان ان الأمر بمرسوم شريف ، وأحضروا القصة والمرسوم ، وزاد كلام كثير في حقهم ، وكره السلطان منه ذلك فأخرجه من قدامه ، وبعد قيامهم ذكر السلطان إلى الأمراء : « إن هذا الأمر تمّموا عليّ فيه ، وهؤلاء يكتبوا قصص ، ويأخذوا خطي ويكتبوا مراسيم بما يختارونه » . وبلغ النشو ولولو ذلك، فتسلط عليهم أيام ، فصار يكلمهم كلام منكي لهم .

وفيها ابتكر النشو مظلمة لم يسبق إليها ، فإنه طلب أهل الصّاغة
١٠٧ ظ وأهل دار // الضرب ، وعرّفهم أن السلطان رسم [أن] لا يبيع أحد شيء من الذهب إلا [بعد] أن يدخل به دار الضرب ويسبكه ، ويخرج به هِرْجة ويباع بالقيمة(١) ، وصار كل من احتاج إلى بيع شيء يدخل به دار الضرب ويسبكه ، ويغرم الحق عليه ، ومشى أحوال دار الضرب في دولبتها، وحصل منها شيء كثير . ثم من وجد له ذهب في دار الضرب ، وكان لتاجر أو لعامي أخذه النشو ويكتب له ورقة تعويض ، فحصّل ذهب كثير ، وطلع به للسلطان ، وتوقف حال الذهب ثم انحل أمره، وبقي لا يجسر أحد أن يبيع شيء في الصاغة ، ولا يعمل ذهب ، وأوصى أن لا يسبك لأحد ذهب إلا بدار الضرب ، وتوقف أحوال الصيارف أيام ، ثم مشى أمرهم على ما اختاره النشو .

وبعد أيام طلبه السلطان، وقال : « يا نشو ، هات لي عشرة الاف دينار » ، فشرع يعتذر له فحرج عليه ونهره ، وقال : « والك ، بالأمس وأنت تقول : يا خوند ، السلطان يطلب مني وبسّ ، والساعة تعتذر؟ » . فخرج [النشو] على الفور ، وطلب أمين الحكم وقال : « اكتب لي أوراق بالأموال الذي تحت يدك للأيتام ، واقرضني منها عشرة آلاف دينار» ، فعرّفه

---

(١) عبارة المقريزي (٢/٢ : ٣٩٣) : «ويضرب دنانير هرجة ثم يصرف بالدراهم». والهرجة هي دنانير تستعمل خاصة في صناعة الحلي، كالأساور والعقود وغيرها، بان يصاغ في أطرافها حلقات صغيرة، أو يجعل في جوانبها ثقوب.

DE SACY, Traité des monnaies musulmanes..., P. 40, n. 3.

١٠٨ و أن ما تمّ شيء حاصل لهذا القدر غير حاصل في المودع // أربعماية ألف درهم وهي لأيتام الدويداري والمتحدث فيها بهاء الدين شاهد الجمالي(١) ، وهي تحت ختمه ، فطلب بهاء الدين ، وعرّفه أن يقرضه المبلغ ، فشرع ينتفي من أمرها ، فحرج عليه ، وقصد أن يخرق به ، وكان الرجل وشواش في نفسه ، وعلم أنها توجد غضب ، فسأله أن يعوض عنها خشب فكتب له مرسوم بذلك التعويض(٢) ، فلم يحفظ حق الثلث ، وسيّر إلى القاضي تقي الدين الأخنائي المالكي(٣)، وكان وصي الأمير سيف الدين أرغون(٤) النايب، وللأيتام تحت يده ستة آلاف دينار ، فسيّر له رسالة عن السلطان أن يحمل ما عنده للخزانة ، فأبى ذلك وسيّر يعرّفه : « أن السلطان ما يحل له أن يأخذ مال الأيتام » . فرد عليه الجواب : « إن السلطان ما يطلب إلا ماله الذي سرقه أخوك(٥) من خزانة الخاص(٦) حيث

(١) كذا في ابن تغري بردي؛ وفي المقريزي «الجمال». ولم نقع على ترجمته، ولهذا الرجل ولد يدعى تاج الدين محمد شغل مناصب عدة كإفتاء دار العدل ونظر الجيش ونظر المارستان، توفي في أول شعبان سنة ١٨/٧٧٢ شباط ١٣٧١.
المقريزي ٣/١ : ١٩٣.

(٢) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٢٩٣): «فأخذها منه وعوضه عنها بضائع».

(٣) محمد بن أبي بكر بن عيسى، قاضي القضاة، تقي الدين المالكي المتوفى سنة ٧٥٠. وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٢٢٣، الحاشية الأولى.

(٤) أرغون بن عبد الله الناصري، الأمير سيف الدين نائب السلطنة بالديار المصرية ثم نائب حلب. توفي بحلب ليلة السبت في ١٨ ربيع الأول سنة ٧٣١/ ٣٠ كانون أول ١٣٣٠، ودفن بسوق الخيل تحت القلعة.
أبو الفدا، المختصر ٤: ١٠٢؛ ابن الدواداري ٩: ٣٥٨؛ ابن الوردي ٢: ٤١٩؛ الذهبي، ذيول: ١٦٧؛ الصفدي، الوافي ٨: ٣٥٨ ـ ٣٦٠؛ إبن حبيب، تذكرة ٢: ٢١١ ـ ٢١٢؛ المقريزي ٢/٢: ٣٣٩؛ ابن حجر ١: ٣٥١ ـ ٣٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٢٨٨ ـ ٢٨٩؛ WIET, Les biographies, fol. 181b

(٥) ويدعى محمد أيضاً، قاضي القضاة علم الدين الشافعي. توفي بدمشق في ١٣ ذي القعدة سنة ١٦/٧٣٢ آب ١٣٣٢، وله من العمر ٦٨ سنة.
أبو الفدا، المختصر ٤: ١٠٦ ـ ١٠٧؛ الذهبي، ذيول: ١٧٥؛ الصفدي، الوافي ٢: ٢٦٩، السبكي ٦: ٤٥؛ ابن حبيب، تذكرة٢: ٢٢٠.

(٦) وظيفة أحدثها السلطان الناصر محمد بن قلاوون حين أبطل الوزارة، وموضوعها التحدث فيما =

كان ناظرها ، فإن الحساب يشهد عليه بما سرقه من الخزانة » .

ودخل عرَّف السلطان صورة الطلب والجواب وأفهمه المقصود ، فسيّر السلطان من عنده للقاضي رسالة قبيحة : « إنك تحمل المال الذي سرقه أخوك من خزانتي ، وأنت إيش كنت من مال مملوكي »[1] . ولما وصلت الرسالة إليه ، لم يردّ جواب عنها، غير أنه حمل الستة آلاف دينار وسلّمها للنشو .

١٠٨ ظ وفي تلك الأيام جدد // العقوبة على موسى بن التاج وعلى زوجته ، فطلب بعض أهله يُعرف بولي الدولة ، فضربوه بالمقارع إلى أن مات ، وسلّم إلى الافرنج ، وقصد النشو عقوبة زوجته وموتها ، فلم يوافقه الأكوز على عقوبتها ، فإنه تقدم أنها لما وضعت الولد والمعصار يعصرها ، رحموها الجوار[ي] الذي للأكوز[2] وكانوا ينظروا إليها من علو المكان وهي تعاقب ، فتوجعوا لها وعرّفوه سببهم [والتمسوا] زوجة الأكوز بأمرها ، وسألوه الرفق بها ، وسيروا لها شيء تلف الصبي فيه ، وافتقدوها بالشراب وسخرها الله تعالى ، فكان كلما تحدث النشو مع الأكوز يعرّفه أنه يعاقبها ، ويقول : « ما بقى فيها محمل لعقوبة » .

ذكر ما اتفق في هذه السنة من الغلاء بمصر[3]

وكان في هذه السنة والنصف منها تحسنت الغلة ، وتنقل

= هو خاص بمال السلطان، وصاحبها هو بمثابة الوزير يتصرف في تدبير جملة الأمور بعد إذن السلطان.

انظر: القلقشندي ١١: ٣١٦-٣١٩.

(١) كذا؛ وعبارة المقريزي كالآتي: «أنت إيش كنت من مملوكي؟».

(٢) الأصل: لا لاكوز

(٣) أثبت العيني هذه الرواية نقلاً عن اليوسفي.

العيني ٢٩١١/١٧: ١٠١و-١٠٢و.

[القمح][1] من خمسة عشر [درهماً الاردب][2] إلى عشرين، وتمادت إلى ثلاثين . وتوقفت أحوال الناس ، وقلّت المعايش ، وهو كل يوم في سعر جديد ، إلى أن وصل إلى أربعين درهم الاردب ، وتوقفت شون الأمراء ، ومسكت أيديهم الدواوين في البيع من الشون . وبلغ السلطان ذلك فخشي عاقبته ، وعند وصوله إلى خمسين الاردب ، خرج وطلب نجم الدين ابن
١٠٩ و السعرتي[3] المحتسب[4] ، ونهره ، وكذلك محتسب مصر // وطلب الوالي[5] الخبازين ، وكان ابن المرواني رجل جاهل ظالم ، أشهر بجماعة من الخبازين والطحانين ، وقتل ناس كثير بالمقارع ، وبقيت الناس في شدة من أمره ، وغلقت المدينتين مصر والقاهرة ، وصارت الناس لا يجدوا الخبز

---

(١) و (٢) ما أضيف بعد مراجعة المقريزي ٢/٢ : ٣٩٤ . انظر: ابن اياس ١/١ : ٤٧١ - ٤٧٢ ؛ ASHTOR, **Histoire des prix**, P. 285 (tableau des prix du froment) et l'évolution des prix dans le Proche - Orient, **JESHO**, IV, P. 15-46.

(٣) محمد بن حسين بن علي السعرتي (السعردي)، نجم الدين محتسب القاهرة ووكيل بيت المال. توفي في ١٥ شعبان سنة ١٩/٧٣٧ آذار ١٣٣٧ . (ابن رافع، الوفيات ١ : ١٥٠ - ١٥١ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٧). والسعرتي أو الإسعردي نسبة إلى «إسعرت» أو «سعرت» ويقال «إسعرد» و «سعرد» و «إسغرد»، مدينة قريبة من نهر دجلة في جهته الشمالية الشرقية، على مسيرة يوم ونصف من ميافارقين. وهي اليوم إحدى المدن التركية.
أبو الفدا، تقويم: ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٤) هو من وجوه العدول وأعيانهم، يتحدث على أرباب المعايش والصنائع، ومهمته مراقبة الأسواق والموازين والمكاييل، ويده مطلقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة الحسبة، ولا يحال بينه وبين مصلحة أرادها، ويقيم النواب عنه بالقاهرة والفسطاط وجميع الأعمال كنواب للحكم.
القلقشندي ٣ : ٤٨٣ ، ١١ : ٢٠٩ ؛ **DOZY, Suppl.**, I, P. 285.
وعن شرائط الحسبة وصفات المحتسب انظر: الشيزري، نهاية الرتبة ١ : ٦ - ١٠ ؛ ابن الأخوة، معالم القربة: ٥١ - ٦٠ ؛ ماجد: نظم ١ : ١١٤ - ١٣٠ ؛ مدكور، معالم الدولة الاسلامية: ٣٦٧ - ٣٧٠ ؛ الباز العريني، الحسبة والمحتسبون في مصر، المجلة التاريخية المصرية، م٣، عدد٢، ص ١٥٧ - ١٦٩ .

(٥) المقصود والي القاهرة الأمير علاء الدين علي بن حسن بن المرواني المتوفى سنة ٧٤٠، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٢٥٤، حاشية ٢ .

إلا بشدة عظيمة[1] . وبلغ الحال إلى أن رسم أن يكتب لنايب غزة والكرك والشوبك وغير ذلك ولنايب الشام بحمل ساير الغلال الذي في بلادهم حاصله ، ولا يدع في ساير البلاد غلة حتى تحمل على الجمال إلى مصر ، وطلب والي مصر ووالي القاهرة ، ورسم أن ينادوا من جهة السلطان ، وأنه لا يبيع أحد القمح بغير ثلاثين درهم ، وأي من باع بزايد درهم واحد نهب ماله وروحه . ورسم للأمراء أن يعرّفوا مباشريهم أنه لا يبيعُ بزايد عما رسم به السلطان ، ونادوا في المدينتين ذلك النداء وأشهروه بمصر حول الشون ، فمسكت أيديهم في البيع ، وبقيوا يفتحوا الشون صورة ، ويجلس الديوان وأستادار على بابها ، ولا يبيعوا شيء ، ورأيت ذلك إلا كثر يصعب ، فكانت الناس تأتي إلى السماسرة وتشتري منهم الاردب بستين
١٠٩ ظ وسبعين درهم خفية فيما بينهم // ويأتي السمسار يعرف أستدار والديوان ، فيوافقوا على ذلك ، ويصرفوا القمح باسم الجرايات[2] وغيرها باسم مخدومهم ، ويأخذ الرجل غلته ، ويروح .

وتسامعت الناس بذلك فهان عليهم أن يجدوا شيء يشتروه ، ولا يبقوا بلا خبز ، واتفق رأي السلطان مع الأمراء أن أصل ما يبنى عليه من أمر الغلة والدخيل في أمرها من جهة مصر ، فإنها جميعها شون الأمراء والمراكب ترد إليها من ساير أعمال الصعيد ، ويريد لها محتسب ناهض ، ووالي ناهض، وشكروا من ضياء الدين[3]، ناظر المرستان والأوقاف، الذي

---

(١) يشير الجزري (ص ٤٥٦) إلى أن الخبز كان كل أربعة أرطال ونصف بدرهم، ثم هبط السعر، بعد الاجراءات التي اتخذها السلطان، فبيع الخبز في أول رمضان من السنة كل عشرة أرطال بدرهم.
راجع: المخطوط: ١١١ظ - ١٢٢و.

(٢) مفردها جراية، والجراية: الجاري من الوظائف (ابن منظور ١٤ : ١٤٢)، والمقصود هنا ما يطلق من الأقوات لأرباب الرتب والخدم وغير ذلك.
انظر: المقريزي، الخطط ١ : ٤٦٤ - ٤٦٥.

(٣) يوسف بن أبي بكر بن محمد، المعروف بضياء الدين بن خطيب بيت الآبار الشامي. ولي نظر الحسبة ونظر الدولة ونظر المارستان والأوقاف وغير ذلك. توفي في ذي الحجة سنة ٧٦١/=

تقدم ذكره عند حضور القاضي جلال الدين [القزويني] وتوليته القضاء بمصر ، وكان قد ظهرت له في مباشراته النهض والكفاية والأمانة ، فطلبه إلى بين يديه وقرّبه ، وعرّفه أن يتولى حسبة مصر ، وينهض في أمر الغلة ، ويُحضر الأمراء وشونهم ، ولا يمكن أحداً من بيع غلة بغير ثلاثين درهم الاردب ، وأوصاه وصايا كثيرة . وعلم الرجل أن هذه الولاية خطرة ، فشرع يتنصّل منها ، وأنه رجل غريب من غير هذا البلاد ، فكان جواب السلطان له : « أنت غريب وأنا غريب ، ويوسف الصدّيق غريب » //

١١٠ و واتفق مع السلطان على أمور يفعلها ويمشي بها الحال بحيث أن يكون السلطان لا يوجد أحداً من الأمراء رخصة ، وأخلع عليه[1] ، ونزل إلى مصر ، وكان له نهار عظيم ، وأوقد له مصر فرحاً به ، وأصبح عرّف السلطان أشياء أوجبت نزول الأمير سيف الدين الأكوز صحبته إلى مصر ؛ ورسم له السلطان أن يختم على ساير شون الأمراء بأسرها ، وينظر كل أمير وحاصله ، ويرفق أمره بأمر الضياء ، فينزل إلى مصر . وكانت له حرمة طائلة وكلمة نافذة ، وصار يأتي إلى كل شونة ، فإن وجد فيها أحداً من المباشرين استعلم ما في شونته وكتبه عنده ، ثم يسأل عن مونة الأمير وعليقه ، وما يحتاج إليه إلى أيام المُغلّ ، فيكتبه قدامه ، ويعلم كم بقي ، ثم يختم بعد ذلك على الشونة .

وسيّر[2] طلب ساير السماسرة والأمناء والتراسين ، وكتب عليهم إشهاد أنه لا تفتح شونة إلا أن يأذن لهم المحتسب . واستقر الحال على ذلك ، وعرّفوا السلطان فاستحسنه ، وصار المحتسب يركب كل يوم ويحضر إلى شونة بعد شونة ، ويخرج منها على قدر ما فيها ، ويكفي يومه من أهل

تشرين الأول ـ تشرين الثاني ١٣٦٠ .

المقريزي ، السلوك ٣/١ : ٥٧ .

(١) وذلك في « ثالث جمادى الآخرة » كما جاء في المقريزي ٢/٢ : ٣٩٤ .

(٢) الأصل : وساير.

الطواحين بمصر[١] ، ولم يجسر أحد أن يقبض درهم زايد عن الثلاثين
١١٠ ظ درهم // الذي رسم به السلطان ، إلا إن كان خفية ، وضاقت مباشرين الأمراء إلى أن جسر سمسار قوصون وبشتك ، وقصدوا أن يختلسوا البيع ، فإن المحتسب رتّب معهم أن يقولوا : « شونة الأمير الفلاني هي ، ومن يختار يفتح »، ويستأذنوا المحتسب ، فيسيّر الأمين ويرسم له أن يباع مايه إردب أو خمسين على قدر ما يعرف حاصلها ، فيوزع منها ، وبلغ المحتسب أن سمسار هذا الأميرين باع بزايد عما رتّبه له ، فعرّف الأكوز بأمره ، فنزل إلى مصر وأحضر السمسار وضربه بالمقارع وجرّسه ، فحضر أستاداره ، وجرى بينه وبين الأكوز مفاوضة ، واتصل الحال ، وطلع الأكوز باكر النهار عرّف السلطان ما وقع من سمسار قوصون ومن أمره، حرج السلطان [و] لم يسمع بقية الكلام، إلى أن طلب قوصون إليه والأمراء قد دخلوا الخدمة، وصاح في وجهه : « والك ، أنت تريد تخرّب عليّ مصر ، وتخالف مرسومي ، وسبّه ولعنه ، وما لحق أن يجاوبه حتى ضربه بالنمشة[٢] على رأسه وأكتافه ، وصاح في الحجاب : « هاتوا أستادار » ، إلى أن خرج أمير
١١١ و مسعود بنفسه إلى باب القلة[٣] وأخوه // إلى باب القلعة[٤]،وانقلبت القلعة بأسرها وبقية الأمراء جالسين لا فيهم من ينطق بكلمة ، فإنهم لم يروا يوم أصعب منه إلى أن حضر قطلى أستادار قُطْلُوبُغا الفخري[٥] ، وساعة وصوله قال : « والك ، تتجاهى بأستاذك على السلطان » . وصاح في

(١) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢: ٣٩٥): «ويخرج ما فيها، فيبدأ بتكفية الطحانين».

(٢) ويرسم أيضاً «نمجاه ونمجا ونمجه، ونمشا» وهو معرب اللفظ الفارسي «يمنجه»، وهو خنجر مقوس شبه السيف القصير.

ZETTERSTÉEN , Op. Cit., P. 50; DOZY, Suppl., II, P. 724.

(٣) و (٤) من أبواب قلعة الجبل.

(٥) كذا؛ وفي المقريزي: «قطلو أستدار قوصون». وما ورد في المقريزي ينسجم والسياق. والأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد الله الفخري، كان من مماليك السلطان الناصر محمد. مات مقتولاً بالكرك سنة ٧٤٣/ ١٣٤٢ - ١٤٤٣، وقيل سنة ٧٤٢ كما قيل سنة ٧٤٤.

ابن الوردي ٢: ٤٧٥؛ الشجاعي ١: ٢٤٩ - ٢٥٠؛ المقريزي ٢/٣: ٦٣٨؛ ابن حجر ٣: ٢٥٠ - ٢٥٢؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٠: ١٠٣؛ ابن اياس ١/١: ٤٩٥.

الأكـوز : « خذه عـرّيه ، واقتله بـالمقارع ، وهـاتـه إليَّ عـريـان » ، فـأخـذه الأكـوز وخـرج ، ومـا لحق أن يصـل إلى بيتـه ، استـدرك السلطان أمــره ، وعلم أن الأكـوز ساعـة يصل إلى بيتـه يخرق السهم في قـطلو ، فرسم بـطلبه فردوه ، ورسم ببطحـه وضربـه نحو ثـلاثين عصـاة ، ورأوا الأمراء من ذلـك أمراً صعباً ، ولم يجسر أحد بعدها أن يتصرف في شونة إلا بأمر المحتسب .

وبلغ المحتسب أن الأمـير سيف الدين طَشْتَمـر السـاقي[١] أخـرج من شونته أربع ماية إردب في الليل ، فسيّر إلى ديوانه ينكر عليـه ويقول : « متى لم ترجع الغلة إلى الشـونة ، وإلا عـرّفت السلطان أمرهـا » ، فعرّفـوا طشتمر ذلك ، فأسرع بردها إلى الشونة .

ثم رُسم أن يُكتب إلى ساير ولاة الأقـاليم أن يركبـوا بأنفسهم إلى كـل بلد أو ضيعة من عمل إقليمـه ، ويحمل سـاير مـا فيها ، ولا يـدع [غلة][٢] مـطمورة ولا مخزناً ولا من يبلغـه أن عنـده غلّة إلا تُحمـل إلى المـدينـة ، //
١١١ ظ ويحضـر صاحبهـا يتسلم الثمن عن كل إردب ثـلاثـين درهم نقـرة . وكسبت النـاس في هذه السنـة من المتجر شيء كثـير ، فإن أكـثر الناس كـان يأتي إلى الشونة ويشتـري منها بثـلاثين [درهمـاً الاردب][٣] ، ويحمله إلى بيته ويبيعـه بستـين وسبعين لكـل من يحتاج إليـه . ثم نودي في المـدينتين إلى من كـان في حاصله غلـة ولم يبعها نهبت .

وكان كثير من الجند عنده الغلة خزين ، وبقيوا يبيعـوا منها بـالويبـة[٤]

---

(١) طشتمر بن عبد الله الساقي الناصري، الأمير سيف الدين، المعروف بحمص أخضر لأنه كان يحب أكله . ولي نيابة صفد سنة ٧٣٦/ ١٣٣٦ ، ثم قرّره السلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد في نيابة السلطنة بالديار المصرية مات مقتولاً بالكرك سنة ٧٤٣/ ١٣٤٢ - ١٣٤٣ .
المصـادر المذكـور في الصفحة السـابقة، حـاشية رقم ٥، مـع الاشارة إلى أن تـرجمته في المقريزي وردت في الصفحة ٦٣٧، وفي ابن حجر ٢ : ٢١٩ - ٢٢٠، وفي ابن تغري بردي ما بين ١٠١ - ١٠٢.

(٢) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزي ٢/٢ : ٣٩٦.

(٣) ما بين الحاصرتين اقتضاه السياق.

(٤) مكيال مصري، كان يعادل في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) ١٦ قدحاً صغيراً أي ١١,٦ كلغ. أو ١٥ ليتراً.
هنتس، المكاييل: ٨٠.

وبـالاردب ، فمنهم من تهاون وحسن في نفسـه ، فلم يكتم أمره ونمّت عليـه جيـرانه ، فكـان منهم من يهجم عليه السـوقة والحـرافيش[1] وينهبـه ، ومنهم من يحضـر الـوالي إلى بيتـه ويهجم ،ويخرج الغلة يفـرقهـا عـلى الـطواحــين ، وعملوا لطواحين مصر والقاهرة معدل تطلع لكل منهم كفـايته ، واستقـام أمر النـاس بذلـك الحال ، ورتّبـوا في كل فـرن شاهـد يحضر لما يحمـل إليـه من الـطاحـون المـرتّب لهـا . وكـان النـاس في أمـر مـريـح من قبـل الخبـازين والطحانـين ، فاهتـدوا واستكن الحال . وكـان بدوّ الغـلاء من نصف جمادى الآخر .

وفي أواخـر رجب حضرت الغـلال من جهـة الشـام نحـو أربـع آلاف غرارة[2] محمولـة من الكرك والشـوبك . وفي أواخـر شعبان حضـرت الغلال
١١٢ و من وجه الصعيد ، وتواردت على الجمـال والشخاتـير // الطافيـة في البحر ، ثم من وجـه بحـري الغـربيـة والشـرقيـة والبحيـرة ، وخشيت أهـل البـلاد والتجار ، فباعت غلالها في الأقاليم ، وهان الأمـر على النـاس ، وبقي الحال إلى مستهـل شهر رمضـان ، كان الـزرع قـد حصـدوه وعجّلوا في أمـره بـدق العصي وحملوه بـدري ، ووافق ذلـك أيضـاً زيـادة البحـر في تلك الأيـام ، وأوسقوا المراكب الصغار ، وكان العبـور بالمـراكب من جهة الصعيـد وزفوهـا إلى مصر ، وشاع خبرها ، وكان الخبز ستـة أرطال بـدرهم ، فأصبـح ثمانيـة

---

(١) مفرده حرفوش، والمقصود هنا فرقة المغاوير في الجيش المملوكي.
EL-BEHEIRY, *Les institutions de l'Egypte aux temps des Ayyûbides*, P. 156-159, et art. «Ḥarfūsh», EI², III, P. 211, b - 212a.

قارن بما ورد في: **DOZY (Suppl., I, P. 273).**

(٢) مكيال دمشقي للحنطة يتـألف من ١٢ كيلاً أو ٧٢ مـداً، والغرارة الـواحدة + مـد ونصف مد كـانت تساوي ٣ أرادب مصـرية تقـريباً، والاردب يسـاوي ٦٩,٦ كلغ، فيكون وزن الغرارة حوالي ٢٠٤,٥ كلغ أو حوالي ٢٦٥ ليتراً بوصفها مكيالاً.
القلقشندي ٤: ١٨١؛ هنتس، المكاييل: ٦٤؛
GAUDEFROY - DEMOMBYNES, *La Syrie*, P. 137.

بدرهم(١) ، وانفرجت عن النّاس في أواخر رمضان حتى مُلِيء ساحل مصر من الغلال ، واعتبر الوارد في مصر ذلك اليوم ، فكان ألف ومايتي إردب ، وحسن حال مصر بخلاف القاهرة ، إلى أن كانوا يطلعوا بالخبز من مصر على الطبالى ويشهروه فيها . وكذلك يحضر أهل المدينة ، وتأخذ من طواحين مصر وتعدّي إلى الجزيرة والروضة ،وتحضر منها بالقمح والدقيق من الطواحين . وبقي كلما جاء السعر تنحط الغلة ، ولطف الله تعالى بالناس بعدما عشمت نفوسهم من أمر الغلاء في الدولة العادلية(٢) ، فكان لطف من الله ونعمة .

ذكر ما اتفق في الشرق بعد موت أبو سعيد(٣)

١١٢ ظ وقد تقدم ذكر توفيته وتولية أربا كاؤون // مكانه ، وجلس على التخت بموافقة الأمراء الأكابر له على ذلك ، وأنهم كتبوا طمغاوات إلى ساير ممالكهم ونوابهم بالدخول تحت الطاعة والموافقة ، وكانوا أولاد سُوتاي على حالهم مكان أبيهم بديار بكر(٤) وأعمالها ، فأذعنوا بالطاعة ، وكان مقيم نايب ببغداد علي باشا ، وكان قد كبر قدره عند أبو سعيد ، وراسل صاحب مصر الملك الناصر ، وصار بينهم صداقة ، حتى أنه سيّر يسأل السلطان أن يلبس الكلوتات هو وأصحابه ، وكان كثيراً مما يميل إلى أحكام

---

(١) كذا في العيني (٢٩١١/١٧ : ١٠٢و) الذي صرح أخذه عن اليوسفي مشيراً إلى ذلك بعبارة «قال صاحب النزهة». قارن بالجزري : ٤٥٦ .

(٢) المقصود دولة السلطان الملك العادل كتبغا.
انظر: المقريزي ٢/٢ : ٣٩٦.

(٣) راجع : لين بول، طبقات سلاطين الاسلام: ٢٠٠ ـ ٢٠١ ؛ فهمي : تاريخ الدولة المغولية في إيران : ٢٣٢ وما بعدها.

(٤) بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قاسط من ذرية عدنان، تشتمل على مدن وقرى عديدة بين الشام والعراق، قصبتها الموصل وحرّان وبها دجلة والفرات.
ياقوت ٢ : ٤٩٤ ؛ ابن جبير، رحلة: ٢٣٥ ؛ القزويني: ٢٤٦ ـ ٢٤٧ ؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: ١٤٠ .

الاسلام وقيام الشرايع ويجتمع بالعلماء ، وكان يضمر الحج إلى بيت الله الحرام ، وكان أصله من جنس الاوراتيه ، وله بيت كبير في المغل ، وربما كان بينه وبين أبو سعيد صلة وقرابة من النساء .

ولما توفي ابو سعيد وكتب له[1] من [جهة] أربا كاؤ ون ، لم يوافق على توليته في الباطن ، وعمل بعد ذلك على أنه يفترد بجهة بغداد والموصل وديار بكر وما حولها ، وسيّر لأولاد سُوتاي يذكر لهم الموافقة والحلف على أربا كاؤ ون ، فلم يوافقوه، فجمع عليهم جمع كثير، وشرع في اجتماع المغل عليه ، وعلم أنه لن ينال قصده من أولاد سُوتاي إلا أن يكون السلطان
١١٣ و الملك الناصر سنداً له وظهره ومعتمده ، فكتب للسلطان // يعرّفه أمره ، وأنه يقصد أولاد سُوتاي ويملك مكانهم ، وإذا كان السلطان ظهره يملّكه البلاد ويسلّم إليه بغداد ، ويكون هو نايب عنه ، وأشياء كثيرة من ذلك ، وأن يجرد له عسكر يكون مقيم على الفرات ، فإن أمكنه الدخول لمساعدته ، وإلا ربما يتفق عليه أمر، فيكون العسكر قريب منه يقصده ، وسيّر صحبة أحد ألزامه واجتمع بالسلطان ، وسمع مشافاته وقُرىء كتابه ، ففرح لذلك فرح عظيم ، وعلم أنه إذا اتفق لعلي باشا هذا الاتفاق يكون سبب خراب الشرق واختلاف أمره ، فكتب الجواب إليه بالموافقة ، وأوصاه أن يكون حازم أمره ، وأن ينفق المال ولا يبخل حتى يجتمع إليه الناس ويُرغب إليه ، وعرّفه أنه قَبِلَ إشارته ، وأجاب سؤاله في تجريد عسكر يقيم قريب من الفرات ، فإن كان يحتاج إليه يسيّر يطلبه ، وإن كان يحتاج إليه فيكون وَهْم في نفوس أعدائه ، ويعلموا أن الملك الناصر صاحب ظهره ، وسيّر صحبته خمس قَرَاقِل[2] وخمس سيوف .

وعند وصول رسول علي باشا إليه، وعرّفه الذي اتفق للسلطان عليه

---

(١) الضمير يعود لعلي باشا.

(٢) مفرده قَرْقَل، وهو ثوب للنساء بغير كُمّين.
ابن منظور ١١ : ٥٥٥ .

من موافقته قَوِيَ ظهره وعـزمه ، وبلغ ذلـك للأمـراء الذي اجتمعـوا عليه ، فقويَ جأشهم ، وشاع أمرهم بذلك ، فبلغ المقصـود وركب بعض أمراه //
١١٣ ظ| إلى نـواحي بغداد يستجلب المغـل وينفق فيهم ، وحضرت القصـاد من جهة ابن سُـوتاي[١] ، وأخبـروا بما اتفق ومـا بلغهم من أمر صـاحب مصر ، وقـد جـرّد له عسكـراً وربما يـدخل ويعـدّي الفرات ، ويكـون من خلفهم إعـانـة عليهم ، فطلب أخوتـه وعرّفهم الحـال ، واتفق أمرهم أنهم يـركبوا إلى جهـة الشيخ حسن[٢] ، وكان هـذا الرجـل قد حكم الأردو، وصـار له صـورة كبيرة فيه وأطاعتـه الأمراء ، واجتمـع عليه أولاد دمـرداش ، وبعد أيـام ركب علي باشا من بغداد قاصـداً أولاد سُوتـاي ، وسبقت القصاد ، وأخبـروهم بذلـك فركبوا مـع جماعتهم ، واجتمعـوا مع الشيـخ حسن ، وعرّفـوه الصورة الـذي اتفقت لعـلي بـاشـا من مـوافقـة الملك النـاصر لـه ، وأنـه يجرد لـه عسكـر لنصـرته ، فـاقتضى رأيه أن كتب للسلطان كتـاب يعـرّفـه : «أننـا بلغنـا أن السلطان يساعد علينا لعلي باشا ، وإن نحن كنـا أحق بهذه المسـاعدة ، فـإن عـلي باشـا غريب منـك ونحن من عصبتـك ومن أهـل بيت وقـربتي منك» ، وعرّفه نسبتـه إلى أم السلطان[٣] ، وذكر لـه أشياء من أمـرها ، «وإن نحن من

---

(١) طغاي بن سُوتاي المغلي. ولي ديار بكر بعد وفات أبيه سنة ٧٣٢/ ١٣٣٢، حارب علي بـاشا وقتله. مات يوم عاشوراء سنة ٧٤٤/ ٤ حزيران ١٣٤٣، وقيل ٧٤٣.
الشجاعي ١ : ٢٦٧؛ المقريزي ٢/٣: ٦٦٠؛ ابن حجر ٢ : ٢٢٠ - ٢٢١.

(٢) الشيخ حسن بن حسين بن أقْبُغا الجلائري المعروف بـالشيخ حسن الكبير، من أقارب القـان أبي سعيد (ابن عمته)، عينه هذا الأخير نائباً له بعد مقتل جـوبان وأولاده، وهـو الذي أسس الدولة الجـلائريـة بفارس بعـد وفاة أبي سعيـد سنة ٧٣٦. قتـل ببغداد سنـة ٧٥٧/ ١٣٧٣ - ١٣٧٤.

(٣) ابن حبيب، تـذكـرة ٢ : ٣١٧؛ ابن خلدون ٥/٥: ١١٦٧ - ١١٦٩؛ العيـني ٢٦: ١١٥ - ١١٦، لين بول، طبقات سلاطين الاسلام: ٢٢٧ - ٢٢٩؛
SPULER, art. «Īlkhāns», EI², III, P. 1148b - 1151b.

هي خـوند أشْلُون Ašlūn ابنـة الأمير شكتـاي المغـلي الـذي وفـد إلى الـديـار المصريـة سنـة ٦٧٥/١٢٧٧ أيام الظاهر بيبرس، وقد تزوجها المنصور قلاوون يوم عرفة سنة ٦٨١/١٢٨٢.
ابن شداد، تاريخ: ١٥٣؛ المقريزي ١/٣: ٧٠٩؛
QUATREMÈRE, Op. Cit, II, 1, P. 54. LANE - POOLE, Op. Cit., P. 238.

١١٤ و وجهتك ، وأرخص الأمر أنه إذا لم تكن // لنا فلا تكن علينا » . وسيّر الكتاب مع من يعلم خفته في السفر ، فوصل إلى السلطان في اثنا عشر يوم من توريز ، واجتمع به وعرّفه المشافاة ، فأكرم رسوله واعتذر له بكلام حسن ، وكان السلطان عنده العلم أن علي باشا في هذا القرب يقصد أولاد سُوتاي ، وقصد أن يؤخر أمر الجواب، حتى لعل يحضر قاصد يخبره بالصحيح من أمرهم .

وفي تلك الأيام[1] وصل جوبان مملوك نايب الشام وصحبته قاصد من الشرق ، وأخبر أن علي باشا حصل بينه وبين أربا كاؤ ون وقعة[2] ، وهرب أربا كاؤ ون وانتصر علي باشا ، وكان السبب لذلك أن علي باشا ، كما قدمناه ، أن ركب لملتقى أولاد سوتاي . ولما حصل توسطه الطريق، حضر من الأردو من عرّفه أن الشيخ حسن هو وأولاد سوتاي قد أخذوا أمر أربا كاؤ ون ، وعرفوا أنك قاصدهم ، وسيّر صحبته من الأمراء يعينوهم ، فاتفق مع أمراه وجماعة أن يقصدوا أربا كاؤ ون عسكره قد تخلخل ، وقتل
١١٤ ظ منه جماعة ، وهربت جماعة ، فوقف // بمن بقي معه ساعة ، ورأى العمل عليه ، فانهزم مع من كان قد بقي معه ، وركبوا خلفه ، وقتلوا من أصحابه جماعة ، وفاتهم أمره بالهروب ، وربما ذكروا أنه قتل . ولما وصل الخبر للشيخ حسن وأولاد سوتاي انكسرت همتهم ، وعلموا أن علي باشا نال قصده والحساب الذي حسبوه أنخرم عليهم ، ووصلهم الخبر أن علي باشا قد انضمت إليه جماعة من المغل ، وأنه قاصدهم . واتفق رأيهم على الدخول إلى نحو [بلاد] الروم[3] ، وينتظروا وقت غير هذا ، وفارقهم

---

(١) يشير الجزري (ص ٤٦١) إلى أن وصول هذا الرسول إلى الديار المصرية كان يوم الأربعاء ٢٤ رمضان من السنة/٦ أيار ١٣٣٦ . قارن بالمقريزي وZETTERSTÉEN

(٢) حصلت المعركة في منتصف رمضان سنة ٧٣٦/٢٧ نيسان ١٣٣٦ .
الجزري : ٤٦١ ؛ D'OHSSON, Histoire, P. 722.

(٣) عرّفها القلقشندي بقوله : «ما بيد المسلمين مما في شرقي الخليج القسطنطيني فيما بينه وبين أرمينية» ، وتعرف أيضاً ببلاد الدربندات (آسيا الصغرى) .
القلقشندي ٥ : ٣٣٨ - ٣٣٩ .

القاصد الذي أخبر السلطان بخبرهم ، وأن كل منهم [خرج] إلى جهة .

ذكر سلطنة موسى[١] بن طنجق بالشرق

وكان السبب لتملكه أن علي باشا لما اتفق له مع أربا كاؤ ون ما ذكرناه ، وافترد هو بحكم الأردو، والقاعدة عندهم أنه لا يمكن أن يجلس على تخت الملك إلا من يكون من عظم القان ، وخشي عاقبة ما فعله أن يفترد بالحكم ، وأخبروا أن ثَمّ من هو من عظم القان ، وعرّفه أيضاً ، وكان هذا الرجل ابن بيدو ابن طرغية ابن هولاكو ، فطلبوا الأمراء وأجلسوه على تخت الملك ، وأشاروا إليه ، وبقي علي باشا مدبر أمر الأردو وحاكمه ، فعرّف موسى أن يجهز رسل للسلطان الملك الناصر صاحب
١١٥ و مصر ، ويعرّفه جلوسه على التخت ويأخذ إشارته // فجهزهم .

وفيها[٢] نقم السلطان على الأمير سيف الدين الأكوز وضربه ، ورسم بحبسه ، وكان السبب لذلك ما قدمنا ذكره من الغلاء والإحتراس على حفظ الغلة من الشون[٣] . ولما نزل الأكوز ، وضرب السمسار بالمقارع ، وجرسه وتكلم مع أستاداره كلام أوجب الغيظ بينهم ، بلغ ذلك قوصون فصعب عليه . ولما كان باكر النهار دخل الأكوز الخدمة تلقاه قوصون، فأخذ يسبّه ويشتمه ، وقصد إهانته وكان نفس الأكوز أيضاً قد كبرت وتعاظم ، وصار قوصون كلما قال كلام يرد عليه رد فاحش، إلى أن قال له : « والك يا قواد » . قال له : « أنت القواد » . وأخبرني[٤] أمير مسعود الحاجب أنه

---

(١) في ZAMBAUR ورد كما يلي: «موسى بن علي بن بيدو بن طرغاي بن هولاكو»، خلف القان أربا كاؤون سنة ٧٣٦، واستمر نحو سنة إلى أن قتل في ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٣٧/٧٣٧ .
الصفدي، أعيان: ٢١٢ ـ ٢١٣؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٧٢؛ ابن حجر ٤: ٣٧٦ ـ ٣٧٧؛ D'OHSSON, Op. Cit,. VI, P. 721; ZAMBAUR, Op. Cit., P. 245;

(٢) وذلك يوم الأربعاء ٧ شوال من السنة/ ١٩ أيار ١٣٣٦ .
الجزري: ٤٦٢؛ المقريزي ٢/٢: ٣٩٨.

(٣) راجع: المخطوط: ١١٠ظ ـ ١١١و.

(٤) أشار العيني إلى نقله لهذه الرواية عن اليوسفي، بقوله: «قال الراوي: أخبرني مسعود=

كـان تكلم لقوصـون كلام من هـو أقوى منـه وأعظم عنـد أستاذه ، وأن من كثرة ما حنق قـوصون أراد أن يلكمـه ، فمشى إليـه الأكـوز [وأراد][1] أن يلكمه . قال : « والله ، لقـد رجفت مما رأيتـه من الأكوز في حق قوصون» . وهم في تلك المحـاورة وأمير مسعـود يكسّر عـلى قوصـون والسلطان جالس ، ورأى الغلبـة مجتمعـة عليهم ، ورأى الأكـوز السلطان فتقـدم إليـه ، كـما ذكرنا ، وشكـا إليه أن سمسـار قوصـون وأستاداره فعلوا كيت وكيت ، وأنـه
١١٥ ظ شتمني وأهـانني بذلـك السبب ، فاتفق من السلطان // في حق قـوصون مـا قدمناه من الإخراق والإهانـة والطرد من قـدامه ، ورمى أستـاداره وضربـه ، وكـان يوم يـرجف . وانفصل المجلس وشـرع السلطان يعـرّف الأمـراء أن : « إذا أراد مملوكي يفعــل شيء بمـرســومي ويتعـرّض عليــه ، إيش يبقى لي حـرمـة ؟ »[2] . وأخـذ في الحّط عـلى قـوصـون بـين الأمـراء إلى أن جـاءت المغـرب ، ولم يدخـل قوصـون الخدمـة فسيّر إليـه السلطان جمداراً، فحضـر وأخبر أنه وجد في جسمه حـرارة ، فقلق السلطان بسببه ، وطلب رأس نـوبة سيّره إليه ، فحضـر وعرّفـه أن عليه السخـونة ، وأقـام ثلاثـة أيام لا يـدخل الخـدمة ، وطلب السلطان الأمـير بشتك ، وسيّـره إليـه ، وطيّب خـاطـره ، ويكسّـر عليه ويـأخذه ويحضـره إليه . فـدخـل إليـه بشتـك وتـرّضـاه ، وشـرع قوصون في العتب عـلى السلطان كونـه لأجل وشـاقي[3] في الاصطبـل يسمع منه في حقي ، ويفعل بي بين الأمراء ما فعل ، فترضاه بشتـك على أنـه باكـر النهار يدخل الخدمـة ، ويبوس الأرض . وأصبـح قوصـون ودخل الخـدمة ، فأقبل عليه السلطان ، وأقعده وشرع يعتذر لـه عما اتفق ، وآخـر كلامـه له :

= الحاجب . . . » .
العيني ١٧/٢٠١١ : ١٠٠ظ .

(١) ما بين الحاصرتين من المصدر نفسه .

(٢) في المقريزي (٢/٢ : ٣٩٩) : «إذا كان مملوكي يفعل شيئاً بغير مرسومي ويعترض عليّ ، أي حرمة تبقى لي؟» .

(٣) ويرسم أيضاً «أوجاقي» ، وهو لقب يطلق على من يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة . القلقشندي ٥ : ٤٥٤ .

«وحياتك على قلبي ، إذا اختُرت الساعة قطعت راسه وأرسلته إليك » ، فباس الأرض ، وقال [السلطان] : « يا أمير ، طوّل روحك عليّ قليل » .

١١٦ و وبعد قليل // طلب النشو وتحدث معه في أمر الأكوز ، وعلم النشو قصده ، فخرج طلب لولو، وعرّفه أن الأكوز قد انتحس حاله ، وأن السلطان يقصد يقلّد إليك الأمر كله ، ويدعك تتحدث في الدولة . وكان [لولو] من الحمق وقلّة العقل والخفة على جانب كبير ، فشرع يشكو من الأكوز ، ويقول : « عرّف السلطان أن ماله جميعه ضايع ، وأن الأكوز ما يمكن مما أريد أفعله » . وكان كذلك جلّ مقصد النشو من رواح الأكوز حتى يستعمل لولو في أموره كلها ، فدخل عرّف السلطان كلام لولو ، وبقي إلى باكر النهار طلب الأكوز ولولو ، وشرع ينهرهم ويسب لولو ويقول : « والك ، أمّرتك وكبّرتك على أنك تخلّص أموالي ، وأنت تلعب » . فشرع لولو يقول للسلطان : « أنت كبّرتني وعملت فوق يدي يداً ، كلما قصدت أعمل مصلحة للسلطان ما أتمكن » ، قال : « من يمنعك ؟ » . أشار إلى الأكوز ، وقال : « هذا يمنعني » . وشرع يتكلم في حقه كلام منكيّ ، ويرافعه ، فحنق منه الأكوز ، وصار يسبّه قدام السلطان إلى أن قال له : « يا قواد ، يا قطعة ضامن » . فجعلها السلطان سبباً ، فحرج عليه، وقال : « والك ، تقول لأمير مثلك يا قواد ؟ وايش كنت أنت

١١٦ ظ في الاسطبل وشاقي ، طلعت بك وعملتك ابن آدم » . وأشار // يأخذ سيفه وبطحه وضربه ثلاثين عصاة ، ورسم أن يُقيد فقيدوه ، وخرجوا به إلى الزردخانه ، وأوقع الحوطة على موجوده ، ومسك لولو ديوانه ومباشريه ، وأخلعوا على لولو والشمس بن قروينة[1] ، ورسم السلطان أن لا يفصلوا قضية إلا بمشورة النشو ، ومهما رسم يقبلوه . وحال خروج لولو بالخلعة لم

---

(١) في المقريزي (٢/٢ : ٣٩٩): «شمس الدين إبراهيم بن قروينة» ولعله مكين الدين إبراهيم بن قروينة. ولي وظائف عدة منها نظر البيوت، وتوفي سنة ٧٥٠/ ١٣٤٩ ـ ١٣٥٠ . المقريزي ٣/٢: ٨١٢.

يكن لـه شغل إلا استحضـر مـوسى بن التـاج إسحـاق ، وضـربـه نحـو من مـايتي مقرعـة ، ثم أسقاه المـاء والملح والجير والخـل ، فـإن النشـو لمـا أخلع عليـه السلطان قـال لـه : « يـا بـدر الـدين ، ابصـر إيش عملت معـك ، وأريدك تقتل لي موسى وقرموط » . ولما خرج استحضر مـوسى وقعد قرموط، وقـال لـه : « والـك ، أنت قـرب مـوتـك » . أجـابـه بسـرعـة : « والله يـا خـوند ، كلما لبست قبـاء من هؤلاء تستحل بـه عشـرين مسلم » ، فضـربـه ضرب مؤلم ، وطالبه بالحمل .

وفيها وقع طير حمام في الميدان(١) ، وأحضروه إلى قـوصون ، فـأحضره للسلطان، وجد في جنـاحـه ورقـة فيهـا مكتـوب أمـور كثيـرة تختص بـالنشـو وقـرايبـه ، وكـلام منكي للسلطان من خـراب دولتـه . وحـرج السلطان من ذلـك حرج عـظيم ، وبقي إلى أن طلع القلعة ، وطلب النشـو ، وكـان قـد وصل إليه خبـر القصة . فلما حضـر أعطاه // القصـة وقال عليهـا ، وقال : ١١٧ و
« والـك ، كم قصص وكم شكـوى ؟ » . قـال : « يـا خـونـد ، النـاس معذورين فيه ، وحياة راسك جاءني خبر هـذا القصة من ليلة كتبت ، وهـذه شغل العَلَم أبو شـاكر [بن سعيـد الدولـة](٢) ناظـر البيوتـات كتبها في بيت الصفي كـاتب قوصـون ، واجتمعـوا هـو وقـرايبـه عـلى كتبهـا ، ويقـولـوا : « الصفي كـاتب قـوصـون ، مـا يقـدر أحـد يشـاكله »(٣) . قـال السلطان : « ومن هذا أبو شاكر ؟ » ، قال : « يا خـوند ، أبـو هذا الـذي(٤) حكم دولة

(١) أثبت العيني هذه الرواية نصاً كما وردت في اليوسفي.
العيني ٢٩١١/١٧: ١٠٢و.
(٢) ما بين الحاصرتين من المقريزي ٢/٢: ٤٠٠ .
(٣) في العيني (٢٩١١/١٧: ١٠٢و): «ما يقدر أحد يتعرض إليه».
(٤) المقصود: التاج أبو الفرج إبراهيم بن سعيد الدولة الذي ولي الوزارة في سلطنة المظفر بيبرس الجاشنكير. قبطي الأصل ثم أسلم، وقد عظم أمره «حتى كانت تعرض عليه أجوبة النواب، ولم يكتب السلطان على شيء ما لم ير خطه. توفي يوم السبت ٢ رجب سنة ٧٠٩/٦ كانون الأول ١٣١٠ .
ابن الدواداري ٩: ٢٠٦؛ المقريزي ٢/١: ٤٧، ٨٥ ـ ٨٦.

بيبـرس الجـاشنكـير » . وعنـد حضـور السلطان من الكـرك أسقى نفسـه السم[١] حتى لا يسلمـه فيه إلى العـاقبة ، فـرسم بطلبـه وأحضروه ، وسلّم إلى الـوالي ابن المرواني ، وشـرع في عقوبتـه ، وطلب السلطان قوصـون وعنّفه ، وقال : « هذا شغل كاتبك يتجوّه بك . اطلبه واسأل منه وخليـه يصدقـك ، وأنـا مـا أكلمـه لأجلك » ، فـطلب الصفي إليـه وعنّفـه وهـدّده وعـرّفـه أن السلطان منحـرج عليه ، وذكـر له السبب ، فحلف لـه ايمان عـظيمـة أنـه لم يكن عنـده خبر مما ذكروه ، ولا علم بشيء من أمـره . وبكى بـين يـديـه ، وتنصّل وحلف بكل ما يملكه عـلى ذلك ، ودخـل قوصـون عرّف السلطان ، وسـرى الأمر إلى عقـوبـة أبـو شـاكـر إلى أن ضُـرب الضـرب المؤلم ، وصـار يتحدث بكل ما[٢] يقولوا له فعلتـه يقول : « نعم » . وطلبت بـذلك السبب جماعة // من الكتّاب ، وكذلـك مسكت جماعـة بيّاعـين وسوقـة من السنوقـة ١١٧ ظ
المجـاورة لبيت النشـو ، ومن جملتهم فخـر الدين بن العَلَم صهـر جمـال الكفاة[٣] وكاتب بشتك والمستوفي بديوان قوصون العَلَم ، وعرّفوا الأمـراء أن هـذا الرجـل ما يحمـل عقوبـة ، وسكن الحال عنـه بعـد عقـوبـة عـظيمـة ، ولاطف الأمـراء النشو بـالسؤال حتى سكت عنهم ، وطلب الـوالي وضـربـوا قدام بيته ضرباً كثيراً وخرّب بيـوتهم ، وعرّف السلطان أن ثمّ جمـاعة قـد قرر معهم الموفق[٤] ابن سعيد الدولة كان ذلك الـوقت قد استخـدمه السلطان في

---

(١) يؤكد ذلك ما ورد في ابن الدواداري ٩: ٢٠٦ والعيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٢و.

(٢) الأصل: بكلما.

(٣) إبـراهيم بن عبد الله، القـاضي جمـال الـدين المعـروف بجمـال الكفاة. أصله نصراني ثم أسلم. تقلب في منـاصب عدة من كـاتب في بستان للسلطان إلى مستوف، ثم ناظر للجيش وناظر للخاص، فباشر الـوظيفتين الأخرين زمن النـاصر محمـد، واستمر في دولة أولاده أبو بكر والأشرف والصالح. توفي تحت العقـوبة ليلة الأحـد ٦ ربيع الأول سنة ١٨/٧٤٥ تموز ١٣٤٤ . وكان يتكلم بالتركي والنوبي والتكروري.
الشجاعي ١ : ٢٧٥ ؛ المقريزي ٣/٢ : ٦٧٥ - ٦٧٦ ؛ ابن تغري بـردي، المنهل ١ : ١٨٠ - ١٨٣ ؛ ابن اياس ١/١ : ٥٠٢ .

(٤) هبة الله بن إبراهيم بن سعيد الدولـة، الوزيـر الصاحب مـوفق الدين، قبـطي أسلم وتسمى=

نظر البيوت ، وأنـه أرغبهم بالمـال على أن يتـرصدوا لقتله ، وعـرّف السلطان لـولـو أن يـطلب المـوفق ، ونـزل ابن صـابـر بيتـه عــلى غفلة وأخـذ بعض غلمانه ، وأقـام الموفق أيـاماً في التـرسم إلى أن قام آقبغـا [عبد الـواحد] في حقـه ، وعـرّف السلطان أن « مـا لـه أي علم أن أحـداً من الكتّـاب تقـرب إليك عمل على قتله » . وكان الموفق مشكور السيرة عند السلطان .

وبعـد أيام دخـل لـه[1] ابن المـرواني بمحضـر شهـود فيـه عـلى جمـاعـة السـوقة الـذي مسكهم النشو ، وأخـرب بيوتهم ، وأشهـدوا عليهم أن الموفق طلبهم ، وأرغبهم واتفق معهـم أن يقـتلوا الـنشــو ، فـلما عــرف الســلطان وأمره // وأنهم اعترفـوا نهره السلطان وشتمه ، وقـال : « والك ، كم تعملوا ١١٨'
فسـاد على النـاس ؟ » . وخرج من عنـده عرّف النشـو الذي اتفق عليـه من السلطان ، وأنـه لم يصدقـه عـلى الـذي فعله ، نهره فسكت ، وفي نفسـه من الموفق كونه لم يؤثر فيه شيء ، ورسم بفك الترسيم عن الموفق .

وبعـد ذلك جـدد العقوبـة على [شمس الـدين] ابن الأزرق[2] ناظـر الجهـات بعدمـا كان قـد سكن حالـه ، وأقام في الحبس ، فـإن سبب القبض عليه كان قـد تعرّض بكـلام في حق النشو عنـد الأمير قـوصون ، فـإنه كـان يتـردد إلى بيته ، وكـان رجل سلط بلسـانـه جـرى عـلى النـاس ، وفيـه ظـلم وعسف ، وكان عند سفـر السلطان الحجاز عمله ابن هـلال الدولـة[3] ناظـر الجهات ، وأحدث حوادث عظيمة أخذه الله بهـا . وبلغ النشو[4] عنـه كلام

= عبد الله، توفي يـوم الجمعة ٢٢ ربيـع الآخر سنة ١٦/٧٥٥ أيار ١٣٥٥، ودفن بتـربته بالقاهرة.

الذهبي، ذيول: ٢٩٦؛ المقريزي ١/٣: ١٦؛ ابن حجر ٤: ٤٠٠ - ٤٠١.

(١) الضمير عائد للسلطان.

(٢) مات تحت العقوبة سنة ٧٣٧/ ١٣٣٦ - ١٣٣٧.

المقريزي ٢/٢: ٤٨٥؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ١١٩.

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢١، حاشية رقم ٩.

(٤) سبقت ترجمته في الصفحة ١١٧، الحاشية الأولى.

كثير فسعي عليه عند السلطان ، وعرّفه أن للسلطان عنده مال كثير ، وهو يحتمي عليه بقوصون . فرسم بطلبه ، وسلمه للولو[1] وضربه ضرب عظيم ، وطلب منه المال ، واتفق له أمور يطول شرحها ، وكان له بستان بجزيرة الفيل[2] نودي عليه ، وأبيع بدون العشرة آلاف درهم ، فأباع دار له على البحر كانت مجاورة لساقية شرف الدين [موسى][3] ابن
١١٨ ظ زنبور // فاشتراه عند وفاة [الحاج محمد][4] بن عزّ الفرّاش ، وهي الآن جامع أنشأه الأمير عزالدين الخطيري ، سوف نأتي على ذكره . ولّما تسلم الوالي أبو شاكر وجماعته من جملتهم قرموط وابن الأزرق وجماعة من الكتّاب ، وبعض من بقي من أولاد [ابن] الجيعان . بعد ذلك سيّر النشو إلى مصر ، وأخرب ساير دورهم وأحرثها بالمحراث .

ذكر ما اتفق للنشو مع الأمير بشتك وآقبغا عبد الواحد

كان النشو قد علم أن ساير الأمراء قد كرهته ، وهم عمّالين مع السلطان على تلافه ، فرمى نفسه إلى التهلك ، ولم يهاب أحد منهم ، وصار يقصد إيحاش كل أحد منهم عند السلطان ، ويثلم عرضه ، فإذا رأى السلطان قد تغيّر وصغى لقوله فيه ، أخذ في العمل عليه ، وطلب ضامن دار الفاكهة ، ورتب معه أن يكتب قصة ، ويسأل فيها أن يسامح بالذي تأخر عليه في الجهة أو بنصفه ، فإن دار الفاكهة وقف حاله فيها بسبب أن شبرا أخذت ساير أعناب مَرْصَفا[5] وغيرها في شبرا وعملوه خمراً ، ولم

---

(١) راجع ترجمته في الصفحة ١٢٥ ، حاشية رقم ٣.

(٢) تقع خارج باب البحر من القاهرة، وتتصل بمنية الشيرج من بحريها، ويمر النيل من غربيها، وبها جامع تقام به الجمعة وسوق كبير وعدة بساتين جليلة.
المقريزي، الخطط٢ : ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٣) ما أضيف من المقريزي، السلوك ٢/٢ : ٤٢٣.

(٤) ما أضيف من المصدر نفسه.

(٥) قال في معجم البلدان (٥ : ١٠٧) أنها قرية كبيرة في شمالي مصر قرب منية غمر، وهي=

يعطوا الحق الذي جرت به العادة . ولما وصلت القصة للسلطان طلب لولو ، والنشو وسألهم ، عرفوه السبب لحضور الضامن . [وقال السلطان][1] :
١١٩ و « وشبرا لمن هي من الأمراء ؟ » . // قال النشو : « يا خوند ، هي للأمير سيف الدين بشتك ، والأمير سيف الدين ليس عنده من هذا خبر » .

وأراد بذلك ديوانه جمال الكفاة ، فطلب السلطان لولو ووالي المدينة ، وقال : « اركبوا إلى شبرا ، وأي من وجدتم عنده نبيذ في بيته امسكوه واحضروه لي » ، وحذّرهم من اهمال ذلك والكشف عليه . فسيّر لولو ابن صابر خلف أستادار[2] بشتك أحضره وهدّده ، وسفّه عليه ، وقال « السلطان يقول أنك أنت وديوانك تعملوا الخمر وتبيعوه ، وأكسرتوا معاملة السلطان » ، وتفاوضوا بالكلام ، وقام أستدار ، دخل إلى أستاذه وعرّفه الذي اتفق له مع لولو ، ودخل بشتك للسلطان عرّفه : « إيش السبب للولو يقول لاستداري كيت وكيت ؟ » . قال السلطان : « ديوانك وأستادارك يعملوا هكذا ويتجوّهوا بك ؟ سيّر إلى بلدك حتى أعرف إن كان الذي نقلوه كذب جازيتهم ، وإن كان صحيح عرفت إيش إعمل » .

ورسم أن يركب أستاداره أيضاً صحبتهم ، وركب والي المدينة ولولو إلى شبرا وكبسوا بيوت النصارى الذي فيها ، وكان عدة الخمر الذي وجدوه اثنتين وعشرين ألف جرة ، ووجدوا بعضها مكتوب بختم باسم المُخْلِص
١١٩ ظ أخو النشو ، فتسلّط أستادار [بشتك][3] // ذلك الوقت عليهم ، وأمسك النصراني وضربه ، وكبسوا بيته ، فوجدوا عنده بقية قند من قند الخاص وستماية جرة عتيقة وألف وخمس ماية جديدة .

ورأى لولو وابن المرواني الأمر قد عظم بسبب ما وجدوه ، وقد تسلّط أستادار [بشتك][4] عليهم بسبب ذلك ، فرأوا التغاضي في ذلك الوقت

= اليوم قرية بمركز بنها من مديرية القليوبية . وعن مساحتها وأرزاقها وعبرتها ، راجع : ابن الجيعان ، التحفة السنية : ١٣ .

(١) ما بين المعقفين يقتضيه السياق .

(٢) يدعى إسماعيل كما سيرد في ما يلي .

(٣) و (٤) ما أضيف من المقريزي ٢ / ٢ : ٤٠١ .

أنسب ، فعـرّفوا أستـادار [بشتـك][1] أن الأمـر يمشي عـلى خـير ، والبـاب يستـد ، ولا تجعل النشـو عـدوك ، واتفقـوا معـه أنهم يسـدوا البـاب في أمـر ذلـك عند السلطان ووافقهم عليـه . وعند وصـولهم عرّفـوا النشو مـا رأوه ، وأن الكلام في ذلك ما يؤثر خير ، فسكت .

ولما دخل لـولو والـوالي عرّفـوا السلطان أنهم كبسـوا البلد ، ووجـدوا فيها تقديـر ألفي جرة ، وهي بسبب النصـارى المقيمين في الكنـايس يعملوها كل سنة ، ويـزنوا الحق الـذي على العنب ، وأنهم لم يجـدوا شيء غير ذلـك ، وسـدوا الباب عـلى السكوت ، فلم يمهلهم النشـو غـير جمعـة أيـام ، وطلب بعض ممـاليك الخـازن كان يجبي أمـلاكه يسمى بكتـوت . وكـان بشتـك قـد أخـذ من مماليـك الخازن جمـاعة منهم إسمـاعيل عمله أستـادار ، ومنهم هـذا الرجل عمله مشـد الشونـة ، فطلبـه النشو [وقـال له][2] : « أنت للخـازن عنـدك ذهب وداعـة ؟ » وأخـافـه، وقـال لـه : « مـا تِسْلَم إلا إن فعلت الـذي أقـولـه لـك ؟ » ، وعـرّفـه يقـول مـرافعـة في ديـوان[3] بشتـك //
١٢٠ و وأستـاداره[4] ، وكتب لـه أوراق ، وعـرّفـه الكـلام فيهـا ، وفهم الـرجـل مضمونها ، وكان في نفسه من المناحس والظلمة ، وقوى نفسه وأوعـده بأمـور كثيـرة من أن يكبّره ، وأنـه لا يرجـع عن قولـه ، وأول ما يكـون كلامـه مع بشتك ، فركب الرجل إلى بشتك وهو في الاصطبل ، واستـأذن عليه ، فـأذن له ، فعرّفه أن معه نصيحة يقولها خلوة ، فطلبه إليه وأجلسـه ، فأخـذ يعرّفـه أن ديـوانك وأستـادارك أخـذوا من الخصـوص[5] خمس آلاف إردب وخمسـين ألف درهم نقـرة ، وأخذوا من بيـع الشـونـة تقـديـر مـايـة ألف درهم ، وأن

---

(١) اما بين الحاصرتين اقتضاه السياق.

(٢) يقصد إبراهيم جمال الكفاة. راجع ما يلي في الصفحتين ٣١٤ - ٣١٥.

(٣) ويدعى إسماعيل.

(٤) راجع : الصفحة ٣١٤ ، كما سيرد فيما يلي.

(٥) لعل المقصود قرية الخصوص من قرى مديرية القليوبية الحالية الواقعة شمالي منية الشيرج وعلى مقربة منها، كما جاء في الخطط التوفيقية لعلي مبارك.

السلطان رسم أن يبيعوا الغلة كل إردب بثلاثين ، كانوا يبيعوها بستين وسبعين [درهماً] ، وأنها له فصول كثيرة من ذلك . فلم يتثبت بشتك بعد سماع كلامه دون أن طلب قماشه ، وركب للسلطان وأخذ الرجل[1] صحبته ، وسيّر مماليك من جهته طلعوا بديوانه جمال الكفاة ، وأستاداره ، وخلعوا، وقد انقطعت ظهورهم لما كانوا يعلموا من طلب النشو خلفهم ، وما لحقوا أن يصلوا حتى أخذوهم ودخلوا السلطان ، وكان بشتك عرّف السلطان ما قاله بكتوت ، وأنه سيّر يطلب ديوانه ، فطلب السلطان النشو ، وعرّفه ، فشرع يقول : « يا خوند ، هذا الرجل هو مباشر عندهم ، ويطلع على ما يفعلوه ، وما يمكن أن يتكلم مع الأمير //
١٢٠ ظ والسلطان بأمر لا يكون قد حققه » .

وفي ذلك الوقت دخلوا بديوان بشتك ، فطلبهم السلطان ، وقربهم إليه ، وقال لأستاداره : « اسمع إيش يقول هذا عنكم أنت وهذا الديوان ؟ » . فتقدم جمال الكفاة ، وكان رجل مقدام وعباره طلقة ، فأشار لأستادار أن يسكت ، وقال للسلطان : « يا خوند ، المملوك هو المطلوب بكل ما[2] يقوله ويقول بين يديك » . فأخذ النشو الأوراق وقرأ فيها الفصول الذي يتعلق بالخصوص ، فقال جمال الكفاة : « يا خوند ، المملوك في مصر ، وخرج أستادار هذا الأمير ومماليكه ومباشريه وقبضوا الخصوص ، وأحضروا لي أوراق منظومة بالمغل والخراج وغيرها، وعليها خطوط العدول وحجج على المشايخ بالذي استخرج وحمل ،والسلطان، حرسه الله تعالى، يعلم حديث الخصوص ومغلها ومتحصلها على أيام الأمير سيف الدين بكتمر [الساقي][3] ، وقد انقبض زايد عن قبضه كذا كذا إردب ، وكذا كذا درهم ، هذا على أن المملوك لم يحضر شيء من هذا إلا أكتب في باب أستاذي » . قال السلطان للنشو : « يا نشو ، صدق ، عمر هذا البلد

---

(١) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٤٠١): «وأحضر بكتوت صحبته».
(٢) الأصل: لكلما.
(٣) ما أضيف من المقريزي ٢/٢ : ٤٠١.

تنكسر وما لهذا فيها حديث » ، والتفت لبشتك وسأل منه : « كان هذا في بابك أو خرج قبض ؟ » . قال : « يا خوند ، كان مقيم » . قال السلطان لبكتوت : « إيش قلت زادة ؟ » . ذكر له [بكتوت] حديث بيع الشونة .

١٢١ و قال جمال الكفاة : « يا خوند ، // من يوم استخدمني السلطان عند هذا الأمير ما نزلت حضرت له بيع في شونة ، وإنما أبعنا من الشونة كذا كذا إردب ، ويحضر الشونة شاهد هذا الأمير ومعه شاهدين وأستادار ، ويحضر أربع أمناء وتراسين وسماسرة وأمين من جهة المحتسب[1] ، يطلبهم السلطان ويحضر دفاترهم ومواينتهم ، فإن وجد السلطان إردب زايد يكون في جهة المملوك عنهم ، وإن بلغ السلطان أنهم أباعوا بزايد فلس عما رسم به مولانا السلطان كان جزانا الشنق » . فتقدم بكتوت المرافع ، وقال : « يا خوند ، عصر هذا القاضي وأستادار أربع آلاف جرة [خمر][2] في شبرا وبيعوها » . حرج السلطان وبشتك ذلك عليه ، وقال [له السلطان][3] : « يا قواد ، إيش صح من كلامك حتى تصدق في هذا ؟ » ، وقال بشتك : « يكذب » ، ونهروه وأخرجوه من قدام السلطان .

وعلم بشتك أنه مزرق ، فقال للسلطان : « يا خوند ، هذا ما هو كلام هذا الرجل ، هذا كلام غيره » ، وعلم السلطان أن الكلام بسبب النشو ، فسكت . ودخل النشو عقيب ذلك الكلام ، وعرّف السلطان أن معامله بأبيار[4] والنَّحْرارية[5] قد انكسر فيها مال كثير ، وأن الموجب لذلك

---

(١) في المصدر نفسه : «بحضور شاهد ديوان الأمير ، ومعه شاهد إضافة وأربعة أمناء وشماسرة من جهة المحتسب» .

(٢) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزي ٢/٢ : ٤٠٢ .

(٣) ما أضيف اقتضاه السياق .

(٤) و (٥) جاء في ياقوت (١ : ٨٥) أن أبيار كانت قرية بجزيرة بني نصر بين مصر والاسكندرية ، كما يستفاد من ابن بطوطة (٣٠ - ٣١) أن النحرارية كانت مدينة مزدهرة قريبة من أبيار يفصل بينهما نهر النيل . أما اليوم فهما تابعتان لمركز كفر الزيات في مديرية الغربية .

أن آقبغا عبد الواحد كان له طوخ ابن مزيد[1] وبلاد في الغـربية ، وكـان من عادتها أن فيها جماعة قزازين يعملوا التفاصيل ويحضروه إلى ختم السلطان،//
١٢١ ظ وفي أبيـار والنـحرارية وغيرهـا من البـلاد الـذي للسلطان فيهـا حقـوق ، وأن نـواب آقبغـا منعـوا القـزازين أن يختمـوا ختم السلطان، وصار يختم في بلده ، ويأخذوا الحق الذي للسلطان ، وانكسرت المعـاملات قـريب ثمانـين ألف درهم ، وعـدّد له فصـول كثيرة تختص بـآقبغا وذلـك من البيوت ، وأن له رواتب عـلى المعـاملين ، وأحـرج السلطان بهـذا السبب ، وآخـر كـلامـه للسلطان : « يـا خـونـد ، لا تعتقـد أنني أراعي أحـد من الأمـراء ، وأخـلي مصلحتك ، وأنا أعلم أنني أغضبتهم في رضاك » .

واتفق الحـال مع السلطان أن يحضـر مشد أبيـار والنحراريـة ، ويحـاقق آقبغـا على الفصـول الذي ذكـرها لـه وسـيّر طلب المشـد ، وكـان الحسـام[2] أستـادار آقبغا آص[3]، فسـيّر إليه وأحضـره ، وعرّفـه الكلام الـذي اتفق له مـع السلطان ، وأنه ذكـر عنه أنـه يحاققـه ، ورأى الـرجـل قـد وجم لأجـل ذلك ، وكان لـه عقل وسكـون ، ورآه النشو قـد توقف ، فعـرّفه أمـور كثيرة منهـا إن لم يتكلم يرّوح روحـه مع السلطان ، وصـوّر عنـده أن السلطان قـد أشـار له أن يفعـل ، ويتكلم والسلطان في حقـه ، فـإن السلطان هـو الـذي أشـار بذلـك وقوّى نفسـه على الكـلام ، ودخل عـرّف السلطان بحضـوره ، فرسم بطلبـه وطلب آقبغا ، وأحضـرهم والأمراء كلهـا وقوف ، وشـرع يقول
١٢٢ و لآقبغـا : « والك ، أنت // تعمـل في بـلادك جـاه وتكسـر مـالي ، وتحصّـل

(١) من الأعمال الغربية بالديار المصرية، عبرتها ١٥٣٠٠ دينـار، ومساحتهـا ٢٨٦١ فداناً وهي مقطعة للأجناد.

ابن دقماق ٥: ٩٤ ـ ٩٥. وجاء في الخطط التوفيقية «طوخ مزيد»: "قرية تابعة لمركز طنطا بمديرية الغربية.

(٢) الأمير حسام الدين لاجين العلائي، ولي نيابة حلب سنة ١٣٤٨/٧٤٩ .

ابن حجر ٣: ٢٧٢ .

(٣) آقبغا آص الجاشنكير، أحد الأمراء الذين رافقوا السلطان إلى الحجاز سنة ٧٣٢ .

ابن الدواداري ٩: ٣٦٦؛ المقريزي ٢/٢ : ٣٥٢.

أنت مالك ؟ » . فتنصل آقبغا ولم يعترف بشيء ، فصاح على المشد وقال : « تعالى والك ، قلي كيف انكسر مال السلطان ؟ » . وشرع المشد يعرّفه : « أن مال السلطان مقرر على الختم ، وأن بلاد هذا الأمير من عادتها أن تختم القماش الذي تصنعه في الأماكن الذي يختم للسلطان فيها ، ويأخذ الحق على كل تفصيلة ، وأن هذا الأمير منع القزازين أن يختموا عادتهم ، وصنع لهم ختم باسمه ، وأبطل ختم السلطان ، وصار يستهدي الذي كان للسلطان يستهديه من الختم » ، واستطال بالكلام على آقبغا وطمع فيه ، فإنه رأى آقبغا قد وجم وخاف ، وكان آقبغا تخشاه الناس كلها ، وهو يخشى السلطان أمثال ما يخشوه الناس ، فقال السلطان لآقبغا : « والك ، ما تسمع إيش يقول ؟ ليش ما تجاوبه؟» . قال : « يا خوند ، لو كان هذا يتكلم من عنده كنت أجاوبه ، وإلا هو يتكلم بلسان غيره » . وفهم السلطان معنى كلامه ، وصاح عليه : « أخرج من وجهي »، وسبّه . فتقدم الأمير سيف الدين بشتك ، وسكن حرج السلطان ، وقال : « يا خوند ، هذا مملوكك » . وكان عزم السلطان ذلك الوقت القبض على آقبغا ، وعلم بشتك ذلك منه ، فلاطف أمره ، وسكّن حرج السلطان إلى
١٢٢ ظ أن أبلغه[١] : « أن مال هذا وأولاده // الجميع للسلطان ، وأن أمره ما يفوت ، وشرعت الأمراء الخاسكية بعد ذلك تلعن النشو ، ويعلموا أن السلطان ما يسمع فيه قول واحد[٢] .

وفيها ورد كتاب نايب الشام يشكو من نايب صفد الأمير سيف الدين أيتمش[٣] ، وكان السبب لشكواه أن أيتمش كان أخو أرقطاي نايب صفد ، وذكرنا حضوره وسفر أخوه مكانه[٤] ، وكان الرجل فيه فتوّة وكرم

---

(١) الأصل : بالغه .

(٢) في المقريزي (٢/٢ : ٤٠٢) : «فشق ذلك على الخاصكية ، ووقعوا في النشو ، وقد عملوا أن ذلك من أفعاله» .

(٣) راجع العيني ٢٩١١/١٧ : ١٠٠و.

(٤) تقدم ذكر ذلك ما بين ١٠٤ظ - ١٠٦و.

نفس وأحكام عادلة . ولما وصل إلى صفد سار فيها سيرة حسنة ، وكان مشد الديوان فيها علاي الدين ابن رنقش التركماني ، وهو الذي كان سبب التنافس بين نايب الشام وبين أرقطاي نايب صفد ، ولما حصل حضور أيتمش إليها ، ورأوا الناس عدله ، حضرت جماعة وشكت إليه ظلم المشد وأذاه للناس وكذلك الأمراء والجند الذي في صفد ، لما كانوا يخشوه من قربه إلى نايب الشام ، ويكتب إليه بكل ما يتفق [و] ما يجري ، فطلبه إليه مرار ونهاه عن ظلمه ، فلم يرجع ، فعزله وولى غيره بغير إذن نايب الشام ، فكتب المشد عرّف لنايب الشام أمره ، فكتب إليه أن يعيده فأبى ذلك ، وسيّر عرّفه شكوى الناس والغاثه عليه ، واقتضى من ذلك الحال أن بعض الأمراء الخاسكية يعرف بآقبغا الحسني ، وقد قدمنا
١٢٣ و ذكره عند غضب السلطان عليه وخروجه // إلى الشام[1] ، وشكاه تنكز وحبسه في قلعة دمشق سنة ، ثم أطلقه السلطان ، ورسم أن يكون مقيم في صفد ورتب له عشرة دراهم كل يوم ، فكان يحصل منها خمسة دراهم . ولما حضر أيتمش إلى صفد، صار يركب في خدمته ويراه في حالة غير مرضية ، فحنّ عليه ، وسأل عن حاله ، فعرّفه أمره ، وأراد مسك الأدب ، وكتب لنايب الشام يسأله أن يكتب للسلطان صحبة مملوكه ، ويسأله في شيء يعود نفعه على آقبغا ، فأعاد الجواب عليه : « إنك لا تكتب للسلطان في أمر هذا الرجل بشيء ، فإن السلطان كرهه » .

فلما وصل الجواب إليه، كره أن يرى ذلك الرجل في خدمته على حالة زرّية ، سيّر إليه بدلتين قماش وحياصة وسيف وفرس بسرجه ومائة دينار ، وعرّفه أن يطيب خاطره ، وأنه يكاتب السلطان في أمره فدعا له ، وصار يركب في خدمته ، وكتب للسلطان يعرّفه من حال آقبغا ، وعزّ عليه كونه رأى خشداشه مملوك للسلطان، بعد عزّ وسعادة، على حالة ناقصة ، وأنه أبرّه

(١) نفاه السلطان إلى الشام سنة ١٣١٧/٧١٧ بسبب إقباله على اللهو وشرب الخمر. كان رفيع المنزلة عند السلطان الناصر محمد، فقد رباه صغيراً وأمّره وهو شاب.

المخطوط: ١٢٣؛ ابن الدواداري ٩: ٢٩٢؛ ابن حجر ١: ٣٩٢.

بشيء يستعين به على حاله ، وكتب لنايب الشام في أمره ، فلم يقبل سؤاله فيه ، وإني أسأل صدقات السلطان أن يتصدق ويجبر هذا الرجل بعد الكسر بما يحسن في آرائه[1] السعيدة » . وأوصى مملوكه مشافاة يقولها للسلطان // .

١٢٣ ظ ولما وصل وقف السلطان على كتابه ، وسمع ما أبداه مملوكه من المشافاة ، فرد الجواب أنه : « نِعْمَ ما فعلت ، ونحن ما فعلنا به ذلك إلا لأنه قد خرج عن الطريق بشربه الخمر ، والآن فقد قبلنا سؤالك منه ، احضره إليك واستتوبه عن شرب الخمر ويمشي في الخدمة ، واطلق له ما يعلم أنه يكفيه إلى أن ينحل أمره ، أو إقطاع جيد يختاره أعطيه له ، وتكون ضامن عنه أن لا يشرب خمراً » .

ولما وصل الكتاب إليه طلبه وأحسن إليه ، وعرّفه أن السلطان قد تصدّق عليه ، وأحسن وأعطاه إمرة عشرة انحلت في صفد ، فبلغ ذلك نايب الشام فكتب إليه يعاتبه ، وينكر عليه بذلك السبب ، ويقول : « أنا سيّرت قلت لك لا تتحدث فيه كيف خالفتني ، وكتبت للسلطان ، وفعلت ذلك شيء ما رسمت لك به ؟ » . فحرج لما سمع من البريدي المشافاة وما كتب له ، فرد الجواب عليه : « إنني ما جيت نايبك ، وإنما جيت نايب أستاذي ، ورأيت رجل كان عند أستاذي كبير في حال ما أعجبني كاتبت أستاذي وسألته ، وما أنا تحت حكمك حتى تأمر علي هذا الأمر كله » . وخرج البريدي من عنده على غير رضى . فلما وصل لنايب الشام وبلّغه المشافاة ، ورأى جوابه نسبة المشافاة ، حرج لذلك حرج عظيم ، وطلب
١٢٤ و مملوكه وقرمشى[2]، وقال : « اركب // إليه واسمع منه إن كان قال هذا الكلام ، وتلفّظ به ، أو ينكره » ، ولم يكتب إليه كتاب . ولما وصلوا إلى صفد دخلوا عليه ،وعرّفوه أن نايب الشام ذكر له البريدي عنك كلام ،

---

(١) الأصل : اراه .

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ١٩٠ ، ح رقم ٦ و ٧ .

والأمير ما صدّقه عنك، وقد سيّرنا نسأل عن صحته . ، ونعيد الجواب عليه. قال : « وايش قال البريدي للأمير؟ » . عرّفوه الذي ذكره عنه جميعه ، قال : « صَدَق ، وأنا قلت كذلك ، وأزيدكم عليه أنني أعرف الأمير ويعرفني ، وكل منا يعرف صاحبه المعرفة الجيدة ، وأنا ، السلطان ما خرجت من عنده غضبان عليّ ولا طردني ، وإنما أختار راحتي ، ووفرّ خدمتي لما رآني ، وقد صرت بهذا المرض ـ وكنا قد قدمنا ذكره أنه أصيب بمرض الفالح ـ ولما رآني اختار عتقي من الخدمة إلى مكان أحكم فيه ، وقد حضرت ، فعرّفه أن السلطان ما يبلغه فيّ غرض ، وإذا عزلني أكثر ما يكون لأجله ، سألته أن أقيم في القدس فقير ، وإلا مهما [كان][1] أستاذك نايب الشام لا دخلت تحت أحكامه أبداً ولا كاتبته ، ولا أسمع ما يأمرني والسلام » . وخرجوا من عنده إلى أن وصلوا لنايب الشام وعرّفوه جميع ما قاله، فلم يتمالك الصبر دون أن كتب للسلطان بجميع ما اتفق ، وزاد فيه : « إن // هذا الرجل ليس بقي له عقل يحكم به ، وإنه مشتغل ١٢٤ ظ
عن الأحكام ، وأمر الجند بشرب الخمر ولعب النرد ، وقد حكموا عليه الشباب الذي عنده .

ولما وقف السلطان على كتابه ، صعب عليه وحرج ، وكان المجلس حفل بالأمراء فدار السلطان إلى جهة جنكلي[2] والحاج الملك[3] ، وقال : « يا أمراء ، من يوم لكم في مصر سمعتوا أيتمش يشرب خمراً ؟ » . قالوا الجميع : « معاذ الله يا خوند » . وما منهم إلا من أثنى وشكر ، فالتفت إلى مملوكه ، وقال : « كيف يقول أستاذك عن أيتمش أنه يشرب الخمر ويسمع كلام المناحيس ؟ هذا رجل له عليّ خدم كثيرة ، وقد خليته في هذا

(١) إضافة اقتضاها السياق.

(٢) الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا، توفي سنة ١٣٤٦/٧٤٦. سبقت ترجمته في الصفحة ١٣٧ ، حاشية رقم ٤ .

(٣) الأمير الحاج آل ملك الجوكندار، توفي سنة ١٣٤٦/٧٤٧. راجع ترجمته في الصفحة ٢٧٢ ، حاشيرة رقم ٣.

المكـان يحكم فيه ، ومـا لأحد عليـه حكم ، ورجل كبـير وقـد أصابـه هـذا المـرض ، قلّه يطوّل روحـه عليه » . وكتب لـه الجـواب بـذلـك ، وأراد الله تعالى من إتمام قضائه وقدره أن الرجل أقام بعد هذا الحـديث اثنين يـوم[1] ، وتـوفي إلى رحمـة الله بسبب نـذكـره . واقتضى رأي السلطان تـوليـة الأمـير سيف الـدين طَشْتَمر السـاقي لنيابـة صفد ، وطلبـه إليه ، وطيّب خـاطـره ، وزاده على إقطاع النيابة ، وأمّـر ولـديـه وعرّفـه أن لا يكون لنـايب الشام أمـر
١٢٥ و ولا يكتب إليه ، ومهما // كان له يكتبـه للسلطان ، وأسرّ إليه أموراً كـانت في نفسـه يأتي ذكـرها . ورسم أيضـاً لنايب الشـام أن يتـأدب مـع طشتمـر ، وأنه ولّاه نيابة صفد، وأسرّ له مشافاة يبلغ خبرها ويطيّب خاطره، ويعرّفه أنه كان في نفسه أن يخرج طشتمر مثلما خرج خشداشه قطلوبغا الفخري، وأنه ما بقى يختار أن يكون مقيم في مصر، ورسم أيضاً أن يرسـل الأمير عـلاي الـدين طيبغا حـاجّي[2] إلى نيابـة غزة عـوض عن جَرِكْتَمُـر[3]، وأن يكـون جركتمر نايب حمص بسبب ما تقدم من شكوى نايب الشام في أمرهم .

وفيهـا رسم بـالافـراج عن الأكوز، وخـروجـه من مصـر إلى دمشق بطبلخاناه[4]، بعدما أقام شهر ونصف في الاعتقال .

---

(١) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٤٠٣) : «إثنين وثلاثين يوماً» .

(٢) توفي في جمادى الأولى سنة ٧٤٣/ تشرين الأول ١٣٤٢ .
الصفدي، أعيان ٣ : ١٢و؛ ابن حجر ٢ : ٢٣١ .

(٣) الأمير سيف الدين جركتمر رأس نوبة الجمدارية، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١٩٧، حاشية رقم ٥ .

(٤) يستفاد من المقريزي (المصدر السابق)، أن خروج الأكز من مصر إلى دمشق كـان في ٢١ ذي القعدة من السنة/ أول تموز ١٣٣٦ .

ذكر من توفي فيها

توفي فيها **الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي**[١] المعروف بنايب الكرك
بمحبسه بالاسكندرية ، وقد تقدم حضوره بعد القبض عليه من صفد ، وأقام
أشهر في السجن . وعرّف السلطان الأمراء أن والي اسكندرية سيّر يستأذن
السلطان أن نايب الكرك قد طلع في وسط رأسه دمل على صفة
السّلعة[٢] ، وقد تألم منها ، وعرّف والي اسكندرية أن يدخل عليه بمزين
يقطعها ، فإنه يجد منها ألماً كثيراً ، وقد أقلقته ، وأخبر والي // اسكندرية ١٢٥ ظ
أن المزين أخبره أن هذا مكان خطر ، وهو على أحد الفصلين : إما بموته أو
حياته ، فعلمت الأمراء من ذلك القصد ، ورسم بطلب مقدم الرماة كان
يعرف بابن منيف إلى مصر . ولما حضر اختلى به النشو ، وأدخله على
السلطان ، وأسرّ له أمر يفعله ، قدّره الله تعالى من المقدم ، وأخلع عليه
بحيث أن شهدته الناس وسَفّره . وبعد أيام حضرت مطالعة من والي
اسكندرية بوفاته ، وكان له مشهد عظيم ، وأخرجوه بجنازة ومقرئين ،
ومشى فيها ساير أهل اسكندرية وتوجعوا له .

وبلغني أنه عند تسفيره من صفد إلى اسكندرية كتب ورقة بخطه وأعطاها للبريدي ، وكتب فيها : « يا محمد بن قلاوون ، إيش عملت بك ضيّقت علي حياتي ، والله ما أنا ممن تخشى منه ، وما كنت أستاهل منك ؛ حملتك على كتفي ، وأنت صغير ، وخدمتك وأنت كبير ، وبيني وبينك

---

(١) آقوش بن عبد الله الأشرفي، الأمير جمال الدين، المعروف بنائب الكرك. توفي في ٧ جمادى الأولى سنة ٢٣/٧٣٦ كانون الأول ١٣٣٥ ، وله جامع يعرف به.
انظر ترجمته في: الصفدي، تحفة. ١٩٨و ـ ١٩٩ظ، والوافي ٩: ٣٣٦ ـ ٣٣٩؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، ودرة ٢: ٣٤٨و؛ ابن حجر ١: ٣٩٥ ـ ٣٩٦؛ العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٣ظ؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣١٠.

(٢) جاء في ابن منظور (٨: ١٦٠) أن السّلعة، بالفتح: الشجة في الرأس كائنة ما كانت، والسِّلعة، بكسر السين: هي الجدرة تخرج بالرأس وسائر الجسد، وقد تكون لسائر البدن في العنق وغيره، وقد تكون من حمصة إلى بطيخة.

الموقف بين يدي الله تعالى » .

وكـان هذا الـرجل من أكـابر المـاليك المنصـوريـة . ولمـا تـوفي الملك الصالح(١) ، وتسلطن الملك الأشرف، استخدمه الملك المنصور أستـاداره وابن الخليـلي(٢) رفيقه نـاظر ديـوانه وبقي إلى أن تـوفي قـلاون ، وأخـذه الأشـرف
١٢٦ و صحبته إلى عكا وسيّر الدويـدار(٣) // يستعفي من الكرك ، ويسـأل الحضور إلى غـزاة عكا(٤) . فـأمره الأشـرف على عكـا ودارت طبلخانتـه بين الخيم ، وسـيّر [آقوش] إلى الكـرك(٥) ، وحضر الـدويدار إلى عكـا ، وأقام بـالكرك إلى سنـة ثمان وسبعمـاية(٦) ، ونـزل منها ، كـما تقدم ذكـره ، عنـد حضـور السلطان إليها إلى أن اتفق القبض عليه .

(١) عـلي بن المنصور قـلاوون، الملك الصالـح علاء الـدين. توفي ٤ شعبـان سنة ٣/٦٨٧ أيلول ١٢٨٨.
النويري ٢٩ : ١٤١ظ ـ ١٤٢و؛ أبو الفدا، المختصر ٤ : ٢٢؛ المقريزي ١/٣ : ٧٤٦.

(٢) عمر بن عبد العزيز بن الحسن (الحسين)، الصاحب فخر الدين المعروف بابن الخليـلي. ولي الوزارة أربع مرات، أولها أيـام المنصور قـلاوون وآخرهـا في دولة النـاصر محمـد بن قلاوون، وذلك في شهر شوال سنة ٧٠٩/ ١٣١١ . توفي مصروفاً يوم عيد الفطر سنـة ١٠/٧١١ شباط ١٣١٢ ، ودفن بالقرافة.
الذهبي، ذيول: ٥٨ ـ ٥٩؛ المقريزي ١/٢ : ١١٣؛ ابن حجر ٣: ١٧٠ ـ ١٧١.

(٣) سنجـر بن عبد الله الـدواداري، الأمير علم الـدين. تـوفي بحصن الأكـراد في ٣ رجب سنـة ٦٩٩/ ٢٥ اذار ١٣٠٠.
اليـونيني ٣: ١٧٤و؛ الصفدي، الـوافي ١٥: ٤٧٩ ـ ٤٨٢؛ ابن حبيب، تذكـرة ١: ٢٢٩؛ المقريزي ١/٣: ٩٠٥.

(٤) سقطت عكا بيد الأشرف خليل بن قلاوون في ١٧ جمادى الأخرة سنة ١٧/٦٩٠ أيار ١٢٩٠ .
أبو الفدا، المختصر ٤ : ٢٤ ـ ٢٥؛ ابن الدواداري ٨: ٣٠٨ ـ ٣١٠؛
الـذهبي، كتاب دول ٢ : ١٤٤ ـ ١٤٥؛ ابن الفـرات، تاريـخ ٨: ١١٠ ـ ١١٢؛ رنسمان ٣: ٦٩٦ ـ ٧١٣؛ RICHARD, Le royaume Latin de Jérusalem, P. 333 - 345
PRAWER, Histoire du royaume Latin, II, P. 555.

(٥) و (٦) ولي اقوش الأشرفي الكرك في جمادى الأخـرة سنة ١٢٩١/٦٩٠ وصـرف عنهـا فـي شوال سنة ١٣١٠/٧٠٨، إثر وصول السلطان الناصر محمد إليها.
ابن الدواداري ٩: ١٦١ ـ ١٦٢؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٦٨، ١/٢: ٤٤.

وكان هذا الرجل من الأشكال الغريبة بين الترك ، فإنـه كان خـرباطي الجنس ، وكان يلقب بين المماليك بـالبرنـاق لكبر أنفـه ، ولم يكن له شكـالة ظاهرة ، وكان رجل عليه جلالة ووقار ، وحرمة لـه في النفس ومهابـة ، حتى أن الـرجل إذا رآه وقعت لـه في نفسـه هيبـة من الله تعـالى . وكـان يتفق لـه أشيـاء يفعلها بحـرمته مـا يقدر أحـد على فعلهـا ، وقد تقـدم ضـربـه لـزين البزدار[1] الضرب العـظيم ، وكانت لـه أشياء معجبـة وأخلاق يقتـدى بها ، حتى أنـه عمر تحت الجبـل[2] المجاور فيـه للنظر لـولده تـربـة ، وبنى فـوقهـا مكان على صفة المغارة يـأتي فيه أهـوية عـظيمة . وكـان يوم يخلو من الخـدمة يركب للتسبيح إليه ، وإذا تارة يمشي ويبقى فـرسه وغـلامه ومملوكـه من بعيد يتبعـونه ، فتـارة يركب من بـاب النصر ، وتـارة من بـرّاه ، وتـارة يصـل إلى
١٢٦ ظ الجبل وهو ماشي[3] ، وكذلك // كان يفعل يوم الخدمة .

واتفق لـه ، عند حضـور أمين الـدين [أمين الملك] من القـدس[4] ، وولي الـوزارة ، حكر بجـانب باب النصـر مكـان وعمله دكـاكـين ، وقصـد عمل ربع فوقه للكِـرَاء ، فدخـل من باب النصـر رآه فوقف ، وقـال : « مَنْ بنى هـذا ؟ » قالـوا له : « فـلان » . قال : « قـولوا لـه لا يبني في مثـل هـذا المكان شيء ، فإن هذا باب يـدخل منـه القصاد والـرسل وأهـل الشـرق ، فـما يمكن أن يكون ضيّق » . فبلغ ذلـك أمين الـدين ، فلم يكترث بـأمره ، فصبـر عليـه إلى أن انتهى عمله ، ولم يبق غـير أن يسكن ، فـركب وأخـذ

(١) وهو مدجّن الصقور (Fauconnier)

DOZY, Suppl. I, P. 81.

(٢) وهو الجبل الأحمر (الصفدي، الوافي ٩: ٣٣٧)، وهذا الجبـل مطل عـلى القاهـرة من شرقيهـا الشمالي، ويعرف باليحموم أي الجبل المرتفع.
المقريزي، الخطط١: ٦٢٥.

(٣) قارن بالصفدي، الوافي ٩: ٣٣٦ ـ ٣٣٧..

(٤) كان حضوره إلى مصر في ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٢/٧٢٢ أيـار ١٣٢٣، وذلك كي يـلي الوزارة للمرة الثالثة.
الصفدي، أعيان ٣: ٢٤ظ.

صحبته غلمان ومعهم مسَاحي وأخربه إلى الأرض . وكان السلطان قد تحدث معه في أمر قبة النصر ، وقال : « يا جمال الدين ، كنت اليوم أطعم الطير ، وجدت قبة النصر قد شرع عمارتها للخراب ، وأنا أريد أجددها » . قال له : « يا خوند ، نِعْم ما رأيت ، وأنا أكون مشدّها » . فتبسم السلطان ، وأمر بجميع ما يحتاج إليه . فكان يجلس كل يوم عليها ، ويستعمل الصناع ويهندزهم ، فحصل أنه يوم جالس على جانب الحائط ، وإذا برجل من الجند حضر إليه وكأنه كان ، والعلم لله تعالى ، رأسه مشغول ، فوقف قباله وقال : « أنت مشد هوني ؟ » . قال : « نعم » .

١٢٧ و قال : « ومن خلاّك ؟ // قال : « السلطان » . قال : « وما أصاب اسقع ذقن منك تخلّيه مشد؟». قال له : «لا». قال : « فايش اسمك؟». قال : « إسمي آقوش » ، ونظر إليه وهو لا يخلو من شغل ، ثم قال : « تسقيني ماء ؟ قال : « نعم » . وصاح على بعض الأسرى أن يأتي بما يشرب ، وأشار لهم أن يمسكوه ، وأنزلوه من فرسه وضربه ضرب مؤلم مقدار الحدّ ، وقال : « والله ما نؤاخذك بشيء » .

ولما كان باكر النهار ، طلع الخدمة وحكى للأمراء ما اتفق له مع الرجل ، وحكى أيضاً للسلطان الحكاية الذي اتفقت له على جليّتها ثم قال : « والله يا خوند ، ما كان في نفسي شيء مما سبنّي به ولا ضربته عليه ، وإنما أخذت منه الحد . وكانت له حكايات كثيرة تتفق في نيابة الكرك ونيابة الشام . وكان قد ولي نظر المرستان ، وصنع فيها أمور كثيرة من الحسنات ، ورتب فيه كل شيء حسن . ولما قبض عليه ولّى السلطان الأمير علم الدين الجَاوْلي[1] نظره ، واتفق في ولايته أمور كثيرة من أسباب

(١) سنجر بن عبد الله الجاولي المنصوري . ولد بآمد سنة ٦٥٣ ثم صار لأمير من الظاهرية يقال له جاول فنسب إليه . ناب غزة وحماه ثم استقر بمصر امير ماية كبير . توفي بمنزله بالكبش في ٩ رمضان (وقيل في ٨ ربيع الأول) سنة ١٤/٧٤٥ كانون الثاني ١٣٤٥ . وله عماير عدة . الذهبي ، ذيول : ٢٤٧ ؛ الشجاعي ١ : ٢٧٥ - ٢٧٦ ؛ الصفدي الوافي ١٥ : ٤٨٢ - ٤٨٤ ؛ ابن رافع ، الوفيات ١ : ٤٩٨ - ٤٩٩ ؛ المقريزي ، السلوك ٢/٣ ؛ ٦٧٤ ؛ ابن حجر ٢ : ١٧٠ - ١٧٢ ؛ ابن اياس ١/١ : ٥٠٤ ؛ WIET, Op. Cit., fol. 129b

العسف ، فإنه طلب حساب المرستان ، فوجد فيه نحو مائة ألف درهم متأخرة من البواقي بقيت على مثل سكان الدكاكين ، وسكان الأرباع //
١٢٧ ظ من الأوقاف وشيء من القروض الذي على الناس ، فطالب بها ، ورسم أن يستخلصها من الناس ، وكان فيهم شيء من عشرين سنة وأقل ، ووجدت الناس من ذلك ألم كبير ، وعرّفوه جماعة كبيرة أن هذا المرستان جميعه وأمواله صدقة لله تعالى من صاحبها ، وهو أصل ما يبنى عليه ، فلم يلتفت إلى شيء من ذلك ، وأقامت الناس في شدة من أمره ، وبقيت جماعة كثيرة في السجون بسبب ذلك الدّين .

وكان هذا الرجل كثير الخير والصدقات والمعروف الحسن والكرم ، واتفق له أنه عمر جامع[١] بالحسينية[٢] مجاور قناطر الوز[٣] ، فنزل إليه بعض الأيام ، وجلس داخله فحضر إليه رجل[٤] ومعه قصعة لبن ورقاق ، فقدمه بين يديه ، فنظر إليه وقال : « إيش شغلك ؟ » قال : « يا خوند ، كنت جندي وبطلت ولي عائلة ، ورأيت اليوم قد حضر ، وكان هذا لبن عندي وعملت هذا الرقاق ، وطاب خاطري أن أقدم للأمير شيء يأكله » . قال : « بسم الله » . ولم يمد يده حتى كتب ورقة بخطه ، وناول الرجل وقال : « اخرج أعطيَ هذه لأحد مماليكي برًّا » . فخرج الرجل أعطاها لمن كان معه من مماليكه ، وكانت ثمانية أرادب قمح[٥] ، فما لبث الرجل دون

---

(١) جامع الجاولي، وهو بجوار قلعة الكبش بتمن الخليفة قرب حوض المرصود.

مبارك ٤ : ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) كانت في أيام الفاطميين ثماني حارات خارج باب الفتوح بالقاهرة سكنها جماعة من الأشراف الحسينيين واستوطنوها فسميت بهم .

القلقشندي ٣ : ٣٥٥؛ المقريزي، الخطط ٢ : ٢٠ .

(٣) هذه القناطر على الخليج الكبير يتوصل إليها من الحسينية، أنشأها الناصر محمد بن قلاوون سنة ١٣٢٣/٧٢٥ .

المقريزي، الخطط ٢ : ١٤٨ .

(٤) في الصفدي (الوافي ٩ : ٣٣٦) : «جندي من أكراد الحسينية» .

(٥) في الصفدي : «وأمر له بستمائة درهم» .

١٢٨ و أن // ركب وحملها من الشونة ، ووزن حق الحمولة من الشونة ، ووزن حق الحمولة ، وما بات الرجل إلا والغلة في منزله .

وكان إذا حضر العيد يصنع الطعام ويدخل من يأكل ، فإذا اكتفوا يدخل بأطباق كبار ، ويضعوا أربع زبادي وصحن حلاوة في كل طبق ، وأول ما يفرق على جيرانه ، ولم يدع أحد في ذلك المكان حتى يسيّر إليه ، ثم على جنده ثم على مماليكه ثم الغلمان بأسمائهم، ومهما فضل يتصدق به . ولم يعرف له مدة إقامته بمصر أباع أحد من شونته إردب قمح ، والجميع كان يخرج صدقات وإنعامات ، ولا علم له أنه اعتراه مرض ، فإنه كان قليل أن يأكل زفر الأكل جمعة دفعة أو دفعتين ، ولم يُعرف أنه جرّد أحد من جماعته أو من المماليك وجزى من رفقته شيء إلا من خزانته .

ومن نكته الظريفة أن آقبغا عبد الواحد اتفق له شراء دار لاجين الجاشنكير[1] القريبة لجامع الأزهر ، وأخذ أملاك كثيرة مجاورتها لناس ، واحتاج إلى دكاكين يخربها ويوسع في مكانه، وكانت الدكاكين وقف المرستان ، فخاطبه في أمرها عند خروجه من الخدمة ، وقام إليه وسأله أن يبيعها ويعرض الوقف عنها ، فراجعه أن هذا وقف ومّا يمكن المسامحة في مثل ذلك ، فألح عليه فتبسم ، وقال : « إيش تعمل بهذا الدكاكين؟» .
١٢٨ ظ قال : « أريد أعملها // اصطبل» . قال : « أدلك على مكان يجيء أحسن منها واوسع ، ويكون للخيل متسع جيد » . قال له : « في أين يا خوند؟» . قال : « شاور السلطان ، وخذ جامع الأزهر اعمله اصطبل ، واعمل فيه طوايل للخيل وكرد خورات ، فما بقى يعوزك إلا ذلك » ، فرجع عنه وهو خجلان . ومن ذلك أيضاً أنه طلع يوم إلى علو السطوح الذي له، نظر إلى

(١) هو حسام الدين لاجين زيرباج الجاشنكير، أحد أمراء القاهرة، توفي في ٤ صفر سنة ١٧/٧٣١ تشرين الثاني ١٣٣٠ .
المقريزي، السلوك ٢/٢ : ١٣٣٨؛ ابن حجر ٣: ٢٧١ .

بـاذهنج[1] متـرفع متسـع العمل أعـلى ما يكـون في حارة زويلة[2] ، فـأنكـر ذلـك ، وسأل : « لمن يكـون هذا ؟ » ، وكشف خبـره ، فبلغوه أنـه لمـوسى صيـرفي الأمير بكتمـر الساقي ، فـطلب الغلمـان وبعض ممـاليكـه وأعـطاهم فؤوس ومسـاحي ، وقـال : « اهجمـوا البيت وهـدوا هـذا البـاذهنـج إلى الأرض » . وعنـد حضورهم إلى بيت الصيـرفي وجدوه مغلوق وبـابه لا يمكن فتحـه ، فرجعـوا عرّفـوه . ويلغ ذلك الصيـرفي ، فغلق دكانـه وطلع لبكتمر عرّفه ، فسـيّر بكتمر طلب ابن هـلال الدولـة ، وعرّفـه أن ينـزل إليـه ويلطّف القضيـة ، ويسألـه من جهة بكتمـر شفاعـة فيه ، وكـان يعلم أن ابن هـلال الدولة جاره وله عليه إدلال بسبب مباشرته رفيق لـه في المرستـان . فنزل إليـه سـاعة رآه ، وقـال : جا والله ابن هـلال الـدولـة يشفـع في اليهـود ، فسلّم عليه ولاطفه ، وعـرّفه أن بكتمـر الساقي سيّـره لخدمتـه بهذا السبب ، ويشفـع

١٢٩ و فيه ويسأله في أمر غلامه وصيرفه ، فقال : // « قله إن الأمور الشـرعية قـد حكمت بشيء لا يمكن الخـروج عنه ، فـإن أصل بيعـة اليهود والنصـارى أن لا تعلو كلمتهم على كلمة المسلم ، ولا تعلو عمارته فـوق عمارة المسلمـين ، وهـذا يعلم أنني أكبر أمـراء مصر ، فـاطلع انـظر إلى بـاذهنجي وإلى عمـارة بيتي ، وخـلّي أنت باقي المسلمـين والنصـارى واليهـود ، فقـد خـالف سـايـر الملك ، يا ابن هلال الـدولة ، اليهـود والنصارى خـونة لعن الله من ألبسهم ثوب عزّ ، والله متى لم يهدمه هـدمت الدار بـأجمعها » . ولم يـزل يلاطفـه إلى أن اختصر الحال أن يهدم علو الباذهنج فهدم علوه .

وأيضاً أنه كان وهو ناظر المـرستان ، فـإنه كـان قريب بيتـه ، ويدخـل

(١) منفذ للتهوية في البيوت ، وقد عرفه DOZY كما يلي:

«Tuyau semblable à celui d'une cheminée servant de ventilateur».

DOZY, **Suppl.**, I, P. 47.

(٢) محلة كبيرة بالقـاهرة بينهـا وبين بـاب زويلة عدة محـال، وهي منسوبـة لقبيلة زويلة التي أنزلهـا جوهر الصقلي في مكان ما من القاهرة فسميت بها.
المقريزي، الخطط ٢ : ٤ .

إليهم على غفلة ويتفقدهم ويجد بعضهم لم يحضر في الليل ، وكذلك يصعد إلى علو المأذنة ويتفقد المؤذنين ، ويعلم من حضر ومن غاب ، فيجد جماعة ، وكذلك يدخل أماكن الدرس وغيرها، فيجد من حضر ويعرف من غاب ، وجمع ذلك الحرج منه إلى يوم نزل من الخدمة ، وأوصى أن يحضر ساير من له وظيفة في المرستان ، ونزل فوجد الجميع قد حضروا ، فسلّم لمماليكه العصي بأيديهم ، وكانوا يعلموا خلقه ، وصار يدعو الناس واحد بعد واحد ، وكل من دخل أخذته أيدي مماليكه بالعصي على أكتافه ضرب مؤلم إلى أن فعل بالجميع هذا ، ولم يسلم منه غير الشيخ زين الدين ابن
١٢٩ ظ الكنتاني[١] . فإنه حضر في آخر الوقت ورآه على // هذه الصورة ، فدخل إليه ونهاه وتلطف معه إلى أن أخذه وقام ، وبقي من ذلك النهار لم يرجع أحد يمكنه أن ينقطع عن وظيفته أبداً ـ تغمده الله برحمته وعفا عنه وسامحه ـ .

وأيضاً توفي الأمير سيف الدين أيتمش[٢] نايب صفد المقدم ذكره ، وكان هذا الرجل أصله من المماليك المنصورية ، ثم أعطاه السلطان لولده الملك الأشرف ، وحصل بينه وبين الحاج أرقطاي أخوّة لم ير أحد أشد من أخوّتهم ، وحفظ نظامهم ، وحصل بيني وبين هذا الرجل صحبة أكيدة عند دخوله إلى مصر مع السلطان بعد نيابة الكرك . وكان هذا الرجل تتري

(١) عمر بن أبي الحزم بن عبد الرحمن الكنتاني (الكتاني)، الشيخ زين الدين الشافعي. توفي بالقاهرة في ١٦ رمضان ٧٣٨/٧ نيسان ١٣٣٨ ، ودفن بالقرافة.

ابن الوردي ٢ : ٤٥١ ـ ٤٥٢؛ السبكي ٦ : ٢٤٥؛ ابن كثير ١٤ : ١٨٣؛ ابن حبيب، تذكرة ٢ : ٢٩١؛ الأسنوي ٢ : ٣٥٨ ـ ٣٥٩؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٥٦؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان : ٢٧٢ظ ـ ٢٧٣و.

(٢) أيتمش بن عبد الله المحمدي، الأمير سيف الدين. توفي في ذي الحجة سنة ٧٣٦/ تموز ـ آب ١٣٣٦.

الجزري : ٤٨٨؛ ابن شاكر، عيون التواريخ : ١٧؛ ابن حبيب، تذكرة ٢ : ٢٧٦؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان : ٢٦٧ظ؛ ابن حجر ١ : ٤٢٣ ـ ٤٢٤؛ العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٣ظ ـ ١٠٤و؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 192

الجنس ، ويعرف بلسان المغل ، كان في كلامه بالمغلي في غاية ما يكون من الفصاحة بين المغل ، وكذلك كان في حفظه بالتتري إذا حضر كتاب من الشرق يقرأه ويكتب جوابه ، وإذا كتبه يكون أحسن من خط الكوفي المجيد ، وإذا وصل كتابه إلى الشرق ، ويروا الخط يتعجبوا له . وأخبرني أن كلامه وكتابته كان سبباً لسعادته ، فإنه أيام كتبغا أعرضوا المماليك وهو من جملتهم ، فرآه الأمير سيف الدين قفجق[1] فتلوّح من وجهه ، وهو شاب، أنه تتري ، فطلبه إليه ، وتحدث معه بالتتري فأجابه ، ورآه فصيح ، فسأله عن كتّابه ، وأخبره فوجده أحسن ما يكون من كتّاب المغل ، فعجب منه وزاد جامكيته وراتبه .

واتفق أنه حضرت رسل من الشرق وصحبتهم كتاب ، فقال
١٣٠ و قفجق : « اطلبوا // لنا أيتمش ، » فطلبوه وأجلسه كتبغا ، وقرأ الكتاب ، وكتب الجواب من أحسن ما يكون ، فعجب كتبغا به وأعطاه إقطاع يصلح لمثله ، ولم يكن في الدولة الناصرية أمين جرب في ساير أشغال السلطان أكبر منه ، ولا كان يثق في الأمور المعطلة بغيره ، وكان أول نزول السلطان من الكرك سنة ثمان [وسبعماية] وولاه نيابتها ، فعرف أيضاً بأيتمش المحمدي نايب الكرك ، ثم ولي نيابة السلطنة بمصر في غيبة السلطان[2] ، لما خرج العسكر للمتقى خربندا على الرحبة[3] ، وقد ذكرنا أحكامه في

---

(١) قفجق (قبجق) المنصوري، الأمير سيف الدين. توفي بحماة في جمادى الأولى سنة ٧١٠/ أيلول - تشرين الأول ١٣١١ .
أبو الفدا، المختصر ٤ : ٦٠؛ الذهبي، ذيول: ٥٤؛ المقريزي ٢/١ : ٩٦؛ ابن حجر ٣: ٢٤١ - ٢٤٣ .

(٢) وذلك في ٢ شوال سنة ٧١٢/ ٢ كانون الثاني ١٣١٣ .
أبو الفدا، المختصر ٤ : ٧٠؛ ابن الدواداري ٩: ٢٤٥ - ٢٤٧، ٢٥١ - ٢٦٣؛ الذهبي، ذيول: ٦٧ .

(٣) بضم الراء المهملة وفتحها، وهي مدينة DUSSAUD, Op. Cit., P. 252 et suiv. غربي الفرات بيّن الرقة وعانة . ابن سعيد، كتاب بسط الأرض: ٢٨٨ .

غيبته ، واستقل نايب الغيبة ، ثم ولي أمر الكشف سنة الروك[1] ، واتفق في أحكامه ما قدمنا ذكره .

وجرّد[٥] السلطان خلف حميضة[2] إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، واتفق له من القتال على زَيْمَة[3] قريب وادي نخلة ، وقتل من العرب جماعة ، ثم سيّر السلطان إليه منصور بن جماز أمير المدينة - على ساكنها السلام - وأمره أن يدخل المدينة وأُدّي ، وكان في نحو خمسين جندي ، واتفق له من القتال ما قدمنا ذكره . ثم جُرّد[4] إلى بَرْقة[5] وصحبته ثلثماية جندي ،

---

(١) وهي سنة ٧١٥/١٣١٥ . (ابن الدواداري ٩ : ٢٨٦ - ٢٨٧ ؛ المقريزي ٢/١ : ١٤٦ - ١٤٧) . والروك لفظة قبطية (روش) ومعناها قياس الأرض بالحبل ، وهو مصطلح عرف في القرون الوسطى معناه عملية المسح وتقسيم الأراضي ودراسة خصبها وإمكانياتها الزراعية أو المعدنية ، وذلك من أجل تمكين الدولة من فرض الضرائب المناسبة والعادلة . وكانت القاعدة أن تراك الأراضي كل ثلاثين سنة مع الاشارة إلى أن هذه المدة كانت تنقص أو تزيد وفقاً لحاجة الدولة .

QUATREMÈRE, Op. Cit., II, 1, P. 132 et II, 2, P. 25; DE SACY, Sur la nature et les évolutions du droit de la propriété... II, P. 200 et III, P. 229.

(٢) حميضة بن أبي نمي محمد بن حسن بن قتادة الحسني ، الأمير عز الدين صاحب مكة المكرمة . قتل في وادي بني شعبة في ١٧ جمادى الأولى سنة ٧٢٠/ ٢٥ حزيران ١٣٢٠ .

أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٨٩ ؛ الذهبي ، ذيول : ١١٣ ؛ ابن حبيب ، تذكرة ٢ : ١٠٩ ؛ ابن حجر ٢ : ٧٨ - ٨١ .

(٣) جاء في ياقوت (٣ : ١٦٥) الزيمة : قرية بوادي نخلة من أرض مكة . وهي اليوم بلدة ذات إمارة يتبعها عدد من القرى ، من إمارات منطقة مكة المكرمة . الجاسر ١ : ٥٥٣ - ٥٥٤ .

(٤) وذلك في ٢١ المحرم سنة ٧١٩/١٤ آذار ١٣١٩ .

ابن الدواداري ٩ : ٢٩٥ ؛ المقريزي ٢/١ : ١٩٠ - ١٩٢ ؛ ابن حجر ١ : ٥٣٧ .

(٥) صقع كبير يقوم على هضبة جيرية فسيحة ترتفع عن سطح البحر بين ١٢٠٠ - ١٦٠٠ قدم ، يشتمل على مدن وقرى قسم منها محسوب من الديار المصرية ، وهو ما دون العقبة إلى الشرق ، وقسم محسوب من أفريقية وهو ما فوق العقبة إلى الغرب ، واسم مدينتها بنطابلس (أي خمس مدن) .

ياقوت ١ : ٣٨٨ - ٣٨٩ ؛ الحميري : ٩١ ؛ ابن دقماق ٥ : ١٤ - ١٥ ؛ القلقشندي ٣ : ٣٩١ - ٣٩٢ . وبرقة اليوم من مدن الجماهيرية الليبيه .

DESPUIS, art. «Barka», EI² I, P. 1080a - 1081b.

وذكرنا ما اتفق له من المقاتلة بينه وبين عرب جعفر بن عمر[1] وانتصاره
١٣٠ ظ عليه ، كما تقدم ذكره ، ثم اتفق رأيه على سفره إلى بلاد // الشرق، وترسّله بين أبو سعيد وجوبان والسلطان إلى أن وقع الصلح بين الطايفتين ، وتكرر سفره إليهم ، واستحسنوا كلامه وصدقه ، وأعطاه السلطان تقدمة ألف عند حضوره ، وكان إذا حضر أحد من جهة أبو سعيد وجوبان يقولوا للسلطان عن لسانهم أن لا يكون رسول غير أيتمش . وكان السلطان إذا جلسوا الأمراء الخاسكية معه خلوة ، ويذكروا الفروسية ويعدّوا فلان وفلان ، يقول السلطان لهم : « أنتم تقولوا من فيكم شاهد ما تذكروه من هؤلاء ، إذا ذكرتم بالتجربة اذكروا أيتمش ، فإنه رجل ميمون العزّة ما سيّره في أمر إلا وقضاه ، ولا وقف في حرب إلا وانتصر ، وشكره كل من يكون معه » .

وكان آخر عمره أصابه مرض الفالج ، وأقام به سنة كاملة ، ويبقى يدخل الخدمة وبيده عصاة يتعكز عليها، إلى أن سيّر تنكز اشتكى من أخوه أرقطاي نايب صفد ، فكتب السلطان بحضوره إلى مصر ، وسفّر أيتمش مكانه إلى صفد . ولما وصل إليها اتفق له ما اتفق مع نايب الشام ، مما قدمنا ذكره ، وكتب السلطان لنايب الشام وأوصاه به ، فاتفقت وفاته بعد قليل .

ولما ركب البريدي من صفد إلى نايب الشام ، وأخبروا بوفاته ، أظهر
١٣١ و نايب الشام الشماتة به ، وظهر عليه السرور كونه نال // مقصده . وكان بقي في خاطره منه أمر كثير لما نصره السلطان ، وكتب إليه بإكرامه ، ولم[2] يسمع شكواه فيه ، وخلع ، في ذلك الوقت الذي حضر إليه البريدي بوفاته ، قرظية كان لابسها بطراز زركش أرماها على أكتاف البريدي ، فظهر الأمر ذلك الوقت منه الشماتة به ، ثم طلب بكتمر المشد ، ورسم

---

(١) انظر ترجمته في المقريزي وابن حجر، المصدران السابقان.

(٢) ولم: مكررة في الأصل.

أن يركب إلى صفد ، ويوقع الحوطة على موجوده ، ويعاقب خزنداره[1] وممن يذكر أن عنده شيء ، ويأخذ ما يجده له ويبقى إلى أن يرد جواب السلطان بما يرسم في أمره ، فإنه مات ولم يخلف له ولد ، وكتب للسلطان يعرّفه بوفاته صحبة مملوكه ، وعرّفه مشافاة أن زوجته عندها جوهر كثير من أثر حضوره من البلاد ، وترسّله بينهم . فلما وصل خبره ، وعلم السلطان تأسف عليه أسفاً كثيراً ، وعرّف الأمراء ، وقال : « كيف نعمل بأرقطاي أخوه ، فإنه لما حضر إلى مصر كان له ثلاثة أولاد ، فتوفي الواحد في صفد عند حضوره ، وقد توفي أخوه » ، وطلب الحاجب وقال : « وقت يخرج أرقطاي من الخدمة روح إلى بيته وقلّه السلطان يعزّيك في أخوك ، وقد رسم لك بجميع ماله لك ، فإنه يعلم ما بينكم من الأخوة » . فوصل الحاجب إليه وعرّفه ، فحزن وعمل عزاه ودخل باس الأرض ، فطلبه
١٣١ ظ السلطان إليه وعزّاه // وعرّف الدويدار أن يكتب جواب نايب الشام أنه يرفع الحوطة عن جميع مال أيتمش ، فإنه قد أنعم به على أخوه ، ويسيّر مماليكه وزوجته وساير حاشيته مكرومين إلى مصر .

وأخبرني جماعة من مماليكه ، عندما سألت عن سبب موته ، أنه نزل إلى العين ، وأقام بها نصف يوم وأتوه بسمك صيد فأكل منه ، وأقام ساعة ، فوجد في فؤاده وهج عظيم ، ودخل عليه دخيل ، وأنهم أركبوه في محفة ، وأنه شرب في طلوعه من العين إلى صفد نحو سبعين دفعة ، وذُكر لي ،وهم المقلدين لذلك، أن بعض خشداشيتهم كان يسيّره إلى نايب الشام دفوع عدة ، وربما أنه استحقه في الموافقة على سقيه السم إلى أن صار عند وفاته يبكي ويصبح ويقول : « ويا أستاذاه » . وأن بعض خشداشيته قال له : « يا فاعل ، يا تارك . فعلت بأستاذك الذي فعلت والساعة تقول : ويا أستاذاه، هكذا يقولوه ؟ » . وأخبرني أيضاً أنه لما وصل بكتمر المشد من جهة نايب الشام مسك ساير جماعته، وقصد أن يدخل على زوجته

(١) هو المتحدث على خزانة السلطان أو الأمير، وما بها من نقد وقماش.
LITTLE, art.«Khaznadār», EI², IV, P. 1219b - 1220a.

ويحتاط ، فغلقت الباب في وجهه وقالت : « والله ، ما يدخل عليّ أحد إلا قتلت نفسي ، وأنا جارية السلطان وزوجي مملوك السلطان وماله عندي ، إذا وصلت لأستاذي أخرجته » ، فخشي بكتمر عاقبته ، وكاسر في أمرهم
١٣٢ و إلى أن // حضر [أمر][1] من نايب الشام بتجهيزهم وسفرهم إلى مصر ، فرفع الحوطة عنهم وسفّرهم إلى مصر .

وقصد النشو أن يحصل له من تركته شيء ، فعرّف السلطان شيء من ذلك ، فعرّفه أن لا يتعرض إليه . ولما حضر طلبه ، أخذ للسلطان جماعة من مماليكه ورتّبهم أرباب وظايف ، ووجد قد كتب قبل وفاته إنعام على جماعة كانت عادته ينعم عليهم ، ومن جملتهم مرسوم بإسمي بألفي درهم ، ولبعض الناس وشخص من جنس التتر وغيره بنحو بثلاثين ألف درهم ، فشاور أرقطاي السلطان عليها ، فقال : « كل شيء كتبه في حال حياته أوفيه ، فوفنا الجميع . ونقول من غير تعصب لصحبته أنه ما دخل مصر من المغل مملوك أكرم من نفسه ، ولا أسمح ، وكان فيه خصلة افترد بها ، قد تقدم ذكرها في أماكن كثيرة ، إذا ظهر له في حكم الحق لا يرجع أبداً . وكان من المحسنين إليّ وسبب تكبيري بين الناس ، وقدّمني للسلطان دفعتين والنايب ، حتى نلت منه كل خير ، وسمعت منه من الغرايب ما استعنت به على هذا التاريخ وغيره من أمور كانت تتفق له مع السلطان ، وما كان يتفق له في بلاد الشرق وغيره ـ تغمده الله برحمته وعفا عنه ـ .

ذكر توفي أبو سعيد[2] ملك الشرق

١٣٢ ظ وكان أبو سعيد ملك الشرق بعد وفاة أبوه // السلطان خربندا ،

---

(١) إضافة اقتضاها السياق.

(٢) أبو سعيد (بو سعيد) بن محمد خربندا (أولجيتو) بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغولي ملك الشرق (العراق والجزيرة وأذربيجان وخرسان وبلاد الروم وأطراف ممالك ما وراء النهر). توفي دون عقب في ربيع الآخر سنة ٧٣٦/ تشرين الثاني ـ كانون الأول ١٣٣٥ ، بعد أن حكم مدة عشرين سنة، ودفن بتربته بالسلطانية، وبموته انقرض ملك بني هولاكو، وصار الأمر في =

وكان خربندا ملك بعد أخوه محمود غازان سنة ثلاث وسبعماية ، وتوفي سنة سبع عشرة[1] وسبعماية ، واتفقوا على تولية ولده أبو سعيد، فتولى الملك وحكم دولته الأمير جوبان ، وملك هو وأولاده حكم الأردو وساير الأقاليم، إلى أن اتفق له ما اتفق من القتل . وكان أبو سعيد رجل مشغوف باللهو والطرب وكتم ذلك إلى أن تمكن من قتل جوبان وأولاده ، فأشهره واشتغل بالشراب ، واجتمع بالملهى وطلب المطربين من بغداد وغيرها وجمعهم عليه ، وأخذ عنهم صنعة العود وغيره من الطرب ، وأجاد في صنعته إلى أن صنف الأقوال المطربة ، واستخرج الطرب ، وأخذوا عنه أهل الشرق ، وكان يغني باجتماع القضاة والملهى في مجلسه ، وتاه في اللهو ، وذكر عنه جماعة كثيرة أنه كان قد حرم أمر النكاح إلا في بعض السنين . وكان مشغوف بهوى زوجته بنت جوبان بغداد خاتون[2] ، وكانت من الوجوه المبدعة بالحسن لم يكن في بنات المغل أحسن منها . وذكرت جماعة كثيرة أنها كانت تكره أبو سعيد لقلة نكاحه وقلة التفاته إليها ، ونقلوا أنها بذلك السبب قتلته، وربما كانت قد تعلقت بأحد أبناء المغل . والثانية [ما][3]

= العراق لسواهم.

انظر ترجمته في: الذهبي، ذيول: ١٩١ - ١٩٢؛ الصفدي، الوافي ١٠: ٣٢٢ - ٣٢٣؛ ابن كثير ١٤: ١٧٣؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٧١ - ٢٧٢، ودرة ٢: ٢٤٨و؛ ابن خلدون ٥/٤: ٩٤٤؛ المقريزي ٢/٢: ٤٠٤؛ ابن قاضي شهبه، نسخة دار الكتب: ١١ظ؛ ابن حجر ٢: ١٣٧ - ١٣٨؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣٠٩. وانظر أيضاً:

SPULER, art. **Ilkhāns**, Op. Cit; ZAMBAUR, **Op. Cit.**, P. 244 - 245; D'OHSSON, **Histoire**, IV, P. 667 - 720.

(١) الأصل: «تسع عشر»، وهو خطأ، والتصحيح بعد مراجعة SPULER(art. Ilkhāns) والمصادر المعاصرة للحدث.

(٢) وفي معرض إشارته إلى مشاركتها لزوجها في الحكم، يقول ابن فضل الله (ممالك بيت جنكزخان: ٦٧) « فإننا ما رأينا في زماننا، ولا سمعنا عمن قارب زماننا أن امرأة تحكمت تحكمها». قتلت بعد وفاة زوجها بمعرفة أربا كاؤون سنة ٧٣٦/١٣٣٦.

المقريزي ٢/٢: ٤٠٦؛ ابن حجر ١: ٤٨٠؛ D'OHSSON, Op. Cit., IV, P. 720

(٣) ما بين الحاصرتين اقتضاها السياق.

١٣٣ و في نفسها من قتل // أبوها وأخوتها ، وعلم ذلك عند الله تعالى ، وحضر إلى مصر. من مصنفاته في بنت جوبان زوجته من شعره بالعربي ، فإن أكثر تصانيفه كانت على قاعدة العجم ولسان المغل ، وأخبرني بعض المطربين الذي كان يجالسه أنه لما صنّف بالعربية غنّى هذه الأبيات :

يا من تملّك قلبي ... يا ساكناً بفؤادي
من بعد بعدك جفني ... لم يكتحل برقادِ
هواك أنْحَل جسمي ... يا مالكاً لقيادي
فامْنِنْ عليّ بوصلٍ ... من بعد هذا البعادِ

وله :

يا فاتن البرايا ... بحسنه العجيبِ
يا كامل المعاني ... يا سالب القلوبِ
صيّرت يا مفدى ... ذلّ الهوى نصيبي
فاعطف علي المغنى ... بالله يا حبيبي

وتوفي وعمره ثلاثة وثلاثين سنة ، وحكم الشرق قريب العشرين سنة ، واختلفت بعده .

وأيضاً توفي الأمير شهاب الدين[١] صاروجا نقيب الجيش ، وكان موته فجأة ، فإن السلطان كان في الصيد[٢] بذلك البر ، وكانت عادته قبل نزول السلطان يقف على الطريق وينزل الناس منازلهم ، وعند وقوفه ، وهو على ظهر فرسه ، مال إلى الأرض وأنزلوه ، فتوفي على الأرض ، وحمل إلى المدينة[٣] ، ودفن بتربته خارج باب القرافة ، وولي نقابة الجيش بعده

---

(١) كذا؛ وفي الصفدي (الوافي ١٦ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦) وابن حجر (٢ : ١٩٧ ـ ١٩٨) «صارم الدين صاروجا»؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٤٠٥) «شهاب الدين أحمد ابن صاروجا».
(٢) كذا في المقريزي؛ وفي الصفدي «الصعيد».
(٣) المقصود: مدينة القاهرة.

[الأمير بدر الدين بكتاش](1) .

١٣٣ ظ وأيضاً توفي الشيخ سيف الدين(2) شيخ زاوية أبو السعود // ودفن بها ، وكان أصل هذا الرجل من مماليك الأمير بدر الدين بيسري الشمسي ـ تغمده الله برحمته ـ وكان يعرف بسيف الدين [عبد اللطيف بن] بلبان ، وكان قد انقطع في الزاوية ، وعمل شيخها . وكان رجل جيد مشهور بالخير والعفّة والدين ، وأقام شيخ الزاوية مدة خمسين(3) سنة ، وتوفي ـ تغمده الله برحمته ـ .

وأيضاً توفي القاضي علاي الدين الجوجهي(4) ناظر الخزانة ، وكان رجل له علم ودين ، مالكي المذهب ، وكان له عمل في تفسير الرؤيا ، وأقام مدة في الخزانة ـ تغمده الله برحمته ـ .

وفاء النيل

وفيها كان وفاء النيل المبارك ثمان عشر ذراع ، وشمل ساير الأقاليم بالرّي ، .

ذكر دخول سنة سبع وثلاثين وسبعماية [وحوادثها]

وفي هذه السنة كتب السلطان لنايب الشام ونايب حلب أن يوقعوا

---

(١) ساقط في الأصل؛ وما أثبتناه بعد مراجعة الشجاعي ١ : ٢٧٦ والمقريزي ٢/٢ : ٤٠٤. توفي بكتاش المذكور في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٧٤٥/٥ تشرين الثاني ١٣٤٤ .
المقريزي ٣/٢ : ٦٧٤.

(٢) عبد اللطيف بن بلبان بن عبد الله البيسري، الشيخ سيف الدين. توفي في ١٧ ربيع الآخر سنة ٧٣٦/٤ كانون الأول ١٣٣٥ .
الصفدي، أعيان ٣ : ١١١و؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٠٥؛ ابن حجر ٢ : ٤٠٦ .

(٣) كذا؛ وفي المقريزي «خمس وخمسين».

(٤) محمد بن نصر الله بن محمد الجوجري (الجوجهي)، القاضي علاء الدين المالكي. توفي في ٩ المحرم سنة ٢٩/٧٣٦ آب ١٣٣٥ ، ودفن بالقرافة .
الجزري : ٤٧١ ؛ المقريزي، المصدر نفسه: ٤٠٥ .

الحوطة على أخباز آل مهنا وآل فضل ، وأخرج من إقطاعاتهم ضياع وأماكن لأمراء الشام وأمراء حلب ، وأخرج أيضاً لنايب الشام وأنعم على شطّي[1] أيضاً بضيعة كانت لموسى ابن مهنا . وكان السبب لذلك أن العرب قطعت الطريق على جماعة من التجار المسافرين ، وأخذوا كل ما كان معهم ، وحضروا شكوا لنايب الشام ، فكتب عرّف السلطان ، فكتب لساير أولاد
١٣٤ ومهنا وآل فضل بالإنكار عليهم وأن // يردوا مال التجار الذي عدم لهم ، فكتبوا الجواب للسلطان أنه لم يكن من عربنا أحد له مع هؤلاء التجار مشكل ، وإنما السلطان يعرف أن بني زبيد[2]، وهي الأحلاف، خارجين عن طاعة السلطنة ، وهم يقفوا في الطرقات ، ويكسبوا من ساير الناس ، وليس يعرف لهم مستقر . فحرج السلطان بهذا السبب ، وأخرج كثير من إقطاعاتهم ، وبقيوا تلك السنة إلى أن ورد موسى بقود عظيم ، فرجع السلطان لهم البعض ، واستمر البعض .

ذكر واقعة ابن اللبّان[3]

كان هذا الرجل يعرف بالشيخ شمس الدين بن اللبّان له علم

(١) شطي بن عبية ، الأمير بدر الدين ، أمير ال عقبة عربْ البلقاء والكرك إلى تخوم الحجاز . توفي ليلة عيد الأضحى سنة ٧٤٨/ آذار ١٣٤٨ .
الصفدي ، الوافي ١٦ : ١٥١ - ١٥٢ ؛ المقريزي ٢ /٣ : ٧٥٥ ؛ ابن حجر ٢ : ١٨٩ .

(٢) قبيلة من القبائل العربية التي سكنت بالشام خارجاً عن طاعة السلطنة المملوكية ، وهم ٣ فرق : زبيد الغوطة (المرج) حول دمشق ، وزبيد صرخد (حوران) ، وزبيد الاحلاف الضاربة بجوار ديار آل فضل .
انظر : القلشقشندي ٤ : ٢١٣ - ٢١٤ .

(٣) محمد بن أحمد بن عبد المؤمن ، الشيخ شمس الدين المعروف بابن اللبّان الشافعي . توفي في الطاعون العام في ٢٥ شوال سنة ٢٨/٧٤٩ كانون الثاني ١٣٤٨ ، وله ٦٩ سنة . من مصنفاته : «ترتيب الأم للشافعي» .
الذهبي ، ذيول : ٢٧١ ؛ الصفدي ، الوافي ٢ : ١٦٨ ؛ السبكي ٥ : ٢١٣ ؛ الاسنوي ٢ : ٣٧٠ ؛ اليافعي ٤ : ٣٣١ ؛ المقريزي ٢ / ٣ : ٧٦٠ . ابن حجر ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١ ؛ ابن اياس ١ /أ : ٥٢٧ ؛ ابن العماد ٦ : ١٦٣ - ١٦٤ .

وأدب ، وصحبة للشيخ ياقوت[1] بالاسكندرية وجماعة من المشايخ ، وحصّل علم أوجب جلوسه في جامع مصر ويتكلم في الوعظ وغيره ، ويفسر القرآن ، واجتمعت إليه جماعة كثيرة وقصدته الناس ، وكان يتكلم بكلام كثير في حق الشيخ ياقوت ويعظّمه ويتغالى فيه ، ويذكر فصل من أمر الأصنام واتخاذها في الجاهلية ، فانتصب له رجل يعرف بابن المغربي[2] من أهل مصر، وشهد عليه جماعة بفصول منها أنه يقول : إن السجود للصنم ليس بمكروه[3] ، وأنه يعظّم الشيخ ياقوت على أحد الصحابة، رضي
١٣٤ ظ الله عنهم ، وأشياء من ذلك يكره سماعها // ، ونظم بذلك الشهود محضراً ، وحضر إلى قاضي القضاة[4] والحكام ، وعرّفهم أن له دعوى يدعي بها على الشيخ ، فطلب من جهة القضاة ، وكان ربما يقع مع بعض الناس في حق القضاة ، وينكّت على أولادهم ، وقصدوا القضاة أن عرفوا السلطان بأمره، فقال السلطان : « إذا ثبت على هذا الرجل شيء يوجب القتل عرّفوني به ، وأطلبوه » . فبلغ ذلك الشيخ شمس الدين ، فركب إلى الأمير بدر الدين جنكلي وعرّفه الصورة ، وأن هذا الرجل قصده حسداً له ، وربما ساعده القضاة على ذلك . واجتمع بالحاج آل ملك والخطيري[5] ، فاجتمعوا بالسلطان ، وأثنوا عليه عنده ، وعرّفوا السلطان أن هذا رجل كبير القدر ، وما يقع في شيء من هذا ، وانتهى أمره أن السلطان قال للقضاء : « اطلبوا هذا الرجل ، واستتوبوه » . فعرّفه القاضي جلال الدين [القزويني] « أن هذا الرجل ومعه جماعة أخرى يجلسوا ويتكلموا بغير علم ، ويجهلوا » . فرسم له أن يطلبهم ويمنعهم . واستقر

(١) ياقوت الحبشي الشاذلي، الشيخ الزاهد. توفي بالاسكندرية في جمادى الآخرة سنة ٧٣٢/ آذار ١٣٣٢.
الذهبي، ذيول: ١٧٣؛ المقريزي ٢/٢ : ٣٥٥؛ ابن حجر ٤ : ٤٠٨؛ ابن العماد ٦ : ١٠٣.
(٢) في الجزري (ص ٥٢٢): «عبد الواحد بن الكاتب المغربي المالكي».
(٣) في المقريزي (٢/٢ : ٤٠٨) «غير محرّم».
(٤) قاضي القضاة جلال الدين القزويني.
(٥) أيدمر، الأمير عز الدين الخطيري. سترد ترجمته في وفيات هذه السنة ما بين ١٦٠ظ ـ ١٦١و.

الحال إلى أنه طلب الشيخ ، وحضر في مجلس القضاة ، واستتوبه[1] ، ورجع عما كان يذكره ، ومنعه الكلام في الجامع وغيره .

وطلب أيضاً الشيخ ركن الدين عمر[2] بن الجعبري ، ومنعه أن
١٣٥ و يتكلم في زاويته ، فتفاوض مع القاضي ، فعرّفه أنه // كتب عليه محضر أنه يتكلم في أمر يجب عليه القتل ، وأنه يذكر مناقب إبراهيم الخليل ، ويشير إلى قبر جده إبراهيم وذكر عنه جماعة كثيرة ذلك ، وكان أيضاً يحط على الحكام في مواعيده ، ويتكلم فيهم وينكت عليهم ويشير إليهم بكل فاحشة ، ومنع الكلام للشيخ الزركشي أيضاً، وجماعة منعهم أن يجلسوا ويتكلموا .

ذكر واقعة ابن البُرُلُّسي[3] والشريف الزمُرّدي

كان السبب للفتنة بينهما أن الشريف قصد عمارة مكان ببركة قرموط[4] مجاور لدار البرلسي ، واحتاج إلى قطعة أرض ، فقصد ابن البرلسي فيها . فأبى أن يعطيه شيء، فكرر عليه السؤال والطلب ، فلم يوافقه ، فطلع إلى الأمير سيف الدين قوصون ، وعرّفه أن ثمّ حكر يشتريه من بيت المال ، وهو يجعل له فايدة عشرة آلاف درهم . وكان الرجل له سعادة طايلة ، وإذا أقام في شيء يبذل فيه مال كثير ، وعرّف قوصون السلطان ، واشترى منه الحكر ، وحمل المال لبيت المال ، وسيّر قوصون

(١) وذلك في شهر المحرم من السنة/ ١٣٣٦ .
الجزري : ٥٢٢ ؛ الذهبي ، ذيول : ١٩٤ ؛ ابن كثير ١٤ : ١٧٧ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٠٨ .

(٢) عمر بن إبراهيم الجعبري ، الشيخ ركن الدين . توفي في سلخ ذي الحجة سنة ١٢/٧٤٧ نيسان ١٣٤٧ .
المقريزي ٢/٣ : ٧٢٣ .

(٣) عبد الله بن إبراهيم البرلسي ، القاضي علاء الدين ، ناظر البيوت . توفي ليلة الخميس ١٣ المحرم سنة ٢١/٧٤٠ تموز ١٣٣٩ .
ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 203.

(٤) هذه البركة فيما بين اللوق والمقس .
المقريزي ، الخطط ٢ : ١٦٤ ـ ١٦٥ .

يقول لابن البرلسي : « خذ عمارتك ، واخلِ حكري » . فحصل عنده ألم عظيم ، وكانت دار قد عمرها ، وأنشأ فيها أماكن كثيرة ، وحكر فيها
١٣٥ ظ| للسكن ، فدخل على // قوصون وغيره من الأمراء ، فلم يلتفت عليه ، وأخرب عمارته وتسلّم الشريف الأرض،وعمّر له فيها مكاناً مستنزه وعماير كثيرة ، وهي باقية إلى الآن .

ذكر ما اتفق بمكة بين الشريفين

ورد الحاج في هذه السنة ، وأخبر عن الشريفين عطيفة ورميثة ، وأن الشريف رميثة جمع القواد ، وقصد بطن مَرّ(١) وأقام فيه على أنه يدخل مكة . وكان [أخوه] الشريف عطيفة مقيم بها ، فلما بلغه حضور رميثة تسلط ولده مبارك على المجاورين وتجار اليمن ومن حضر من جهة البحر وأخذ أموالهم، وأفسد في مكة ـ شرّفها الله تعالى ـ فساد كثير . وبلغ رميثة ذلك فركب في جماعته وقصد الهجوم على مكة ، فطلعوا أهلها على الأسوار ، وكان عطيفة قد اشترى من مصر نحو عشر مماليك ، فطلعوا بجملة من طلع . ولما وصلوا رموهم بالنشاب ، فقتلوا جماعة من أصحاب رميثة ، وقتل من جملة القواد ، وأصله وأخوه كانا من كبراء قواد مكة ، ورجع رميثة بمن معه هاربين وخرجت خيلهم ، وكانت وقعتهم في ثامن عشرين رمضان ، وبقي الأمر بينهم إلى حيث حضر الحاج ، وسيّر أمير
١٣٦ و الركب عرّفهم أنه لا يحضر // أحد منهم ، ولا يحضر الوقفة أيضاً خوف قيام الفتنة ، وسيّر لكل منهم ما يخصه من الخلعة والانعام ، وبقيوا الحجاج إلى أن تمّ حجهم ، ولم يحضر أحد منهم غير بالسلام والود منهم .

---

(١) يسمى أيضاً مرّ الظهران، وهو موضع (واد) من نواحي مكة، بينه وبين البيت الحرام ستة عشر ميلاً .
ياقوت : ١ : ٤٤٩ ؛ ابن بطوطة : ١٣٠ ـ ١٣٢ ؛ الحميري : ٥٣١ ـ ٥٣٢ .

ذكر القبض على بهادر البدري بدمشق[1]

كان السبب للقبض عليه أن بهادر البدري[2] كان قد رسم له السلطان ، كما تقدم ذكره ، بنيابة الكرك ، وأقام فيها أشهر ، وسيّر نايب الشام شكا من ظلمه وتعرضه لأهل الكرك ، فرسم السلطان بعزله وحضوره إلى دمشق مقدم[3] ، وبقي في خاطره من نايب الشام ، واتفق له أنه خرج على بعض مماليكه وضربه ضرب مؤلم ، وطلب خشداشه فضربه مثل رفيقه ، فهرب إلى قطلوبغا الفخري ، ودخل عليه أن يشفع له عند أستاذه ، فأنعم له بذلك ، وركب قطلوبغا الموكب واجتمع ببهادر البدري ، وسأله في أمر مملوكه ، وأن يقبل شفاعته وسؤاله فيه ، فحرج بهذا السبب وكلّمه بكلام منكي ، واتصل الأمر بينهم إلى أن اتقح على قطلوبغا بالكلام ، وجذب عليه الدبوس[4] من تحت فخذه ، وقصد بضربه ، فدخلت الأمراء بينهم ، ورأى نايب الشام ذلك ، فنزل دار السعادة ،
١٣٦ ظ وطلب قطلوبغا إليه ، وسأل عن خبره ، فأخبره عن القضية ، // وقامت الأمراء الذي حضروا وشهدوا على بهادر بما فعله من الاساءة في حقه وإساءة الأدب ، فطلب تنكز الحاجب ، ورسم أن يركب إليه ويحضره ، فركب إليه وأحضره ، وأخذ نايب الشام في عتبه وتعنيفه ، فرد جوابه جواب منكي فشتمه ، فرد عليه بأقبح مما قاله ، وأفحش في قوله إلى أن

---

(١) أثبت العيني رواية اليوسفي نصاً.
العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٥ظ.

(٢) بهادر بن عبد الله البدري ، الأمير سيف الدين. توفي بطرابلس سنة ٧٤٠/ ١٣٣٩ - ١٣٤٠ .

(٣) الشجاعي ١ : ٩١؛ المقريزي ٢/٢ : ٥٠٥؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٩: ٣٢٤ .
في العيني (٧/٢٩١١: ١٠٥ظ): «وحضوره إلى دمشق على تقدمة ألف».

(٤) كذا في العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٥ظ؛ وفي الجزري (ص ٥٢٣) وابن شاكر (عيون: ١٧) «وجذب البدري سيفه».

قال له : « أنت كنت صبي في الصليبة »[1] . فلم يتمالك [النايب][2] من الحرج إلى أن قامت الأمراء وشحطه الحاجب ، وأهانه ، وأخذوا سيفه وطلعوا به القلعة ، وكتب للسلطان يعرّفه ما اتفق منه في حق قطلوبغا الفخري وبعده في حقه ، وإساءة أدبه عليه بحضور الأمراء .

ولما وصل خبره للسلطان ، رسم بسفر طاشار[3] الدوادار أن يركب بسبب تقليد نايب صفد الأمير سيف الدين طشتمر ، ويركب إلى الشام يعطيه كتاب السلطان بالوصيّة على طشتمر نايب صفد ، ويحضر بهادر البدري إلى دار السعادة ويضربه قدام الأمراء ويقيده ، ويطلع به القلعة . فركب إلى الشام ، وعرّف تنكز جميع الوصيّة بطشتمر ، ثم طلب بهادر البدري بحضور الأمراء، وبطحوه وضربه نحو من مايتي عصاة ، وقيّده وطلع به السجن بقلعة دمشق .

وفيها طلب النشو سماسرة مصر والقاهرة ، ورسم لهم أن لا يبيعوا فول إلا للسلطان ، وكانت هذه الساعة قد // أجدب زرع الفول ، وأكلته و ١٣٧
الناس بدري ، وتوقف حال الدواليب ، وبلغ النشو أن ببلاد الصعيد جماعة من السعداء ولهم دواليب كثيرة ، فسيّر بمصادرة الجميع ، وصودر العماد محتسب البهنسا وأخوه، وأخذ منهم مايتي ألف درهم وألفي إردب غلة ، وحضر عقيب ذلك ابن زعازع[4] أمير العرب ، ورافع أولاد قمر الدولة .

---

(١) كذا في العيني؛ وفي الشجاعي (١ : ١٣): «أنت كنت بالأمس صبي سايب في الصليبة جيت اليوم تعمل لك علي حرمة». والصليبة موضع من ضواحي القاهرة.
ابن تغري بردي، النجوم، ١٠ : ١٢٣ .

(٢) ما بين الحاصرتين من العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٥ظ.

(٣) طاجار (طاشار)، الأمير سيف الدين المارداني الدوادار الناصري. توفي مقتولاً بالاسكندرية في ربيع الأول سنة ٧٤٢/ آب - أيلول ١٣٤١ .
الصفدي، الوافي ١٦ : ٣٧٨ - ٣٧٩؛ المقريزي ٢/٣ : ٦١٤؛ ابن حجر ٢ : ٢١٣ - ٢١٤ .

(٤) أحمد بن زعازع، الأمير شهاب الدين. توفي في صفر ٧٤٧/ أيار - حزيران ١٣٤٦ ، وأخذ له مال كثير.

وكان هذا الرجل من أكابر العرب ، وحكم أبوه على طايفة كبيرة من أهل الصعيد، فإن ذلك الوقت كان في الصعيد أمراء وسعادة كبيرة وبيوت تذكرها الناس منهم بيت مقداد[1] الذي تقدم ذكره أنه استولد ماية ولد ، وقبض عليه السلطان ، ثم أفرج عنه ، وأسكنه الناصرية الذي أنشأها لما حفر خليج اسكندرية ، ومنهم بيت قمر الدولة ، وبيت زعازع وبيت الأشراف ، وهم أنفار كثيرة كانوا ملوك الصعيد ، وكان هذا الرّجل قد تعاظم أمره ، وحكم البلاد وعظمت سعادته ، ومنهم من كان يقول : وجد خبايا كبيرة ، ومنهم من كان يقول : أن سعادته من الزراعة ، فإنه كان له نحو ألف فدان رزق ، وتكبّر حتى تلبس الأخفاف ، وهذا لم يعرف بين العرب ، وكان قد تولّى البهنسا ذلك الوقت علاي الدين ابن المرواني[2] ،
١٣٧ ظ وقصد أن يمنعه ذلك الوقت // لبس الخف ، فلم يقدر وتجوّه عليه بالأمراء ، ولما حصل مرافعته لأولاد قمر الدولة حضر قدام النشو ، وتكلموا في حقه أيضاً ، وأخبروا النشو أن أولاد قمر الدولة ليس لهم مالية فعرج عنهم ، وقصد ابن زعازع ، وكتب لوالي البهسنا أن يطلبه إلى عنده ، ويوقع الحوطة على ساير موجوده ، فسفر إليه ، واحتاط على ماله ودوابه وغنمه ، وساير موجوده ، وصار يحضره ويعاقبه ويعاقب حاشيته ، ومن جملة ما عاقبه وكيل كان له في معصرة ، فبلغ من عقوبته أن لفّ قطران في

= الشجاعي١ : ١٣ ـ ١٤؛ المقريزي ٢/٣: ٧٠١.
وبنو زعازع أعراب من بني حديرة إحدى بطون قبيلة لواته.
المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب: ٥٣، ٥٤.

(١) مقداد (مقدام) بن شماس البدوي أحد عربان الصعيد. كان قد اشتهر أمره وكثرت أمواله وأولاده (١٠٠ ولد ذكراً). قبض عليه السلطان الناصر محمد في ١٨ رجب سنة ٧١٣/ ٣ تشرين الثاني ١٣١٣، وسجنه بقلعة الجبل مدة ثم أفرج عنه، وزاده مالاً وغلالاً، وأسكنه بالناصرية التي أنشأها على خليج الاسكندرية. فأقام هناك وعمرها، وبقي عقبه من بعده.
المقريزي ٢/١: ١٢٩، و٢/٢: ٥٣٨؛ ابن حجر ٤: ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(٢) الأصل: ابن البرواني، وهو خطأ. ولأه السلطان على الصعيد في ٤ ربيع الأول سنة ٢٣/٧٣٣ تشرين الثاني ١٣٣٢، فظلم وسفك دماء كثيرة. توفي سنة ٧٤٠ وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٢٥٤ ، حاشية رقم ٢.

خروق ، ولفّه على أصابعه وأوقدها ، ثم عرّاه ولوّح ظهره على النار ، ولم يقم بعد ذلك أيام قليلة ، فطلبه السلطان ، ونقم عليه ، وأعزله ، وأقام أيام في الترسيم بسبب ذلك، ولقاه الله تعالى سريع ، وكان الذي اشتملت عليه حوطة ابن زعازع من ساير أصناف السكر والعسل والدواب والغلال، واشتملت حوطته على ألف ألف وخمس ماية ألف [درهم][1] ، ووجد له من القماش أربعماية فرجية نفرية[2] وستين عبد ، ومايتي وعشرين جارية[3] ، وكتب النشو عليه حجة بماية ألف درهم في ذمته ، واتجعت الأمراء بسببه ، وتكلموا فيه مع السلطان ، فعرّفهم أن النشو أخبره أن هذا الرجل وجد مطلباً وقتل الذي دلوا عليه ، وأخذ المال منه ، وطلبه وأفرج

١٣٨ وعنه وأنعم // عليه بماية ألف الذي كتبْت عليه . (وكذلك ابن حديد قاضي المحلة[4] أخذ منه ماية ألف درهم ، وكان له بمصر والقاهرة خمسين ألف دينار)[5] .

وفيها كتب بطلب علم الدين الحمصي[6] فحضر إلى مصر ، وطُلب الأفضل[7] صاحب حماه .

وفي تلك الأيام رُقعت قصة بعد صلاة الجمعة في الجامع ، فوجدوها

---

(١) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزي ٢/٢ : ٤٠٩ .

(٢) كذا؛ وفي المصدر نفسه: «بفرو».

(٣) أيضاً: «ومائة وعشرين جارية».

(٤) بالفتح، وهي مدينة مشهورة بالديار المصرية، كانت مقر ولاية الغربية.

(٥) ياقوت ٥ : ٦٣ ـ ٦٤؛ أبو الفدا، تقويم: ١١٦ ـ ١١٧؛ القلقشندي ٣: ٤١٠ .
ما بين القوسين ساقط من متن الأصل، ومستدرك في الهامش بالقلم نفسه.

(٦) سنجر الحمصي، الأمير علم الدين. تنقل في الولايات، وولي نيابة الرحبة. توفي أواخر سنة ١٣٤٣/٧٤٣ . وكان استدعاؤه إلى مصر كي يلي شد الدواوين بدلاً من بدر الدين لؤلؤ.
الشجاعي ١ : ٣؛ الصفدي، الوافي ١٥ : ٤٨٤؛ ابن حجر ٢ : ١٧٣؛
ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 193 .

(٧) الأصل: الصارم، وهو خطأ. والأفضل: هو محمد بن إسماعيل بن علي، الملك الأفضل ناصر الدين الأيوبي الذي ولي حماة ما بين ٧٣٢ ـ ٧٤٢/ ١٣٣٢ ـ ١٣٤١ (وقد سبقت ترجمته).

في زين الدين ابن الصيرفي موقّع قاضي القضاة ، وأنه عنده ملحمة تدل على تملك ابن[1] الملك خطير ، وأنه يجتمع هو وإياه على مجلس الشراب ، ويقرأها عليه ، ويطمعه [في] السلطنة . فلما وقف عليها رسم للوالي بطلبه ، وأخذه فطلع للقلعة ، ورسم أن يُهدّد ويُخوّف ويُقرّر على ذلك . وبقي أمره إلى أن طلع القاضي جلال الدين والقضاة دار العدل ، وتحدثوا مع السلطان ، وأثنوا عليه ، وعرّفوه أن هذا الرجل لم يكن له سابقة ، وأنه من بيت كبير ، وله مدة موقّع القضاة ، وجاز الوالي أن رسم بالإفراج عنه .

وفيها قلّ الواصل من الكارم والتجار وغيرها ممن كان يسافر البلاد ، ويجلب التجارة حتى الأغنام ، ونحس اللحم حتى وصل إلى درهم وربع[2] الرطل ، وكتب إلى نايب الشام ، ونايب حلب بجلب الأغنام ، وكان انقطاعها من مصر بسبب النشو ، فإنهم كانوا يحضروا الرأس الغنم يقوّم بستين درهم يحسب له ثلاثين ، فانقطع جلبهم ، ثم احتاج السواقي[3]
١٣٨ ظ والدواليب إلى شراء أبقار ، فإن الأبقار الذي في الدواليب // ضعفت عن العمل وكذلك البهايم ، فسير أحضرهم إلى مصر ، ورسم النشو لابن صابر أن ينزل ويرميهم على تجار المدينة ، وساير أهلها من السوقة ، فجمعوا تجار القياسر[4] وساير أهلها ، ولم يبق أحد من أرباب الدكاكين حتى رمى عليه البقر والدواب ، وكان الدرهم بخُمْسِه ، وأخبرني بعض

---

(١) لعله أحد الاخوين مسعود ومحمود ولدي الأمير شرف الدين أوحد بن الخطير، وقد توفيا بالطاعون سنة ١٣٤٩/٧٤٩ .

راجع ترجمتها في: ابن حجر ٣: ٣٢٣، ٣٤٨؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٠: ٢٤٢ .

(٢) وعن تطور أسعار اللحوم في دولة المماليك البحرية، انظر:

ASHTOR, **Histoire**, P. 310 - 311 (Tableau des prix).

(٣) في المقريزي (٢/٢: ٤٠٩): «السواقي التي بالقلعة» .

(٤) أيضاً: «قياسر القاهرة ومصر» .

صنّاع الحرير أنه أرمى عليه رأس بقر وذبحه ، فوقع عليه بسبعة سوداء[1] الرطل ، وفرّقت الدواب على أهل الطواحين والحمامات كل دابة بمائة تسوى عشرين ، وبقيت الناس في ألم عظيم من هذا ، ولم يجسر أحد على الكلام في أمره لأجل ما يعلموا من ميل السلطان إلى ذلك .

ذكر إبطال العقوبة عن موسى [بن التاج إسحاق]

كان السبب لذلك أمر الله تعالى من غير واسطة ، وقصد النشو ولولو أن يضرّاه فكان سبب لنفعه ، وإبطال العقوبة ، والسبب لذلك أن النشو مع تلك الأحكام والمظالم والحوادث أعجزه أن يتمكن من قتل موسى ، وكان يقصد بمقاصد السّوء والموت ، فلم يبلغه الله فيه أمله ، وكان آخر عقوبته أن لولو اتفق مع النشو، وقال لولو للسلطان : « يا خوند ، تعبت في الفاعل الصانع موسى ، وقد قتلته ، واعترف أن الصندوق عنده ، وأنه يحضره إلينا ، وثاني يوم كذا ثم أنكره ، وقال : « إيش في إيدك
١٣٩ و تعمل ؟ // الصندوق عندي ، وما أحضره ، وأنا أموت وما أخرجه » . فحرج السلطان ، وقال : « روح اقتله إلى أن يموت » . وخرج من عنده ، وعرّف النشو ، فسرّ بذلك سرور كبير كونه أباح قتله ، وطلب ابن معين المقدم إليه ، وأوعده بأمور تسرّه وتكبره عنده ، وخرج من عنده على أنه يضربه بالمقارع ويقتله بصنعة يعرفها في الضرب ، وأخرجوا موسى ، وغلقوا عليهم الباب وعقد ابن معين شِيْب[2] المقرعة وهي من عادتهم ، كما يذكروه، أنهم إذا أردوا قتل أحد تحت المقارع يعقد الشيب ويضربوه ، فيفتح مزق بجنبه فيقتله ، ولم يعلموا أن الآجال مقدرة ، والقدرة الالهية

---

(١) المقصود: دراهم سوداء، وهي أسماء على غير مسمات، وأن كل درهم منها يساوي ١/٣ درهم نقرة.
القلقشندي ٣: ٤٣٩؛ المقريزي، النقود: ٤٧؛ الكرملي، النقود العربية: ١١٣؛ EUS-TACHE, Les perles, P. 145, n. 5.

(٢) وهو سير السوْط (الكرباج).

معجزة لمن أمل أن يبلغ ما في نفسه من غيره ، فكان ضربه ذلك اليوم فوق المايتين وخمسين شيب إلى أن وقع كالميت، وشالوه على أنه يموت ، فأصبح حيّ ، فاستحضره ثاني يوم وضربه كالضرب[1] الأول ، وشالوه على أنه ميت ، ودخل لولو للنشو بشرّه أنه يموت بعد ساعة ، فعرّفه أن يقول للسلطان إنه مات ، ويخرجه يدفنه .

واتفق ذلك الوقت، لما يريد الله تعالى ،أن السلطان طلب لولو ، ورسم أن يخرج صحبته مشد العمارة ، ويأخذ الأسرى ويهدم دار النيابة[2] ، ويجعلها ساحة ، وكانت هذه الدار بنيت على أيام السلطان
١٣٩ ظ الملك المنصور // ـ تغمده الله برحمته ـ في آخر سنة سبع وثمانين وستماية ، وعمل له شباك . وكان طرنطاي[3] يجلس فيها ، وبقيت إلى أن رسم بهدمها ، وتبطل أحكام النيابة بالإجماع .

ولما رسم للولو بذلك وجد تخَلّص لما ورثه في أمر موسى ، فقال : « يا خوند ، وإيش ترسم في أمر هذا الفاعل الصّانع ابن التاج إسحاق ، فإن روايحه قد أعبقت القلعة من نتنته ، وورم وما بقي يعيش أكثر من ساعة ، فمرسوم السلطان نسلمه للافرنج ؟ » . قال السلطان : « لا ترجع تضربه وتخلّيه مع عمره إن مات مات ، وإن عاش عاش كان قسمه » .

---

(١) الأصل: «كالطرب».

(٢) موضعها بقلعة الجبل، بناها المنصور قلاوون الألفي سنة ٦٧٨/١٢٧٩ ـ ١٢٨٠، وسكنها الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة. وكانت النواب تجلس بشباكها حتى هدمها السلطان الملك الناصر سنة ١٣٣٧/٧٣٧، وأبطل النيابة والوزارة، ثم أعادها الأمير قوصون بعد وفاة السلطان.
المقريزي، الخطط ٢. ٢١٤ ـ ٢١٥.

(٣) طرنطاي، الأمير حسام الدين المنصوري، نائب السلطنة بالديار المصرية أيام المنصور قلاوون. توفي سنة ٦٨٩/١٢٩٠.
ابن الصقاعي: ٩٤؛ الصفدي، الوافي ١٦: ٤٢٩ ـ ٤٣٠؛ ابن كثير ١٣: ٣١٨؛ ابن حبيب، تذكرة ١: ١٣٦؛ ابن تغري بردي، النجوم ٧: ٣٨٣.

فخرج عرّف النشو الذي اتفق له مع السلطان، والذي رسم به، فكظم لذلك .

و [في سابع عشري صفر][1] شرعوا في هدم دار النيابة ، ودخل النشو عقيب ذلك للسلطان ، وعرّفه عن الصفي كاتب قوصون أنه حضر شخص شاهد الكتّاب ، وعرّفه أن الصفّي يتعلق عليه من السلطان نحو من ماية ألف درهم بسبب المتاجر الذي كان يحضرها أيام مباشرته عن الأمير قجليز[2]، وأنه يحاققه على صنف الكتان بمفرده بنحو المائة ألف درهم حقوق السلطان ، فطلب السلطان قوصون وخاصمه ، وقال [له] : « هذا كاتبك يأخذ مالي وحقوقي ويتجوّه عليه » ، وعرّفه الأمر الذي وقع من كلام النشو ، فقال قوصون : « يا خوند ، أنت الذي استخدمته عندي ، وأنا // إيش ؟ السلطان إذا ظهر له شيء يأخذ جلده » . واتفق السلطان ١٤٠
معه أنه يسيّر لولو والمستوفِيَيْن والرجل الذي تكلم[3] ، ويكون النشو حاضر وتبصروا الحق في جهة مَنْ ؟ . وخرج قوصون طلب الصفي ، وعرّفه الحال ، وحضر لولو والمستوفِيَيْن وطلب النشو أيضاً حضر ، وطلبوا الشاهد عبد الكافي ، وشرع يتكلم كلام جملي فحاققه الصفي ، وصار يخرج أوراق بالحقوق الذي وزنها، وأشياء يقولها عبد الكافي ويسدّها الصفي بشواهد .

ولما رأى النشو أن الصفي ألحن بحجته ، صار يسب عبد الكافي ويلعنه قدام قوصون ، ويقول : « وَالك ، تكذب على الناس ، وأشاور السلطان » ، ومن ذلك الكلام حتى ينفي عن نفسه التهم . وانفصل

---

(١) ما بين المعقفين من المقريزي ٢/٢ : ٤١٠، وقد أنجز العمل في ثامن ربيع الآخر من السنة. المصدر نفسه: ٤١١.

(٢) يرد أيضاً برسم «قجليس» وهو قجليس الناصري السلاح دار، الأمير سيف الدين توفي في ١٥ صفر سنة ٧٣١/٢٨ تشرين الثاني ١٣٣٠.

ابن الدواداري ٩: ٣٥٨، المقريزي ٢/٢ : ٣٣٨؛ ابن حجر ٣: ٢٤٣ - ٢٤٤؛
ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 182.

(٣) كذا؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٤١١): «ومعهم الرجل المحاقق للصفي».

الحال ، ولم يحصل للنشو غرضه .

وفيها وقف للسلطان القاضي جلال الدين من نزوله من على المنبر من جامع القلعة وباس يده بسبب ولده عبدالله ، وعرّف السلطان أن زوجته قد وضعت ولداً ذكراً ، وأنه سأله أن والده يسأل صدقات السلطان في حضوره إلى مصر ويعود إلى الشام ، وكان قد دخل قبلها على بشتك وقوصون أن يساعدوه في أمره[1] . ولما تكلم مع السلطان ساعدوه ، ورسم السلطان بحضوره إلى مصر. وكان السبب الموجب لنفيه أنه كثرت فيه
١٤٠ ظ الشكوى // من الناس ومن الأمراء ومن ساير الخلق ، فإنه زاد وأفحش وأساء العشرة ، ويلغ من أمره غيه الخيل والسباق ، وشاكل الأمراء والرعية في مماليكهم وأبناء الناس، والسلطان يسمع عنه تلك الفواحش ، ويستحي من أبوه . وقوي الأمر عليه إلى أن نفاه دفعتين من مصر ثم يعود ، وفي العودة الثانية عمّر داراً بجوار دار أبوه بجزيرة الفيل ، وكان أبوه دخل على نايب الكرك ، وسأله شراء دار شمس الدين ابن الأطروش[2] ، فاشتراها بعشرة آلاف درهم . فلما حضر ولده أنشأ بجواره دار وأوسع في أمرها ، وعظم شأنها وأحضر إليها ساير الصناع المعروفة ، وجلب لها ساير المرخمين ، وشاع خبرها وعظموه في عين السلطان ، وزاد الأمر إلى أن رسم بخروجه من مصر ، وأقام مدة ، ثم اتفق من سؤال أبوه فيه، فرسم بحضوره .

ذكر واقعة التجار[4]

واتفق في هذه السنة عدم القماش من الخلع ، وعدم [فرو][4] السنجاب حتى لم يوجد شيء ، وأمر النشو أن ينزلوا القياسر، ويأخذوا

---

(١) راجع ما ورد في الورقة ٣٥ظ.

(٢) سبقت ترجمته في الصفحة ١٧٦ ، حاشية رقم ٣ .

(٣) نقل العيني هذه الواقعة نصاً كما وردت في اليوسفي .
العيني ٢٩١١/١٧ : ١٠٧ظ ـ ١٠٨ظ.

(٤) ما بين الحاصرتين من المقريزي ٢/٢ : ٤١٢ .

الفرجيات الذي على التجار السنجاب[1] ، وهجموا حتى البيوت ، ولم يدعوا على أحد فرجيّة إلا وأخذوا سنجابها . وبلغه أن التجار تكلموا في أمر هذه الواقعة ، فعرّف السلطان عن التجار أن ثمّ تجار كثيرة مرابين ،
١٤١ و وأنهم // قد أكسروا الأمراء والجند ، وأن يعاملوا الناس بالربا ، وصار لهم مالية عظيمة ، وكان السلطان قد طلب منه ذلك اليوم عشرة آلاف دينار ، وعرّف السلطان أن عنده خشب وحديد وأصناف يبيعها عليهم ، فرسم له [أن] يفعل ، فسيّر طلب ساير التجار من مصر ومن القاهرة ، والذي عرف أنه متمول ، وله قدرة فطلب ابن السابق العنبري[2] والحكيم العنبري وابن الرملي والكركي وابن الكعكي وجماعة من المعروفين بالمعاملات مع الناس ، وكتب باسم كل منهم ألفي دينار وثلاث آلاف وأقلها ألف . واتفق له من الأمور الغريبة مع هؤلاء في هذه الواقعة أمر غريب من التتميم ، فإن الحاج [آل] ملك قام في حق ابن الرملي قيام كبير ، فعرفه السلطان أن هذا يتحضّر بتجارة كثيرة على جاهك ، ويبطل الحقوق الذي للسلطان كما عرّفه النشو ، وقام قوصون في حق ابن الكعكي وغيره ، ولم يلتفت إلى أحد إلى أن قامت ست حدق وست ملكة مع أم[3] أنُك في حق شخص من تجار مصر ، كان النشو طلب منه ألفي دينار وأخذها وأعطاه عوضها خشب ، وكان الرجل متصل بجارية من جوار[ي] خوند [طغاي] . ولما دخل السلطان إليهم لامُوه وعرّفوه //
١٤١ ظ أن النشو قد ظلم الناس ، وعرّفوه أمر الرجل، وأنه أعطاه خشب بألفي

---

(١) العبارة مضطربة، وصوابها: ويأخذوا ما على فرجيات التجار من فرو السنجاب. المقريزي ٤١٢:٢/٢ .

(٢) كذا في العيني (١٧/٢٩١١ : ١٠٨و) ؛ وفي الشجاعي (١ : ١٣): «ابن سابق الغزي».

(٣) خوند طغاي، وقد سبقت ترجمتها في الصفحة ١٣٦ ، حاشية رقم ٤ .

ملاحظة: ورد على هامش الورقة ١٤١ظ العبارة التالية «وقتل ابن العجمي بالمقارع على باب بيته المجاور لدار الدويدار برحبة باب العيد»، وهي بخط مختلف ولا تنسجم ومقتضيات السياق.

دينار يسوى ألفي درهم ، وقووا الشكوى في أمره ، وقامت النساء من كل جانب عليه .

وعند خروج السلطان طلب النشو ، وقال [له] : « وَالك ، تعطي خشب بألفي دينار يسوى ألفي درهم » ، وشتمه ، وحرج عليه ، وخرج من عنده على غير رضى . فلم يكن له[1] شغل إلا أن طلب بعض من يثق به ، وعرّفه أن يتحيل على ذلك الرجل ، ويشتري منه الخشب بفايدة جيدة ، ويكتب الحجة بالبيع ، ويطلع بها إليه في يومه . فنزل إلى التاجر ، وجلس عنده ، وعرّفه أنه محتاج إلى مبلغ قرضة ، فشرع يشكي له ما أخذ منه النشو ، وما رمى عليه من الخشب ، فقال له الرجل : « يا أخي ، أوريني هذا الخشب ، فإنني محتاج إليه » . فقام معه وأعرض الخشب عليه ، فأوراه أنه أعجبه ، وقال له : « يا أخي ، لا تضيق صدرك ، بِكَمْ وقع عليك هذا الخشب ، وإيش رسماله ؟ » . قال : « رسماله ألفي دينار عليّ » . قال له : « إشتريت منك بفايدة ألف درهم إلى شهر زمان » . فلما صدّق الرجل بكلامه ، وفرح وظن أنه يقول ذلك على سبيل الهزوية . فلما حقق معه الأمر كتب كل منهم مكتوب بالشهود وسيّر من يحمل الخشب //
و|وأخذ الحجة ، وطلع إلى النشو وأعطاه الحجة بالمبايعة بينهم وقرأها ، ودخل ١٤٢
السلطان وجلس ، وقال [له] : « يا خوند ، من وقت رأيت السلطان حرج عليّ ما لي عقل ، وقصدت أن أعرفك أنني لو غضبت اليوم عليّ ما وصل من دمي إليّ قطرة ، وقد عرّفتك أنني عاديت الأمراء والجند والكتّاب حتى الجواري ، ولم أدع لي محباً ، والكل في نصحك ، وما طلبت مني قط شيء وعجزت عن حمله ، وخرجت عليّ بسبب أنني أعطيت خشب بألفي دينار يسوى ألفي درهم ، وخرجت من بين يديك سيّرت لطلب الخشب حتى أشيله عنه ، وجدته قد باعه بفايدة ألف درهم » . وأخرج المكتوب ، فرماه قدام السلطان ، واختار السلطان أن يحقق القضية ، فقال : « احضر

---

(١) الضمير عائد للنشو.

هـذا الرجـل » . فسيّر أحضـره ودخل بـه للسلطان ، ووقف قدامـه ، وقـال [له] : « وَالك ، كم أرمى عليك النشو الخشب ؟ » . قـال : « يا خـوند ، ظلمني ، وأعـطاني شيء بـألفي دينـار يسـوى ألفي درهم » . قـال : « وَأين الخشب؟» . قال : « يا خوند ، أبعته بالـدين » . قال : « بِكَمْ ؟ » . قـال له النشو : « قول الصحيح ، فإن حجتـك[1] هذه الـذي بعت بها » . فـاعترف
١٤٢ ظ الرجل ، فـما كان جـواب السلطان : « والك ، // تقيمـوا عليّ الغـاثة[2] ، وتبيعوا الشيء الذي أرميه بفايدة ؟ تَسَلَّمْهُ يـا نشو ، واقتله بـالمقارع ، وخـذ مـالي منه » . فتسلّمـه وسلّمه للولـو وقتله بالمقـارع ، وأخـذ منـه ألفي دينـار أخرى . ودخلوا عليـه ببيت السلطان إلى أن أطلقـه . ودخـل السلطان إلى الـدور[3] وسبهم وعرّفهم الصـورة ، وقال : « مسكـين النشو ، مـا وجـدت أحداً يحبه كونه ينصحني ويحصّل مالي » .

وعقيب ذلـك اتفق بـين يعقـوب المسلمـاني[4] وبـين ابن المجاهــدي [مـرافعة][5] ، وأعـطاه[6] [السلطان] إمرة عشـرة بسبب ما كـان فيـه من الـظلم وقلّة الـدِّين . وكـان أصـل منشـأ هـذا الـرجـل من شخص يعــرف بـالمارداني كـان حاكم الأسـطول بدميـاط ، وكان رجـل له مكـارم وفيه ميـل للشبـاب ، وورد ابن المجاهـدي إلى دمياط ، وهـو شاب ، فـأزوجه ابنتـه ، وأقـام بـدميـاط ، وتنقـل إلى أن صـار نـايب ابن المحسني في القـاهـرة ، ثم سعى بمرافعة عنـد النشو في أهـل دمياط ، وحصـل له دنيـا ، فتقرب للنشـو وولاه ، وصار أمير عشرة ، وكان يعـرف بالمجـاهدي . كـان أبوه من النـاس الجيـاد الربّـانيين [من] أربـاب المروءات ، وكـان يتخـدم بـابـا عنـد الملك

(١) في المقريزي (٢/٢ : ٤١٣) : «معاقدتك» .
(٢) يقصد : الاستغاثة .
(٣) في المقـريـزي (٢/٢ : ٤١٣) : «نسـائـه» ؛ وفي ابن تغـري بـردي (النجـوم ٩ : ١١٦) : «الحريـم» . والدور كناية عن النساء أو الحريم .
(٤) في المقريزي «يعقوب الاسلمي» .
(٥) أضيف استناداً إلى الورقة ١٤٣ من المخطوط والمقريزي .
(٦) يستفاد مما يلي (في نفس الورقة) أن الضمير عائد لابن المجاهدي .

١٤٣ و المجاهد(١) ابن كتبغا قبل سلطنته . فلما صار // كتبغا[٢] ما صار من الملك ، وسلطن ولده الأصغر وسماه الملك المجاهد ، جعل هذا الرجل نقله من البابية إلى الأستادارية ، وتوفي ، ولم يلبس كلوتة لكن عمامة مدورة ، وبقي ذلك إلى وفاته ، فكان يلقب بابن المجاهدي . واتفق أنه ولد له ولد وحصل إليهم ما حصل من الامرة ومضغته الناس بألسنتهم ، وولبوا فأسوا العشرة هو وولده مع الناس ، وأخذ أموال التجار وغيرها من أهل دمياط ، وكانت سيرتهم سيرة قبيحة ، وكان ليعقوب قريب نصراني مباشر في دمياط ، فعرفوا لابن المجاهدي أنه تعرّض لبعض حرمه ، وترصد إلى أن كبسه وأشهره وضربه ، وصادره ، وحمل منه مال ، فبلغ أمره ليعقوب ، وكان لما أسلم عملوه مستوفي الجهات ، فشكاه النشو ، وكان النشو لما ولّي ابن المجاهدي ، ودخل معه في مداخل السوء ، رآه هو وولده صبيان ، وقد لحقهم هوج من السعادة ، وعلم أنه متى ما تحدث رافعه ، فما صدق بشكوى يعقوب له ، فقال له : « مالك عاقة إلا إن اخترت تدخل للسلطان دخلت بك ، والذي تعرفه قوله حتى لا ينسى لك غرض » .

١٤٣ ظ وكان غرض النشو أيّ من عطب منهم استراح // منه . ودخل النشو عرّف السلطان ، وطلب يعقوب فتكلم بكلام كثير في حق ابن المجاهدي ، ورسم بطلبه ، فأحضره هو ويعقوب ، وحصل بينهم كلام كثير قدام السلطان ، وكان في جملة كلامه للنشو أيضاً : « يا قاضي ، ما هي عمايلك الذي أخذت واحد ابن بابا عملت على راسه شربوش ، وجعلته أمير في مصر ، وصار يكتب السلطان كتاب يرميه من يده ، ولا يلتفت إليه » . وكان السلطان يكره من يذكر في مجلسه شيء من قلة حرمته ، فحرج عند ذلك ، وقال للولو : « خذ هؤلاء ، اقتلهم بالمقارع ، وخلص مالي

---

(١) أنص (أنس) ابن العادل كتبغا، الملك المجاهد. توفي في ٢ المحرم سنة ١١/٧٢٣ كانون الثاني ١٣٢٣.

المقريزي ٢/١ : ٢٥٢ ؛ ابن حجر ١ : ٤١٧ .

(٢) الأصل: ابن كتبغا.

منهم » . فأخذهم إليه ، وصار عند النشو باعث من كلام يعقوب فيه ، وكشف له قضية ، [و] عرّف السلطان « أن هذا الرجل قد تقدم له نهب مال السلطان ، ويعمل بها مقامات وكساوى لبنات الناس ، وأن إسلامه كان بهذا السبب » . وما زال به إلى أن قتله قتل عظيم تعين منه الموت .

وفيها وقعت الشكوى في الأمير علم الدين [سنجر] الجاوْلي[1] ، وأنه رتّب في المرستان جماعة من الحكماء لم يكونوا[2] مستحقين ، وأنه استناب بعض جنده في المرستان ، وضيق على الناس في أمر الصدقات من
١٤٤ و الأشربة والأدوية ، وبلغ من أمره إلى أن كان إذا طلب أحد // أشياف للعين يعد له واحدة بعد واحدة ، وإذا كتب الناظر أربع أواق شراب أو غيره يصرفها أوقتين ، وضيّق على ساير مباشرين المرستان وغيرهم من الفقراء والصعاليك ، وحضر كل شيء فيه ، وأولغ في قطع الأرزاق ، فصعب على السلطان ، فطلب الحاجب وعرّفه أن ينزل للجاوْلي ويعرّفه شكوى الناس فيه ، فنزل إليه وعرّفه . ولما كان يوم الإثنين في المجلس[3] تقدم الجاولي وعرّف السلطان أنه ضبط حال المرستان ، وتخيّر المشد له ، فلم يقبل السلطان من كلامه ، وقال : « يا أمير علم الدين ، أنت تعرف أن المرستان كله صدقة ، فلا تضيق على الناس ، وأنت أيضاً رجل كبير عندنا ، فلا تكن تسمع كلام الفقهاء ، فإنك كثير العشرة بهم » . فقال : « يا خوند ، أنا عشرتي للفقهاء حتى وضعت كتابين ينتفعوا بها المسلمين ، وفيه أيضاً ما جمعته من محاسن مولانا السلطان » . فلم يرد عليه جواب ، ورسم بصرف اثنين من الحكماء كان قد استجدّهم بالمرستان .

---

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٢٥، الحاشية الأولى.

(٢) الأصل: يكون.

(٣) كان من عادة السلطان إذا كان بالقلعة، في غير شهر رمضان، أن يجلس بكرة يوم الاثنين بإيوانه الكبير بدار العدل لخلاص المظالم، ويستعين في مجلسه بكبار أرباب الدولة، كقضاة القضاة ووكيل بيت المال وناظر الحسبة وغيرهم.
القلقشندي ٤ : ٤٤ ـ ٤٥.

واتفق ذلك الوقت ضرب ابن الأقفاصي[1] بسبب ضياء الدين[2] ناظر المرستان ومتولي حسبة مصر ، وقد تقدم ذكر همته في الحسبة ، وما فعله من الحرص // على الشون وإقامته الحرمة . ولما كتب توقيعه اختار أن ١٤٤ ظ
يكون معلومه مرتّب على الجوالي ، فأبى ابن الأقفاصي أن يكتب عليه ، فشكا أمره للسلطان ، فطلب طاشار الدويدار ، وقال : « اخرج ابطح الناظر ، وقله كيف شئت أن يعلّم السلطان على توقيع وتأبى أن تكتب عليه ؟ »[3] وخرج إليه وضربه ، وأخرق به ، وكتب على التوقيع .

وفيه ورد مملوك نايب الشام ، وأخبر أن الطنبغا نايب حلب قد ضعف ، ودخل في الضعف ولحقه الصّرع ، وربما أنه في حال العدم ، وتفكر السلطان فيمن يوليه أمر حلب ، وتألم السلطان له ، وبعد أيام من ذلك ، حضر مملوك نايب حلب ، وأخبر أن أستاذه توجّه إلى العافية ، ودخل الحمام ، وركب الموكب ، ففرح السلطان به ، وسيّر إليه خلعة ، وكتب كتاب يهنّيه بالعافية ويشكره .

ذكر ما اتفق للتجار بمصر والقاهرة من أخذ أموالهم[4]

كان قد حضر من نايب قرم مماليك ، ووقفت المماليك[5] للسلطان وشكت من أمر الكساوى الذي لهم ، وأنهم عرايا ، فطلب النشو ، وحرج عليه ، وقال [له] : « متى لم يصبحوا وكسوتهم عدة ، وتحمل لي باكر النهار عشرين ألف دينار ، فأن لي بهم ضرورة » . فخرج من عنده ،

(١) في المقريزي ورد الاقفاصي والاقفهسي ، ولقبه شهاب الدين : ناظر الدواوين ، وليها سنة ١٣٢٤/٧٢٤ ، وعزل عنها في ٢٤ رجب ٧٣٧/٢٦ شباط ١٣٣٧ .
ابن الدواداري ٩ : ٣١٤؛ المقريزي ٢/٢ : ٤١١ .

(٢) يوسف بن أبي بكر بن محمد ، الشهير بالضياء بن خطيب بيت الآبار ، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٢٩٦ ، حاشية رقم ٣ .

(٣) في المقريزي (٢/٢ : ٤١٣) : «كيف يعلّم السلطان على شيء وتأبى أن تكتب عليه؟» .

(٤) راجع ما ورد في العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٧ظ - ١٠٨ظ .

(٥) في المقريزي : (٢/٢ : ٤١٣) : «المماليك السلطانية» .

١٤٥ ووطلب المقدمين الذين // اتخذهم لنفسه وهم : خاص وابن شمس ، ورسم لهم بمرسوم ، وسيّر طلب [الطيبي] ناظر المواريث ، وقرر معه أن يحصّل له خمسة آلاف دينار . ونزلت المقدمين وصحبتهم الظلمة من حفدتهم باكر النهار والناس في بيوتهم ، وفتحوا ساير الدكاكين ، [وأخذوا كسوة المماليك][1] وكذلك من الحوايص إلى السيوف ، ودكاكين الاساكفة ، وعرّجوا على دكاكين الذي يبيعوا العدس والبَسيلة[2] والرز والكشك ، وما يحتاج إليه الطعام ، وعدوا بالجميع إلى الأهرام ، [و] كان السلطان قد ركب إليها .

واتفق وصول بعض الكارم[3] إلى مصر ، فأخذوا ساير ما كان في مركبه على سبيل القرض ، وطرحوه على أهل صنفه المثل بثلاثة ، واتفق موت نجم الدين [محمد][4] بن السعرتي[5] المحتسب بالقاهرة ، وخلف زوجة وبنت وبنت ابنه[6] ، فنزل الطيبي ناظر المواريث ، وحمل كل ما[7]

---

(١) ما أضيف من المصدر نفسه.

(٢) البسيلة: التُرْمس. ابن منظور ١١ : ٥٤.

(٣) كلمة من أصل هندي من كاريام Karaym ، وتعني فيما تعني من أشياء أخرى «الأعمال» أو «الأشغال» وقيل انها مؤلفة من لفظين: كار (الحرفة أو العمل أو التجارة أو الوظيفة)، ويم ومعناه المحيط أو البحر. وتنسب تجارة الكارم إلى «الكارمية»، وهم فئة من كبار التجار احتكروا تجارة الهند والشرق الأقصى من التوابل وغيرها من السلع، وكان مركز نشاطهم الرئيسي في المحيط الهندي. ولهؤلاء رئيس يسمى رئيس الكارمية أو رئيس التجار. وقد أهتم المماليك بتجار الكارم، وقدموا إليهم التسهيلات اللازمة، وخصصوا لخدمتهم موظفاً يهتم بهم ويسهل أمورهم «مستوفي البهار والكارم».

لبيب، التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى، المجلة التاريخية المصرية، م٤ عدد٢ ، ص ٥ ـ ٦٣؛ القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، المجلة التاريخية المصرية، م٢٢، ص ١٧ ـ ٣٩؛

WIET, Les marchands d'épices sous les sultans Mamlouks (**Cahiers d'Histoire Egyptienne**), P. 130.

(٤) ما أضيف من المقريزي ٢/٢: ٤١٤.

(٥) راجع الصفحة ٢٩٥، الحاشية رقم ٣.

(٦) كذا في العيني ٢٩١١/١٧ : ١٠٨ظ؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٤١٤): «وترك زوجة وابنة ابن».

(٧) الأصل: كلما.

وجده في بيته من المال . وكان نجم الدين أوصى صلاح الدين ابن جالومة وتحت يده وداعة خمسين ألف درهم لأجل أولاده ، فحملها الطيبي لبيت المال ، ونفقت من يومها في المماليك وجوامك الخدام وغيرها ، وفتحت أيضاً قيسارية جركس ، وأخذ منها مقاطع الشرب برسم الكسوة .

١٤٥ ظ وانقلبت المدينة بأجمعها وقامت على ساق ، // وتجار كثيرة تركت دكاكينها مغلوقة ، فما أصبح أحد وجد دكانه إلا وأقفالها على الأرض ، ونهبت الرسل وحفدة الظلمة شيء كثير[١] ، ولم يبق إلّا باكٍ أو شاكٍ أو صائحٍ أو نائحٍ ، كل أحد على قدر مصيبته . وكان [في] مصر والقاهرة يومين عظيمة ما رآها أحد من شدتها ولا مات أحد تلك اليومين إلا ولو كان له عشرة أولاد رجال ما حصل لأحد منهم ميراث ، وأصبحوا ساير أرباب الدكاكين أن يخلوا أو يشيلوا حواصلهم في البيوت ، فعرّفوا النشو أمرهم ، فدخل عرّف السلطان أن التجار مناحيس ، وقد عزموا على مكيدة يفعلوها ، وعرّفه الغرض الذي في نفسه . وخرج من عند السلطان ، سيّر الوالي أن ينادي بمصر والقاهرة : « أيّ من غلق دكانه من التجار أو غيرهم ، وأصبحت دكانه مغلوقة نهب ماله وبيته وأخذ حواصله ، وشنق » ، فاستقرت الناس وصبروا على الأذى .

ثم دار [النشو] على الطحانين والأبازرة[٢] ، وأخرج من الاهراء عشرة آلاف إردب قمح ، وأرماها على ساير طواحين مصر والقاهرة وأعمال
١٤٦ و الجزيرة وشبرا والمنية وغيرها ، وكذلك الأبازرة ، // فكانت الطاحون تغرم الألف وما دونها ، ورسم بمصادرة ابن فخر السعداء ناظر قَلْيوب[٣] ، وعرّف السلطان أنه يزرع أراضي قليوب ، ويتجر في الكتان ويبيع الخمر ،

(١) في المقريزي (٢/٢ : ٤١٤) : «والأعوان تنهب لأنفسها ما أرادت» .

(٢) ومنه إبزار جمعه أبازير ، وهي التوابل ، فيكون معنى الأبازرة : تجار التوابل .
DOZY, Suppl., I, P. 81.

(٣) مدينة من الوجه البحري بالديار المصرية واقعة شمالي القاهرة على نحو فرسخ ونصف منها .
ابن جبير، رحلة : ١٣ ؛ القلقشندي ٣ : ٣٩٩ ؛ AMÉLINEAU, Op. Cit,. P. 390 - 391.

فرسم بالحوطة على ساير أمواله، وأخذ حواصله ، وأباعوا ساير أملاكه ، وحمل نحو مايتي ألف درهم[1] .

ذكر تولية الحسبة لضياء الدين وابن الطبّاخ[2]

وقد ذكرنا توفي القاضي نجم الدين ابن السعرقي متولي الحسبة ، فطلب[3] [السلطان] ضياء الدين [بن خطيب بيت الآبار] وأضاف له ولاية حسبة القاهرة ، وأوصاه وشكر منه . وكان لما توفي نجم الدين [محمد بن السعرتي] سعى شهاب الدين [أحمد][4] بن [الحاج علي][5] الطبّاخ عند بشتك وقوصون وآقبغا ، وقدم لهم أشياء له في صورة في ولاية الحسبة ، [فتحدثوا مع السلطان بسببه][6]، فلم يقبل السلطان منهم ، وقال : « هذا المنصب منصب كبير ، ما يمكن أن يكون فيه إلا من يعرف الشرع والاحكام »[7] . ودفعهم بهذا السبب ، فسأل أن يكون محتسباً على الطبّاخين وأهل الصنايع مثل الطباخ والحلواني وغيره ، فرسم له بذلك[8] ، ونزل القاهرة عقيب تولية الضياء والخلعة عليه ، وصار يجلس في دكة الحسبة ويعرض الطباخين[9] والحلوانيين[10]، وغيرهم . وعند توليته طلب

---

(١) في المقريزي (السلوك ٢/٢ : ٤١٤) : «وأخذ منه نحو ثمانين ألف درهم».

(٢) نقل العيني وقائع هذه الحادثة عن اليوسفي، مستهلًا كلامه بعبارة: «وقال صاحب النزهة».
العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٥و.

(٣) يشير المقريزي إلى أن استدعاء السلطان لضياء الدين كان في «جمادى الأولى»؛ وفي الشجاعي (١ :٧) : «ثامن عشر جمادى الأول».

(٤) و (٥) ما بين الحاصرتين من المصدرين نفسيهما، ولجد شهاب الدين الحاج علي جامع يعرف به خارج القاهرة بخط باب اللوق بجوار بركة الشقاف (جامع الطباخ).
المقريزي، الخطط٢ : ٣١٥.

(٦) ما بين الحاصرتين من العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٥و.

(٧) انظر: الشيزري، نهاية الرتبة: ٦ ـ ١٠.

(٨) قارن بالمقريزي، السلوك ٢/٢ : ٤١٤.

(٩) انظر: الشيزري، المصدر السابق: ٣٤ ـ ٣٥.

(١٠) المصدر نفسه: ٤٠ ـ ٤١.

بيعة الفاكهة والحلوانيين أنهم لا يقدوا مسارجهم بزيت حار ، ومنع الفوط
١٤٦ ظ القصار في الحمام ، // وزاد في طولها ، وكتب على ذلك كتاب جهة يكون فيها ، ورتب أشياء كثيرة في مصر والقاهرة .

وفيها حضر أمير من أمراء التركمان يعرف بخليل الطرقي[1] كان له بيت في التركمان وعشيرة ، والتجأ لنايب الشام ، وكتب للسلطان بسببه ، فحضر والتزم أنه يقيم بأرض الأبلستين[2] ، ويقيم عليها ألف فارس وعشرة أمراء ، وقدم نحو سبعماية اكديش وتحف وغيرها ، ورسم السلطان ، وكتب له مناشير بإمريات وإقطاعات .

وحضرت أيضاً من جهة لولو نحو ثلاث آلاف رأس غنم ، وكان قد توقف حال الدولة من جهة الأغنام حتى أخذوها من بيوت الأمراء ، ولذلك السبب فتح باب المرافعة بين لولو والنشو وتكلم لولو كلام كثير ، في حق النشو ، وعرّف بشتك أنه إذا سلّم له النشو وحاشيته التزم بأربعماية ألف دينار يستخرجها منه . وبلغ النشو ذلك ، وعرّفه السلطان ما ذكره لولو فقال : « يا خوند ، هذا يريد يخلص بالمال من المصادرين ، ويقول اشغل السلطان عني بهذا الكلام لعله ينساني » ، وعرّفه أنه بلغه أن لولو عبّى دراهم وذهب يريد يسيّرها إلى حلب ، وألزم السلطان أن يعجل عليه قبل
١٤٧ و فوات المصلحة ، ويَسْلَم // بالدراهم .

واتفق في تلك الأيام وصول علم الدين [سنجر] الحمصي[3] ، وقد قدمنا ذكر طلبه إلى مصر مشافاة مع بريدي ، وكان ذلك باتفاق من السلطان مع النشو لما كان يبلغه عن هذا الرجل من الأمانة والنهضة ،

---

(١) كذا في الشجاعي والعيني ٢٩١١/١٧ : ١٠٥و؛ وفي المقريزي «ابن الطرفي». وعن أخبار هذا الأمير راجع: المقريزي ٢/٢ : ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

(٢) وترد البلستين أيضاً، وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم، كان يطلق عليها اسم أرابيسوس (Arabissus)، موقعها شرقي قيصرية الروم.
ياقوت ١ : ٧٥؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: ١٧٨ .

(٣) راجع ترجمته في الصفحة ٣٤٥، حاشية رقم ٦ .

ووافق النشو السلطان على أنَه إذا حضر يجد لأذى لولو سبيل . ولما وصل طلبه السلطان ، وأجلسه ، وشرع يعرّفه : « أن دولته خراب ، وأن الدواوين يأكلوا الأموال ، وقد ضجرت مما أحفظهم ، وقد سمعت أنك رجل جيد ، وفيك كفاية ، وقد اخترت أن أسلّم اليك مالي ، وتحكم في دولتي ، ومنك لي ، ولا لأحد عليك حكم ، ولا له حديث » . فباس الأرض ، وقال للسلطان : « والله يا خوند ، هذا الأمر يحتاج إلى ثلاث أشياء : شيوبة وقساوة قلب وظلم نفس ، وقد قال ﷺ : « خيار أعمار أمتي ما بين الستين والسبعين » ، والمملوك فقد بلغ الثمانين ، وما بقي في شيء يحتاج إلا إلى العدل واتّباع الحق» . فحنق السلطان ، وازورّ له وقال : « فأنا ظالم ، أو قلت لك افتح باب الظلم ؟ » . قال : « حاشى السلطان ، وإنما قصدت أن أعرّف السلطان حالي ، فإن رسم الحق عملت

١٤٧ظ الشد وحفظ مالك ، وأرحت السلطان من أشياء ، // وإن كان غير ذلك فصدقات السلطان أن يعفيني . فقال السلطان : « ما أحضرتك إلا أن تعمل الحق ، ولا ترجع لأحد » ، ورسم بتشريف إليه ، وأن يصبح يأخذ ساير الدواوين ، ويدخلوا صحبته ، وأصبحوا دخلوا بين يديه ، وجرت بين لولو والمستوفين مفاوضات كثيرة كان النشو قد عرّفهم القصد في لولو ، فنهضوا على محاققته واهماله الأموال ، وعند خروجه طلبه الحمصي[1] وأخذ سيفه ،وسيّر بالحوطة على بيته ومماليكه وغيرهم ،وأحضروه إلى الحمصي ،وطالبه بالحمل فقال : « يا خوند ، عرّف السلطان أنني قد عرفت أن هذا تجرأ عليّ من وقت تكلمت في النشو ، وأنا أقول : إن المال الذي عندي ما أعرف إيش هو ، قد عملته في أكياس وختمته ، وكتبت اسم السلطان عليه ، فهو له ، الله يجعله في أوسع الحل منه ، فإن خلّاني استخرجت له أربعماية ألف دينار ، كما قلت ، وإن أخذ ماله قنعت منه بقباء وفرس أركبه إلى حلب ، وأوفر عليه كل شيء » . فدخل الحمصي للسلطان وعرّفه القول ،

---

(١) المقصود: الأمير علم الدين سنجر الحمصي، وقد سبقت ترجمته.

فرسم أن يحمل ساير ماله وأخذوا حواصله ، وصار يحضر بكل شيء بعد شيء من ذاته ، وبقي مرسّم عليه .

ذكر ما اتفق للخليفة سليمان أبو الربيع (١)

١٤٨ و كان السلطان قد حرج على الخليفة(٢) بسبب أنه كان // قد عمر بجزيرة الفيل مكان مستنزه له ولأهله ، وكان كثير اللهو ، مشغوف بالطرب ، وكان عند السلطان من مماليكه جمدار يعرف بأبو شامة ، كان من الوجوه الحسنة ، وله فقيه يصحبه ، وصحب بينه وبين الخليفة ، وبقي يتردد إليه وينقطع عنده ويشتغل عن الخدمة . فبلغ السلطان أمره ، وأنه يتردد إلى الخليفة ، فطلبه وضربه ضرب مؤلم ، وطلب الخليفة وابن عمه وساير أولاده ، وطلعوا القلعة(٣) ، وأقاموا مدّة ثم أفرج عنهم(٤) ،وسيّرهم

---

(١) سليمان بن أحمد بن علي، الخليفة المستكفي بالله، أبو الربيع. ولد في نصف المحرم سنة ٢٣/٦٨٤ آذار ١٢٨٥، (وقيل في التي قبلها)، وبويع بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الأولى سنة ٧٠١/ كانون الثاني ١٣٠٢، وتوفي بقوص في أوائل شعبان سنة ٧٤٠/ أوائل شباط ١٣٤٠. (وقيل ٧٤١ وقيل أيضاً ٧٤٢). وكانت خلافته نحو ٣٩ سنة. انظر ترجمته في: ابن الوردي ٢ : ٤٦٥ - ٤٦٦؛ الذهبي، ذيول: ٢١٤؛ ابن فضل الله ٢٧ : ٢٠٩و؛ الشجاعي ١ : ٩٢؛ ابن كثير ١٤ : ١٨٧؛ ابن خلدون ٥/٤ : ٩٤٧ - ٩٤٨؛ ابن دقماق، الجوهر الثمين: ٤٤ظ - ٤٥و؛ المقريزي ٢/٢ : ٥٠٤؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩ : ١٥١؛ السيوطي، تاريخ: ٤٨٤ - ٤٨٦؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 207.

(٢) يشير العيني صراحة إلى أخذه هذه الرواية عن اليوسفي بقوله: «وقال صاحب النزهة». العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٩ظ.

(٣) وذلك في ١٣ ذي القعدة (وقيل ٢٣ منه) سنة ٢٣/٧٣٦ حزيران ١٣٣٥.
المقريزي ٢/٢ : ٤٠٣؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان: ٢٦٥و؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩ : ١١٥.
ويذكر المقريزي (نفس المصدر: ٤١٦ - ٤١٧)، إضافة إلى السبب الذي ذكر هنا، أسباب أخرى.

(٤) أفرج السلطان عن الخليفة وأهله في ٢١ ربيع الأول (وقيل الآخر)، وسفروا إلى قوص يوم الجمعة ١٨ ذي الحجة من السنة/ ١٨ تموز ١٣٣٧.
الجزري: ٥٢٤ والمقريزي وابن قاضي شهبه و ZETTERSTÉEN Op. Cit., P. 194

إلى قـوص هـو وجميع أولاده ، وكتب لمتولي[1] قـوص أن يحتفظ بـأمـرهم . ورتب لهم في قوص ما يكفيهم ، ورسم أيضـاً لأبو شـامة بسفـره إلى صفد ، وأقام في صفد أشهر ، ثم كتب لخشداشيته ، وسأل أن يكـون مقيم بالقـدس الشـريف ، وتحدثـوا مع السلطان بـذلك السبب ، وأوعـدهم ، ثم نقـل إلى القـدس ، بعد تـوفي السلطان الملك الناصـر ، بوظيفـة في القـدس الشـريف مشداً على قناة العروب ، النهـر الذي يـدخل إلى القـدس ، وله معلوم جيـد في القمامة[2] ، وتوفي سنة ثمان وخمسين [وسبعماية] ، وخرج إقطاعـه لغير ولده ، ومعلومه حصل لهم .

وفيهـا ورد مملوك نـايب الشـام يخبر بـوفـاة أولاده[3] ، فسـيّر الجـواب
١٤٨ ظ بـالتعزيـة ، // ورسم بالحضـور وصحبته أولاده وبيتـه بسبب مهم ولده أبـو بكر على بنت طُقُزْ دَمُر[4] ، وشرع السلطان في الإحتفال بـأمره ، وتـرتيب ما يصلح له ، وكانت عادته كلما حضـر إلى مصر يحضـر صحبته بتقـادم وهدايـا وتحف ، ويكون عادته فيما يصرف إليه خمسـين ألف دينار من خلع وغيرها ، ومـا ينسب إليها، فـزاده راتبـه تلك السنـة عشـرين ، فكـانت سبعـين ألف دينـار . ولما قـرب حضوره، ركب السلطان إلى سـريـاقـوس ، وأقـام بهـا إلى حيث بلغه نزولـه الصالحيـة ، فرسم لـلأمير سيف الـدين قوصـون أن يركب ويلتقيه ، ويأخذ صحبته كل ما يحتاج إليه من الـطعام والمشـروب ، ويلقاه ،

(١) مؤمن، الأمير صفي الدين. قتل في ١٧ شوال ٧٤٢/٥ نيسان ١٣٤١.
الشجاعي ١: ٢٢١.

(٢) والمقصود كنيسة القيامة في بيت المقدس، وهي عظيمة عند النصارى، لم يهدمها السلطان صلاح الدين الكبير اقتداء بعمر، حيث لم يهدمها لما فتح بيت المقدس. انظر: السيوطي، تاريخ: ٤٥٣. وقد ورد ذكر هذه الكنيسة في ابن فضل الله ٥: ١٧١ وابن الدواداري ٨: ٢٢٢ باسم «المصلّبة».

(٣) راجع: العيني ٢٩١١/١٧: ١١٠و.

(٤) ويرد أيضاً بصورة «طقزتمر»، الأمير سيف الدين الناصري، مقدم ألف، نائب دمشق وحلب وغيرهما. توفي بالقاهرة. وردت ترجمته في: ابن الوردي ٢: ٣٨٦؛ الصفدي، أعيان ٣: =

وعمل له سماط عظيم ، وركب صحبته إلى أن علم السلطان بوصوله[1] ، ركب وأولاده صحبته ، ورسم أن يتقدموا ، ويسلّموا على نايب الشام ، وبقى إلى [أن] يُسروا للعين ، وسيّر السلطان الحاجب إليه يعرّفه أن السلطان رسم أنه لا يترجل حتى يرسم له ، وبقي إلى أن قرب للترجّل كالعادة ، ولم يشعروا الأمراء إلا والسلطان قد ترجّل إلى الأرض ، فنزلت ساير الأمراء ، وأما تنكز فإنه أرمى نفسه من على الفرس إلى الأرض ، //

وصار يجري ويبوس الأرض وهو لا يتمالك عقله ، وبقي مثل المرهوش[2] ١٤٩ و
إلى أن قرب إليه ، رمى نفسه على رجليه يقبلها ، فشال رأسه ، وقال [له] : « روح اركب فرسك » . وركب السلطان أيضاً ، ورأت الأمراء ذلك اليوم من السلطان ، وما عُظّم به نايب الشام ما لا رآه أحد منهم ، ولا سمع أنه اتفق لأحد من الملوك مع نايبه أو مملوكه مثل ما اتفق له ، وشرع السلطان يتحدث معه في أفصال لولو وحضور [سنجر] الحمصي ، فأخذ يشكر منه ، ولم يعرض بذكر النشو للسلطان لما كان يعلم منه .

ذكر تجريد العسكر إلى سيس[3] وخراب آياس[4]

وعند إقامة نايب الشام ، حضر رسول من جهة علي باشا وموسى

= ٢ظ - ٤و، والوافي ١٦ : ٤٦٥ - ٤٦٨؛ المقريزي، السلوك ٢/٣: ٦٩٨، والمقفى: ١٣و؛ ابن حجر، الدرر ٢ : ٢٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٠ : ١٤٣ .

(١) كان حضور نايب الشام إلى الديار المصرية في أول شهر رجب الفرد (وقبل في ثا. نه)/ ٣ - ٤ شباط ١٣٣٤ .

الجزري : ٥٢٥؛ ابن تغري بردي، النجوم٩ : ١١٥ .

(٢) المرهوش هو الشخص المضطرب الذي تصطك يداه في مشيته .

ابن منظور ٦ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٣) بلدة في آسيا الصغرى، وهي قاعدة بلاد الأرمن .

BUCHNER, art «Sis», EI, IV, P. 454b - 455b.

(٤) بلدة كبيرة من بلاد الأرمن على ساحل البحر .

أبو الفدا، تقويم، ٢٤٨ - ٢٤٩ .

القـان ، وأخبر أن عـلي باشـا لم يقتل ، وأنـه أقام مـوسى وتغلب على بغـداد وأعمالها ، وسأل أن السلطان أوعده أن يجرّد عسكر إليه يساعـده على الشيـخ حسن [الكبيـر] وطغية[1] ابن سُـوتاي وأولاد دمـرداش ، وهو يملكـه بغـداد ويكون نايب عنه ببلاد الشـرق ، ويخطب بـاسمه ، ففـرح السلطان بأمـره ،
١٤٩ ظ وكتب إليـه يعرّفـه أنه يـرسل إليـه عسكراً يكـون بناحيـة // الفرات مقيم ، وإذا احتاج إليه يسيّر يعرّفه يعدي إليـه وينصره ، وسـيّر صحبة رسـوله خيـل وسلاح وهديـة . وعند فـراق رسوله، بلغ الشيخ حسن من القصّـاد أن الملك النـاصر كتب إلى عـلي باشـا إليـه ، وأوعـده أن يسـيّر إليـه عسكـراً ، فكتب للسلطان وعـرّفه : « إن كـان تنْصر عـلي باشـا لأجل أنـه قرابـة لك ، فنحن أقرب إليك منـه ، ونكون في طـوعك أكـثر منه ، ونحن وإيـاك صلح ، فلا تنشيء بيننا عداوة ، وخلينـا مع بعضنـا بعض ، وإلا فنحن أقرب إليـك من كـل أحد » ، وعـرّفه « : أن مـوسى إيش هو من عـظم القان ؟ والـذي من عـظم القان ، وقـد رضيت به أكـابر المغـل ، فهـو محمـد[2] بن يلقـطلو ابن هولاكو » . وكان كتابه وصل أيضـاً صحبة قـاصد الشيـخ حسن . فلما وقف السلطان عـلى كتبهم أرضى رسـولهم وأكـرمـه ، وبقي إلى أن وصـل نـايب الشـام ، وعرّفـه أمره ، وطلب الأمـراء ، وضرب مشـورة بسببهم وأي جهـة يقصد .

---

(١) يرد أيضاً برسم «طغاي» توفي سنة ٧٤٤، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٣٠٣، حـاشية رقم ١.

(٢) وهـو المعروف بـ محمـد بن عنبرجي من سـلالة هـولاكو الـذي أقامـه الشيخ حسن الكبيـر في السلطنة بعد وفـاة أبي سعيد، ولـه عشر سنـين من العمر، ونـاب له واضـطربت المملكة في أيامه. قتل القان محمد في سلخ ذي الحجة سنة ٧٣٨/ ١٩ تموز ١٣٣٨ .

الصفدي، الوافي ٤ : ٢٩٣ ؛ ابن حجر ٤ : ١٢٦ ـ ١٢٧ ؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 198 زمباور، معجم ٢ : ٣٦٢ ؛

SPULER, art, Īlkhāns, Op. Cit. (tableau généalogique)

D'OHSSON, Op. Cit., IV, P. 723 . 728.

واتفق رأي السلطان مع الأمراء على تجريد[1] عسكر نحو سيس ، وكان نايب الشام قد كاتب السلطان في أمرهم مكاتبات كثيرة ، وسأله أن يكون يدخل // سيس بنفسه ويخربها ، والقصد في ذلك من نايب الشام ١٥٠ أن يعجز نايب حلب ، فإن نايب حلب اتفقت بينه وبين تكفور[2] متولي سيس أمور أوجبت فساد الهدنة ، وشاور السلطان أنه يدخل إلى سيس ، فرسم له ، فدخل ونزل على قلعة النقير[3] ، وأقام عليها ، وطال شرحه في الحصار ، ووقع بالجند الغلاء والوخم[4] ، وقتلت عليها جماعة كثيرة ، ولم ينل منها طايل ، فرجع عنها بغير مقصود ، وكاتب للسلطان أنه إذا انقضت مدة الوخم يدخل إلى سيس . وبلغ نايب الشام رجوعه عنها فاختار أن يدخل إليها، ويجعل له فيها تذكار ، فكاتب السلطان بذلك السبب وأنعم له بذلك . وبلغ نايب حلب ذلك فعلم مقصوده ، وكتب للسلطان يعرّفه ـ كما تقدم ذكره ـ « أن سيس أقل [من] أن يدخل لها نايب الشام ، وأنه إذا انقضى أوان الوخم أدخل إليها وأخربها»، وتمادى الأمر إلى حيث حصل حضور الرسل ، واتفقت للسلطان هذا التجريد يكون منه ثلاث مصالح ، الأول أنه يبلغ قصد علي باشا وموسى قصدهم ، وما حضر ورسلهم بسببه ، ثم يعرّف الشيخ « أنني ما ساعدت علي باشا ، ولا هو

---

(١) هناك اختلاف بين المؤرخين حول تأريخ هذه الحادثة ، ففي الشجاعي (١ : ٨) و ZETTER-STÉEN (Ibid, P. 193) «في ثالث عشر شعبان»؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٤١٨) «ثاني عشر شعبان»، وفي العيني (٢٦ : ٣٢) «خامس عشر رجب».

(٢) لقب يطلق على متملك بلاد الأرمن. حسن باشا، الألقاب: ٢٣٣ ؛
QUATREMÈRE, **Op. Cit.**, 660 et suiv; TOURNEBIZE, **Histoire de l'Armenie**, P. 231 - 235.

(٣) من حصون بلاد الأرمن. وكان الطنبغا نائب حلب قد غزا بلاد الأرمن في رمضان سنة ١٣٣٥/٧٣٥ ، وعاد منها في شوال من نفس السنة.
ابن الوردي ٢ : ٤٣٩ ؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان: ٢٦٢و؛ العيني ٢٦ : ٢٨ ـ ٢٩ ؛
TOURNÉBIZE, **Op. Cit.**, P. 234.

(٤) جاء في ابن منظور (١٢ : ٦٣١ ـ ٦٣٢): الوخم: الوباء، وهو داء كالباسور ويسمى الوَذَم؛
cf. DOLS, **Ibn al-wardi's «Risalat al-Nabá an al-Wabá»** P. 443 - 455.

١٥٠ ظ عندي أعز // منك ، وإنما أهل سيس قد عصوا عليّ ، وأسروا جماعة من المسلمين ، وقطعوا الحمل والخراج الذي قررته عليهم ، وقد جرّدت هذا العسكر بسببه ، لا لأجل غيره » .

واتفق الحال على التجريد ، وكتبت جوابات كل منهم ، وكتبت أيضاً أوراق المجردين ، وأول من عيّن للتجريد مقدم العسكر الأمير سيف الدين أرقطاي[1] ، كان نايب الشام ممن عيّنه للسلطان ، ويكون الأمير سيف الدين طرغية[2] الطباخي شاليش ، وأرقطاي ساقه ، وعيّن من مضافيهم الأمير قياتمر ، والأمير بدر الدين بيدمر البدري[3] ، والأمير تمر الموساوي[4] ، وقطلوبغا الطويل ، وجركتمر بن بهادر وبيبغاتتر[5] حارس الطير ، وعيّن من الشام : سيف الدين قطلوبغا الفخري مقدم الجيش الشامي ، وكتب أن يتقدم بعسكر الشام وعسكر حماه وحمص وطرابلس ويدخل إلى ناحية جعبر ، وإذا بلغه أن العسكر وصل إلى حلب يرجع ،

---

(١) أرقطاي بن عبد الله الناصري، الأمير سيف الدين المشهور بالحج. ولي نيابات عدة أبرزها حلب. توفي عن نحو ثمانين سنة في يوم الأربعاء ٥ جمادى الأولى سنة ٧٥٠/٢٢ تموز ١٣٤٩.
الصفدي، الوافي ٨: ٣٦١ - ٣٦٣؛ المقريزي ٢ /٣: ٨١٢ - ٨١٣؛ ابن حجر ١: ٣٥٤.

(٢) كذا في العيني؛ وفي المقريزي «طوغاي»، وفي ابن الوردي والصفدي وابن حجر «طرغاي» الجاشنكير الناصري، أصله من مماليك بلبان الطباخي ثم انتقل للناصر. ولي نيابة حلب في ربيع الأول سنة ١٣٣٨/٧٣٩، إثر عزل الطنبغا عنها، ثم ولي نيابة طرابلس في رجب سنة ١٣٤٢/٧٤٣، فأقام بها إلى حين وفاته في رمضان، وقيل في شعبان سنة ١٣٤٤/٧٤٤.
انظر ترجمته في: ابن الوردي ٢: ٤٨١؛ الصفدي، الوافي ١٦: ٤٢٥ - ٤٢٦؛ المقريزي ٣/٢: ٦٥٩؛ ابن حجر ٢: ٢١٦ - ٢١٧.

(٣) ولي طرابلس ثم حلب. قتل بغزة أوائل جمادى الأولى سنة ٧٤٨/ آب ١٣٤٧، وتنسب إليه المدرسة الأيدمرية بالقاهرة.
المقريزي ٣/٢: ٧٥٤؛ ابن حجر ١: ٥١٣.

(٤) أحد الأمراء بمصر. قتل بمحبسه بالاسكندرية سنة ١٣٤٧/٧٤٨.
المقريزي، نفسه: ٧٤٨؛ ابن حجر، نفسه: ٥١٩.

(٥) ولي نيابة غزة مرات عدة ثم ولي ولاية القاهرة. توفي بطرابلس في عشر الستين وسبعماية.
ابن حجر ١: ٥١١.

وكان ذلك تصديق لما أوعد به علي باشا والملك موسى ، ويبلغهم أن العسكر الذي أوعدهم السلطان أن يسيّره صدقهم في وعده ، ثم يرجع إلى سيس ويبلغ غرضه من الجهتين // .

١٥١ و واستقر الحال على التجريد وكتبوا الأوراق ، وعند سفر[١] نايب الشام باس الأرض ، وشفع في طرنطاي المحمدي[٢] ؛ وكان هذا الرجل من جملة من حبس[٣] ، وأقام في الحبس سبعة وعشرين سنة ، وكان السلطان يقول : « هذا مِنْ جملة مَنْ قتل أخي الملك الأشرف » ، فكان ذلك سبب تأخره . ولما تكلم مع السلطان في أمره، سأله أيضاً في [علاء الدين علي] بن هلال الدولة و [ناصر الدين محمد] ابن المحسني ، وقال للسلطان : « يا خوند ، قد أخذت المسألة حقها من هؤلاء » ، فقال السلطان : « يا أمير ، هذا ابن هلال الدولة ما يمكن إقامته في مصر ، ولكن أنا أقبل شفاعتك ، وأسيّره عندك في الشام » . فباس الأرض ، وقرر معه أمر العسكر وعبوره ويراعي أمره ، وأنعم السلطان عليه وعلى أولاده ، وسافر[٤] .

وفيها شاور علم الدين [سنجر] الحمصي السلطان ، وعرّفه أنه يقصد أن يكتب أوراق يعرّف السلطان فيها ما عليه من القَرْض للتجار والناس الذي يبيعوا على الخزانة البرّانية ، واجتمعوا المستوفين والنظار وكتبوا

---

(١) سافر نايب الشام إلى مصر نهار الاثنين ٢٢ رجب الفرد من السنة/ ٢٤ شباط ١٣٣٧ .
الجزري : ٥٢٥ ؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 193

(٢) طرنطاي المحمدي ، الأمير حسام الدين . توفي بدمشق سنة ٧٤٥/ ١٣٤٤ .
المقريزي ٢/٣ : ٦٧٦ ؛ ابن حجر ٢ : ٢١٨ .

(٣) بالاسكندرية ، وقد أفرج عنه وعن ابن المحسني وابن هلال الدولة نهار الجمعة الثاني من رمضان من السنة/ ٤ آذار ١٣٣٧ .
الشجاعي ١ : ٥ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٦٨ ؛ ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 193

(٤) سافر ابن هلال الدولة إلى دمشق في ٢١ رجب من السنة / ٢٣ شباط ١٣٣٧ .
المقريزي ٢/٢ : ٤١٩ .

أوراق بألفي درهم ، وقرئت على السلطان ، فلم يعترف منها بشيء ، وقال
١٥١ ظ للحمصي : // « يا علم الدين ، كل هذه يأخذوها الدواوين على اسمي ، ويقولوا السلطان عليه دين » . وكان الكلام من جهة النشو ، فإنه عرّف السلطان ذلك ، وأن يكون جوابه لهم . وما خرجوا من بين يديه حتى رسم أن يفرّق ذلك الدّين جميعه على المباشرين ، وبقيوا الكتّاب في شدّة من ذلك ، وتحمّلوا أول بأول ، وطلعت أرباب الديون ، وصار كل من يأتي يطالب الحمصي يقول له : « يا إبني ، هذا شيء ما هو في أيامي لك ، [إن] كان لك عندي شيء أو أخذت منك شيء طالبني ، وإن كان لك عند السلطان شيء روح طالبه ، ونحن من اليوم تعاملنا » .

ثم أبطل ضرب المقارع ، وطرد ساير الرسل والظلمة[1] ، وممن كان يقطع المصانعات . وكانت قد سُلّطت على الناس جماعة كثيرة من الأوباش من أهل الأرياف ، والتجوا إلى ابن صابر وابن معين وتسلّطوا على الناس ، ومشى حالهم مع المصادرين ، وحصّلوا مال عظيم .

ولما تولى الحمصي وفعل ما فعل ، شاور السلطان وعرّفه أن اسم المقارع شنعة ، وأن الظلم قد زال في دولته ، فوافقه السلطان على ذلك ،
١٥٢ و وفرحت الناس واستبشروا // به . واتفق أن النشو شاور السلطان على أن يركب ، ويفتقد أمر فارس كور والمنزلة الذي لأيدغمش[2] ، وقع في أمرها كلام ، ويفتقد أحوال دمياط وغيرها ، وركب كشفها ، وحضر عرّف السلطان أمر والي أشمون[3] ، وكان قد تولاها علاي الدين ابن تونك[4] ،

---

(١) في المقريزي (٢/٢ : ٤١٩) : «وطردت الرسل والأعوان من باب شد الدواوين» .

(٢) المقصود : أيدغمش ، الأمير علاء الدين أمير آخور الناصري . ولي نيابة حلب ونيابة دمشق . توفي بدمشق الثلاثاء ٣ جمادى الآخر سنة ٧٤٣/٣ تشرين الثاني ١٣٤٢ .
الصفدي ، الوافي ٩ : ٤٨٨ - ٤٨٩ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٥٤١ ، ٢/٣ : ٦٣٧ .

(٣) ترد «أشموم» وهي بلدة قرب دمياط شرقي النيل ، يقال لها الدقهلية .
ياقوت ١ : ٢٠٠ ؛ أبو الفدا ، تقويم : ١١٨ - ١١٩ ؛ AMELINÉAU, La géographie, P. 182.

(٤) كذا ؛ وفي المقريزي (٢/٢ : ٤١٩) : «علاء الدين ابن توتل» .

فرسم بطلبه ومصادرته ، فطلب آقبغا[1] متولي المحلة ، ورسم بمصادرته وأُهين ابن تونك والي أشمون إهانة بالغة ، وصار ينزل صحبته ابن صابر ، ويضربه تحت رجليه عند بيته ويعرّيه ويهينه ، وأخذ منه نحو خمسين ألف درهم ، ومن والي الغربية نحو ماية ألف درهم ، بحيث أنه لم يُهان ولا ضُرب ، وتعين بالحوطة على والي[2] الأشمونين[3] ومباشرين المعاصر والدواليب ، وساير من كان مباشر بأعمال الصعيد والفيوم[4] من الكتّاب والمشدّين ، ودخل عرّف السلطان أن ثمّ جماعة من التجار والسكريين يحتمون بقوصون ويشتك وآقبغا وغيره ، ومن جملتهم ، رجل سكري في مصر له مطابخ سكر يصنع فيها كل قبيح من أمور الزغل في السكر

١٥٢ ظ والعسل وغيره ، ويدّعي أن المطبخ لقوصون ، فرسم بطلبه // ومصادرته ، فطلبه وأحضره ، ورسّم عليه ، فطالبه بماية ألف درهم . وبلغ ذلك قوصون، فحرج ودخل للسلطان عرّفه : « أن هذا الرجل هو يدولب مطبخي ، وما لأحد عليه تعلق » . وسأل السلطان في أمره ، فرسم بالإفراج عنه ، فحنق النشو لذلك ، وعلم أن أمر هذا وخلاصه يفسد عليه أحوال كثيرة ، فنظم محضراً عليه ، وأثبته على قاضي مصر ابن مكين أن ابن المُشَنْقَص السكري مات على غير الملة ، وأن ولده لم يستحق إرثه ، وأن ماله يرجع للسلطان وبيت المال ، ودخل للسلطان، وعرّفه وأوقفه على المحضر ، وطلب السلطان قوصون وخاطبه في أمره ، فانزعج قدام السلطان

---

(١) توفي يوم الخميس ٢٩ ذي الحجة سنة ١٦/٧٥٢ شباط ١٣٥٣ .
المصدر نفسه ٢/٣ : ٨٥٧.

(٢) هو أبو بكر الردادي . توفي في ٢٥ رجب سنة ٢٧/٧٣٧ شباط ١٣٣٧ .
الشجاعي ١ : ١٥

(٣) مدينة قديمة بالديار المصرية في الصعيد الأوسط غربي النيل.
ياقوت ١ : ٢٠٠ ؛ أبو الفدا، تقويم: ١١٤ ـ ١١٥ ؛ AMÉLINEAU, Op. Cit., P. 167 - 170

(٤) مدينة في بلاد الصعيد بالديار المصرية .
ياقوت ٤ : ٢٨٦ ؛ أبو الفدا، المصدر نفسه: ١١٤ ـ١١٥ ؛
AMÉLINEAU, Ibid., P. 337 - 340.

إلى أن قال : « إن كان السلطان يريد يأخذ ماله ، يأخذ ماله ، وأنا أتسلم مالي عنده ، والسلطان يفعل فيه ما يرسم » .

وعلم السلطان أن قوصون انتكى بسببه ، فعرّفه : « أن هذا الرجل
قد كثر زغله على الناس ، وهم يشتكوا منه ، وأنا كرامة لك ما آخذ له
شيء ، وقد أبحتك كل ما له ، إن كنت ما تأخذه أنا أخذه ، ولا أخلّيه
وله » . فقال قوصون : « مرسوم السلطان أنا آخذه». وسيّر أوقع // الحوطة ١٥٣ و
على ساير موجوده في المطابخ وغيرها ، وأخذ جميع حاصله من قند ومن
عسل وغيره[1]، فكان تقدير (. . .)[2] .

وركب السلطان إلى سرياقوس ، فوقف السوقة له ، وشكت من الفار[3] الضامن[4] . وكان النشو قد أخرجه من الحبس ، وضمّنه مصر وساير معاملاتها ، وأحدث في القصب والرمان حوادث كثيرة ، وكذلك في المقاث وغيرها ، وحصر حتى السدر في مصر لا يبيعه إلا دكان واحد ، ورأت الناس به شدة عظيمة ، فوقفوا واستغاثوا حتى صاحوا : « يكفانا النشو ، فلا تسلّط علينا الفار » . فطلب [السلطان] النشو عند نزوله . وحرج عليه ، وقال : « وَالك ، أنا كنت حبست هذا ، ورسمت عليه أن يُكتب قيده مخلّد » . أنكر [أنه] ما تحدث في خروجه ، وأن لولو الذي أخرجه وضمنه . فرسم للحمصي[5] بطلبه وقتله وحبسه ، ويُكتب على قيده مخلّد ، وضمنوا جهته بناقص عشرة آلاف درهم ، ومشى أحوال الناس والتجار ، واطمأنت الفلاحين والسّوقة .

---

(١) قارن بالمقريزي ٢/٢ ' ٤١٩ .

(٢) بياض في الأصل تقدير ثلاث كلمات .

(٣) هو ناصر الدين المعروف بفأر السقوف انظر لمع من أخباره في المخطوط: ١٦٤و؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٠، ٢/٣' ٦٠٦، ٦٤٤، ٦٩١، ٨٠٦، ٨١٤، ٨١٥، ٨٢٣، ٨٢٩، ٨٤٩.

(٤) في المقريزي (٢/٢ : ٤٢٠): «ضامن المعاملات» .

(٥) المقصود: الأمير علم الدين سنجر الحمصي .

وفيها طلب النشو ساير القلاقسة(1) ، وأرمى عليهم كل فدان قلقاس
١٥٣ ظ بألف ومايتي درهم ، وصادر السماسرة والبياعين // وبعض تجار مصر ،
وأخذ المخازن الذي للتجار في الفنادق ، وصار يطلب كل صاحب فندق
ويفتح مخازنه ، ويعرضها ويأخذ ما فيها للتجار والذي خزنها ، وإذا حضر
يطالب يحيله على الخشب والبوري(2) ، وإذا لم يحضر أحد، يبيع ويرمي كل ما
يجده من الأصناف على أربابها المثل بثلاثة ، وأخذ مخزن حديد وقوّمه بنحو
خمسين ألف درهم ، وأباعوه على المرستان ، وسيّر يعرّف الجاوْلي أمره ، فلم
يقبل منه ، فشكاه النشو للسلطان ، وعرّفه : « أن المرستان تحتاج إلى
حديد ، وعندنا حديد كثير للسلطان ، والجاوْلي منع أن يشتريه ، ونحن
أحق أن نبيع للسلطان على المرستان » . ولما دخل الجاوْلي والأمراء ، عرّف
السلطان أن النشو سيّر يطلب دراهم من الوقف ، أشرع السلطان بالجواب
إليه : « هو يأخذها بلاش ، أنت تشتري الحديد من التجار ، السلطان
أحقّ » . فلم يقدر أن يجاوبه ، ووزن(3) المبلغ ، ولم يتأخر .

ذكر ما اتفق من أخبار الشرق(4)

وكنا قدمنا ، من أخبار علي باشا والشيخ حسن وأولاد سُوتاي ، ذكر
١٥٤ و الوقعة التي كانت بينهم ، وأن علي باشا قتل ، // ووردت الأخبار

---

(1) راجع العيني ٢٩١١/١٧ . ١٠٩و

(2) لعل المقصود: السمك المعروف بذلك الاسم، نسبة إلى مدينة بورة الواقعة على شاطىء الأبيض المتوسط قرب دمياط (ياقوت ١ : ٥٠٦؛ المقريزي، الخطط ١ : ١٠٨)
قارن بما ورد في KAZIMIRSKI. I. P. 227

(3) إشارة إلى أن النقود في العصر المملوكي عامة وفي عهد الناصر محمد خاصة كانت تتبادل وزناً لا عدداً.

انظر المقريزي، النقود: ٦٩ - ٧١، كما أنه من المفيد مراجعة:
ASHTOR, La recherche des prix dans l'Orient médiéval ... Studia Islamica, 21, P 120 et suiv.

(4) نقل العيني هذه الرواية عن اليوسفي.
العيني ٢٩١١/١٧ : ١٠٦و.

للسلطان بذلك ، فلم يصح قتله ، وإنما لما اتفق الملتقى وانكسر علي باشا وموسى [القان] الذي أقامه ، كان علي باشا قدِ شاهدوه ، وقد وقع فرسه ، وأشاعوا عنه القتل ، وأنه أقام يرمي إلى الليل ، ونهض إلى أن خلص من ذلك المكان ، وتوصل إلى بغداد ، واجتمع مع موسى القان ، واجتمعت الناس حولهم ، وأرغبه الجند، وكتب للسلطان ، كما تقدم ذكره ، وكتب أيضاً الشيخ حسن [الكبير] ومحمد[1] الذي أقامه الشيخ حسن ، وشرعوا كل منهم يجمع على صاحبه ، وشرع علي باشا في مصادرات أهل بغداد ، وأخذ أموال السعداء والتجار الذي لهم مالية ، وأضرّ ذلك لحال الناس ، وخرجت جماعة كثيرة من بغداد ، وتمّ على ذلك الحال إلى أن التحق بالموصل وغيرها ، وهرعت الناس للخروج منها ، وبلغ خبره الشيخ حسن ، فركب إلى نحوه في جيش كبير[2] وصحبته طغية بن سوتاي وأخوته وأولاد دمرداش ، واتصل خبره لعلي باشا فخرج لملتقاه ، وأخبر من حضر هذه الوقعة أنها كانت شمالي توريز[3] ، وكانت وقعة عظيمة والملتقى //
١٥٤ ظ ظهر النهار ، وأقام مصافهم إلى العصر ، وما انهزم الجيش الذي لعلي باشا حتى قتل موسى القان[4] ، وضرب فرس علي باشا فوقع به إلى الأرض ، وقبل قتله أشهروه بها ، وقتل من أصحابه جماعة ، وتمّ الشيخ حسن وعسكره إلى أن دخل بغداد، ونادى فيها بالأمان والإطمئنان وعدل في الرعية ، وهربت جماعة كثيرة من أقارب علي باشا إلى نحو ماردين، فقتل بعضهم في الطريق[5] .

ولما اتفق من نصرة هؤلاء ما اتفق ، جهز رسول إلى السلطان الملك

---

(١) المقصود القان محمد بن عنبرجي.

(٢) جاء في الجزري أن عدته بلغتماية وسبعين ألفاً.
الجزري : ٥٣٢ .

(٣) كذا في المقريزي ٢/٢ : ٤٢١ ؛ وفي الجزري : «بالقرب من تبريز».

(٤) قارن بالجزري والشجاعي (١ : ٦) والمقريزي .

(٥) كذا في الشجاعي . قارن بالجزري : ٥٣٢ .

الناصر يعرّفه أنه انتصر بسعادة مولانـا السلطان ، وكان هـذا ببركـة السلطان
ونظره وحسن محبته ودعـائه ، وكـان قد بلغـه أن عسكر الشـام قد دخـل مع
بعض الأمـراء المقدمـين إلى نحو [قلعـة] جعبر ، وأقـام أيامـاً ورجـع ، ولم
يبلغهم عنه خبر إلاَّ بخير ، فظن أن ذلـك كان لـه على سبيـل المساعـدة له ،
فكتب بـالشكر والثنـاء ، وسيّر أرمغـان وأكـاديش ، وراسله السلطان . ولما
وصلوا باسوا الأرض، فقرّبهم السلطان ، وكان قـد تقـدم خبـرهم من نـايب
١٥٥ و الشام ، وعرّفه أن القصّاد وصلت ، وأخبـرت // أن الوقعـة جرت بـين علي
باشا وبين الشيخ حسن وبـين بغداد وتـوريز ، وانكسـر علي بـاشا ومـوسى ،
ومنهم من يقول : « إنهم قُتلوا » ومن يقول : « إنهم هربوا » .

ولما وصلت رسل الشيـخ حسن بمفـرده ، علم السلطان أنـه انتصـر ،
فقرّب رسله وسمع المشافاة ، وقُرىء الكتاب وهو يذكر فيه صـورة الواقعـة ،
فلم يهن ذلـك على السلطان ، وطلب الـرسول ، وأظهـر لـه البشـر وهنّـاه ،
وشرع يفصح عن أخبار علي بـاشا هـل هو في الحيـاة ؟ فعرّفـه الرسـول أن :
«يـا خونـد، لا تسمع كـلام أحد غيـري، علي باشـا أحضروه وهـو مجروح
للشيـخ حسن، وأمر بقلع عينيـه ثم قطع مفـاصله، وتـوفي من وقتـه، وأمـا
موسى ، فإنـه هرب وتعلق بجبـال الأكراد». فكـظم ذلك في نفسـه، وكتب
لنايب الشام أن الهدية الـذي جهزهـا لعلي باشـا من الخيل والسـلاح وغيره
يلتحق بهـا حيث كـانت، ويبقى إلى أن يشهـر الخبـر، ويسيّـر السلطان من
مصر صحبتها شيء [ما] يصلح للشيخ حسن والسلطان محمد، وجهّز رسله
وأنعم عليهم وعرّفهم أنه يسيّر رسول تهنئة للشيخ حسن عقبهم[1].

١٥٥ ظ وفيـه حضر بـالأمراء // المعتقلين[2] ، وهـم طـرنطاي المحمـدي وابن

(١) أثبت الشجاعي (١: ٧) نصاً مـا جاء في كـلام رسول الشيـخ حسن إلى السلطان مع إضـافة كلمة «وقتل» حتى قوله «عقبهم».

(٢) في العيني (٢٩١١/١٧: ١٠٦و- ١٠٦ظ): «وفيهـا أطلق السلطان المحابيس في الاسكنـدرية من الأمراء». راجع أيضاً ما ورد في المخطوط: ١٥١و.

هلال الدولة وابن المحسني ، ورسم بسفر طرنطاي وابن هلال الدولة لنايب الشام ، وابن المحسني لولده وأخوته بطرابلس[1] .

وحضر خبر من نايب الشام بموت فضل بن عيسى أخو مهنا ، وعرّف السلطان أنه أرسل نجم الدين ابن الزيبق[2] ، كان تقدم طلبه من السلطان ، لمّا كان شكر الحاجب من مباشرته بدمشق ، فكتب يطلبه ، ولما وصل أخلع السلطان عليه وولّاه صناعة مصر والاهراء ، وتولى ابن صورة[3] نظر الاهراء رفيق له فيها .

ذكر ما اتفق للنشو وضربه[4]

كان السبب لذلك ما تقدم من إساءة النشو لساير العالم والأمراء والأكابر ، وبلغه أن الأمراء عمّالين على قتله ، فصار يحترص على نفسه ، وإذا ركب يصحب معه بعض مقدمين الولاية و [سرور][5] والي باب اللوق[6] ، واتفق ركوبه[7] على عادته إلى أن وصل إلى الميدان ومفرق

(١) وقد سافر ابن هلال الدولة وابن المحسني في ٢١ رجب من السنة/ ٢٣ شباط ١٣٣٧ .
المقريزي ٢/٢ : ٤١٩ .

(٢) داود بن أبي بكر بن محمد البعلي، الأمير نجم الدين المعروف بابن الزيبق. تنقل في ولايات مصر والشام، وتوفي بدمشق في ٦ رجب بسنة ١٢/٧٤٨ تشرين الأول ١٣٤٧ .
الذهبي، ذيول: ٢٦٥؛ المقريزي ٣/٢ : ٧٥٥؛ ابن حجر ٢ : ٩٧ .

(٣) محمد بن محمد بن علي (وقيل عبد الله)، الشيخ صلاح الدين ابن صورة. توفي في ٢٧ ربيع الآخر سنة ٢٥/٧٧٧ أيلول ١٣٧٥ .
أبو زرعة: ٤٨ظ؛ المقريزي ٣/١ : ٢٦١ .

(٤) نقل العيني هذه الرواية نصاً كما وردت في اليوسفي .
العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٩و-ظ .

(٥) إضافة استناداً إلى ما يلي في المخطوط: ١٥٧و.

(٦) اللوق هي الأرض اللينة، وقد أطلق على الجهة التي انحسر عنها النيل، من ساحل المقس إلى منشأة المهراني بالقاهرة اسم باب اللوق.
المقريزي، الخطط ٢ : ١١٧-١١٨ .

(٧) يوم الاثنين ١٢ رمضان من السنة/ ١٤ نيسان ١٣٣٧ .
الشجاعي ١ : ٥؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٢؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩ : ١٠٧ .

الطرق قبل انشقاق الصبح ، ولم يشعر إلا وفارس قد لاحقه وهو ضارب لثامه[1] ، وأشهر سيفه وقصد ضرب رقبته ، لما يريد الله من سلامته ،
١٥٦ وعند رؤيته الرجل زمع[2] وجمع رقبته // فوقع السيف شاطح وجرحه في كتفه ، ووقع شاشه[3] وتخيّل الرجل عند وقوع شاشه[4] أنه قطع رقبته ، فساق بفرسه ، وقد وقع النشو إلى الأرض ، واندهش من معه ، وساق خلف الرجل مشد المطابخ فتقنطر بإكديشه وسبق الرجل ، ولم يُعرف ذلك الوقت .

واتصل الخبر بالسلطان عند جلوسه بما اتفق له ، فحرج حرجاً عظيماً ، وطلب جماعة من الأمراء والجمدارية ، وأرسلهم إليه وصحبتهم الجرايحية[5] ، ولم يحضر ذلك اليوم سماط ، وقلق قلق كثير ، وطلب الوالي[6] وقصد يضربه ، وقال [له] : « متى لم تحضر بصاحب النشو ، وإلا شنقتك » . والتفت إلى الأمراء وكلمهم كلام منكي وآخره : « والله ، لأسمرنّ الذي فعل هذا ، وأنا أعرف أنكم تبغضوه[7] لأجل ما تروه أنه ينفعني ، ويحصّل مالي » ، وشرع في مثل ذلك ، ولم يجسر أحد أن يتكلم معه ذلك الوقت ، وبقي إلى أن طلعت الأمراء له ، وعرّفوه أن جرحه سالم ، وحضر الجرايحي ،وعرّف السلطان أن جرحه سليم ، وأن الضارب[8]

---

(١) راجع ما ورد في المقريزي وابن تغري بردي .

(٢) زمع : أسرع.

(٣) ابن منطور ٨ : ١٤٣ .

في المقريزي وابن تغري بردي : «عمامته» .

(٤) الشاش، لفظ عبراني «شش»، معناه نسيج رقيق من كتان ثم من قطن.

العنيسي ، الألفاظ الدخيلة : ٣٩ .

(٥) في المقريزي (٢/٢ : ٤٢٢) وابن تغري بردي (النجوم ٩ : ١١٧): «فقطب ذراعه بست أبر، وجبينه بإثنتي عشرة إبرة» .

(٦) المقصود: والي القاهرة.

المصدران نفساهما.

(٧) الأصل: تبغطوه.

(٨) الأصل: الظارب .

لم يتمكن منه . ففرح بـذلك وطلع أخـوه رزق الله ، وعرّف السلطان الـذي
١٥٦ ظ اتفق . فقـال [لـه السلطان] : « إذا نـزلت // إليـه خـذ خبـزه ، وخلّيـه
يكشف، ويتتبع أثر من فعل معه هذا الفعل حتى آخذ حقه » .

ولما نزل عرّف أخوه ، فجمـع أخوتـه وحفدتـه ، وصوّروا أمـوراً كثيرة فيها أذى للناس ، وفروغ أجل من فرغ أجله ، وكانت الأسبـاب على يـده ، وسبق بـذلك في سـابق القدم ، فسـأل الله السلامـة في كل أمـر . وآخر مـا انتـظم بينهم أن أخوه طلع عـرّف السلطان أن غرمـاه الذي قصـدوا قتله هم الكتّـاب الذي في التـرسيم ، وأن لولـو موافق لهم ، وأن هؤلاء الكتّـاب لهم غلمـان وحفدة ، وهـذا الـذي ظهـر للمملوك في هـذا الـوقت ، وإذا عـوفي وطلع بـين يدي السلطان لا بـد أن يظهـر له من فعـل به . فـطلب السلطان ابن المـرواني ، ورسم لـه أن يعـاقب الكتّـاب الـذي عنـده إلى أن يعتـرفـوا بـالذي ضـرب النشو ، ويـطلب لولـو ويعاقبـه أيضاً . فـطلب لولـو وبطحـه وضربه نحو المايتي عصاة، وهو يقول : « أنا رجـل غريب ، وما أعرف أحـداً في مصـر » . واختصار الحـال أنه عـاقب العَلَم[١] أبو شـاكر ، وربط يـده في المقـايرات[٢] وعلّقـه ، وكذلـك بقرمـوط وأولاد [ابن] الجيعـان وغيـرهم ،
١٥٧ و وتوفوا بعد يومين من العقوبـة ، // وأخرب بيت شـرف الدين [أوحـد][٣]
ابن الخـطير بحارة زويلة وأخـذ رخامـه ، وسيّر النشـو عرّفـه أن يخرب بيـوت الجيعان ويحرثهم بالمحاريث ، فإن له فيهـا حباً ، فخـرب الجميع وحـرثهم ، وسرى ذلك بالناس ، ونال غرضـه من كثير من العـالم بذلـك السبب ، وأي من قصده يقول : « أنت تعرف من ضرب النشـو ؟ » . ونالـوا أغراضهم من جماعة كثيرة كانت نفـوسهم ملآنـة منهم ، وبقي ذلك الحـال بالنـاس وهم في

(١) كذا في المقريزي ؛ وفي ابن تغري بردي «المعلم».

(٢) يفهم مما ورد في ابن تغري بـردي (النجوم ٩. ٣٢٣) أنها أداة للتعـذيب بحيث يعلق الرجـل بيديه، وتعلق المقايرات في رجليه، فتنخلع أعضاؤه ويموت. وقد أكثر والي القاهرة علاء الدين علي بن المرواني من اعتمادها لما عرف عنه من القسوة والظلم

(٣) إضافة من ابن حجر ٤ : ٣٤٨ (ترجمة مسعود بن الخطير).

أشـد ما يكـون إلى أن عـوفي ، وطلع القلعـة واختـلى مـع السلطان ، وأخـذ يعرّفه كيف كـان أمره ، وأخلع عليـه ، ورسم للوالي بطلب سـرور والي باب اللوق[1] والمقـدم ، ذكر أنـه كان يـركب معه ، وأنـه ذلك اليـوم رآه ، فأمـر به ، فعوقب هو وولده إلى أن توفوا تحت العقـوبة . ثم قصد ابن عسيلة والي القرافة ، وعرّف السلطان أن هذا الرجل رجـل حرامي قـاتل النفس ، وأنـه من بعض الغرماء ، فقبض عليه ، وكان القصـد من النشو أن يعـاقب ، فإذا ضربه بالعقوبة، يعرّفه أن يعترف على آقبغا عبـد الواحد أنه الـذي زرقه عليـه
١٥٧ ظ حتى يقتله ، ويبلغ غـرضه من آقبغـا ، وكـان هـذا // الـرجـل يخـدم آقبغـا كثيراً وهو مشده في عمارة الخـانقاه ، وعمـارة القرافـة ، وهو يلوذ بخـدمته . فسُلّم للوالي وعُـوقب بعقوبـة كثيرة ، وسـيّر إليـه من اجتمـع بـه في الحبس ، وعـرّفه القصـد الذي قصـده النشو أن يقـوله ، وضمن لـه الرجـل السـلامـة لنفسـه ، فلم يوافق عـلى أن يقول شيء ، وحطّ عليـه النشو بـذلـك السبب إلى أن أعيا الوالي عقوبته ، ولم يبق إلاّ موته ، ولم يجسـر آقبغا يتكلم في حقـه كلمة واحدة .

وفيها كان هجم بيت قـاضي القضاة جـلال الدين منسـر[2] ، حضروا إليه في البحر ، ودخلوا إليه وأخذوا ساير مـا كان في بيتـه ، ولم يجدوا في بيتـه شيء لـه صـورة ، وإنما قمـاش النسـاء ، ووقـع الصـوت في الجـزيـرة[3] ، فأدركهم الخفراء ، وقتلوا من الخفـراء نفراً واحـداً ، وجرحـوا منهم جماعـة ، وأصبـح عـرّف السلطان أمـره ، فـطلب الـوالي ورسم إحضـار الغــرمـاء ، وشرعوا في مسك مراكب الصيادين وأرباب الصيد الذي في البحـر من سايـر الـوجه القبـلي ، وكتبوا عليهم بـذلك حجـج ، واتفقوا أن يحـطوا عنهم ربـع

(١) راجع: الصفحة ٣٧٥، حاشية رقم ٦.
(٢) أثبت العيني هذه الحادثة نصاً كما جاءت في اليوسفي.
العيني ٢٩١١/١٧: ١٠٩ظ.
(٣) المقصود: جزيرة الفيل حيث دار قاضي القضاة جلال الدين القزويني.
راجع: المخطوط: ١٤٠ظ.

الحق الذي يستهدوه لديوان السلطان على الصيد ، ويدركوا ما يجري في
158 و البحر . وبعد أيام أحضروا جماعة من // الجيزة من المَنسر وسمرّوهم .

ورسم السلطان بسفر خواجا عمر(1) ، وصحبته سُرْطَقْطَاي مقدم البريدية(2) ، إلى بلاد أزبك ، بسبب حضور مماليك وجواري وأقارب بشتك وغيره من تلك البلاد ، واجتماعهم بأُزبك . وسيّر إليه هدية وعرّفه بقصده ، يأتي ذكره ، وكتب صحبتهم لنايب قرم(3) ونايب الروم ، وجهّز صحبته عشرين ألف دينار .

وفيها خطب في جامع(4) الأمير عزالدين [أيدمر] الخطيري(5)، المقدم ذكر عمله في سنة سبع [وسبعماية]، واتفق لعمارة هذا الجامع أشياء غريبة ، أنه كان مكان عمّر فيه ساقية القاضي شرف الدين ابن زنبور ، ولما عمرت الناس في بولاق العماير المستجدة في أول حضور السلطان الملك الناصر من [الكرك](6)، كان الحاج محمد ابن عزّ الفرّاش قد كبر وسعد ، وعمرّ مجاور هذه الساقية داراً على البحر(7) ، وأقامت في تلك الحال إلى أن

---

(1) لعله عمر بن أحمد بن قطية الزرعي التاجر، المتوفى بدمشق في صفر سنة 775/ تموز - آب 1373 .

(2) يذكر (ZETTERSTÉEN (Op. Cit., P. 194 أن سفرهما كان يوم الاثنين 21 ذي الحجة/21 تموز 1337 .

(3) منطقة شاسعة محيطة ببحر القرم (البحر الأسود) قاعدتها مدينة صلغات. وهي اليوم من البلاد الروسية.
أبو الفدا، تقويم: 214 - 215 .

(4) هذا الجامع موضعه في بولاق القاهرة، ويعرف بجامع الخطيري .
المقريزي، الخطط 2 : 312؛ مبارك 4 : 225 - 226 .

(5) أشار العيني إلى نقل هذه الرواية عن اليوسفي مشيراً إلى ذلك بعبارة: «قال صاحب النزهة».
العيني 2911/17 : 106ظ.

(6) ما بين الحاصرتين من المصدر نفسه.

(7) المقصود هنا: نهر النيل.
المقريزي 2/2 : 423؛ ابن تغري بردي، النجوم 9 : 118 .

تـوفي ـ تغمده الله بـرحمته ـ . وكـان [تـاج الـدين][1] ابن الأزرق سعى في أمرها إلى حيث اتصلت إليـه ، وبقي فيها عـلى غير حـالة مـرضية من اللهـو والإجتمـاع من النصاري وغيـرهم إلى أن لقبت بدار الفـاسقـين[2] ، وبقيت إلى أن اتفق لـــه مـع النشـــو ما اتفق من المصــادرة وعقـوبتـــه إلى أن أبـاع
١٥٨ ظ موجوده // وساير أملاكه ، واشترى الأمير عـزالدين الخـطيري دار البحـر ، واشترى مملوكه أيضاً بستانـه بجزيـرة الفيل ، وكـان بستان مليـح وفيه فـاكهة مليحة ومن جملته أُترنج واحدة داخل واحـدة وأزهار كثيـرة ، وأبيع سـاير مـا كان له ، ونوى الأمير عزالدين الخـطيري أن كـل مكان كـان لابن الأزرق ما يصلح يكـون إلا معبداً . فشـرع في عمارتـه ، وغرم عليـه أموال عـظيمة لا تحصر ، وأخذ أراضي كثيرة من بيت المال ، وبنى إلى جـواره أملاك ودكـاكين وفنادق ورباع ، وانعم عليه السلطان بخشب وغيره وتعب عليـه تعباً كثيـراً ، وقوي عليه البحر[3] تلك السنة ، وأخرب منه جانباً ، فجـدد فيه العمـارة ، وعمل له ربع جواره زريبـة[4] ، ورمى نحو من ألف مـركب حجر قـدامه ، وجاء جامع عظيم على مثل شاطىء النيل ، وسمـاه جامـع التوبـة[5] ، وبقي العمـاير فيـه إلى أن توسط قـوصون لابن الأزرق ، وشفـع فيـه بعـد عقـوبـة كثيرة وضرب مؤلم .

ولما خرج[6] ، حضـر للخطيـري ودخل إليـه ، وعرّفـه أن مـالـه جميعـه أخذ ، وأن الأمير بنى هـذا الجامـع لله تعالى ، « وانني مـا أبعتك هـذا المكان

---

(١) ما أضيف بعد مراجعة الشجاعي (١ : ١٢) والمقريزي ، الخطط ٢ : ٣١٢ .

(٢) انظر الشجاعي والمقريزي والعيني وابن تغري بردي .

(٣) في المقريزي وابن تغري بردي : «النيل» .

(٤) الزريبة : حظيرة الغنم ، تصنع عادة من الخشب ، والمقصود هنا : كوخ يصنع جملته من أوراق النخيل ، يبتنيه السلطان أو الأمير ليأوي إليه طلباً للراحة .
ابن منظور ١ : ١٤٤٧ ؛ المقريزي ، الخطط ٢ : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٥١٢ .

(٥) ورد في المقريزي (الخطط ٢ : ٣١٤ ـ ٣١٥) ذكر جامع اخر بهذا الاسم ، قال إنه بجوار أرباب البرقية بخط بين السورين بالقاهرة ، بناه الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي .

(٦) في المقريزي وابن تغري بردي : «فلما أفرج عن ابن الأزرق» .

١٥٩ و إلا وأنا مكروه على بيعه ومضروب » . وبقي أيام // يتردد إليه ، وكان مشتراه منه بثمانية آلاف درهم في الأول ، فأعطاه ثماني آلاف أخرى ، وكاتبه بطيبة من خاطره ، واستعجل منه في حل ، وكذلك فعل بالذي اشترى البستان ، وادّعى أنه أوقفه للنبي ﷺ ، وأخذ أيضاً منهم قيمة المثل ، ولم تطل مدته أياماً قليلة ، وبلغ النشو أنه يتردد لقوصون ويدخل[١] إليه ويتكلم معه ، فسعى فيه عند السلطان ، وعرّفه أن هذا هو الذي قطع السلطان لسانه ، وأن أبوه وهو كانوا كتّاب عند قراسنقر[٢] ولكن ، لما يكون يتكلم في أمر قراسنقر أنه يعود ويتسلطن ، قطع السلطان لسانه على أنه لا يتكلم به ، وهو يتكلم ، وقد لعب بعقل قوصون حتى شفع فيه ، فرسم السلطان بطلبه ، وأمر بحبسه ، فبقي فيه إلى أن توفي بعد قليل ، وأصابه جنون .

وخطب أيضاً في هذه السنة بجامع[٣] الأمير سيف الدين بشتك . كان قد عمر هذا الجامع بجوار المكين ابن قروينه[٤] بخط قبو الكرماني ، وجاء من أحسن ما يكون في مثل ذلك المكان من الجودة الذي يبتغي
١٥٩ ظ للآخر ، فإن المكان الذي عمر فيه كان // يسكنه الافرنج والنصارى وكثير من الكتّاب المسلمانين[٥] ، وعمل وجه الجامع على جهة بركة الفيل ،

(١) ويدخل : مكررة في الأصل .

(٢) الأمير شمس الدين قراسنقر المنصوري .
راجع الصفحة ٢٨١ ، حاشية رقم ٢ .

(٣) عمره الأمير بشتك سنة ١٣٣٥/٧٣٦ ـ ١٣٣٦ خارج القاهرة بخط قبو الكرماني على بركة الفيل ، وهذا الجامع لما يزل قائماً إلى اليوم ، وخطه يعرف بدرب الجماميز .
المقريزي ، الخطط ٢ : ٣٠٩ ؛ مبارك ٤ : ١٣٧ .

(٤) إبراهيم بن قروينة ، مكين الدين ، ولي مناصب عدة أبرزها نظر الجيش واستيفاء الصحبة . توفي بطالاً سنة ٧٥٠/ ١٣٤٩ ـ ١٣٥٠ .
المقريزي ٢/٣ : ٨١٢ .

(٥) في المقريزي (٢/٢ : ٤٢٣) : «ومسالمة الكتّاب» .

وعمر مقابله على وجه الخليج خانقاه[١] ، ورتّب فيها صوفية وفقراء[٢] ، ورتّب لهم الرواتب الحسنة وعمل ساباط[٣] على الطريق السالكة[٤] ، ورتّب ساير ما يحتاج إليه من أرباب الوظايف ، وكان الناس محتاجين إلى مثل هذا الجامع في مثل ذلك المكان الذي لا يجد من يذكر الله تعالى ، وأثر عمارتها آثار كثيرة في نفوس الإفرنج والأقباط إلى أن انتقلت جماعة كثيرة من ذلك الخط إلى غيره ، وتركوا أملاكهم ، لما كانوا يسمعوا من أوقات الصلوات ، وذكر الله تعالى .

وتولى عزالدين بن جماعة[٥] الوكالة[٦] ، [عوضاً عن نجم الدين الاسعردي ، مضافاً لما بيده من وكالة الخاص][٧] .

وفيها ورد حاجب موسى بن مهنا [بكتاب] يذكر فيه : « أن العرب ، السلطان قد قطع أرزاقهم ، وقد كثر فسادهم ، وأخشى أن يخرجوا عن الطاعة ، ويعصوا ويمنعوا التجار وغيرها ، وإن ركبت إليهم

---

(١) قال في الخطط (٢ : ٤١٩) : «هذه الخانقاه خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقي تجاه جامع بشتاك» .

(٢) في المقريزي ٢/٢ : ٤٢٣ : «ورتب فيها شيخاً وصوفية» .

(٣) جمعه سوابيط وساباطات ، وهو سقيفة بين حائطين ، أو دارين ، تحتها طريق نافذ .
ابن منظور ٧ : ٣١١ ؛ أدي شير ، الألفاظ : ٨٤ .

(٤) في المصدر السابق (ص ٤٢٤) : «ونظم ما بين الجامع والخانكاه بساباط» .

(٥) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ، قاضي القضاة عز الدين ابن جماعة الشافعي . ولد في المحرم سنة ٦٩٤/١٢٩٥ . تولى قضاء الديار المصرية في جمادى الآخر سنة ٧٣٨ . توفي في العشر الأوسط من جمادى الآخر سنة ٧٦٧/ كانون الثاني ١٣٦٦ ، وقيل سنة ٧٦٨/ ١٣٦٦ - ١٣٦٧ .
ابن حبيب ، درة ٣ : ٨١ - ٨٢ ؛ الاسنوي ١ : ٣٨٨ - ٣٩٠ ؛ ابن الحطب ، السلوليسات : ٣٦٦ ؛ المقريزي ٣/١ : ١٢٥ ؛ العيني ٢٦ . ١٤٨ .

(٦) المقصود : وكالة بيت المال .
أبو شاكر ، عيون : ١٨ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٤ ؛ العيني ١٧/٢٩١١ : ١٠٥و ؛ ابن قاضي شهبه ، نسخة البودليان : ٢٦٨و .

(٧) ما بين الحاصرتين من المقريزي .

دخلوا الشرق ، وصاروا مع العدو[1] ويقع الفساد من كل وجه ،
والمصلحة أن يرد السلطان على كل أحد رزقه ، ويبقى كل أحد منهم يجد
ما يقوت به ، ويمشي الطريق » . ولما فهم السلطان كلامه كتب إليه
١٦٠ و يطيّب // خاطره ، ويعرّفه أنه كتب لنايب الشام ونايب حلب وغيره
برجوع إقطاع كل أحد على خبزه ، وأن يعودوا إلى ما كانوا عليه .

ولما وصل مرسومه لنايب الشام ونايب حلب ، وجدوا لذلك همّ
عظيم ، وعلموا أن فيه فساد كبير أيضاً ، فراجعه نايب الشام ، وعرّف
السلطان أن أخباز العرب أكثرها وقع إلى الأمراء الشاميين والحلبيين ، وأن
أكثرهم مجرّدين في سيس ، وربما لا يهون هذا الأمر عليهم ولا على الجند ،
فرد الجواب إليه : « ارجع بهم على إقطاعاتهم ، ونحن نعوّض الأمراء
ونرضيهم » . وكتب مناشيرهم من مصر وسيّرها . فكان ذلك على الناس
أمر صعب ، وكنت ممن حضر ذلك الوقت مع بعض الأمراء يُعرف ببهادر
حبكي[2] ، كان قد تقدم خروجه من مصر إلى حلب ، وبيني وبينه
صحبة ، فكنت جالساً معه ، ونحن جالسين مقابل باب آياس والحصار
عمّال[3] ، فورد ذلك الوقت كتاب أستاداره إليه يعرّفه أن الضيعة الذي في
إقطاعك ارتجعت إلى أخو موسى إبن مهنا ، وحضر بها منشور من مصر ،
وكان قوسه في يده وهو يرمي إلى نحو القلعة ، فرماه من يده ،
١٦٠ ظ وتغرغرت // عيناه بالدمع ، وقال : « يا مسلمين ، إذا أُخذت مني هذه
الضيعة إيش آكل ، وإيش أعطي جندي ، والله لولا خشية الله تعالى
دخلت إلى عند الأرمن » . وخرجت من عنده ، وجدت الأمر قد حضر
لكل أحد منهم بهذا الخبر ، وكذلك الجند وكل من استقطع من خبزهم
شيء رجع إليه .

(١) يقصد: المغول.
(٢) كذا في الأصل، ولم نهتد إلى ترجمته.
(٣) إشارة إلى مشاركة المؤرخ في غزو آياس.

ورأى نايب حلب ذلك ، وتبيّن له في وجوه الأمراء الحرج والريبة ، وخشي أن يفسد عليه الأمر ، فطلبهم إليه وحسن العبارة فيهم ، وطلب كاتب السر ، وعرّفه أن يكتب للسلطان جواب كتابه إليه في حديث أخباز العرب ، وأن الأمراء محتاجين إلى زيادة في هذا الوقت ، وكان ذلك جميعه بحضورهم حتى يطيب خواطرهم ويمنيهم ، وعلم أن السلطان ما يرجع في رأيه في أمر العرب ولا يعطيهم ، فكان ذلك المكان منه تطييب لقلوب الأمراء .

ذكر المتوفين في هذه السنة

توفي الأمير عزالدين أيدمر الخطيري[1] ، كان من المماليك المنصورية من جملة مماليك ابن خطير[2] الرومي ، وكبر عند السلطان ، وكان أجل أمراء البرجية[3] ، وقد تقدمت ترجمته وهروبه مع الملك المظفر بيبرس [الجاشنكير] لناحية الصعيد[4] ، // وعند حضوره قبض عليه وحصل ١٦١ و
الإفراج عنه ، كما تقدم ذكره[5] ، وكان من الأمراء الأجواد السعداء المحتشمين ، وكذا الطعام المفتخر والحشمة ، ولم يعرف أنه لبس قباء

---

(١) أيدمر بن عبد الله الخطيري . اختلف المؤرخون في تأريخ وفاته فمنهم من ذكره في وفيات ٧٣٧ ، ومنهم من جعله في وفيات ٧٣٨ .
انظر ترجمته في :
الجزري : ٥٥٥ ، الصفدي ، الوافي ١٠ : ١٧ - ١٨ ؛ الشجاعي ١ : ١٥ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٦ ؛ والخطط ٢ : ٣١٢ ؛ ابن حجر ١ : ٤٢٩ ؛ ابن قاضي شبهه ، نسخة البودليان : ٢٦٩ظ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٩ : ٣١٢ ؛ العيني ٢٦ : ٣٣ ؛
ZETTERSTÉEN, Op. Cit., P. 193.

(٢) أوحد بن خطير الرومي ، الأمير شرف الدين .

(٣) أصل التسمية (البرجية) تعود إلى أيام المنصور قلاوون الذي كلف عدداً من مماليكه (٣٧٠٠ نفراً) حراسة أبراج قلعة القاهرة . وقد أنشأ هؤلاء ، فيما بعد ، دولة عرفت بدولة المماليك البرجية التي بدأت بسلطنة الظاهر برقوق ٧٨٤/ ١٣٨٢ .
AYALON, art »Burdjiyya, EI², I, P. 1365a - 1366a.

(٤) و(٥) راجع : ابن الدواداري ٩ : ١٨٧ - ١٨٨ ، ١٩٧ - ٢٠٥ ، ٢١١ ؛ المقريزي ٢/١ : ٧١ ، ٧٧ - ٨١ .

مسقول(١) ولا أحد من مماليكه ولا حاشيته ، وكان كبير الهمة ، وفرق مالاً كثيراً في سنين الحج ، وحج ثلاث دفوع نفق فيها أموال عظيمة ، وله صدقات ومعروف جاري ومرتبات لأكابر البيوت من ذوي الحاجات ، وله أوقاف حسنة ، وأنشأ الجامع، المقدم ذكره، على شاطىء النيل ، ولم يعرف أحد عمل صفة هذا الجامع ، وفضلته ساير الناس على جامع طيبرس(٢) الذي عمّره بجوار ربع السعدي على النيل ، فإنه بنى فيه ومجاوره بناء عظيماً ، وحصل في وقفه زيادة عمّر بها ولده(٣) حوض سبيل ودكان سبيل ، وكان له خير عظيم ، ومهابة في النفوس ـ تغمده الله برحمته وعفا عنه .

وأيضاً توفي الأمير صارم الدين أزبك الحموي(٤) ، كان هذا الرجل من مماليك الملك المنصور صاحب حماه ، وله تقدمة في الإمرة، وكان من الفرسان المجيدة في الغارات . وكان على الدّوام يجرد صحبة عسكر حماه إلى
١٦١ ظ الغارات وغيرها ، وعرفت له // وقايع كثيرة ، وكان أميراً مهاباً كثير

(١) في الصفدي : قباء مطرزاً، والقباء ثوب من الاطلس أكمامه ضيقة، ولتمييزه عن ما كان يماثله من أثواب الفرنج ألغيت منه أيام المنصور قلاوون الأكمام الضيقة.

DOZY, Dict, Ar., P. 352 — 362.

(٢) طيبرس الوزيري، الأمير علاء الدين. ولي نيابة دمشق سنة ١٢٦٠/٦٥٩ ـ ١٢٦١، توفي في ذي الحجة سنة ٦٨٩/ كانون الأول ـ كانون الثاني ١٢٩٠ ـ ١٢٩١، ودفن بتربته بسفح المقطم.

الصفدي، تحفة: ١٧٥و ـ ١٧٦و، والوافي ١٦: ٥٠٨ ـ ٥٠٩؛ ابن كثير ١٣: ٣١٩؛ ابن الصقاعي: ٩٣.

(٣) خلّف أيدمر الخطيري ولدين أميرين، أحدهما علي والآخر محمد.

الصفدي، الوافي ١٠ : ١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣١٢.

(٤) أزبك بن عبد الله المنصوري، الحموي، الأمير صارم الدين. توفي أواخر سنة ١٣٣٧/٧٣٧ بالقرب من آياس، وحمل إلى حماة ودفن بتربته. بنى بالمعرة خاناً لأبناء السبيل. انظر ترجمته في:

ابن الوردي ٢: ٤٤٦، الشجاعي ١: ١٥؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٨٤، ودرة ٢: ٢٥٠ظ؛ المقريزي ٢/٢: ٤٢٦؛ ابن حجر ١: ٣٥٤ ـ ٣٥٥؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣١٣.

العطاء ، ونقلت عنه ساير أجناده أنهم إذا سافروا صحبته يتكفل بكلفهم ، ويقوم بمونتهم ، ويفعل مع الخير . ولما حصل العبور لآياس جرّد مقدم عسكر حماه وطرابلس ، فكان مقدم العسكرين . وإذا حصل مشورة كان هو المشار إليه ، فوجد على آياس في ضعف ، فأقام به أيام ، وتوفي رابع ذي الحجة[1] ليلة الجمعة . ولما توفي ووصل خبره لنايب حلب ، والأمراء أخفوا موته ولم يصلّوا عليه ، وقصدوا بذلك أن لا يبلغ الأرمن خبر موت مثل هذا الرجل ، وهو مشهور عندهم ، فيقع بموته فرحهم والشماتة بأمره ، فطلبوا بعض حاشيته وحملوه في الليل ، وخرجوا به من آياس إلى أن وصلوا إلى حماه ، وخرجت أهل حماه وصاحبها ، ومشوا في جنازته ودفنوه . وكان بلغ من العمر ما قارب المابة سنة ـ تغمده الله برحمته ـ .

وتوفي الأمير سيف الدين بغا الدوادار بصفد ، وقد تقدم ترجمته وسبب خروجه من مصر على يد النشو[2] ، وكان من أرباب الخير في وظيفته ـ تغمده الله برحمته وعفا عنه ـ // .

١٦٢ و وتوفي أيضاً الشيخ محمد عرف بالمرشدي[3] ، كان هذا الرجل أول مبداه مقيم بالمدرسة الصاحبية[4] ابن حنا ، ونقل لي عنه السيد الشريف

---

(١) كذا في الشجاعي وابن حجر، وفي ابن الوردي: «في ذي الحجة»، وفي المقريزي: «الأربعاء خامس عشري ذي القعدة»، وفي ابن تغري بردي: «الأربعاء خامس عشرين شعبان».

(٢) راجع ما ورد في المخطوط: ١٠٣و ـ ١٠٤و والمقريزي ٢/٢: ٣٩٠ (حوادث ٧٣٦).

(٣) الشيخ محمد بن عبد الله (وقيل عبد الكريم) بن إبراهيم المرشدي، أبو عبد الله. توفي بمنية مرشد في ٨ رمضان سنة ٧٣٧/ ١٠ نيسان ١٣٣٧. عرف عنه الكثير من الكرامات والمكاشفات. انظر ترجمته في:

الجزري: ٥٧١؛ الذهبي، ذيول: ١٩٨ ـ ١٩٩، ودول الإسلام ٢: ١٨٥؛ ابن الوردي ٢: ٤٤٧؛ السبكي ٥: ٢٣٧؛ الشجاعي ١: ١٥ ـ ١٦؛ ابن كثير ١٤: ١٧٩؛ ابن رافع ١: ١٧٣ ـ ١٧٤؛ ابن حبيب، تذكرة ٢: ٢٧٩ ـ ٢٨٠؛ المقريزي ٢/٢: ٤٢٧؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان: ٢٧٠و؛ ابن حجر ٣: ٤٦٢ ـ ٤٦٤؛ العيني ١٧/٢٩١١: ١١١و-ظ؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩: ٣١٣: ابن العماد ٦: ١١٦.

(٤) أنشأها الصاحب الوزير بهاء الدين علي بن محمد بن سليم المعروف بابن حنا بزقاق القناديل =

الثعلبي[1] أنه كان يقرأ عليه وعلى الشيخ عماد الدين[2] ، وخرج من مصر وتوصّل إلى أن أقام بمسجد فرح ،من أعمال البحيرة، سنين ووجد به خيراً كثيراً ، وفتح عليه من ذلك المكان بفتوح لم يسبق إليه ، فإنه [بعد أن] رجع منه أقام بمنية مرشد ، وعمر فيها زاوية أنشأها ، وعرف بين الناس وتكرّم، وصار يقرىء كل من يرد إليه من الفقراء والكبراء وغيرهم ، وخرج له اسم بذلك، فقصده القاضي فخرالدين [محمد بن فضل الله][3] ناظر الجيش ، وكان يركب كل وقت يكون السلطان فيه إلى الصيد ، فيرد عليه مع جماعة ، وبقي كذلك إلى أن قصده كل أحد من أكابر المصريين ، واتسع حاله ، وصار يقرىء كل من[4] يحضر إليه بطعام مفتخر وأشياء مخصوصة من الحلوى وغيره . وتوصلت له جماعة كثيرة على أنهم يهبوه شيء أو يأخذ منهم شيء ، فلم يقدر أحد على ذلك ، وبقي إلى أن قصده الأمير بكتمر الساقي وجنكلي وساير الأمراء ، وحصل عند السلطان فيه كلام
١٦٢ ظ كثير ، وعظمه القاضي // فخرالدين عنده إلى أن وعد أنه يزوره ، وكانت الناس تتحدث في أمر هذا الرجل أموراً كثيرة من المكاشفة ، وأن الرجل إذا قصد زيارته ، وتمنى في طريقه أن يطعمه، إذا حضر عنده، شيء يشتهيه ، فيحضره له إذا وصل عنده ، ويكاشفه ، وأوسعوا القول بذلك السبب في

= بمصر. وابن حنا هذا كان وزيراً للظاهر بيبرس إلى حين وفاة الأخير، واستمر أيام ولده الملك السعيد، وكان وزيراً حازماً متشدداً. توفي بمصر في مستهل ذي الحجة سنة ١٥/٦٧٧ نيسان ١٢٧٩ ، ودفن بتربته بالقرافة الصغرى.

ابن شداد، تاريخ: ٨٤ ـ ٨٥؛ النويري ٢٩ : الورقة ١٠١؛ ابن فضل الله ٧: ١٤٥ ـ ١٥٠؛ المفضل: ٦٧ظ؛ ابن كثير ١٣ : ٢٨٢؛ المقريزي، الخطط ٢ : ٣٧٠ ـ ٣٧١.

(١) في الجزري (ص ٥٧٢) وابن حجر (٣: ٤٦٢): «الشريف ضياء الدين بن عبد الرحيم الحسيني».

(٢) لعله علي بن عبد العزيز السكري، الشيخ عماد الدين الشافعي المتوفى في ١٦ صفر سنة ١٢/٧١٣ حزيران ١٣١٣ .

السبكي ٦ : ١٤٦؛ المقريزي ١/٢ : ١٣٣.

(٣) المتوفى سنة ٧٣٩، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٤ ، الحاشية الأولى.

(٤) الأصل: كلمن.

أمره ومضغته الألسنة[١] ، وكان كثير من أهل بلده يكرهوه ، ويدّعوا أن له أسباب ومتاجر مع أهل البحيرة ، وله معاملات . على أننا ما رأينا العالم اتفقت على شكر أحد من الناس ، وإذا تزايد الأمر في شكر أحد لا بد أن يتهم بشيء يشوب ذلك الشكر .

وأخبرني عنه جماعة كثيرة عند حضوره إلى مصر في سنة ست وثلاثين وقصد الحج ، وسيّر السلطان إليه ، ودخل واجتمع به ، ورسم له بشيء كثير على سبيل الزوّادة ، فلم يقبل له ولا لأحد من الأمراء شيء[٢] ، وأنه حج تلك السنة . وبلغ أمره في الصدقة أمراً كبيراً ، وأخبرني عبدالله البريدي أنه أطعمه أشياء كثيرة في غير أوانها ، مثل البطيخ الأخضر وغيره من الفواكه ، وفي الجملة أنه لم يسلك أحد من المشايخ والفقراء طريقته ،
١٦٣ وْ فإن // سماطه ممدود ، والموارد ومن حيث أتى إليه ، ويخص الأمراء والجند بالأطعمة والأشياء المفتخرة ، ويكفي ساير من يرد إليه[٣] ، ولا يتضجر من أحد ، ولم يعرف له أنه قبل من أحد شيء ، وكان رجل ذو هيئة حسنة وله علم وعمل ـ تغمده الله برحمته ـ .

وأيضاً توفي الشيخ محمد المغربي[٤] المقيم بجوار جامع مصر ، وكان أضرّ آخر وقت ، وله علم ودين ، وصلاحية مشهورة ، واتفق من أمره أنه تقدم ذكره مصادرة ابن المشنقص بسبب ما تكلم فيه النشو عند السلطان ، ورسم السلطان لقوصون : إنك إن لم تأخذ أنت ماله أخذته أنا » فنزل من جهة قوصونْ من احتاط عليه وأخذ ساير موجوده ، وبقي بعد ذلك أيام

---

(١) انظر: ابن حجر ٣: ٤٦٣ .

(٢) قارن بابن حجر.

(٣) يذكر المؤرخون أخباراً طريفة عن كرمه وكثرة انفاقه .
انظر: الجزري: ٥٧٢؛ ابن حبيب، تذكرة ٢ : ٢٨٠؛ ابن حجر ٣: ٤٦٣ .

(٤) محمد بن محمد بن محمد، الشيخ أبو عبد الله المغربي المعروف بابن الحاج. توفي في ٢٠ جمادى الأولى سنة ٢٥/٧٣٧ كانون الأول ١٣٣٦ ، ودفن بالقرافة . من مصنفاته «كتاب البدع» . الصفدي، الوافي ١ : ٢٣٧؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٥ .

ضعيف ، وبعد ذلك نفسه إلى أن قربت وفاته ، وكان له في محمد المغربي اعتقاد صحيح ، وتردد إليه ، فحضرت إليه جماعة ، وعرّفوه « أن الشيخ محمد في غاية الضعف ، وأنه ربما يموت هذه الليلة » ، وأنه لما سمع ذلك تأوه وتحسر ، فطلب ولده وجماعته ، وأوصاهم أنه إن مات يحفر له قبر في البقعة الذي يندفن الشيخ محمد فيها ، فتوفيا الاثنين في تلك الليلة ،
١٦٣ ظ وأصبحوا نودي // لهم بالصلاة عليهما . وكان لهما في مصر نهار عظيم ، ونفي عن هذا الرجل قول النشو للسلطان عنه ، وبلغ موته لقوصون ، فندم على مصادرته ، وتكلموا الأمراء مع السلطان في أمره ، فلم يذكر عنه إلا قول النشو .

وأيضاً توفي الشيخ الصالح ناصر الدين محمد[1] ولد الشيخ إبراهيم[2] بن معضاد ، وكان له علم وصلاحية ودين ، وله ميعاد في زاوية الشيخ والده ، ويجتمع عليه الناس ، وكان من الخيّرين الأجواد . ولما توفي جلس ولده ركن الدين عمر[3] مكانه ، وعمل الميعاد ، وشرع في صحبة الأمراء والناس ، وكانوا جماعة كثيرة يعتقدوا والده ـ تغمده الله برحمته ـ .

---

(١) محمد بن إبراهيم بن معضاد الجعبري ، الشيخ ناصر الدين . ولد سنة ٦٥٠ بقلعة جعبر . توفي بالحسينية ظاهر القاهرة في ٢٤ المحرم سنة ٢/٧٣٧ أيلول ١٣٣٦ ، ودفن بزاويته خارج باب النصر .
انظر ترجمته في : الجزري : ٥٤٥ ؛ الصفدي ، الوافي ٢ : ٢٠ ؛ ابن كثير ١٤ : ١٧٨ ؛ ابن رافع ١ : ١٣١ ـ ١٣٣ ؛ ابن حبيب ، تذكرة ٢ : ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٧ ؛ ابن حجر ٣ : ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ؛ ابن قاضي شهبه ، نسخة البودليان : ٢٦٨ظ ـ ٢٦٩و ؛ العيني ١٧/٢٩١١ : ١١١ظ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٩ : ٣١٣ .

(٢) إبراهيم بن معضاد بن شداد الجعبري ، الشيخ برهان الدين . توفي في ٢٤ المحرم سنة ٢٩/٦٨٧ شباط ١٢٨٩ ، ودفن بالحسينية ظاهر القاهرة ، وقد جاوز الثمانين بسنوات .
السبكي ٥ : ١٤٩ ؛ الصفدي ، الوافي ٦ : ١٤٧ ـ ١٤٨ ؛ المقريزي ٣/١ : ٧٤٦ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم ٧ : ٣٧٤ ؛ ابن العماد ٥ : ٣٩٩ .

(٣) توفي يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ١٢/٧٤٧ نيسان ١٣٤٧ .
المقريزي ٢/٣ : ٧٢٣ .

[و] توفي الشيخ نجم الدين الحُوَيْزاني[١] شيخ خانقاه [سعيد السعداء][٢] . وكان من المشايخ الصوفية الخيّرين ، وله علم ودين وفقه - تغمده الله برحمته - ورتّب عقيب توفيته الشيخ شمس الدين النَقْشَواني[٣] ، وكان رجل قديم الهجرة في الصوفية .

وتوفي القاضي نجم الدين[٤] السعرتي المحتسب والموقع . كان موقع قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ثم انتقل إلى ولاية الحسبة بعد عمه ،
١٦٤ وجاد في أمرها إلى أن تمكّن ، واتخذ أشياء كثيرة // فعلها في الحسبة ، وكان له حرمة ومهابة ، وكان يخافه الناس والسوقة والعامة من التجار ، وكان إذا خرج على سوقي أو بيّاع يأمر بنتف لحيته ، وقلع سِبَاله[٥] وكانت له سرعة جواب وهزل فيه حشمة .

واتفق له يوم، وهو جالس عند القاضي فخرالدين ناظر الجيش في

---

(١) علي بن حسن بن علي، الشيخ نجم الدين (وقيل جمال الدين وكمال الدين) توفي في صفر (وقيل في المحرم) سنة ٧٣٧/ ١٣٣٦ .
الشجاعي ١ : ١٤؛ ابن رافع ١ : ١٣٧ - ١٣٨؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٧؛ ابن حجر ٣ : ٣٩؛ ابن تغري بردي، النجوم ٩ : ٣١٤ .

(٢) بياض في الأصل، وما أثبتناه .بعد مراجعة المصادر نفسها. وسعيد السعداء هو لقب لخادم المستنصر الفاطمي اسمه قنبر، كانت له دار جعلها السلطان صلاح الدين الكبير خانقاه، ووقف عليها قسارية الشرب داخل القاهرة وبستان الحبّانية بزقاق البركة. وهذه الخانقاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة.
انظر القلقشندي ٣ : ٣٦٤ - ٣٦٥؛ المقريزي، الخطط ٢ : ٤١٥ - ٤١٦ .

(٣) محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن النقجواني، الشيخ شمس الدين. توفي في ١١ المحرم سنة ٧٣٨/ ٩ آب ١٣٣٧ .
المقريزي، السلوك ٢/٢ : ٤٥٧؛ ابن حجر ٣ : ٢٨٦ .

(٤) محمد بن الحسين بن علي السعرتي (الاسعردي)، القاضي نجم الدين. توفي بالقاهرة في ١٥ جمادى الأولى (وقيل ١٥ شعبان) سنة ٧٣٧/ ١٣٣٦ - ١٣٣٧، ودفن بالقرافة.
الجزري: ٥٥٢؛ الشجاعي ١ : ١٤؛ المقريزي، السلوك ٢/٢ : ٤٢٧؛
العيني ١٧/٢٩١١ : ١١١و.

(٥) جاء في ابن منظور (١١ : ٣٢٢) أن السِبَال، مفردها سبلة، وهي ما على الشفة العليا من الشعر يجمع الشاربين وما بينهما، والسبلة أيضاً : مقدم اللحية.

مجمع من الناس ، وقد حضر فار السقوف محتسب مصر ، فنظر إليه القاضي فخرالدين ، وقال : « يا نجم الدين ، لِمَ حتى يكون محتسب مصر أكثر معلوم من محتسب القاهرة ؟ » . أسرع بجوابه إليه : « يا مولانا ، كونه أطول ذنب وأجرى في السقف » . وقد تقدم ذكر توفيته ، وأخذ النشو ماله جميعه مع ما خلّفه من الورثة ـ تغمده الله برحمته ـ .

وتوفي الشيخ الصالح شعبان[1] خطيب جامع البجكري ، وكان رجل له علم ودين وعفة وتنزّه عن الدنيا . وكان له ميعاد يجلس فيه ، ويتكلم بكلام على غير القياس ومكاشفات يذكرها في ميعاده ، فيقصد الذي هي بسببه ، ويعرف أنها في حقه من غير أن يفشيها ولا يعني بها أحد ، لكنه يتكلم بها فيعلم صاحبها أن الكلام له . وكان قد توفي له أخ

١٦٤ ظ وله مالية ، فأحضروا الارث إلى بين يديه ، // فقعد في الجامع وفرّق الجميع على أرباب البيوت ، ومن يستحق الصدقة ، ولم يرث منه شيء . وكان يقصده الناس ، وتأتي إليه الصدقات من الأكابر فلا يتعرض منها بشيء ، وكان له أحوال كثيرة خافية عن الناس ـ تغمده الله برحمته ـ .

[و] توفي القاضي نجم الدين[2] ابن عماد الدين بن الأثير أحد كتاب الدُّرج[3] ، وكان رجل له مروءة وعصبية ومكارم ـ تغمده الله برحمته ـ .

وتوفي سعيد[4] بن البغدادي ، كان هذا الرجل له علم في صناعة

---

(١) كذا في العيني ٢٩١١/١٧ : ١١١ظ؛ وفي ابن كثير ١٤ : ١٧٩ ـ ١٨٠ وابن قاضي شهبه : ٢٧٠ظ «الحسين (الحسن) بن إبراهيم بن حسين (حسن) الحكري إمام المسجد بالحكر، ومذكر الناس في كل جمعة، ولديه فضائل، توفي في ٢٠ شوال سنة ٢٢/٧٣٧ أيار ١٣٣٧ .

(٢) أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن الأثير، نجم الدين. توفي بالقاهرة في ١٣ صفر (وقيل ١٤ منه) سنة ٢١/٧٣٧ أيول ١٣٣٦ .
الشجاعي ١ : ١٤؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٧ ؛ ابن حجر ١ : ١٠٤.

(٣) راجع ما ورد في الصفحة ١٢٠ ، حاشية رقم ٧.

(٤) سعيد بن محمد بن محمد البغدادي، الشيخ سعد الدين، المنجم كاتب التقاويم. توفي بالقرافة في ١٥ صفر سنة ٢٣/٧٣٧ أيلول ١٣٣٦ ، ودفن بها.
الجزري : ٥٤٧؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٢٧؛ العيني ٢٩١١/١٧ : ١١١ظ ـ ١١٢و.

الطب ، وله يد طولى في عمل التقاويم وحسابها ، ولم يذكر هذا الرجل في تلك الوفيات إلا لما شاهدنا من حسن صناعته ، وإن كان ما يذكروه مكروه من أمر الشرع ، ويكرهه كثير من العلماء ، ويستحسنه أيضاً كثير منهم ، ولعدم صنعة الناس في هذا الوقت ، فإنني رأيت من محاسن حسابه في تقويم كتبه للأمير عزالدين الخطيري يذكر فيها أشياء مليحة وخصوص في الشهر الذي حضر فيه دمرداش[1] بن جوبان[2] ، وذكر فيه أنه يرد لمصر ملك من ملوك الشرق ويموت بها ، وكذلك وقع . ورأيت عند جمال الكفاة[3] يستر بخطه عند ولايته أنه يلي مناصب كبار ، ويضاف إلى
١٦٥ ومنصبه منصب//الجيش فعيّن وكذلك كان. ورأيت في تقويم عند ناصر الدين [محمد][4] بن جنكلي أن السلطان ينقم على دويداره ويخرجه من مصر إلى الشام ، فاتفق ذلك لصلاح الدين[5] الدويدار في شهره ، وأما الشهر الذي توفي فيه ، وسألته عن حاله ، فذكر لي أنه ما يعيش في هذا الشهر ، « وإن بقيت إلى أربعة أيام أُخر تتزايد قواي ويرجى لي الحياة » ، ثم سألته عن السلطان الملك الناصر وعن النشو وفعله مع الناس ، قال : « يا فلان ، لا تسأل عن النشو فإنه من الموتى ، وما يخرج عن السنة إلا وقد جرت بينه وبين ساير من له ، وأما أمر السلطان ، فإن دولته وحساب سنته ، إن صحّ حسابه وقدر عليه شيء ، فما يدخل سنة اثنتين وأربعين وله حكم في الأرض ، ويقع الإختلاف في ساير أولاده وأمرائه ، وانتظر العجايب من سنة خمسين وسبعماية » ، وفارقته ، وثالث يوم حضرت، وجدته توفي إلى رحمة الله .

وقد تقدم ذكر الوقايع التي اتفقت في الشرق من قتل أربا كاؤ ون

---

(١) راجع الصفحة ١٤٠ ، حاشية رقم ٥ .

(٢) راجع الصفحة ١٤٠ ، حاشية رقم ٥ .

(٣) انظر ترجمته في الصفحة ٣٠٩ ، الحاشية رقم ٣ .

(٤) سبقت ترجمته في الصفحة ١١٩ ، الحاشية الأولى .

(٥) سبقت ترجمته في الصفحة ١٢٢ ، حاشية رقم ٣ .

وقتل علي باشا ، وقد تقدم ذكر هذا الرجل أنه من جنس الايوراتية وكبر شأنه ، وجمع جماعة كثيرة ، وحسن إسلامه ، وسيّر إلى مصر طلب من
١٦٥ ظ السلطان كتب فقه // وغيرها ، ولبس لبس الإسلام من الشاش والكلوتة ، ولبس ساير أصحابه ذلك اللباس . ولما اتفق له من الكسرة ما اتفق ، أنشأ سيرته مع أهل بغداد بالمصادرة وأخذ الأموال إلى أن توفي - تغمده الله برحمته - .

[ذكر النيل]

كان النيل فيها سبع عشر ذراع وتسع عشر(١) إصبع .

ذكر دخول سنة ثمان وثلاثين وسبعماية [وحوادثها]

مستهل المحرم ، وردت المبشرين بسلامة الحاج ، ورخص الأسعار(٢) وكان أمير الركب في هذه السنة الأمير شمس الدين آقسنقر(٣) السّلاري ، وأخبروا عن اختلاف الأميرين التريفين عطيفة ورميثة(٤) ، وأنهم يحضروا صحبة الركب ، وينتصف كل منهم من صاحبه .

---

(١) كذا؛ وفي ابن تغري بردي، النجوم (٩: ٣١٤) و ZETTERSTÉEN (Op. Cit., P. 193) «وست عشرة».

(٢) ويؤكد ذلك ما ورد في الجزري: ٥٨١ والمقريزي ٢/٢: ٤٢٨.

(٣) آقسنقر السلاري، الأمير شمس الدين. خدم سلار بعد الأشرف خليل، ثم تنقل في أيام الناصر محمد وولي بصفد ثم بغزة ثم بمصر. وكان مشهوراً بالعفة والعدل. توفي بحبسه في الاسكندرية سنة ٧٤٤/ ١٣٤٣ - ١٣٤٤.
الصفدي، الوافي ٩: ٣١٢ - ٣١٣؛ المقريزي ٢/٣: ٦٥٨؛ ابن حجر ١: ٣٩٤؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٠: ١٠٥.

(٤) وكانا قد تقاتلا في وسط الحرم الشريف في ٢٨ رمضان سنة ٧٣٧/ ٣٠ نيسان ١٣٣٧.
الشجاعي ١: ١٢. راجع أيضاً ما اتفق للشريفين عطيفة ورميثة في الورقتين ١٣٥ظ - ١٣٦و من المخطوط.

ذكر دخول العسكر إلى مصر وما اتفق له

وقد قدمنا ذكر التجريد وأسبابه[1] ، وكان السفر من مصر الثاني عشر من شهر شعبان والوصول إلى دمشق العشر الأول من شهر رمضان ، وركب النايب لملتقى العسكر على العادة ، وكان في نفسه من أرقطاي ، مقدم العسكر ، أمور كثيرة ، وهو الذي عيّنه أن يكون مقدم الجيش في هذه السفرة . ولما حصل ملتقاه بالعسكر لم ينصف أرقطاي وأنصف طرغية[2] ،
١٦٦ و واستأنس به ، ولم يتكلم مع أرقطاي إلى أن نزل العسكر ، // وأصبح كل أمير سيّر تقدمة لنايب الشام ، كما جرت العادة ، وسيّر الأمير أرقّطاي صحبة ولده[3] تقدمته ، فقبل نايب الشام تقادم الأمراء ، ولم يقبل لأرقطاي تقدمته . ولما دخل ولده إليه نهره وأخرق به ، وقال : « أنا جيت إلى مصر ، وأبوك في مصر ما سيّر لي ضيافة ، ولا أطعمني خبزاً . بأي وجه تجيء إليّ ؟ » . وخرج من عنده على غير وجه مرضي ، وعلم أبوه بذلك ، فلم يظهر غيظ ، وقال لولده : « هو ربّاك يفتضل بك » . وأصبح [تنكز] فسيّر لساير الأمراء الشعير والغنم وغيره ، ولم يسيّر لأرقطاي شيء ، ولم يجسر أحد من الأمراء من خشداشيته أن يسلّم عليه ولا قربه ، ولا أضافه غير الحاج بيدمر [البدري][4] ، فإنه ركب إلى مخيمه ، وجهّز له ضيافة ، وأقام عنده يوم كامل ، ولم يسكت عنه نايب الشام إلى أن قال له : « رحت عند أرقطاي ؟ » . قال : « نعم » . قال : « وضيّفته ؟ » . قال : « نعم » . فولّى وجهه عنه ، فقال الحاج بيدمر : « يا أمير ، الله

---

(١) راجع : المخطوط : ١٤٩و ـ ١٥١و.

(٢) راجع ترجمته في الصفحة ٣٦٧ ، حاشية رقم ٢

(٣) علاء الدين علي ، كان قد قرره تنكز في الأمرة ، وأقام عنده بدار السعادة مدة ، ثم جهزه إلى أبيه بمصر . توفي في حياة أبيه (توفي والده سنة ٧٥٠ وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٣٦٧ ، الحاشية رقم ١ .
الصفدي ، أعيان ٣ : ١٦١ظ ـ ١٦٣و؛ ابن حجر ٣ : ٢٣ .

(٤) راجع ترجمته في الصفحة ٣٦٧ ، الحاشية رقم ٣ .

تعالى يحفظك ، وهو خشداشنا ، وله عليّ حق ، ركبت فرسه ولبست قباءه ، ويحضر إلى دمشق ، وكيف لي وجه ينقطع عنه ؟ » . وكان هو وطرنطاي[1] البشمقدار وتنكز يدعوا بالأخوة والخشداشية ، وأما طرنطاي ، ١٦٦ ظ فإنه لم // يقربه للسلام خشية من نايب الشام .

ورحل العسكر نحو حلب ، ووصلها الرابع والعشرين من شهر رمضان ، وكان عبور عظيم لم يشهد مثله في الدولة الناصرية ، فإن الأمير أرقطاي احتفل احتفال عظيم بالمماليك والعدد والآلات واللبس للجيش جميعه ، وتلقاهم نايب حلب[2] وفرح بهم ، وكذلك أمراء حلب ، فإنهم رأوا جيشاً عظيماً وزيّ حسن ، وعليهم حرمة ومهابة ، وأقام العسكر يومين ، والثالث حضر الأمير سيف الدين قطلوبغا الفخري مقدم عسكر الشام ، وقد ذكرنا أن المرسوم تقدم إليه بالعبور إلى ناحية جعبر ، فدخلها . وكان لعبوره في البلاد مهابة في نفوس المغل ، وسيّر إليه الشيخ حسن [الكبير] قاصده يكشف خبر عبوره ، فإنهم خشيوا أن يكون دخوله نصرة لموسى ولعلي باشا . وكان الحساب الذي حسبه السلطان في أمره رأي حسن . فلما ورد عليه رسوله عرّفه « أن السلطان جرد عسكر إلى سيس ، ونحن من جملتهم ندخل إليهم من مكان آخر ، ونتصيد » . فطيب خواطرهم ، وبقي ١٦٧ و يتصيد إلى أن بلغه وصول العسكر إلى حلب ، // رجع ودخلها في زيّ حسن ، واحتفل بعسكره احتفالاً كبيراً ، وأجمعوا رأيهم أن يصلّوا العيد ، ويركبوا .

---

(١) طرنطاي ، الأمير حسام الدين البشمقدار الناصري . حضر هو والحاج أرقطاي برفقة تنكز عند تولية هذا الأخير نيابة الشام ، وأقام طرنطاي في حجوبية دمشق مدة عشرين سنة متوالية ، ثم عزل عنها سنة ١٣٣٢/٧٣٢ . ولي نيابتي حمص وغزة ، وتوفي بدمشق في ٥ شعبان سنة ١٠/٧٤٨ تشرين الثاني ١٣٤٧ ، وقد جاوز السبعين .

الصفدي ، الوافي ١٦ : ٤٣٠ ـ ٤٣١ ؛ المقريزي ٢/٣ : ٧٥٥ ؛ ابن حجر٢ : ٢١٧ .

(٢) الأمير علاء الدين ألطنبغا المارداني المتوفى سنة ٧٤٤ ، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ٢٦٥ ، الحاشية الأولى .

وعيّد العسكر عيد الفطر ، وخطب الخطيب خطبة بليغة في أمر الغزاة ، وحرّض الناس على الجهاد في سبيل الله تعالى ، ورحلت العساكر إلى أن نزلوا باب اسكندرونة[1] ، وهي أول بلاد سيس وآخر أعمال المسلمين ، فوجدنا[2] الأمير علاي الدين الزراق[3] ، كان نايب حلب قد سيّره الى مُغُلطاي الغَزِّي[4] ، وأقام شهرين إلى أن جهّز آلات الحصار من المنجنيقات[5] والزحافات[6] والجسورة الحديد والمراكب وغيرها لعبور جاهان[7] ، ولم يَدَعْ شيء من أصناف ذلك حتى كمله ، ورأى العسكر ذلك ففرح به ، ولم يبقَ إلا عبور العسكر وركوبه ، ولم يشعر إلا ومملوك نايب الشام قد وصل وصحبته كتابه يذكر فيه لنايب حلب : « إن رسل

---

(١) مدينة على ساحل البحر الرومي بالقرب من انطاكية، وهي دربند بلاد سيس من جهة حلب، بينها وبين بغراس ١٢ ميلاً. أبو الفدا، تقويم: ٢٥٤ ـ ٢٥٥ . وهي اليوم من البلاد التركية.

(٢) إشارة إلى مشاركة المؤرخ في الحملة على بلاد الأرمن. انظر أيضاً: الورقة ١٦٨و وما يليها.

(٣) أيدغدي (كندغدي)، الأمير علاء الدين الزراق، أتابك عسكر حلب، توفي مسناً سنة ٧٤٥/ ١٣٣٤ ـ ١٣٤٥.

ابن الوردي ٢ : ٤٨٣؛ ابن المقريزي ٢/٣ : ٦٧٥.

(٤) مغلطاي بن بلبان الحسني الغزي، الأمير علاء الدين، نايب آياس والفتوحات السيسية. توفي بآياس يوم الأربعاء ٥ شعبان سنة ٧٤١/٢٤ كانون الثاني ١٣٤١ .

الشجاعي ١ : ١٢٣ ـ ١٢٤؛ المقريزي ٢/٣ : ٥٥٣؛ ابن حجر ٤ : ٣٥٥؛

ZETTERSTÉEN: Op. Cit., P. 218.

(٥) مفرده منجنيق، بفتح الميم وكسرها، لفظ أعجمي معرّب، وهو آلة من آلات الحصار، كانت مستعملة في القرون الوسطى. ولهذه الآلة وصف عند القلقشندي ٢ : ١٤٤، وذَكَرَ أنواعها: الطرسوسي، تبصرة أرباب الألباب: ١٦ ـ ١٨؛ العنيسي، الألفاظ: ٧١ .

(٦) مفرده زحافة، ويفهم مما جاء في DOZY (Suppl., I, P. 581-582) انها عبارة عن برج، يوضع على عربة ذات عجلات، في داخله بضعة جنود مزودين بقاذفة للحجارة والكرات (Arbalète) وأسلحة أخرى، ويزحف به باتجاه أسوار المكان المحاصر.

(٧) نهر جاهان (جيحان) «Jâhân» ou «Jaïhân» و «Geyhan» ويسمى نهر البلخ، يخرج من بلاد الروم ماراً بالمصيصة، ويصب في البحر الأبيض المتوسط.

ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان: ٦٣، ٩٥، ١٠٤؛

GAUDEFROY - DEMOMBYNES, Op. Cit., P. 18-19.

سيس قد حضرت إلى عندي بكتاب تكفور يذكر فيه أنه يسلّم القلاع الذي
طلبها السلطان من غير أن يدخل بلاده عسكر ولا غارة ، وقد سيّرت
١٦٧ ظ أعرّف السلطان أمرهم ، فحال وصول كتابي // إليك تَرُدّ المناجيق والآلات
الذي عملتها إلى بغراس(١) ، وتودعهم القلعة ، وتدخل صحبة العسكر
تقيم على آياس، إلى حيث يرد عليك مرسوم السلطان بما نعتمده في
أمرهم »(٢) .

وكان السبب لذلك أن نايب حلب ، لما عرّفه السلطان أن يجرد إلى آياس ، رسم لساير التركمان أن تدخل سيس برسم الغارة ، فدخلوا إليها ، وشنّوا الغارة ، وحصل لتكفور بذلك ألم كبير ، وسيّر رسله لنايب حلب يسأله أن يرفع الغارة عنه ، وجميع ما يرسم به يحضره . فلم يتلفت إلى قوله ، وطرد رسله(٣) ، فتحيّل إلى أن أركبهم في البحر، وتوصّلوا إلى دمياط ، وسيّر واليها يستأذن السلطان عليهم ، فلم يأذن لهم ، ورسم بعودهم إلى نايب الشام ، فإنّ أمرهم إليه(٤) ، فرجعوا لتكفور وعرّفوه ، فأرسل صبحتهم هدية لنايب الشام ، وسأله أن يمنع عبور العساكر والغارة، ويسلّم ساير القلاع الذي يختارها السلطان ، وحصل لنايب الشام بذلك سرور كون الأمر راجع إليه ، فكتب لنايب حلب بهذا السبب ، وكتب
١٦٨ و للسلطان يعرّفه الأمر الذي حضروا به صحبة الرسل // الذي له ، وأنه ردّهم لتكفور حتى يسيّر مفاتيح القلاع الذي من [وراء](٥) نهر جاهان جميعها ، وكان قد وقع اتفاق الرسل معه على ذلك ، وسيّر صحبتهم أوحد

---

(١) قلعة مرتفعة من جند قنسرين، ولها أعين، بينها وبين أنطاكية ١٢ ميلاً.
ياقوت ١: ٤٦٧ ؛ DUSSAUD, Op. Cit., P. 162

(٢) ورد هذا الكلام بحرفيته في الشجاعي ١ :٨ والمقريزي ٢/٢ : ٤٢٨ .

(٣) راجع رواية الشجاعي ١ : ٨ - ٩ .

(٤) إشارة إلى أن نائب الشام كان الواسطة بين السلطان وحكام الدولة المتاخمة لحدود الدولة المملوكية من ناحية الشام.

(٥) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزي ٢/٢ : ٤٢٩ ؛ وفي ابن حبيب (درة ٢ : ٢٥٠): «شرقي نهر جيحان».

المهمندار ، وعرّفه أنه كتب لنايب حلب أن يبطل الغارة إلى سيس إلى حيث يرد مرسوم السلطان عليه بما يفعله . ولما وصل خبره لنايب حلب برجوع آلات الحصار [إلى بغراس][1] رجع فرح الناس إلى حزن ، وبطلت هممهم ، وانكسر عزمهم ، فطلب الأمراء وقرىء الكتاب عليهم ، فما منهم أحد إلا وسكت عن الكلام في ذلك ، فقال نايب حلب : « والله ، أنا أخبر بهذا الملاعين وخبثهم ومكرهم ، وما فعلوا هذا إلا يريدوا أن يقيم هذا العسكر عندهم وتنطحن حتى يموتوا الناس بالوخم ، ويشيل زرعه ، ونايب الشام ما يعرف حال هؤلاء » . واقتضى رأيه رد المنجنيق وبعض الآلات لبغراس ، واستصحب معه الجسر والمراكب .

وركبنا إلى أن وصلنا صبح يوم الاثنين الثاني عشر من شوال ، وكانت العسكر جميعه قد لبس وأظهر زينته ، وكان لعبوره يوم مشهود ،
١٦٨ ظ ولكن انكسرت همتهم ، وبطل عزم حركتهم بما فعله نايب // الشام ، ورأينا آياس وقد تحصنت ، وقصد العسكر الزحف عليها فمنعهم نايب حلب من ذلك ، وأوعدهم حتى يعمل زحافات وغيرها ، ويزحف بعد ذلك ، وما قدر العسكر أن يتمهل ولا يصبر ، وصارت الحرافيش تصيح على نايب حلب صياح منكر، وتسمعه الكلام الفاحش إلى قولهم : « يا مخامر على السلطان ، وأنت أكلت البرطيل من صاحب سيس ، ومنعتنا أن نزحف » . وانتهى أمره إلى أن قال لهم : « غداً نزحف » . فلم يلتفتوا إليه بل تصالح الجيش كله والحرافيش والغلمان . وركب عسكر مصر جميعه ، وزحف من غير أمر نايب حلب[2] ، وكان أرقطاي قد صنع له ستارة[3]. فزحفت مماليكه بها ، وكان يوم عظيم ، ورأت الأرمن ذلك فوقفوا على

---

(١) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المخطوط الورقة ١٦٧ظ وما يليها، والمقريزي ٢/٢ : ٤٢٩ .

(٢) ويؤكد ذلك ما ورد في المقريري .

(٣) الستارة (Courtine) هي جدار خارجي مبني من الخشب أو غيره يحتمي وراءه المدافعون عن حصن أو سور، كما يستخدمه المهاجمون للوقاية من قذائف العدو.

الطرسوسي ، تبصرة أرباب الألباب : ١٨ ـ ١٩ ؛ DOZY, Suppl., I,, P. 632.

السـور ، وركب بعضهم مراكب في البحـر ، وأطلقوا سهـامهم ، ورمـوا عن قوس واحد وتصالحوا على الناس ، وكانت جماعـة قد وصلوا قـريب السور ، فـرجعـوهم قهـراً ، ورمـوا بحجـارة كثيـرة وسهـام ، وجـرحـوا جمـاعــة من المسلمـين ، فـوقفت النـاس عنهم وردتهم سهــامهم . ورأى نــايب حلب
١٦٩ و ذلــك ، فقـال لــلأمـراء : // « كيف رأيتم ؟ أنتم تسمعـوا من السـوقـة والحرافيش ، وتقتلوا الإسلام ، وأنا أخبر بهـذه الأعمال » . وبقي بقيـة ذلك اليـوم راكب إلى صبح الخميس بـاكر النهـار ، وأحضـر خمسـين نجـار إلى أن صنع زحافتين وستارتين ، ونادى في العسكـر بالـركوب والـزحف ، وحضر هـو وساير الأمـراء وزحف العسكر ، وقصـد أن يترجـل ويزحف تحت ستـارته . ولما ترجّـل الأمراء معـه ، ومنعه أرقـطاي أن يزحف ، وقـال [له] : « انت كبير العسكــر ، ونحن سيّـرنــا السلطان إلى خــدمتــك ، فكـيف يمكن تـرجلك ؟ » ، وحكموا عليـه فركب، وأشـار لبيبـرس الحـاجب[1] أن يكـون مكـانه صحبـة مماليكـه . وتقدمت أيضـاً ستارة أرقـطاي ومضـافيـه، وزحف العسكـر جميعه ، وكـان يوم شهـده الله والمـلايكـة ، واتصـل القتـال ، ومـا تضاحى النهار حتى وصلت الخيول والرجـال بالـزحافـات والستايـر إلى قريب السـور ، ولكن بعدمـا قتلت مماليـك وجند وغلمـان كثير ، وأصيب ألـطنبغـا أمـير آخـور بسهم قتله ، وقتـل لـه مملوكـين أيضـاً ، وقتـل بعض التـركمـان
١٦٩ ظ وجمـاعـة من // الـطرابلسيين والحمـويـين ، وتــرجّلت الأمـراء ، لمـا رأوا الـزحافـات قد قـربـوا السـور ، وهم في ذلـك الهمّـة ، ولم يبق إلا وصـولهم للسور ، وإذا بأوحـد المهمندار[2] ورسـل تكفور صحبتهم ، فتـرجلوا وباس الأرض ، وقال أوحد لنـايب حلب : « معي مشافـاة من ملك الأمراء[3] » . فـرجعوا العسكـر والأمراء ونـزلوا الخيم ، وعنـد جلوسهم أخذ أوحـد يعرّف

(١) بيبرس بن عبد الله الحاجب، راجع الصفحة ٢٣٢ ، حاشية رقم ٦.
(٢) توفي بمرض الاسهال بعد عوده من سيس. انظر: المخطوط: ١٨٠ظ - ١٨١و.
(٣) يقصد الأمير سيف الدين تنكز. وملك الأمراء هو لقب افترد به نائب دمشق تدليلاً على عـظم مكانته، وتفوقه على غيره من النواب في بلاد الشام.

نـايب حلب والأمراء عن نـايب الشام « أنـه رسم أن لا تـدخـل غـارة ، ولا يقـع قتـال إلى حيث يـرد مـرسـوم السلطان ومـرسـوم ملك الأمـراء بمـا يعتمدوه » .

وكان السبب لحضور أوحد [المهمندار] والـرسل أن نـايب حلب كان يخبـر حديث سيس بمـا لا يخبره غيـره ، ويعرف مكـرهم[1] ، ولما سـيّر نايب الشام يعرّفه إبطال عـزمه ، سـيّر آلة الحصـار ، وعلم أنهم يسوفـوا بالعسكـر أياماً ، فطلب أمير التركمان ، ورسم أن يمـدّ الجسر ويـدخل للغـارة ويخربـوا ويحرقوا ، كـما جرت عـادتهم ، فدخلوا وفعلوا فعـل عظيم ، وكـان السلطان أيضاً كتب لابن قرمـان[2] أنه إذا بلغـه عبور عسكـره لناحيـة سيس ، فيجرد عسكر عنده يدخلوا ويغيروا // أيضاً[3] . ١٧٠ و

ولما بلغ ابن قرمان دخول العسكر جرّد من جهتـه عسكراً ، وانتـظمت الغارة على سيس من ساير الجهـات ، وكانت أمـراء التركمـان مثل ابن داود وخليـل الـطرقي وغيـرهم من العـرب الكسّـابـة ، فتـركـوا سيس ﴿ قـاعـاً صفصفـاً ﴾ ، وأطلقـوا النيـران في سـايـر أمـاكنهـا . واتفق عبـور أوحـد [المهمنـدار] والرسـل صبحته عنـدما سيّرهم نايب الشـام لتكفور ، فكـان أوحـد يرى هـذا جميعه وتكفـور والأرمن يبكـوا قـدامـه ، ويقـولـوا : « نحن اتفقنـا مع ملك الأمـراء على أن لا يـدخل لنـا غارة » . وقـويت نفس أوحـد إلى أن ركب والتقى بـابـن داود ، وصـاح عليـه : « كـيف تخـالـف ملك الأمـراء ، وقد رسم أن لا تـدخل الغـارة إلى سيس ؟ » . فكان جـوابه إليـه

(١) أنـظر مـا ورد في الشجـاعي ١: ٩ - ١٠؛ والمقـريـزي ٢/٢: ٤٢٩؛ والعيني ٢٩١١/١٧: ١١٤ظ وما بعدها.

(٢) كـان ملك دولة بني قـرمان تلك السنـة بدر الـدين محمود بن قـرمان، وقـد توفي سنـة ٧٤٠/ ١٣٣٩ - ١٣٤٠.

ZAMBAUR, Op. Cit.; SÜMER, art. «Ķarāmān Oghullarî», EI² IV, P. 643b - 650b.

(٣) ويعود تعاون بني قرمان مع المماليك إلى أيام الملك الظاهر بيبرس.

انظر ما ورد في ابن شداد، تاريخ: ١٥٩، ١٧٧، ١٧٩، ١٨٠.

يهزؤ عليه : « روح ابصر لك مشمس لوزي كُلْه في دمشق ، وإلا هذا ما هو شغلك ، وقول لملك الأمراء : إن السلطان رسم لي أنني أغير على سيس وأحرقها حتى يطلع سنجقه[1] على برج آياس » . وظل يخرب ويخرق إلى أن اتفق حضوره ، ونزلت الأمراء إلى خدمة نايب حلب ، وشرع أوحد [المهمندار] يتكلم مع نايب حلب بكلام غظ ، ويقول: «ملك الأُمراء //
١٧٠ ظ رسم».

وقويت نفس الرسل أيضاً الذي حضروا صحبته ، وصاروا يقولوا : « نحن رسم لنا ملك الأمراء »[2] . فحرج نايب حلب عند ذلك حرجاً عظيماً ، وقال لأوحد : « والك إيش ؟ تفشر إنت وإيش تعرف ؟ » ، وصاح في الحاجب [وقال] : « خذ هذا الخنازير ، وانصب لهم خشب ووسطهم » وطلب الشاويشية[3] ، ونادى في العسكر بالنهب والغارة ، فأخذوا الرسل أخذاً عنيفاً وكشفوا روسهم ، وأخرجوهم من المخيم ونهر أوحد ، وقال « والله لأخربّن سيس على راس تكفور » . وأما الرسل رأوا الموت بعينه ، فتصايحوا نصيحة لملك الأمراء ، فردوهم إليه ، ووقفوا مكاشيف الروس ، وسألوا نايب حلب والأمراء أن يمهل عليهم ثمانية أيام ويحضروا له مفاتيح القلاع الذي طلبها السلطان ، ومن بعد ثمانية أيام يفعل ما يختاره ، وسألوا الأمراء ، فقاموا لنايب حلب وسألوه[4] ، واستقر الأمر على ذلك .

وكتب نايب حلب للسلطان كتاباً ، ولم يكتب لنايب الشام ، وعرّف

(١) السنجق، بفتح الأول، معناه الرمح، والمقصود هنا الراية. انظر: القلقشندى ٤ : ٨ ، ٥ : ٤٥٨ .

(٢) كذا في العيني ٢٩١١/١٧ : ١١٥، وعبارة الشجاعي كالآتي: «نحن رسم لنا ملك الأمراء أن لا يعارضنا أحد».

(٣) ويرسم أيضاً «الجاويشية»، ويستفاد مما ورد في القلقشندي (٤ : ٤٧) والمقريزي (الخطط ٢ : ٢٠٩) أن هؤلاء مهمتهم المناداة والصياح في المناسبات المختلفة.

(٤) كذا، وفي الشجاعي : «وشفعت الأمراء فيهم قبل سؤالهم».

مملوكـه أنه لا يسلم كتـابه إلا للسلطان ، وخـرج أوحد [المهمنـدار] صحبته الـرسل ، وركب مملوك نـايب حلب إلى أن وصـل إلى دمشق ، ودخـل عـلى
١٧١ و نايب الشام ، وسأل منه ، فعـرّفه // الـذي اتفق ، وقال لـه نايب الشـام : « أين كتـاب أستـاذك للسلطان ؟ » . قـال : « رسم لي أنني لا أعـطيـه إلا للسلطان » . فحـرج عليه ، وقـال : « قم ، اخرج ، لعنـة الله عليك وعلى أستاذك » .

وعنـد خروجـه كتب [نايب الشـام] كتابـاً للسلطان يشكي فيه نـايب حلب ، وأعاق مملوكه ذلك اليوم إلى أن خرج مملوكه وركب البـريد ، ويعـده بيـوم سفـر مملوك نـايب حلب ، فـطلع مملوك نـايب الشـام بكـرة ، ووصـل مملوك نايب حلب الظهر ، وقرأ السلطان كتـاب كل منهم ، وفهم الحقـد من نـايب الشام عـلى ألطنبغـا(١) ، وسأل من مملوكـه « كيف سبقك مملوك نـايب الشام » ؟ . عرّفه أنه أعاقه يوم كامـل ، فكتب الجواب لنـايب الشام بـالشكر والثناء ، وعرّفه أن نايب حلب فعـل ما فعـل لتكراره بمعـرفة الأرمن ، وكتب لنـايب حلب بـالشكـر والثنـاء «ونِعْـم مـا فعلت »، وعـرّفـه أن أمـور سيس معدوقة برأيه ، وشكر فعله .

وأقمنـا سبعـة أيـام من ميعـاد الـرسـل ، فحضـروا يـوم السـابـع(٢) وصحبتهم مفاتيح القلاع(٣) وسلام من تكفـور على نـايب حلب ، وأنه فعـل جميع ما ضمنه على نفسه لنايب الشام ، وسأل أن يستقـر الحال عـلى ما قـرره
١٧١ ظ نايب الشام من تـركِ الغارة وردّ جميـع ما أخـذ [من] سيس // من الأرض ومن غيـره . فحضر أوحـد المهمنـدار صحبتهم ، واستقـر الحـال ، وأطلقـوا

(١) ألطنبغا المارداني نائب حلب.

(٢) كذا، في الشجاعي والعيني؛ وفي المقريزي : «اليوم الثامن».

(٣) وهذه القلاع هي : آياس الجوانية، وآياس البرانية، والهارونية، وكـوارة، وحميصة، ونجيمـة، وسرفندكار.

ZETTERSTÉEN, **Op. Cit.,** P. 194, TOURNEBIZE, **Histoire.** P. 199, 455.

منادية في الوطاق[١] لساير الجند : « كل من كسب مملوك أو جارية يحضرها إلى المخيم » ، فحضرت ناس كثير ، وبقيت جماعة أخفوا ما عندهم ، فركبوا الرسل وأوحد صحبتهم والحاجب الذي لحلب ، وصاروا يهجموا الخيم ويفتشوا على الأرمن ويخرجوهم ، وكذلك ساير ما يجدوه من الكسب ، وسيّروا بخراب الجسر الذي نصب على جاهان ، وسيّر الرسل صحبة الأمير علاي الدين مغلطاي الغزّي إلى قلعة كوارة يتسلمها ، وكان المقيم بكوارة بعض أكابر الرهبان كان معظّم عند صاحب سيس أبو تكفور[٢] . وكان هذا الراهب له سعادة طايلة وحوى أموالاً جمة ، وسأله صاحب سيس أن يكون مقيماً في بلاده ، وتكون هذه القلعة بما فيها وما حولها ملكه ، واستمر ذلك مع ساير ملوك سيس .

ولما حصل حضور العسكر إلى آياس علم أنهم يقصدونه فكتب إلى الجزاير واستدعى من الإفرنج نحو أربعماية مقاتل ، ولما وصلوا في البحر
١٧٢ و أخرج الأموال ، ونفق فيهم النفقات ، واعتدوا للقتال بحيث // أن هذه القلعة من أحصن قلاع الأرمن[٣] ، وما علم أن أحداً ملكها قهراً . ولما طلعوا الرسل إليه وعرّفوه ما وقع من الصلح على تسليم القلاع ، قال : « وإيش لتكفور في قلعتي ؟ هذه باسمي وملكي » . وما زالوا يلاطفوه إلى أن أنعم أنهم يحضروا جمال العسكر وينقلوا موجوده ، ففعلوا ذلك ، ونزل منها عالم عظيم ، ورجعوا بمفاتيح القلاع ، وسلمت للأمير ركن الدين

---

(١) الوطاق : المخيم (Camp)

DOZY, Suppl., II, P. 819.

(٢) ويدعى أوشين (oschin) ، وقد توفي في جمادى الأولى ٧١٩/١٣٢٠ ، إثر دخول الجيش المملوكي إلى بلاده .

أبو الفدا ، المختصر ٤ : ٨٩؛ المقريزي ٢/١ : ٢٣٧ ؛

TOURNEBIZE, Op. Cit., P. 229 - 231.

(٣) ذكر المقريزي عن هذا الحصن أن «مساحته فدان وثلث وربع فدان ، وارتفاعه اثنان وأربعون ذراعاً بالعمل ، وأنفق تكفور على عمارته أربعمائة ألف وستين ألف دينار» .

المقريزي ٢/٢ : ٤٢٩ .

بيبرس الحاجب ، وأركبوا الرسل صحبتهم لتسليمها ، وصحب معه رجالاً لخراب كل قلعة يتسلمها إليه ، وتسلموا المسلمون أيضاً آياس ، ودخلوا إليها وملكوها ، وركبت الرسل في مركب إلى نحو البرج الملقب بالأطلس[١] ليتسلموه ، فعادوا وعرّفوا نايب حلب أن فيه أموال التجار ويقصدوا المهلة على نقل حواصلهم في المراكب ، فأمهلوهم ثلاثة أيام ، وكان فيهم بعض التجار أكرى على خروج متاجره إلى برّا أجرة ألف دينار ، وحمله في مركب بألفي دينار ، وثالث يوم ركب نايب حلب والأمراء صحبته ، وكنت أنا وجماعة صحبتهم إلى البرج ، ودخلنا إليه وكتبت أسطر
١٧٢ ظ قرأها الامام الذي لنايب حلب عند صعوده بأعلى // البرج والسنجق السلطاني صحبته فإنني كنت ممن تسلمته الجريدة في تلك الجريدة ، فكتبت هذه الأسطر[٢] :

« الحمد لله الذي مكّن سيوف المجاهدين من آياس بعد الأياس إرغاماً للكفر وقهرا ، ورزقنا بناصر الملة المحمدية النصر من غير يأس تأييداً ونصرا .

اللهم ، انصر السلطان ابن السلطان الملك الناصر الذي أقمت به منار الإسلام في البر والبحر ، وملّكته سنن الأحكام في الفطر والنحر ، وقرنت اسمه في الخطبتين ، وولّيته الحرمين الشريفين ، ونفّذت أوامره باللين والحيف ، وأطاعه لسان القلم وحد السيف ، فمد قلمه لكل مجاهد بنعم يُسطر ، وأقام بقايم سيفه على كل شامخ للكفر علم باسمه يذكر ويبشر ، اللهم ، ادخل سراياه في بركته وتجرك لا ينقطع لها مددا ، ولا راجل لها مددا .

---

(١) عن هذا البرج انظر: المخطوط: ١٧٣و وما بعدها، والشجاعي ١: ١٠ - ١١؛ والمقريزي ٢/٢: ٤٢٩ - ٤٣٠؛ والعيني ٢٩١١/١٧: ١١٦و - ظ.
(٢) وقد أثبتها العيني كما وردت نصاً.
العيني ٢٩١١/١٧: ١١٥ظ - ١١٦و.

اللهم ، وارجع بهذه الطايفة المجاهدة إلى أوطانها مأجورة بسلام ، واكتب لها في أكناف غيبك بهذه الغزاة المدخورة في مواطن العّز ودار الإسلام »[1] .

وأقام العسكر على هذم هذا البرج ثمانية أيام ، بعدما سيّر نايب حلب أحضر ساير الحجّارين من القلاع ، وأقام فيه أربعين حجّاراً //

١٧٣ و يومين وليلتين حتى فتح منه فرد حجر واحد ، ونقب بعد ذلك ، وعلّقوه إلى أن صار فوق الأخشاب[2]، وأرمى فيه النار فسقط للأرض كوم واحد ، وخرج العسكر بعد ذلك طالباً حلب[3] .

ذكر صفة هذا البرج وآياس

وأخبرت أن أجمل ما رأيناه من عمارة هذا البرج، عما كان في السنة الذي تقدم ذكر تجريد العسكر إليها صحبة الأمير جمال الدين [آقوش] نايب الكرك في سنة اثنين وعشرين[4] ، وأن العسكر قاسوا فيها شدة عظيمة إلى أن أخرب هذا البرج بمشقة منه ، وقد ذكرنا من صفته ، وأقام بعد ذلك سنين خراب إلى أن كتب تكفور للسلطان في أمره ، وسيّر هدية سنّية وجواري بكور ، وسيّر يدخل على جوبان[5] أن يشفع له عند السلطان في عمارة آياس ، فإنها رزقه ورزق الأرمن ، والتجار تقصدها كل

---

(١) في العيني: «دار السلام».

(٢) كذا في العيني؛ وفي الشجاعي: «وعلقوه على أخشاب»؛ وفي المقريزي: «علق على الأخشاب».

(٣) وصل العسكر إلى حلب في ٢٤ ذي الحجة من السنة/ ١٣ تموز ١٣٣٨ .

المخطوط: ١٧٦ظ؛ المقريزي ٢/٢: ٤٣٠ .

(٤) عن أخبار هذه الحملة انظر: أبو الفدا، المختصر ٤ : ٩١؛ ابن الدواداري ٩: ٣٠٩؛ المقريزي ٢/٢: ٤٢٨ ـ ٤٣٠ .

(٥) نائب السلطنة أيام القان أبي سعيد المغلي، وقد سبقت ترجمته في الصفحة ١٤٠، حاشية رقم ٥ .

وقت ، وسير بسبب ذلك وأكثر الهدية ، فقبل السلطان سؤاله ، ورسم له بعمارة البرج وغيره وزاد عليه القطيعة ماية ألف درهم[١] ، |فاحتفل في أمر عمارته ، ونقل له حجارة عظيمة ، من جبال|يعرفونها، جميعها حجر صم
١٧٣ ظ أملس ، وأصبح ساير بلاد سيس عامرة لعمارة هذا البرج ، // فإنه كان مينة[٢] لساير التجار الإفرنج والمسلمين يقصده من ساير الجزاير والمدن ، وكان ضمانه يحمل لتكفور في الشهر ثلاثين ألف دينار عن كل يوم ألف دينار . وذكروا أن ذلك الضمان كان من غير معلوم الخمارات الذي كانوا ، فإن الخمر كان يباع في أربعماية بيت منها ، والخمارة تجمع ساير البيوت ، وأن كان فيها ستماية خاطئة ما بين مغل وجركس وأرمن ومسلمات[٣] .

وكانت آياس هي كرسي الكفر ، ولا دخل إليها أحد من المسلمين من التجار أو غيره إلا وأصيب فيها ، أما في نفسه أو ماله أو دينه ، وهذا الضمان هو سوى الخراج الذي لأراضيها الذي يزرع كروم وغلال ، وذكروا أن فيها[٤] ملّاحة ، وشاهدناها على بعد ، وأن ضمانها سبعماية ألف درهم [في] السنة . ورأينا فيها من الزرع والفواكه وغيرها . وجبال عظيمة وأنهر وأعين جارية ، وعدة ضياعها مايتي وستة عشر ضيعة[٥] .

وبلغني أن بعض تجار قبرص ورد إليها بتجارة في مركب عظيم ، ودخل المينة ، وطلب الضامن الذي لها ، وأعطاه أربع آلاف دينار مصالحة
١٧٤ و على بضاعته ، ولا // يفتش له مركب ، فأبى ذلك، فحنق التاجر ورجع بمركبه ، ولم يدخل إليها ، فبلغ صاحب سيس أمره فطلب الضامن ، وأمر

---

(١) انظر: المقريزي ٢/١: ٢٤٦.
(٢) كان هذا البرج مبنياً في «وسط البحر المالح».
ابن الوردي ٢: ٤٤٥؛ الشجاعي ١: ١١.
(٣) انظر: الشجاعي والمقريزي.
(٤) كذا في العيني؛ وفي المقريزي: «في ظاهرها».
(٥) انظر: الشجاعي والمقريزي.

بشنقه على باب آياس كونه تأبى في مصالحته أربع آلاف دينار ، ولا يدخل بضاعته ، واخترت أن أفهم تقدير البناء وعرضه وتقدير البرج ، فكان للسور الداير على آياس نحو فدانين وثلثي فدان[1] ، وقياس البرج الملقب بالأطلس فدان ونصف وقراطين[2]، وارتفاعه عن أساسه اثنين وأربعين ذراع بالعَمَل[3] . وسمعت من رسل تكفور وهم وقوف مع الأمراء والنقّابة تعمل في البرج ، وهم يقولوا لنايب حلب : « والله يا خوند ، لو عرفتوا الذي راح على هذا البرج ما طاوعكم أن تخربوه ، فإنني كنت متولي أمر عمارته ونقل حجارته من الجبل إلى المركب ، وما تصور برج حتى غرم تكفور عليه أربعماية ألف وستين ألف دينار » ، فأجابه نايب حلب : « ولو علمت إيش غرم هذاالعسكر حتى أخرجه ما كنت عمرته » ، وكان عرض الحجر الذي فيه من طول ثلاثة أذرع طول وذراعين عرض .

وأما ما ذكروه عن هذا البلد ، وما كان يعمل فيها من أسباب الكفر
١٧٤ ظ والفسق وفساد // الإسلام وانتهاك الحريم ، واتفقت في أمره غرايب احتجنا إلى ذكرها ، وظهور قدرة الباري عز وجل وصنعه في أمرها وخرابها .

ذكر نكت غريبة اتفقت

ذكر لي عند تسليم آياس وخروج أسرى المسلمين منها ، حصل بيني وبين بعضهم ودّ وصحبة حيث وجدته إنسان حسن وشيبة حسنة . ولما أقام عندي سألته عن أحواله ، وكيف وصوله وأسره ، فأخبرني أنه من تجار حلب وأصله من ماردين ، وله تكرار بالعبور إلى سيس وآياس وغيرها ،

---

(١) كذا في المقريزي والعيني. والفدان مقياس للمساحة كان يساوي في العصور الوسطى ٦٣٦٨ متراً مربعاً.
القلقشندي ٣: ٤٤٦؛ هنتس: ٩٧ - ٩٨.

(٢) كذا في الشجاعي والعيني. والقيراط مقياس للمساحة يساوي ١/٢٤ فدان. هنتس: ٩٨.

(٣) ذراع العمل طولها ٦٦,٥ سم.
المرجع نفسه: ٨٩.

وأنه دخل بتجارة إليها سنة أربع وثلاثين [وسبعماية] ، وهذه السنة كان
اتفق بين تكفور ونايب حلب واقع احتاج إلى فساد الهدنة[1] بينه وبين
السلطان ، واتفق أنهم أسروا لنايب حلب مملوكين ، وأحرقوهم في آياس ،
وفساد حال احداهم وقتلوا الآخر . وبلغ الطنبغا نايب حلب أن مملوكه
دخل في دين الأرمن والآخر قتل ، فعرّف السلطان ، ورسم للأمراء
التركمان وجيش حلب وغيره بعبورهم إلى سيس ، وتردد الغارة إليها ،
وبقي الحال مستمر ، وكان ذلك الرجل الناقل بتجارة في قبرص ، وركب
إلى آياس وأقام // به ، ووجد الأمر بين نايب حلب وتكفور مختلف ، ١٧٥ و
فخشي على نفسه ، واجتمع مع جماعة من التجار المقيمين بها والواردين ،
واتفق رأيهم على الخروج من آياس إلى مدينة حلب ، وأن يكون موعدهم
صلاة الجمعة ، وكان قد عمر فيها جامع قديم يراها نحو فرسخ أو دونه
عنها ، وإذا فرغوا من الصلاة يكون سفرهم .

وحصل في ذلك اليوم ، بتقدير الباري عزّ وجل وما سبق في علمه ، أن الغارة كانت في ذلك الشهر[3] في سيس غارة عظيمة ، وأحرقوا زرعها ونهبوا حريم كثير ، واشتغل العسكر بالكسب[4] ، فأخذ الأرمن عليهم المضيق ، ونالوا من المسلمين جماعة منهم وأكثرها من الكسابة ، وقتل ابن عم تكفور بسهم أصابه ، فقتل به جماعة من الأسرى الذي أحضروهم ، وعلم أن السلطان ما بقى يعقل أمره ، فكتب لنايبه بآياس أن « تنهب

(١) يشير (Op. Cit., P. 234) TOURNEBIZE أن خرق الهدنة بين ملك الأرمن والسلطان كان من جانب نائب حلب بإيعاز من السلطان .

(٢) وردت أخبار هذه الحملة في المصادر التي اعتمدناها في حوادث سنة ٧٣٥ .
انظر: ابن الوردي: ٢ : ٤٣٩ - ٤٤٠ ، ابن حبيب، تذكرة ٢ : ٢٥٩ - ٢٦٠ ؛ الشجاعي ١ : ٤٨ ؛ ابن قاضي شهبه، نسخة البودليان : ٢٦٢و؛ TOURNEBIZE, Ibid., P. 234.

(٣) شهر رمضان سنة ٧٣٥/ أيار ١٣٣٥ .
ابن حبيب، تذكرة ٢ : ٢٥٩ ؛ ابن قاضى شهبه، نسخة البودليان : ٢٦٢و.

(٤) المقصود هنا : النهب . قارن بما ورد في DOZY, (Suppl., II, P. 463).

أموال التجار الذي عندك ، وتقتل من وقع في أيديك منهم ، ولا تبقي على أحد » . واتفق وصول الكتاب يوم الجمعة، والمسلمين الذي فيها في الصلاة ، والتجار ، فخرجت الأرمن اليهم وغلقوا باب الجامع ، ورموا السيف فيهم بعدما نهبوا أموال المسلمين والعازمين على الخروج ، وكان //
١٧٥ ظ ذلك الرجل له معرفة بأحد أكابر الأرمن المقيمين بآياس ، فاستجار بهم، وأبقوا عليه وعلى نحو ست نفر ممن كان له معرفة وتردد إليهم ، وقتلوا البقية شهداء ذلك اليوم .

وبلغت الأخبار لنايب حلب ، فكتب للسلطان بما اتفق ، وأن ذلك الرجل بقي مقيم عند الأرمن في ألم عظيم ، وهان عليه بقاء نفسه ورواح ماله ، فكان يصلي ويحمد الله تعالى، ويختلي بنفسه في الليل ويتضرع إلى الله تعالى في خلاص نفسه من بين هؤلاء الكفرة ، وأنه أغفاه سنة من النوم ونام ، فوجد ساير من قتل من التجار والمسلمين ومن يعرفه ومن لا يعرفه ، وهم مخضبين[1] بدمائهم وأيديهم مرفوعة إلى السماء ، وكأنهم يدعوا إلى الله تعالى ويتوسلوا ، وبينهم رجل شيخ وهو يقرأ بصوت حسن أن موعدهم الصبح ، أليس الصبح بقريب . ثم سكت بعد ذلك ، وإذا برجلين قد أقبلوا من نحو الطريق السالكة لحلب ، وخاضوا[2] البحر ، ووقف الواحد منهم على باب البرج والآخر على باب آياس ، وأشار الواحد للآخر ، فوضع كل واحد منهم يده تحت أساس البناء وأقلبها ، وجعلها
١٧٦ و أرض تُطاً ، وأنه استيقظ وجه الصبح ، وتيقن بالفرج // من عند الله تعالى بتلك الرؤيا .

ذكر ما اتفق لنايب حلب ومُغُلطاي الغَزّي[3]

ولما اتفق هدم البرج وحصل خروج العسكر ، أقام نايب حلب بعد خروج العسكر يومين ورحل ، وجعل طريقه على قلعة نجيمة و [قلعة]

---

(١) و(٢) الأصل: مخظبين، وخاظوا.

(٣) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٩٦ حاشية رقم ٤ .

سفندكار(٤) ، وكان بها مغلطاي الغزي مقيم إلى أن أخربها ، وكان نايب حلب [قد] حضر إليه كتاب السلطان يعرّفه أن يختار من أمراء حلب من يكون مقيم في آياس وسفندكار ، ويكون يحكم بتلك البلاد ، وكل من يكون في قلعة يحكم أمرها ، وقصد نايب حلب أن يكون مغلطاي الغزّي مقيم بسفندكار ، فإنها قلعة عظيمة ولها ضياع وحصن عظيم كان للأرمن ، لما كان يعلم من همة مغلطاي وفروسيته ، فطلبه إليه وقال : « احضر باكر النهار ، وتعالى البس خلعة السلطان » . ورسم أن يكون مقيم بهذا القلعة لحفظها ، فحرج لذلك ولم يجبه بشيء .

ولما أصبح ، احضر من عرّف نايب حلب أن مغلطاي الغزّي ركب في الليل وصحبته أربع مماليك وخلا طلبه ، ولم يعلموا أين قصد ، وأنه ركب الهجن ، فوجس نايب حلب من أمر رحيله ، وركب في أثره وقد خشي
١٧٦ ظ أن // يكون قوي حرجه وقوى نفسه أن يدخل بلاد الشرق ، ثم قرأ حساب كثير يشبه ذلك ، وكتب صحبة البريدية إلى أرقطاي يعرّفه الواقعة ، وأنه يكون مترقب أخباره ، وربما أنه « حضر يدخل عليك ، فتطيب خاطره وترضيه إلى حيث أحضر ، وعرّف البريدي أنه إذا لم يجد له خبر يتم إلى حماه يعرّف صاحب حماه بأمره .

وكان وصولنا إلى حلب الرابع والعشرين من ذي الحجة(١) ، وباكر ذلك اليوم وصل مملوك نايب حلب يخبره ، وعلم أنه لم يحضر ، فركب إلى حماه ، وما أبعد ساعة إلا ومغلطاي وصل مخيم الأمير أرقطاي ، فقام إليه وتلقاه وأكرمه ، وسأله عن حضوره ، فشرع في البكاء والتوجع ، وقال : « يا أمير ، لي شهرين مجرد في بغراس أسهر الليل والنهار حتى عملت

(١) وترسم أيضاً «سرفندكار» ، قلعة حصينة من بلاد الأرمن ، وهي في واد على مقربة من نهر جيحان من البر الشرقي ، وشرقي تل حمدون.
أبو الفدا ، تقويم : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) كذا في الشجاعي والمقريزي والعيني ؛ وفي ابن الوردي : «في ذي الحجة» سنة ٧٣٧/ تموز ١٣٣٧ .

المناجيق وغيرها ، ثم ركبت الجسر على جاهان وقعدت أحرسه شهرين وهلكت أنا ومماليكي ودوابي ، وآخر الشيء يقول لي [نايب حلب][1] . « اقعد نايب قلعة مثل هذه القلعة الخبيثة ، ثم أن أستاذي ما سيّر لي مرسوم حتى لا نخالفه ، وأنا أروح لأستاذي ، فمهما أراد يفعل بي»[2]
١٧٧ و فأخذ أرقطاي // يتلطف به ويطيب خاطره ، ويضمن له كل أشياء حسنة وهدّأ روعه، وبات عنده .

وباكر النهار وصل نايب حلب ، وقد علم بحضوره ، فطاب خاطره ، وتلقّاه أرقطاي وعرّفه أن يتلطف في أمر هذا الرجل ، واتفق الحال أن يأخذ سيفه ويرسم عليه ، ويطالع في أمره بحيث أن يشكر منه ، ويعرّف السلطان خدمته ، فكتب للسلطان يعرّفه ما اتفق منه ، ويقول في آخر الكتاب : « إنني لم أعرّفه أن السلطان رسم له أن يقيم ، وأنه رجل له نخوة ومروة » ، وشكر منه ، وسيّر الكتاب صحبة مملوكه ، واستأذنوا أرقطاي لنايب حلب في السفر ، وخرج العسكر، وأقامت في حلب جماعة من الجند ضعفاء[3]، ومن الأمراء جركتمر ابن بهادر بسبب ضعف ولده[4] .

ذكر ما اتفق عند عبورنا دمشق لأرقطاي وتنكز نايب الشام

وقد تقدم ذكر الأسباب[5] الذي أوجبت الواقع بين نايب الشام وبين أرقطاي ، وأنه عند دخوله سيّر لساير الأمراء إنعام ، ولم يسيّر إليه شيء ،

---

(١) ما بين الحاصرتين من العيني ٢٩١١/١٧ : ١١٦ظ.

(٢) عبارة المصدر نفسه: «ثم إن السلطان ما أرسل مرسوماً بالتنصص عليّ حتى يقال إنه خالف وعصى، وأنا أروح إلى أستاذي فمهما أراد يفعل بي».

(٣) يقصد: مرضى.
انظر: المقريزي ٢/٢ : ٤٣٠.

(٤) راجع ما ورد في المخطوط: ١٨٠ظ.

(٥) أيضاً: ١٦٦و.

وكتب للسلطان يعرّفه عبور العسكر وسفره من عنده ، وذكر له ذلك
١٧٧ ظ الفصل بسبب أرقطاي ، // فلما قرأ السلطان كتابه ، قال لمملوكه : « قل له : أنتم خشداشية ، أنت وهو ، افتصلوا » . ثم قال : « ما كان عيب لو سيّر إليه شيء لا يوجع خاطره » .

ولما حضر مملوكه وَرَدّ عليه ما قاله السلطان ، وبقي إلى أن رجعوا ، وخرج يتلقاهم ، ففعل العادة من الكبر مع أرقطاي ، وسلم عليه وهنأه بسلام خفي ، وأنصف طرغية[1] دونه ، ثم التفت إليه وقال : « بالله ، إيش عملت أنت وخشداشك ألطنبغا[2]؛ أنتم تقاتلوا ، وأنا حضرت إليّ مفاتيح سيس وأنا قاعد . وكان أرقطاي من الرزينين العقّال ، فجاوبه : « نحن كلنا مغدوقين بسعادة الأمير » . وفارقهم ونزل كل أحد على العادة . وبقيوا إلى باكر النهار ، وأصبح يوم الجمعة وحضروا للصلاة الجمعة مع نايب الشام وصحبهم إلى دار السعادة ، وأحضر لهم مأكول ومشروب ، وأشار طرغية لأرقطاي كونه مقدم العسكر : « يا أمير ، ما تشاور ملك الأمراء على رحيلنا ؟ . قال له : « ما لنا حديث من حيث نصل إلى ملك الأمراء ، إن قال سافروا أو اقعدوا » . والتفت إليه تنكز بحرج ، وقال : « أنت تضحك عليّ ؟ السلطان مقدمك على عسكر ، مالي حديث ، خبثك
١٧٨ و ما تخليه » . وقال [له أرقطاي] : أنا // السلطان قال لي : أنت مقدم العسكر ، إذا وصلت إلى دمشق ، مهما قال نايب الشام امتثله » . فالتفت [تنكز] إلى طرغية . ولم يودع أرقطاي ، وخرج أرقطاي ، ولم يلتفت إليه .

ولما خرج [أرقطاي]، قام قطلوبغا[3] الفخري وقرمشى[4] وَمَنْ حضر من الأمراء ، وقالوا لنايب الشام : « يا خوند ، إيش يقولوا الناس عنكم

---

(١) سبقت ترجمته في الصفحة ٣٦٧، حاشية رقم ٢

(٢) ألطنبغا المارداني نائب حلب. أنظر ترجمته في الصفحة ٢٦٥ ، الحاشية الأولى.

(٣) انظر ترجمته في الصفحة ٢٩٨ ، حاشية رقم ٥ .

(٤) انظر ترجمته في الصفحة ١٩٠ ، حاشية رقم ٧.

خشداشية أنتم ، وقد حضر إليك ويخرج من عندك وهو مكسور الخاطر » ، فأخذ يقول : « أنتم ما تعرفوا هذا مثلي ، هذا رجل خبيث ماكر » . فأشار ذلك الوقت قطلوبغا لقرمشى أن يعيق أرقطاي لا يركب حتى يروض نايب الشام ، فأعاقه ، وخشي أيضاً نايب الشام أن يرجع أرقطاي إلى مصر على غير صورة مرضية ، فقال لقطلوبغا : « خلّيه يجي حتى نتكلم وأنتم حاضرين ، وتبصر من هو فينا ظالم » . وكان العسكر جميعه تخيّل ذلك اليوم عند خروج طرغية وتعويق أرقطاي أنه قُبض عليه ، وبقيوا ينتظروا خروجه .

وخرج قرمشى وقطلوبغا إلى أرقطاي . ودخل [أرقطاي] لتنكز ،
١٧٨ ظ فتلقاه ، وقال : « هؤلاء يقولوا إني ظالم عليك // اقعد حتى ينصفوا بيننا » ، فجلس ، وشرع تنكز يعد له ذنب بعد ذنب وهو ساكت إلى أن فرغ ، قال [أرقطاي] : « هذا كله ما جرى منك » . وكان الرجل له عقل ومعرفة بأخلاق نايب الشام خلاف الغير ، فكان جوابه : « كل ما[1] يقوله الأمير هو الصحيح ، وإن كان ثمَّ شيء آخر يقوله الأمير ، نقول : نعم ، ولا نخلّي في خاطر الأمير شيء » . وبقيوا ساعة إلى أن نهضوا وتكارشوا ، وطلب [تنكز] قباء السلطان الذي أخلعه عليه [و] ألبسه[2] إياه ، وأخلع أيضاً على ولده وأركبه فرس ، وسيّر إليه فاكهة ، وما خرج من عنده إلا وقد طاب خاطره ، وطلب ذلك الوقت كاتب السر[3] ، وكتب للسلطان يعرفه بسفر العسكر إلى مصر ، وما اتفق له مع أرقطاي ، فردّ إليه الجواب بالشكر على ذلك ، وكتب أيضاً جواب نايب حلب بسبب مغلطاي الغزي أن يطلبه ألطنبغا ويعطيه سيفه ، وكتب السلطان له

(١) الأصل : كلما .
(٢) الضمير يعود لأرقطاي .
(٣) محمد بن القطب المصري ، علم الدين . ولي نيابة السر بدمشق سنة ١٣٣٥/٧٣٦ عوضاً عن جمال الدين بن الأثير ، وعزل عنها سنة ١٣٣٧/٨٣٨ .
الجزري : ٥٨٠ ؛ الشجاعي ١ : ٢٣ ؛ المقريزي ٢/٢ : ٤٠٣ ، ٤٣٦ ؛ ٤٤٤ .

بالشكر ، وسيّر له تشريف لبسه وجبر خاطره ، وكان السلطان قد علم أن مثل هذا الرجل لا يفرط في أمره ، فسيّر يوصي نايب حلب بسببه ، ولا يكسر له قلب ، وحصل له بذلك جبر عظيم ، وفرحت أهل حلب به ،
١٧٩ و فإنه // كان ممن يحتاج إليه في أوقات المهمات .

وكان وصولنا إلى مصر النصف[1] من شهر المحرم ، وأقبل السلطان على أرقطاي والأمراء وشكرهم على فعلهم ، وكان أرقطاي قد بلّغ السلطان ما فعله مع مضافيه ، فإنه اتبع سنّة الأمراء الأوايل ، وإذا خرج مقدم عسكر فيفتقد مضافيه بالغنم والعليق والذهب والفضة على قدر مكارمه . وكان هذا الرجل له نيابات في الشام وأصحاب وخشداشية ، فمن حيث وصلنا إلى غزة ونحن في تقادم من التركمان وأمراء صفد وأغنام وشعير وغيره ، وكذلك في حمص إلى حلب إلى بغراس ، وكنت ممن صحبه في هذه السفرة بصحبة في الليل والنهار . وكانت الإقامة على آياس إلى أن رحلنا اثنين وسبعين يوم ، ورأينا من أمر صيدها ما لم يتفق لعسكر أبداً من الإقامة في أمن . وركب يوم أرقطاي إلى الصيد وأقام إلى العصر وعدنا ، وقد أرموا مماليكه، مع جماعة من مضافيه من مماليك الأمراء، اثنين وأربعين رأس بقر ، وست غزلان ، وثمان أرانب ، وهذا لم يتفق في عسكر أبداً ،
١٧٩ ظ وكان يطلب // مماليك الأمراء ، ويعتبر من رمى منهم شيء، فيهبه على قدره من قوس حلقة إلى نصفية إلى عشر دنانير إلى قباء ، وسيّر لنايب حلب ولساير الأمراء ، وأصبح عمل سماط في مخيمه ، وطلب طرغية وساير مضافيه ، وأكلوا وسقاهم المشروب، وقدّم لطرغية حجرة واكديش ركبه، وأصبح طرغية بعده ، [و] ركب مع مضافيه، وأول ما فرقهم قال: « والله ، أنا ما معي شيء أفرقه ، فكل من رمى شيء فهو له » . وبقي إلى الليل ولم يظفر بغير ست بقرات وغزالين لا غير ، ولم ير أحد صفة هذا الوحش الذي رأيناه في تلك الأراضي ، فإنه كان البقر فيه مثل قطيع

(١) كذا؛ وفي الشجاعي ١ : ١١ : «في ثالث عشرين المحرم».

الغنم ، وإذا نهض أن يجـري فـلا يمكنـه من السمن أن ينط غـير نـطة أو اثنتين من سمنه . وكـانت هذه البـلاد بـلاد كفـر محض ، فـاطلع الله عـلى أمرها ، وجعلها مقر الإسلام .

ورسم السلطان أن يكتب لنـايب حلب ويـرتّب ضيـاعهـا ، ويـطالـع
بأخبازها وعمل أوراق بذلك(١)،واستقـطع منها أرض لنـايب الشام(٢) وأرض
لنـايب حلب ، واستقطع فيهـا للأمـراء الحلبيين والـطرابلسيين والشـاميين ،
١٨٠ و وأمرّ فيها // جماعة من التـركمان وجنـداً ، واتسع أمـرها ، واستعملوا فيهـا
جماعة من الأرمن للفلاحة ، وحطوا عنهم من الخراج الـذي كان تكفـور قرره
عليهم(٣) ، وشـرعوا في عمـارة ضياعهـا ، واستأنسـوا بأهلهـا ، ورتّب فيهـا
ضمانات وغيـرها ، وحضـرت بعض عجايـز الأرمن،وذكرت للنـايب بها أنها
تضمن فيهـا خمارة بـألف درهم كل يـوم ، وكتب نايبهـا يعـرّف نـايب حلب
فمنعهـا من ذلك ، وخشي عـاقبة أمـرها ، ورسم السلطان أن يكـون في كل
قلعة نايب فتسلم إليه ، ورتب فيها رجال لحفظها .

ذكر ما اتفق من الوباء(٤) بعد خروج العسكر ووصوله إلى مصر

ولما اتفق خروج العسكـر من آياس، أخبـروا المترددين لهـذه الأماكن أن ذلك الرحيل كان أوان الـوباء ، وقـد دخل عـلى الناس فيـه أيام وحـال المياه وقـد فسدت ، ولم يكن فيهـا ماء صحيـح غير بـير كان أرقـطاي نازل قـريب منه ، وهو يعرف ببير تكفـور ، ورأيته وهـو جميع أرضـه رصاص ، وكـان إذا حصـل أخذ المـاء منه ، ويحضـره السقّا إلى المخيم ويسكبـه من فم القربـة في

(١) كذا، وعبارة الشجاعي (١ : ١١) كما يلي: «وعمل أوراق بتحصلها».

(٢) وهي القلاع الثلاث: كوارة، نجيمة، وسرفندكار.

انظر: المقريزي ٢/٢ : ٤٣٦ .

(٣) ويؤكد ذلك ما ورد في المصدر نفسه: ٤٣٠ .

(٤) Cf. DOLS, Ibn al-Wardi's «Risālat al-Nabā», P. 443 - 455.

١٨٠ ظ طاسة لا يمكن أن تستقر الطاسة على // يد أحد من برودة الماء فيها وهذا أعذب ما يكون من مياه تلك الأرض. وأما بقية الأبيار والأنهر، فإن جميعها أدركها الوخم، وما وجدت الناس ذلك إلا عند نزولهم إلى حلب، فأول من مرض بحلب كان ولد الأمير ناصر الدين جركتمر ابن بهادر، وتوفي أيضاً مملوكين له، «وتمّت» الناس في طول الطريق ما بين محمول على جمل أو في محارة أو محمول على مركوب، إلى أن دخل العسكر دمشق، فذكروا أن بعض المشايخ الصلحاء رأى أن العسكر داخل وهم يقولوا: «إن الوخم لحقهم»، وأن رجل يقول: «خلّيهم يشربوا الماء بالثلج». وشرعوا الناس في استعماله، وتأخر في دمشق جماعة مرضى، ومختصر الأمر أنه ما دخل أحد من الجند إلى مصر إلا ولحقه الإسهال المفرط هم والغلمان وساير من دخل سيس. وتوفيت من الجند جماعة كثيرة نحو الأربعين جندي من الحلقة[1]، فطلب السلطان أولادهم وأعطاهم الأخباز. وأما من الغلمان فناس كثير والجميع بمرض الإسهال.

١٨١ و وورد خبر بتوفي أوحد المهمندار // بدمشق بعد خروجه من آياس، فإنه تقدم حضوره صحبة رسل صاحب سيس، وتسلّط بالكلام من جهة نايب الشام على نايب حلب، واجتمع عليه دعاء الجند والغلمان، لما رأوا قيامه في حق الأرمن، فحصل له إسهال وصرع، وتوفي بدمشق إلى رحمة الله.

وفيها، بعد خروج العسكر، حضر مملوك نايب الشام في حقهم أن تكفور قد أوفى بقوله، وقد خربت بلاده، ويسأل أن السلطان يقرر بينه وبينه هدنة، وينزل عنه الحمل الذي كان مقرر عليه إلى حيث يعمر بلاده، ويحصل له شيء يرسله بعد ذلك [إلى] السلطان. ولما حضروا[2]

(١) ويؤكد ذلك ما ورد في المقريزي ٢/٢: ٤٣٠.

(٢) يقصد: رسل تكفور.

انظر: المصدر نفسه: ٤٣٠.

أكرمهم السلطان وأخلع عليهم ، وقرر أن يترك خراج البلاد ثلاث سنين والهدنة إلى عشر سنين .

وأردنا أن نكمل فضل هذه الغزاة بكتاب كتبته حيث سألني بعض الأصحاب أن أكتب له جواب كتابه بما اتفق في أمر سيس ، فكتبت له بما نسخته لمؤلفه :

« يقبل الأرض وينهي ما مَنَّ الله به على ملّة الإسلام من فضله الممنوح ، وما سهّله من أمر هذا الفتوح الذي شهدت بفضله الملائكة
١٨١ ظ المقربين ، // وتلا على رغم الكفر ﴿إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾[١] . وكان العزم من حلب المحروسة يوم عيد الفطر ، وقد جمع الإسلام في صعيد واحد ، وأخذ الخطيب في وصل ذلك اليوم ، وعظيم آخر هذه الغزاة في البر والبحر على فضل العيدين الفطر والنحر[٢] ، واستفتح لها القلوب قبل الأكف بالدعوات ، فخشعت بها الأصوات واستعبرت من الأعين العبرات ، وطرق قلوب ذلك الجمع ساعة أجابه ، وكأنما ادعى بها داعي من قبل الله فأجابه ، وتقدمت العساكر سواكب بكل راكب ، وقد مُلىء قلبه إيماناً وصدقاً بعزم نواجم الأفلاك بالمناكب ، وقد تمسك من النصر على عدوه كالمتمسك بالعروة الوثقى ، رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » ، ورسم بعبور الغارة كل يركض بخيله ورجله بهل من مزيد ؟ بعدما مدّ لهم جسر على مديد جاهان زَبْره[٣] زُبَر الرجال لا زُبَر[٤] الحديد ، فذلك هو ثابت ويزيد ، واستوطأت خيول

---

(١) سورة الفتح، الآية الأولى.

(٢) إشارة إلى أن غزوة سيس قد استغرقت الفترة الممتدة بين عيدي الفطر والأضحى .

(٣) و (٤) الزُّبر: طيء البئر في الحجارة، وزُبرة الحديد: القطعة الضخمة منه، والمقصود هنا أن الجسر، الذي عمل على نهر جاهان (جيحان) للعبور إلى بلاد سيس، وقد صنع من أجساد الرجال، وليس من قطع الحديد تدليلاً على حماسة واندفاع العسكر المملوكي المشارك في الغزو.

انظر: ابن منظور ٤ : ٣١٥ ـ ٣١٦؛ ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان: ٣٩٨.

المجاهدين من كل شامخ الكفر معلاة ، ومن استعلاه برجال سيوفهم //
١٨٢ و معودة في كل شرق ومغرب بها من تراع الزارعين ، فلؤلؤ معقودة أن لا تسد نصالها تنغمد متى يستباح قتيل . وحفظت البنين والبنات من حجور الأمهات وأكف الآباء ، وأراهم الله من آياته كل نباء ، وتلا عليهم آخر سورة سبأ ، وركب تكفور في كل كفور ما بين سابق ومتلاحق ، فما استقر به قرار إلا والرعب يناديه الفرار ! الفرار ! كأنما خلفه داحق بالغير أو استلحق به لاحق، وأصبحت سيس ﴿قاعاً صفصفاً﴾، ﴿لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً﴾[1] وخشعت الأصوات للرحمن ، فلا تسمع إلا همساً : إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا عزّة أهلها أذلّة ، وكذلك يفعلون .

وفي ضمن تلك الغارة كان نزول العساكر المنصورة على آياس يوم الإثنين الثاني عشر من شوال ، والنزال بها في يوم الخميس في العرموم الخميس ، فوجد بابها ، برج حيط به من البحر المحيط لجه ، وامتط بأعلاه كل سبط مختار من كل لجحه ، وحوله سفن تجري برجال في موج كالجبال تمنع من الوصل إليه ألَف راسقة بأسهم خارقة ونبال ، واستوثق كل أحد
١٨٢ ظ من الإسلام من البأساء // والضراء بنصيب ، واستوطن من الإقامة عليه كما أقام عسيب مخاطب بعد ذلك ، بعون الله ، نحره الطامي حيث طمأ بالدماء ، وتواردوا إليه ورود من قتله الظمأ ، فما لوى عن مورده ولا لوى ، وأرخصت النفايس من النفوس حيث علموا ربح تلك التجارة ، واستقدم كلّ إقدام اللّيث العبوس ، وخالف النفس الأمّارة ، وكان سهام الإسلام رجوم شياطين بحوقة لا يردها ستارة ، ولا يمنع من طارقة ، وما رميت إذ رميت ، ولكن الله رمى ، ودامت قائمة على ساق إلى الرُّذّال[2] ، ولم يتغير أحد عن موقفه ولا زال ، إلى أن استقر صبح

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٠٦ ـ ١٠٧ .

(٢) الرذال: ما انتفي جيّده وبقي رديئه.
ابن منظور ١١ : ٢٨١ .

الجمعة ، وناقوس الشرك يهتز اهتزازاً متناكراً ، وداعي الله باسمه يعتز ، فأَسْمَع المؤمن وأَصَمَّ الكافر ، وفلّ ماء الحق وزهق الباطل ، ﴿إن الباطل كان زهوقاً ﴾(1)، إلا ورسل تكفور تمتد بهم الأرض وتمور ، مدعية بالطاغية الله ورسوله وأولي الأمر ، واستمهلوا أكف الإسلام أن تكف عنهم السهام ليستطفئوا قلب الملك بتسليم القلاع في حدّ جاهان بالأمان ، وأن تخمد كلمتهم ، وتظهر كلمة الإيمان ، وفصل فعل الطائفين على المناضلة
١٨٣ و بالمناضلة ، وأرغم الله أنف الكافر ، وأصبح الايمان وأهله // على عدوهم ظاهرين ، وقطع دابر القوم الذين ظلموا ، والحمد لله رب العالمين » .

وحصل السرور والفرح والتهاني ، ودقت طبلخاناة الأمراء والكوسات ثلاثة أيام ، وأخلع على ساير الأمراء والمقدمين ، وشرع شرف الدين النشو في طلب المباشرين ، ورسم أن يعملوا حساب الإقطاع والذي وصل إليه من الأعمال ، على أنه شرع في تحصيل الأموال منهم . وبلغ ذلك السلطان فمنعه ، ورسم أن لا يتعرض لشيء من ذلك لأمر كان في خاطره(2) يأتي ذكره ـ والحمد لله وحده ـ نتلوه في الجزء الذي يليه .

ثم إن السلطان قبض على النشو(3) .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم ، وحسبنا الله ونِعْم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم .

---

(1) سورة الأسرار، الآية ٨١.

(2) انظر: المقريزي ٢/٢ : ٤٧٥ ـ ٤٧٦ .

(3) وذلك في ٢ صفر سنة ٧٤٠/ ٩ آب ١٣٣٩ .
المقريزي ٢/٢ : ٤٧٣ وما بعدها. انظر أيضاً الصفحة ١١٧ ، الحاشية الأولى.

ملحق

شذرات

من مخطوط « نزهة الناظر » كما أثبتها العيني في كتابه « عقد الجمان » ، نسخة أحمد الثالث ٢٩١١ ، المجلد ١٧[1] (السنوات ٧٢٥ - ٧٣٢ ، ٧٣٨ - ٧٤٥)

سنة ٧٢٥

[تجريدة اليمن]

٥ و « . . . وقال صاحب النزهة : لما حضرت العسكر المصري ، أخبروا السلطان أن الملك المجاهد تلقاهم من عدن وسار بهم إلى تعز . فلما وصلوها قبّل الأرض طاعة للسلطان وأفيض عليه بالخلعة ، ثم أعطوا أهل المدينة الأمان ، ثم تراسلوا مع الظاهر بن المنصور ، فأذعن إلى الصلح بحكم أنه يكون مقيماً بالدملوة على حاله بعد الحلف لابن عمه الملك المجاهد . وكان من جملة من أعطي الأمان الشهاب الصقري الذي كان سبب إيقاع الفتنة بين المجاهد والظاهر بن المنصور ، فطلبه بيبرس الحاجب مقدم العساكر في بعض الأيام فأبى أن يحضر إلى خدمته ، فركب بنفسه واستصحب معه جماعة من فرسان عسكره ، وكبس المذكور وقبض عليه ووسّطه بسوق الخيل بمدينة تعز ، وبعدها أغارت العساكر على جبل يعرب بجبل النصيريين كانوا منافقين على المجاهد فقتلوا منهم زهاء على ثلثماية نفر . وقال الراوي : وسرنا في هذه السفرة إلى أن وصلنا إلى مكة - شرفها الله تعالى - وكان السلطان قد كتب إلى الشريف عقيل ، صاحب ينبع ، أن يكون صحبة العسكر ، وكذلك كتب إلى أشراف مكة وقوادها ولساير عرب الحجاز أن يكونوا في خدمة العسكر . ولما وصلنا إلى رافع أقمنا بها حتى لبسنا الاحرام . ثم كان يوم دخولنا مكة يوماً عظيماً والعسكر في طلب

---

(١) يتضمن المجلد ١٧ من عقد الجمان السنوات ٧٢٥ - ٧٤٥ ، وهو بخط المؤلف .

عظيم، فدهش أهـل مكة فيهم لأنهم لم يعهـدوا بعسكـر مثلهم حتى خـرجت طـايفة منهم إلى الـطايف ، فسأل الأمـير ركن الـدين بيبـرس عن الشـريفـين
٥ ظ عـطيفة ورميثة ، أصحاب مكـة // ، فقيل لـه إنهما نازلان في مكـان بعيد من مكـة ، فتشوش بيبـرس من ذلك ، فـطلب نـائب عطيفـة ، وأرسـل صحبتـه مملوكـين ومعهم كتاب السلطان واستعجلهـما بالحضـور . **قال الراوي**، وأقمنا بمكـة إلى أن حضـرت جمـال العسكـر المكتـراة ، ولم ينقـطع منهـا إلا القليـل ووصلت المراكب إلى حدة سالمة وفيها سايـر الغلال والـدقيق والسكر والحلواء وغـير ذلك . وكـثر الجلب أيضاً ، ووقـع رخص عظيم ، فـأبيع الاردب من الشعير بثلاثين درهماً والويبة من الدقيق بعشرين درهماً .

وفي اليوم العاشر من إقامتنا بمكة ،حضر الشريف عـطيفة ومعـه جماعـة من حـاشيته ، واجتمـع بـالأمـير ركن الـدين بيبـرس ، فـأنكـر عليـه بسبب تأخره ، فقال له : ما تأخـرت إلا بسبب الشريف رميثـة ، فإنـه كان يسـوّف من يـوم إلى يوم ، وآخـر الأمر قـال لي : اذهب أنت ، وأنا مـا آمن من هذا العسكـر ، ولا أحضر إليهم . ولمـا سمع ركن الـدين بيبرس ذلـك خاف من تأخره بسبب أنه يهجم على مكة بعد رحيلهم منها ، ويأخـذ حواصـل الأمراء والعسكـر ودوابهم ، ثم يدخـل إلى بـر الحجـاز ، فـاحتـاج إلى أن كتب إليـه كتاباً يعتب فيه على تأخره ويخوّفه من المخـالفة لمرسوم السلطان . فلما وصـل الـرسول إليـه تلقاه وأكـرمه ، ثم قـال له : إن كـان قصد الأمـير ركن الدين حضـوري ، فليحلف لي ببيت الله الحـرام أنـه لا يقبض عـليّ ولا يشـوش ، ولا يمكّن من يشـوشي عليّ من العسكـر ، وسيّر صحبـة الـرسـول قـايـداً من قـواده ، يستحلف الأمير بيبـرس . ولما حضر، ركب الأمير بيبـرس معه دخلوا الكعبـة ، وحلف على مـا اختـاره رميثـة ، ثم ركب ذلـك القـايـد إلى رميثـة وأخبـره بذلـك ، فركب ، وحضـر إلى الأمير بيبـرس ، فقام إليـه وأكـرمـه . وشـرع بيبرس بعتبـه عليـه ، فقـال : يـا أمـير ركن الـدين ، والله لـولا مـا أقسمت بيمينك ما جيت إليك لأني كلما أفتكر قعـودي في تلك القفة الملعـونة ونزولي بالدوامة يجفل خاطـري . وأراد بذلـك حين مسـك من العقبة وحبس

في الجبّ ، وأنـزل إليه وهـو في قفّة إلى أن وصـل إلى آخر الجبّ ، وقـد داخ رأسـه . ثم وقع الإتفـاق عـلى أنـه هـو والشريـف عـطيفـة يجمعـان العـرب ويلحقان العسكر ، ثم أمرهما بيبرس بدقيق وبقسمـاط وشعير وسكـر ، وغير ذلـك ، وأمرهمـا أن يكونـا بمن معهما من أولاد العسكـر يعرفـونهم الـطرق . واتفقـوا على أن يكـون السفر عـلى جهـة الـوادين ، وكـان معهم محمود ابن غـانم بن إدريس أمير بني عقبـة عرب الـوادين ، وكان لـه شهـرة في عـرب الحجاز ، وله أحلاف كثيرة يـركبون معـه إلى الغارات . وكـان أكثر غـاراتهم عـلى بـلاد اليمن . فبينـما هم في الـرحيـل إذ حضـر كـافـور السليـلي خـادم صـاحب اليمن ، وسأل أن يتقـدم إلى حلى بني يعقـوب ، ويركب في مـركب إلى زبيـد ، ويعلم الملك المجاهـد أن العسكـر واصلون إليـه في هـذا الـوقت ليطيب خاطـره ، وتطمـين رعيته وتسكـين الفتن ، وطلبوا محمـود بن غـانـم ، وأمـروه أن يصحب الخادم إلى حـلى بني يعقوب ، وكتبـوا معه كتـابـاً لأكـابـر
٦ وحـلى بني يعقوب بـالأمان والإطمئنـان ، وأن يجلبـوا إليهم // مـا يحتـاجـون إليه ، وأن يكونوا مطمئنين على أنفسهم وأمـوالهم من جهة العسكـر ، وحضر في ذلك اليوم الفقيه محمد مؤدب الملك المجاهد .

قال صاحب نزهة النـاظر ، وكـان بيني وبينه صحبـة ومودة ، فسـألني أن أكتب كتـاباً إلى الملك المجـاهد أعـرّف فيه بحضور العسكر ، وأصف لـه شـدّتهم ليكون مـطمئنـاً بـأمـره ، فـاعتـذرت لـه أني مـا أحسن العـربيـة ولا النحـو ، وربما يكـون في اليمن من ينتقد كـلامي ، فيجيب عليّ ، فلم يقبـل العذر مني ، وألزمني بالكتابة ، فكتبت ما هذه نسخته :

بسم الله الـرحمن الرحيم ، وصـلى الله على سيـدنا محمـد وآلـه ، ومـا النصـر إلا من عند الله . يقبّـل الأرض وينهي ما وجب من شكـر الله تعالى عمّ فضله القاصي والداني ، وبلّغ الرعية بنصـره ما وجـدوه بعد الخـوف من الأمن وبلوغ الأماني ، نِعَـمٌ أشرق بها وجه الزمان بعـد قطوبـه ، ومننٌ نطق بها اللسان بعـد خطوبـه ، وسعادة أصبـح اهتمامـه متبجحاً ، والتجأ به لمن

٦ ظ التجأ إلى جنابه مربحاً مفلحاً .. إلا بشق الأنفس . . . // ويمحو بلداً ما عرف فيه غير المس كما قيل . . .

قال ، وتقدم الأمير سيف الدين طيلان على عادته قدام العسكر ، وكان رحيلنا من مكة الخامس من جمادى الأولى ، ووصلنا إلى حلى بني يعقوب في إثني عشر يوماً بعشرين مرحلة . قال : فلما وصلنا إلى حلى بني يعقوب تلقانا محمود بن غانم وأشراف البلد ، وأخبروا أن أهل البلد قد اطمأنوا وأمنوا على أنفسهم ، وأن الجلب كثير ، وأن كافور السليلي قد ركب في البحر إلى مينى زبيد .

ولما دخل العسكر رأت العرب عسكراً عظيماً لم يعهدوا بمثله في بلادهم ، فوقع في نفوسهم رعب عظيم وهيبة قوية ، وخشيوا عاقبة أمرهم ، وأرادوا الإنهزام من العسكر ، فنادى الأمير بيبرس بالأمان ، ونادى بأن لا يتعرض أحد من العسكر لأهلها ، ولا لجالب جلب إلاّ بثمن يرضاه . فعند ذلك أصبحت أهل حلى في إخراج ما عندهم من جمال وأغنام والأشياء التي يحتاج إليها العسكر في ذلك الوقت، وباعوها بأغلى الأثمان ، واتفق أهلها أن يقدموا للأمراء شيئاً ، فحملوا للأمير سيف الدين طيلانماية رأس غنم وخمسماية إردب ذرة ، وللأمير ركن الدين بيبرس كذلك ، وكان سعر الاردب من الذرة حين نزل العسكر بعشرين درهماً ، ثم وصل إلى ثلاثين ، وكان سعر رأس الغنم بأربع دراهم .

وأقام العسكر هنالك يومين ، وفي اليوم الثالث رحلوا منها ، وكان العشرين من بلاد اليمن ، وبها والي وديوان وجند مستقطعة ، فتلقانا واليها وبعض أهلها ، ولم نقابل أكثرها . وأقمنا عليها يوماً وليلة، ووجدنا بها قليلاً من الذرة والغنم ، ورحلنا منها مستهل رجب الفرد ، فوصلنا إلى مكان يعرف بالشعاب ، وكانت الأدلاء أخبروا الأمير بيبرس أن هذا المكان فيه عرب كثيرة نازلون فيه ، وهم عرب عصابة على صاحب اليمن ، وأنهم يقطعون الطريق في بلاده ، وربما تجرّد لهم عسكر من اليمن فيختفون بين

تلك الشعاب ، ولا ينال العسكر منهم قصداً . فأوصى الأمير بيبرس العسكر بالإحتراس على حالهم وقصدوا الشعاب بجماعة كثيرة ، فلم يجدوا أحداً منهم ، واختفوا من العسكر .

قال ، ومن تلك المرحلة جاءت لنا الأخبار من عرب اليمن أن الملك المجاهد قد قوي أمره واجتمعت إليه رجال كثيرة ، وأن خبر عسكر مصر قد امتلأ باليمن وخشيت أهله من الجند والعرب ، ثم وردت جماعة من بلاد زبيد ، وأخبروا للأمير ركن الدين بيبرس وللأمير طيلان أن أهل زبيد ومشايخها وكبراءها ، لما تحققوا مجيء العسكر ، إتفق رأيهم على الهجوم على بهاء الدين الصقري وقتله . وأخذوا أمواله وموافقة السلطان الملك المجاهد وتسليم البلد إليه . وكان الصقري لما وقع الإختلاف في اليمن ، وقامت
٧ و بين أهلها الحرب أنفق المال وجمع خلقاً كثيراً // ، وقصد مدينة زبيد ، فامتنع أهلها ، وحلف لهم فدخلها ، وأقام بها وتسلطن بها ، وضربت له السكة بالدنانير والدراهم ، وخطب له بها وقطع خطبة المجاهد . ثم شرع يظلم أهلها ويصادرهم إلى أن وصل إليه خبر العسكر القادمين على اليمن ، فخشي على بعد الإقامة فيها ، وأظهر أنه يريد لقاء العسكر على أن يخرج من زبيد سالماً . فعلمت أهل زبيد بذلك ، فاجتمعوا وهجموا عليه في الليل ، وصاحوا : يا مجاهد ! يا منصور ! وفتكوا في جماعة من مماليكه ، وخرج هو مبكراً ونجا بنفسه بمفرده ، ونهبت أهل زبيد جميع حواصله وأمواله ، فباعوا القطعة التي كانت تساوي ماية درهم بعشرة دراهم ، واستغنت أهل زبيد مما أخذوه من الحواصل والسلاح والتحف . ثم اقتضى رأيهم أن يكتبوا إلى المجاهد بما فعلوه ، وأنه يحضر ويتسلّم زبيد ، وأرسلوا مع القاصد شيئاً من قماش الصقري ليتحقق الخبر .

فلما وقف المجاهد على ذلك فرح ، فتقرب إليه الناس واجتمعوا عنده ، وقويت نفسه إلى أن نزل من قلعة تعز طالباً زبيد ، ثم أن بعض الناس أوهموا الملك المجاهد من جهة عسكر مصر ، فأضمر في قلبه أن لا

يلاقي هذا العسكر. وهو في ذلك ، فإذا بعزالدين الكوندكي قد وصل من جهة المصريين إلى الملك المجاهد ، فلاقاه ملاقاة حسنة ، فتحدث معه واستأنس به ، وكان قد سمع ما قوي به المجاهد ، فشرع يقول له إن عسكر السلطان إنما جاء إلى هذه البلاد لأجل نصرتك ، وليس لهم شغل غير ذلك ، ولو أعطى كل واحد منهم ملك اليمن ما يرضى بترك وطنه وأهله وأصحابه . وأما الأمراء فإن إقطاع كل واحد منهم يعادل متحصل ملك اليمن ، وكل واحد منهم مستغني بما أنعم به عليه السلطان . فلما سمع ذلك منه استقرت نفسه ، وقوّى عزمه على لقاء العسكر ، وزال عنه ذلك الوهم .

ولما قرب العسكر خرج المجاهد بطلبه لملتقى العسكر . ولما رأوا العسكر اندهشوا وتحيروا لأنهم رأوا عسكراً ما رأوا قط مثلهم ، وكيف لا ، وعسكر المجاهد غالبهم مشاة عرايا في يد كل واحدة جريدة أو خشبة فيها خرقة عليها رنك السلطان ، والجماعة الذين حضروا صحبته راكبون بغالاً بسراويلات وذراريع مفركة، وسيوفهم مشدودة فوق الذراريع ، والملك المجاهد وبنو عمه على هذه الصفة ، وعلى عمامته عصابة ملونة بأطراف مخيشة والجميع بعاصيب فوق محافيف صغار ، ثم إن الملك المجاهد أراد ان يترجل بمن معه ، فسيّر إليه آقول الحاجب فمنعه من ذلك ، ومشى العسكر صفين والأمراء في الوسط إلى أن قربوا منه ، فنزل المجاهد ومن معه وترجّل له الأمير ركن الدين بيبرس والأمير سيف الدين طينال وتلقياه وعظّماه ، ثم أركباه ، ثم أحدقت به أمراء العسكر ، وساروا إلى أن وصلوا إلى المخيم وأنزلوه ودخلوا به الخيمة ، فاعتقدت أهل زبيد ومن معه من الجند وغيرهم أنهم قبضوا عليه ، ثم بعد ساعة أحضروا له تشريفاً سلطانياً من السلطان الملك الناصر ، وألبسوا كلوتاة زركشاً وحياصة ذهباً ثم أخرجوه من الخيمة
٧ ظ وأركبوه ، وركبوا في خدمته وساروا إلى أن دخلوا زبيد، // ووجدوا قد عمل المجاهد للعسكر سماطاً عظيماً بعضها في زبادي صيني وبعضها في زبادي خزف . وكان الأمير بيبرس أوصى للعسكر أن لا يأكلوا من السماط

شيئاً مخافة أن يكونوا صنعوا من شيء يؤدي إلى أذى العسكر . وشرع الأمير ركن الدين يعتذر بأن العسكر تعابى ، وفي هذا الوقت ما يقدرون على الأكل ، وأن هذا ما يكفي الناس ، ونحن إن شاء الله نعمل بكرة غير سماط يليق للعسكر ، وعرّفه أن يجمع أمراءه وأكابر دولته ليحضروا قراءة كتاب السلطان . ثم اتفق أمراء مصر أن كلاً منهم يسيّر طبّاخه ومن يتبعه وشرابداريته وجاشنكيريته وسقايته ومعهم الخوانات والأطباق ، ويمدّ كل واحد سماطه . وما أن بلغت الشمس بكرة غد إلّا والسماطات قد تجهزت، وحضرت الأمراء ونصبوا للملك المجاهد كرسياً عالياً وأجلسوه فوقه ، ومدّ السماط ودارت السقاة ، ووقفت النقباء والحجاب على عادتهم ، ووقف الأمير ركن الدين بيبرس على رأس الميمنة والأمير طيلان على رأس الميسرة ، ورأى المجاهد وعسكره وأهل زبيد ما أذهل عقولهم وبقيوا حائرين باهتين ، فإنهم رأوا شيئاً ما رأوا مثله قط .

ولما فرغ السماط، وصاحت الجاويشية، أحضروا كتاب السلطان ليقرؤه عليهم ، ففتحوه فإذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، أدام الله نِعَم المجالس العالية الأمراء ، والذي يحيط به علمهم أن السلطان الملك المجاهد بن السلطان الملك المؤيد، تغمده الله برحمته ، كتب إلينا في العام الماضي وهو يشكو اختلاف الأمراء عليه وخروجهم عن طاعته والطمع على صغر سنه ، وسيّرنا من جهتنا كتباً إليه تطيّب خاطره ، وعرفناه أنّا نحن نكتب إلى أمرائه بالرجوع إلى طاعته والرضى بأوامره ، وتوعدناهم فارتدعوا قليلاً . ثم رجعوا إلى ما كانوا عليه ، فسيّر إلينا وعرّفنا بذلك واستنجدنا ، فأجبنا سؤاله ، وسيّرنا العسكر المنصور صحبة الجناب العالي الركني والجناب السيفي ليصلحوا فساد بلاده ويردّوا إليه أمراءه وأجناده ، وكتبنا له أيضاً بالقبول عليهم والإحسان إليهم، والعفو عما جناه كل منهم وما اقترف ، ويتبع قوله تعالى : ﴿ عفا الله عما سلف ومن عاد ، وينتقم الله منه ﴾ . وكتبنا إلى ساير الأمراء أن يحضروا إلى خدمته على ما كانوا عليه، وهم آمنون مطمئنون منشرحو الصدور، كل منهم آمن على نفسه وأهله وماله

وولده ، فإن العفو من شيم الملوك ، والصفح يجمع حنانه المالك والمملوك» .
فلما قرىء الكتاب قبّل جميعهم الأرض ، وقالوا : السمع والطاعة لمولانا السلطان ونحن كلنا مماليك هذا البيت ، وهو سلطاننا وابن سلطاننا ، وليس لنا عنه محيد ، وتباشر الجميع بذلك ، وأظهروا السرور والإستبشار ،
٨ وثم اتفقوا أن يكتبوا كتاباً من جهة الأمير // ركن الدين لبهاء الدين الصقري ولابن شكر وبقية الأمراء المؤيدية أن يحضروا وهم طيبون الخواطر منشرحون الصدور في أمان الله تعالى ، وسيّروا الكتب صحبة قاصد من الملك المجاهد وبعض مماليك الأمير بيبرس . ولما وقف عليها الصقري أرسل مع جماعة من جهته أنه يحضر إذا حلف له الأمير ركن الدين والأمير سيف الدين طيلان أنه لا يؤذي من جهتهم ، ولا يسلّطوا احداً أيضاً ، فحلفوا له . وحضر بعد يومين والتقاه الأمير ركن الدين وأكرمه واحترمه ، ومن وصل صحبته من الأمراء ، ثم إن الأمير ركن الدين انتظر أن المجاهد يرسل إلى العسكر شيئاً من عليق الدواب ، فلم يظهر منه شيء ، ثم انه عتب المجاهد على ذلك ، وقال له : إنك كتبت في كتابك إلى السلطان أنك تقيم بكلفة العسكر من حيث يدخلون إلى أول بلادك إلى أن يخرجوا ، وقد دخلنا إلى بلادك ، ولم نر شيئاً ، فشرع المجاهد يعتذر عن خراب البلاد والحلف الواقع ، ثم طلب المجاهد دستور أمير الأمراء بأن يتقدم إلى تعز فإنها بلد إقامته ، ويجهّز لهم الإقامات والكلوفات ، ويكتب إلى ساير بلاده وإلى أهل الجبال أن يجلبوا ما عندهم ويبيعوا للعسكر ما دنوا له ، وسيّروا صحبته عزالدين الكوندكي والإسماعيلي ، وأقام العسكر في زبيد ينتظر حضور الإقامات ، فأقاموا ثلاثة ، ولم يحضر شيء ، فمنهم من اشترى بماله ومنهم من نهب ، ومنهم من فتش المطامير والخبايا وأخذوا ما وجدوه ، ثم رحلوا من زبيد في نصف رجب ، وساروا إلى أن وصلوا إلى تعز . ولما سمع المجاهد بذلك ركب مع أمرائه ، واستقبل العسكر ، وكان يوماً مشهوداً ، ثم أنهم أقاموا أياماً ينتظرون الإقامات ، فلم يظهر شيء وتضرروا بذلك ، ثم اتفقوا مع المجاهد أن يكتب كتاباً من جهته إلى ابن

أخيه الظاهر المقيم بدملوة ، وأرسلوه مع قاصده الأمير عز الدين الكوندكي والسيد الشريف عطيفة ، ونسخة كتابه: «بسم الله الرحمن الرحيم . إن الحسنات تذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ، فوجب إنشاءها إلى المقر الكريم ، أحسن الله توفيقه ، وسهّل إلى كل خير طريقه ، إن العساكر المنصورة الناصرية مأنوسة صحبة المقر الأشرفي الركني ، مقدم الجيوش المنصورة التي لا يسعها لكثرتها الفضاء ، ولا يردّها إلا القضاء كالسيوف القواطع والبروق اللوامع ، وورد صحبته مثال شريف من المقام الأعظم السلطان ، أعز الله أنصاره ، يشير فيه إلى أن يقبل الصلح مع المقر العالي ومشافاة أيضاً صحبة المقر الركني ، وأن يعفو عن جميع غلماننا ونوابنا ومماليكنا ، فوافق ذلك غرضنا ، وأجبنا إلى ما يضمن المثال السديد ونظرنا ، لما بيننا وبين الجناب من الرحمة التي يجب صليها ولا يُحسن
٨ ظ قطعها ، وما ورد في ذلك من الأحاديث النبوية ، فكتبنا للمقر // العالي وبسطنا بساط الأنس . . . » . ثم بعد أن سافر القصاد مع الكتاب ، شرع الأمراء في الكلام مع المجاهد بسبب ما يقوم بالعسكر ودوابهم ، وقالوا له : أنت قد ضمنت للسلطان أن تقيم بأمر العسكر مدة إقامتهم ، ولم نر من ذلك . فشرع المجاهد يعتذر اعتذاراً غير مقبول ، ويقول : إن البلاد خراب والناس الذين في الجبال قوتهم قليل ، وإن جميع ما يحتاج إليه العسكر من المال وغيره فهو في دملوة ، وقال للأمير بيبرس : فإن أذنت لي أن أرحل في خدمتك وتنزل عليها ، ونحاصرها فتحصل من ذلك ما يكفي للعسكر ويفضل منهم . فقال الأمير ركن الدين : إذا رحلنا ماذا يطعم العسكر دوابهم إلى أن نصل إلى هناك ، وإذا أقمنا من أين نأتي بقوت الدواب ؟ فشرع المجاهد يتحدث بكلام لا طايل تحته ، وقَصْده الدفع عن نفسه . . . » .

١٠ و قال صاحب النزهة : « وكنت في مدة الإقامة أتردد إلى تعز وأقتفي آثار الملك المجاهد وأمرائه ، وأسمع أخبارهم ، وحصل أيضاً بيني وبين قاضيها وعلمائها صحبة وود ، وكنت أجيء عند الأمير ركن الدين بيبرس

وأخبره بما كنت أسمع منهم ، ولما كتبوا صورة الإستفتاء طلبني بيبرس وسلمها إليّ ، وقال : اذهب إلى القاضي ، وقل له يكتب الجواب عن هذا الاستفتاء . قال ،فطلعت إليه ، وأوقفته عليها ، فطلب نايبه وجماعة من المفتيين ونظروا في الإستفتاء وتحققوه ، وكتبوا عليها ما نسخته : «الحمد لله وبه توفيقي ، أقول والله الموفق للصواب إن هذه الطايفة الواصلة قايمة على الحق إذ هي مأمورة من إمام قايم على الدين المحمدي ﷺ . ويجب على كل أحد امتثال ما يأمر به ، ومن خالفه عصى الله ورسوله وأيمة المسلمين . وهذه الطايفة المخالفة إمامهم بغاة ، فيسلك بهم مسالك أهل البغي فيقاتلون بعد تقديم الإنذار ، فقد قال الله عز وجل : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ - الآية - ، وعلى مقدم الجيش أن لا يمكّن من نهب مسلم ولا مسلمة « فكل راع مسؤول عن رعيته والحمد لله تعالى » .
وكتبه أبو بكر إبن جبريل عفا الله عنه » .

سنة ٧٢٦

[اعتقال الشيخ ابن تيمية]

٢٢ و « وفي نزهة الناظر: كان السبب لاعتقال الشيخ تقي الدين ابن تيمية أن محمد ابن قيّم الجوزية كان رجلاً عالماً كبيراً ، وكان ينتسب إلى الشيخ أكثر من غيره ، وكان مقيماً في تلك الأيام بالخانقاه الصلاحية بالقدس الشريف ، وكان يجلس ويتكلم في الوعظ، يذكر في وعظ ما ذكرناه الآن . واتفق قبل وصول المحاضر التي كتبوا عليه ، فكلّم الشيخ تقي الدين في مسألة الطلاق وعارض الفقهاء في ذلك ، وأفتى بها ، فقامت عليه العامة في دمشق بسببها . واتفق وصول مرافعة ابن قيم الجوزية إلى القاضي جلال الدين القزويني وسائر قضاة دمشق وإلى نايب الشام ، فكتبوا إلى السلطان بصورة الواقعة ، وعرّف السلطان القاضي بدر الدين ابن جماعة والقاضي شمس الدين الحريري ما وقّع ابن تيمية ، فأنكروا عليه هذه المسائل خصوصاً مسألة الطلاق ، وقالوا : تفسد في هذه الأحوال

أحوال الناس . فكتب السلطان إلى نايب الشام بحبسه وحبس أخيه في القلعة . ولما ورد الخبر طلبوا الشيخ وأخاه، ونكلوا بهما وحبسوهما في قلعة دمشق » .

[اجراء جوبان الماء إلى مكة]

٢٢ ظ « **وقال صاحب النزهة** : كان السبب لقيام جوبان في أمر هذه العين، أنه لما تكاثر سفر ركب العراق، ورأوا عزة الماء وغلوه حتى كان يبتاع الراوية بعشرة دراهم مسعودية ، فسأل أهل العراق أهل مكة عن سبب قلة الماء، فقالوا إن بها أعيناً جارية، ولو تصدّى واحد من أهل الخير وأنفق مالاً لوجه الله يصرف ، وأجري هذه الأعين إلى مكة لكان الناس ينتفعون به كثيراً . فلما سمعوا ذلك بلّغوه لجوبان ، ولما سمع جوبان بذلك عيّن شخصاً يثق به ، وسيّر معه خمسين ألف دينار ، وأوصى إليه أن يسافر صحبة ركب العراق في سنة خمس وعشرين وسبع ماية ، وأن يقيم حتى يجتهد في اجراء الماء من تلك الأعين المسدودة ، ويحتال على الجريان مهما قدر ، فإذا احتاج إلى مال يسيّر ويعرّف به . فلما وصل إلى مكة وقضى مناسك الحج ورحل الوكب، أقام هو هناك ، ثم استخبر من أهل مكة أيّ عين أقرب وأقوى ماء ، فعرفوه أن ثمة عين قريبة من جبل عرفات ولها ماء كثير ، فركب إليها وشاهدها . ولما أصبح ،نادى في أهل مكة : من أراد العمل في العين فله ثلاث دراهم كل يوم . فسمع بذلك صعاليك أهل مكة فهرعوا إليه حتى النساء ، فلم يزل يستعملهم إلى مدة أربع بشهور إلى أن أجرى الماء
٢٣ و من العين إلى أن دخل مكة ، فصار بها نهر يجري // فانتفعوا به انتفاعاً كثيراً ، وسميت العين باسم الرجل الذي كان تولى أمرها ، وكان رجلاً عجمياً واسمه بازان ، ومنهم من يذكر أن اسم هذه العين بازان من القديم » .

سنة ٧٢٧

[ذكر تولية علاء الدين القونوي قضاء الشام]

٣١ و « وقال صاحب النزهة : لما قدم جلال الدين القزويني إلى القاهرة ، وتولى قضاءها، استشاره السلطان فيمن يصلح لقضاء دمشق ، فقال ، ما ثمة من يصلح له غير شمس الدين بن الصايغ ، فإن فيه الديانة والكفاية ، فكتب السلطان لنايب الشام أن يطلبه ويوليه القضاء ، فكتب الجواب أنه لما ورد مرسوم السلطان طلبه إليه وخاطبه في أمر ولاية القضاء فأبى عن ذلك ، وكرر عليه مراراً ، فلم يقبل وامتنع ، واتفق أن نايب الشام غضب عليه لكون أن السلطان يوليه ولا يقبل ، فأرسل إليه الخلعة صحبة الحاجب ، فلما رأى الخلعة ، قال : أستخير الله وألبس . وفي تلك الليلة اعترته حمّى ،وأقام يومين بالمرض ، ودفع القضاء عن نفسه ، فلما بلغ السلطان ذلك اتفق مع الأمراء على تولية الشيخ علاء الدين القونوي شيخ الشيوخ بخانقاه سعيد السعداء ، كما ذكرنا » .

[ذكر الفتنة الواقعة باسكندرية]

٣١ ظ « وقال صاحب النزهة : كان سبب هذه الفتنة أن بعض تجار الإفرنج الكبار ورد إلى اسكندرية ببضاعة ، واتفق أن رجلاً من أهل اسكندرية خرج للفرجة والنزهة ، وكان ثملاً من الشراب ، فوقع بينه وبين بعض هؤلاء الإفرنج كلام أوجب ضرب المسلم للإفرنجي ، واستعان الإفرنجي برفقته ، فخرجت جماعة من الإفرنج ، ووقع شر كبير بينهم إلى أن تحامل أهل البلد ، وحصل حمل السلاح من الطائفتين ، ووقع الصياح في البلد ، فركب الوالي الكركري ،فوجد أهل الثغر قد جرحوا بالسلاح ، وقوي الأمر على طائفة الإفرنج ، ورأى الوالي أن الأمر قد زاد على الإفرنج ، وإن تهاون قتلوا الجميع ، فحمل بالجند المستخدمين بالإسكندرية لأجل دفعهم عنهم ، فلم يقدروا على ذلك ، وزاد الأمر عليه إلى أن حمل بالجند المماليك أرموهمّ بالنشاب ، فرموهم ، وأهل البلد يرمونهم بالحجارة،فقويت

٣٢ والعامة على الوالي والجند ، ورجعوهم . وكان الأمير // ركن الدين بيبرس الجمدار قريباً من الثغر، وصادفه قاصد الوالي ، وأخبره بما وقع فقام بيبرس وساق إلى أن دخل الاسكندرية ، وفرق بين الطائفتين ، وصارت العامة يصيحون : لا دين إلا دين الإسلام ، وامحمداه ! وا إسلاماه ! وجرت الدماء بينهم ، ثم سكنت الحال ، فكتب الوالي بطاقة يعرّف السلطان بذلك . وقالوا إن لم يتدارك السلطان هذا الأمر ، وإلا يعظم الأمر، ولا تسكن الفتنة ، ويخرج الأمراء المسجونين .

فلما وقف السلطان على البطاقة عظم عليه ، وطلب أُلماس الحاجب ، ورسم له أن يطلب أولاد الأمير سيف الدين البوبكري ويدعهم في بيته من غير تشويش بحيث لا يعرفهم الخبر . فطلبهم أُلماس وطيّب خواطرهم وبقيوا عنده ، ثم طلب الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي ، وأمره أن يركب إلى الاسكندرية ومعه الجماعة الذين ذكرناهم، ويكون معهم القاضي تاج الدين ناظر الخاص ، وأمره إذا دخل يسفك فيها دماء جماعة كثيرة من الذين يعينهم الوالي والجند ، ويتتبع المفسدين . وكتب السلطان على يده تذكرة بأمور شنيعة منها مصادرة أهلها ، وسفك دماء جماعة كثيرة منها ، وأخذ جميع حواصل الغزاة ومسك قاضيها والإشهار به ، وأن يجهز المحبوسين بها إلى القلعة . وركب من وقته ، ووصل إلى الاسكندرية ، وجلس بالخميس ، وطلب ساير أهلها وقطع أياد كثيرة وأرجلاً كثيرة ، وسفك دماء جماعة ، وطلب ابن رواحة، كان مشهوراً بالسعادة ، وكان من كبار دار الطراز، وكان مشهوراً بالخير ، فأحضروه ، ففي الحال أمر بتوسيطه فوسّط ، ثم شرع بالمصادرة فلم يدع بها غنياً إلا أفقره، وأخذ حتى لباس النساء، وبقيت الصيَّاغ جالسين برسم سبك الذهب والفضة من المصاغ والزركش . ثم طلب ساير القدد التي هي مدخرة في القاعات والحواصل برسم الغزاة، فكانت نحو ستة آلاف قطعة ، ووضعت في حاصل وختم عليها بختم السلطان ، وأقامت الاسكندرية نحو عشرين يوماً في سفك دماء ومصادرة وأخذ أموال ، فحصل من الأموال ما قيمته فوق مايتي ألف

وستين ألفاً من الدنانير ، ورسم السلطان بشنق قاضيها، فلاطف الوزير أمره حتى ترك عن الشنق ، وكان الوزير فيه شفقة ورحمة ، ولكن كان السلطان يبعث إليه كتاباً خلف كتاب يستحثه على سفك الدماء وأخذ الأموال ، وهو يكتب الجواب بما يصلح أمر الناس » .

[عقد نكاح قوصون الناصري على إحدى بنات السلطان]

٣٢ ظ « قال صاحب النزهة : جهز السلطان ابنته بجهاز عظيم، وعمل من ساير أصناف الجوهر ، وكانت زينة داير البيت و (؟) بماية ألف دينار سوى ما حضر من الجواهر واللآلىء والأشياء المثمنة » .

سنة ٧٢٨

[ذكر مقتل جوبان وولده]

جلوخان

٣٦ ظ «وقال صاحب النزهة : كان أبو سعيد شغف بالطرب والشراب وسماع الملاهي ،وانعكف على ذلك، ولم يعبأ بأمر المُلك ولا النظر إليه ، وكان الأمير جوبان قد حكم على الأردو ، وأقام بأمر المملكة ، ورجع أمرها إليه، وعمل ولده دمشق خواجا نايباً عنه في حكم الأردو وما يتعلق بأمر أبي سعيد ، وولده تمرتاش غلب على الروم، وبقية أولاده تحكموا على ساير الأملاك . وكان جوبان يرى من أبي سعيد ما لا يعجبه ويكره ذلك منه ، وكثيراً ما كان يسمع الكلام إياه ، فانحصر أبو سعيد من ذلك ، واتفق من قدر الله تعالى تحريك العدو من جهة خراسان من بلاد طقطاي . واستشار أبو سعيد أمراءه في ذلك، وربما أسرّ لبعضهم بما هو فيه من أمر جوبان ، فأشاروا عليه أن يخاطبه في الركوب بالعساكر ليذهبوا صحبته إلى لقاهم ، واتفق الرأي على سفره بعد كلام كثير، وتحقق جوبان أيضاً أن ما يدفع هذا العدو غيره ، فتجهز » .

« . . . وقال صاحب النزهة : لما قتل أبو سعيد دمشق خواجا أرسل إلى الأمراء الذين مع جوبان بأن يقبضوا عليه ، فلما بلغهم ذلك أجمع رأيهم على الركوب والقبض عليه، فركبوا للكبس عليه ، فوصل إليه الخبر بذلك ، فركب من وقته، فما لحق أن يخرج من الخيام حتى طرقت الخيل الخيام، فلوى عنان فرسه هو وولده جلوخان وبعض مماليكه، وساق إلى أن وصل إلى قلعة من قلاع خراسان تسمى قلعة هرى ، فتلقاه صاحبها وأكرمه وطلع صحبته إلى القلعة . وكان ملكها غياث الدين ، وكان بينه وبين جوبان مودة عظيمة
٣٧ و وصداقة أكيدة ، فأنزله // وبسط آماله وأضمر له الخداع حتى اطمأن إليه ، فأقام أياماً إلى أن حضرت العساكر وهم تابعونه وكشفوا خبره ، وعلموا أنه مقيم بالقلعة ، فأرسلوا وعرّفوا نايبها أن معنا مرسوم السلطان أبي سعيد بأن نتسلم جوبان ، ولم يمكن مخالفته ، فمسكه وقتله وقتل ولده جلوخان ، وكان قتلهما خنقاً ووضعهما في تابوت ، وسيرهما صحبة العسكر إلى أن وصلوا إلى أبي سعيد . وكان يوم دخول تابوته إلى الأردو يوماً عظيماً ، وذكر أن السلطان أبي سعيد أعطى للموكّل على التابوت خمسين دينار حتى فتح له التابوت ، ورآه هو وولده ميتين . فلما رأى ذلك فرح فرحاً عظيماً، ثم عرّف الأمراء بخبره » .

« وقال صاحب النزهة : لما ورد مرسوم أبي سعيد إلى نايب بصرى بقتل جوبان ، فجاء مرسومه بادياً فيه أمره بقتل جوبان ، ويسيّر ولده إلى الأردو، فأبى ذلك . ثم لما رأى أنهما يقتلان سأله أن يقتل هو قبل ولده جلوخان ولا يرى قتل ولده ، ففعل ذلك ، وخنق جوبان ثم خنق ولده، ثم وضعهما في تابوت وأرسلهما . ولما حضر به إلى الأردو، ورآهما أبو سعيد وحقق موتهما ، أمر بأن يدفنا في تربة كان بناها جوبان لنفسه بتبريز ، فبلغ ذلك بغداد خاتون بنت جوبان، فسيّرت إلى أبي سعيد أن أباها أوصى إليها أنه إذا جرى عليه شيء ومات، لا يدفن إلا في المكان الذي عمّره في مدينة النبي ﷺ ، وقالت لأبي سعيد : وكفاك ما فعلته بأبي وأخي، ومتى لم تسمع

مني ولم تدفنه في مكان أوصى به أبي قتلت نفسي ولحقت بهما . فما أمكنه مخالفتها . وكان الركب العراقي قد تجهز ، فامر أن يحمل التابوت معهم إلى أن يصل إلى المدينة ،ثم ان بغداد خاتون سيّرت من جهتها جماعة كثيرة وجهزتهم بكل ما يحتاجون إليه ، ورسمت أن يكون قدام التابوت عشرة أنفس من القراء يتلون القرآن في الطريق ، ورتّبت في كل منزل ثلاث روس بقر ، فإن عدم البقر فعشر روس غنم تذبح وتتصدق قدام التابوت ، ويكون معهم سقاؤون يسيلون الماء في كل مرحلة قدام التابوت . واستمر
٣٧ ظ الأمر على ذلك إلى أن وصلوا مكة . ولما قضوا مناسكهم // طافوا الجهات في مكة ، ثم لما وصلوا إلى المدينة وقصدوا أن يدفنوه في المدرسة التي بناها ، منعهم أمير الركب ابن المهمندار والأمراء الذين كانوا حجّوا ، وقالوا : لا يمكن هذا إلا بمراجعة السلطان . فطلعوا بالتابوت إلى القلعة ، وأمروا لمتولي المدينة أن يتوصى به إلى حين يرد مرسوم السلطان إليه بما يعهد عليه في أمره ، فورد كتابهم إلى مصر ، ورد السلطان الجواب لصاحب المدينة أن يدفنه في البقيع ، فدفن بالبقيع . وقد حصل لهذا الرجل من النصيب الوافر من حضوره من بلاد الشرق ووقوفه بعرفة ، وطوافه بالبيت ، ثم دفنه بتلك الأرض الشريفة والتربة التي شرفت بساكنها ما لا يحصل لكثير من المشايخ الأجلاء والصلحاء الأكابر ، ولا سيما مثل رجل كان من أهل الطغيان ، ثم آل حاله إلى هذا ، ولقد نظم فيه الراوي بأبيات :

يحق لنا بأن نبكيك حقاً وتبكيك المحافل والجموعْ
وكم كبد عليك لها أنين وكم قلب تركت وهو فجيعْ
وقفت مع الوفود وأنت ميت وطيْف بنعشك الحرم المنيعْ
ويكفيك الممات بها شهيداً بمشرفها ومدفنك البقيعْ

واعلم أن جوبان هذا هو ابن تلك بن تُداون .

[مقتل تمرتاش بن جوبان]

٣٨ و « وقال صاحب النزهة : كان تمرتاش قد ملك بلاد الروم بأجمعها وجبال ابن قرمان وغيرها ، وكان قد رتب على كل دربند من بلاد الروم جماعة يحفظونها ، وهم على رأس الدربند حتى لا يمر أحد عليه إلا وهم يعلمون بحاله ، ومن أين أتى وإلى أين يريد ، وكل ذلك احتراس منه على نفسه من جهة السلطان الملك الناصر ، وخوفه من فداوي أو غيره يأتي ، فإنه قد كان وقعت بينه وبين الناصر وحشة كبيرة من مدة إقامته في بلاد الروم ، وانحصر السلطان منه بهذا السبب ، وصار يمنع التجار والمسافرين عن الدخول إلى مصر ، ومنع شراء المماليك والجوار ، وإذا سمع من أحد اسم السلطان الملك الناصر أخرق به وأهانه ، وكان السلطان يهادنه ويستجلب خاطره ويترضاه ، فلم يلتفت إليه . . . » .

٣٩ ظ « . . . وذكر صاحب النزهة هذا الفصل في سنة تسع وعشرين وسبع ماية ، فقال : كان السبب للقبض عليه ما كان في نفس السلطان منه من أمور كثيرة ، قد ذكرناها ، من قلة اكتراثه به ، ومنع التجار وقتل القصاد ، ولم يزل السلطان يهادنه إلى أن اتفق لجوبان وأولاده ما اتفق ، وعلم اجتماع المغل على أبي سعيد . وجاء إليه كتاب ابن قرمان فذكر فيه مساوءه ، ومن جملة ما ذكر فيه أن بعض المنجمين من أهل الشرق أخبره أنه يملك الشرق ويملك مصر ، وأطمعه بأشياء كثيرة ، وذكر كثيراً في هذا الباب الذي فيه إغراء بقتله . . . » .

٤١ و « . . . وقال صاحب النزهة : ورسم السلطان بعد ذلك بالسفر إلى الصيد صحبة الأمراء ، وأمر لتمرتاش بن جوبان أن يكون صحبته ، فأخرج له مهم يصلح لمثله ، ورسم للأمير بدر الدين جنكلي أن يسايره ويؤنسه ويسليه عن أوطانه . وكان السلطان يطلبه ويؤنسه ويدعه يرمي الطير ويطيّب خاطره » .

« . . . في هذه السنة ، قال صاحب النزهة : أخبرني الأمير سيف الدين ألجاي

٤١ ظ الـدوادار أن السلطان ركب إلى الصيد وشـرع في تـرتيب الحلقة،// وهم في ذلك ، وإذا بالسماء قد أغـامت إلى أن أظلم الوقت وصـار لا يبصر الانسـان صـاحبه ، ثم أبـرقت وأرعدت ثم هبت ريـح سوداء ردّت وجـوه الخيـل إلى ورائها ، وردت الناس بعضهم على بعض ، ولم يبق لأحد قـوة أن يقدر عـلى فرسه أو يترجل عـلى الأرض بل تـرميه الـريح عـلى الأرض . ورأى السلطان يوماً مهولاً فخشي على نفسه ، ونزل مكـانه وأقـام نحو ثـلاث ساعـات حتى خمدت الريح شيئاً قليلاً ، ثم ركب إلى الدهليز، وأمر بـالرجـوع إلى المدينـة ، واعتبـر حال تلك الـريح في ذلـك اليوم . فكـان ببلاد فـوه وبحـر الغـرب ، وغـرقت المراكب التي عـلى ساحـل فوه من المـراكب المرساة، وعـدتهـا ثمـان مراكب ، وغرقت من بحر الشرق أحد عشر مركباً من المراكب المسافرة » .

٤٤ و « . . . قال صاحب النـزهة : لمـا علم السلطان بضعف بكتمر ، سيّر إليه الحكماء ، فسـأل السلطان عنهم فأخبـروه أنه في حـال العدم ، فسـيّر إليه قجليس يسأله ما في خاطـره وما يـوصي ، فقال : أختـار أن أنظر إلى أولادي قبـل الموت وأوصيهم . فـرسم السلطان أن يدخـل إليه أحـد أولاده ، وأقـام ثلاثة أيـام وتوفي إلى رحمـة الله ، وكان لـه ولدان طبلخـاناه ، ولم يتفق لأمـير قبله مثل ذلك وكان من الأمراء الأوايل الذين لا يعرفون غير الحق .

[ترجمة الأمير جمال الدين خضر بن نوكية]

« . . . قـال صـاحب النـزهـة : كـان صهـر السلطان الملك الأشـرف والسلطان الملك الناصر، وكان له شهرة بالصيـد ولعب الطير ، وكـان يخرج في الكشوف على الجسور » .

[ترجمة الأمير شمس الدين سنقر السعدي]

« . . . وقـال صاحب النـزهة : وكـان وقع بينـه وبـين ابن طـرنـطاي منازعة في أنـه ليس مملوك طرنـطاي والسلطان أصلح بينهما ، وتم الأمـر بينهما على غير انفصال، إلى أن وصّل بكتمـر إلى السلطان أن حالـه فاسـدة من جهة

هذه المنازعة ، فطلب السلطان القاضي بدر الدين وبقية القضاة ، واعترف عندهم أنه مملوك السلطان غياث الدين كيخسرو صاحب الروم ، وأنه أُخذ من جملة مماليكه سنة خمس وسبعين عند دخول السلطان الملك الظاهر إلى قيسارية الروم . . . » .

سنة ٧٢٩

[ذكر توجه أيتمش المحمدي إلى بلاد أبي سعيد]

٤٤ ظ «. . . وقال صاحب النزهة : حكى لي الأمير أيتمش من لفظه أنه لما وصل إلى الماردين، حين أرسله السلطان الناصر إلى السلطان أبي سعيد ما خرج إليه أحد ولا تلقاه ، بل من بعيد كانوا ينظرون إلينا (يشتموننا صريحاً ويقولون خاينون لنزيلهم) ، وكانت عادتهم أن يستقبلونا ويرحبوا بنا . قال ثم وصلنا إلى أعمال تبريز خرج إلينا الحاجب وجماعة من أمراء المغل، فتلقونا على عادتنا لكن بغير وجه ذاك الملتقى الذي كنا نجده من قبل هذا . قال : فلما وصلنا إلى تبريز، خرج إلينا خلق كثير ووقفوا من بعيد. وهم يسبوننا ويشتموننا ويقولون : يا خونة ، يا قتّالين تمرتاش وهو نزيلكم ، فزادوا في الحد إلى أن غضب أمراء المغل، فرجعوا إليهم وطردوهم . قال : ولما دخلنا على أبي سعيد ، تلقانا على العادة ، وأكرمنا وسألنا عن السلطان على جاري عادته . قال : فبلّغته السلام والإستيحاش ، وتحدثت معه مشافهة بسبب الخطبة ، ثم قرىء كتاب السلطان . قال : ثم خرجنا من بين يديه والأمراء معنا،وكان فيهم أميران من أكابر الأمراء ، فقالا لي سراً : يا حاج أيتمش، هذا الذي فعلتموه هو فعل المسلمين؟ قال : وما أجبت لهما بشيء . قال : فلما نزلنا في المكان الذي جهزوه لنا، حضر إلينا الوزير، وهو ولد خوجا شاه،وتحدث معنا ، ثم قال : يا حاج ، السلطان أبو سعيد يقول ما كان السبب من قتل تمرتاش
٤٥ أ وتسيير // رأسه إليه؟ وأنه لم يشعر إلا ومملوك السلامي قد حضر ورأس ابن جوبان معه ، وقال له : السلطان يسلّم عليك ، وقد أرسل اليك رأس

عدوك . فبهت أبو سعيد ، وقال : متى أظهرت هذا يتغيّر عليّ خاطر بغداد خاتون ، لأنها إلى الآن لم تخلُ من حزن أبيها وأخوتها ، وما وقع بينهما الصلح إلا بالغصْب ، فاحتاج إلى أن كتم هذا الحال ، وأخفاه عنها خشية أن تسمعه . . . » .

[ذكر مرض علاء الدين بن الأثير ومداواته]

٤٦ و « . . . قال صاحب النزهة : وفيها حصل لعلاء الدين بن الأثير ، كاتب السر ، في جسده ألم آل به إلى الفالج ، وأقام مدة يعلل نفسه إلى أن طلب السلطان علم الدين سليمان الطبيب من دمشق فحضر ، فاجتمع بالسلطان ، فأمره أن ينزل إلى ابن الأثير ويداويه ، فنزل وأقام عنده يداويه . . . » .

[ذكر عزل مغلطاي الجمالي عن الوزارة واستقراره أستاداراً على عادته]

٤٦ ظ « . . . قال صاحب النزهة : والسبب فيه ، توقف حال الدولة وقلة الواصل إليها ، وعمل القاضي فخر الدين والتاج إسحاق على الجمالي ؛ وسبب الكره فيه مجد الدين ابن لفيته ، فإنه كان ملك أمره وسلم قيادة في الوزارة ، فأجمعوا على عزله ، فعزل بعدما كتب فيه مرافعات بأنه التمس من أموال الجيزة شيئاً كثيراً ، وأرسل السلطان للأمير سيف الدين أيتمش بالكشف عن أمره . وبقي الحال إلى أن باشر ابن التاج نظر الدولة ، وباشر ولده موسى نظر الخاص نيابة عن أبيه ، وصار العَلَم يكتب محازم كل يوم ، ويعرضها على السلطان بالحاصل والمصروف ، وصحبته تقي الدين ابن سلعوس وابن هلال الدولة ، فانحصر المصروف من جهتهم لكونه بمرسوم السلطان ، ومشت أحوال الدولة » .

[ذكر هدم الجب]

« . . . وقال صاحب النزهة : وكان السبب لردمه أنه لما حضرت

الأمـراء من الاسكندريـة ونزل بعضهم إليه، ونزل مشـد العمارة إليـه ليصلح فيـه ما يحتـاج إلى العمارة ، فـوجد فيـه أموراً مهـولة من الـظلمة والـوطاويط والـرائحة القبيحـة ، فأخبـر بذلـك . وكان الأمـير بكتمر السـاقي تمزّح مـع الفراء البريـدي ، فأرسله إلى الجب وبـات فيه ليلة . ولمـا طلع أخبر لبكتمـر ما رأى فيه من الشـدة العظيمـة والأمور القبيحة، ووصف من حال المحـابيس وما هم فيه ، فذكر بكتمر للسلطان ما ذكـره الفراء ، فقـدر الله أن السلطان أمر بإخـراج من فيه من المحـابيس إلى الأبراج ، وأمـر بردمـه وعمارة أطبـاق عليـه بعد الـردم . وكان هـذا الجب بني عـلى أيـام الملك المنصـور قـلاون في سنة احدى وثمانين وستماية .

[ذكر استقدام مطرب كان عند صاحب ماردين]

٤٧ و-٤٧ ظ « . . . قـال // صـاحب النـزهـة : فحصـل بيني وبينـه اجتمـاع ، واصطحبت معه وسمعت منـه غرايب ، فسـألت منه يـوماً عن أمـر الشحرور الذي طرب على جنكه ، وأصبح يوماً مـع صاحب مـاردين في مستنزه لـه في قصر وبستان يعرف بالصـور ، وأنه ضـزب بالجنـك في صبيحة ذلـك اليوم ، وقـد راق للمجلس ، وإذا شحرور من الشحـارير التي عـلى الشجر قـد نـزل عـلى جنب باطيـة الخمر ، وتجـرع منهـا ، ثم طـار وجلس عـلى رأس جنكه والأوتـار تلعب ، وصار يهـز رأسه ويـطرب إلى أن وقع عـلى الأرض، ثم أفاق وطـار . وكان في المجلس شـاعر صـاحب ماردين وهـو الشيـخ صفي الـدين الحـلّي ، فذكـر ذلك المجلس ومـدحه ومـدح الجنـك بقصيـدة أنشـدهـا عـلى الجنك، وهذه هي القصيدة . . . » .

[ذكر تولية علم الدين الأخنائي قضاء دمشق]

٥١ ظ « . . . وقـال صـاحب النزهـة : كـان علم الـدين الاخنـائي نـاظـر الخزانة ، ثم ولي قضاء الاسكندريـة ، فطلبـه السلطان فولاه قضـاء الشام ، وسأله صحبـة تنكز بعـدما أنعم السلطان عـلى نايب الشـام بمايـة ألف درهم بمصر، وكتب له مرسوماً على أعمال دمشق بماية ألف درهم . . . »

[ذكر مقتل يوسف الكركي عالم الكيمياء]

٥٢ و « ... وقال صاحب النزهة : ولما أرسل نايب الشام هذا الرجل إلى السلطان ومثل بين يديه وفهم السلطان كلامه ، أحضر له كل ما يحتاج إليه ، وشرط عليه إن كذب شنقه ، وأطمع السلطان لميله إلى المال ، وأطلق له الراتب الحسن ووعده بكل خير ، وشرع يستدعي حوائج معينة تعينه على صنعته ، وأول شيء طلب الخمر ، فقالوا له : إن السلطان يكره الخمر ولا يجسر أحد يذكره له . فقال : إن صنعتي لا تتم إلا بالخمر ، فعرّفوا السلطان بذلك فسمح له فيه ، وأحضروه له ، وأقام أياماً في طيبة عيش إلى أن اتفق حضوره للصنعة ، وكان السلطان قد عرّف بأمره للقاضي فخر الدين والتاج إسحاق وابن هلال الدولة ، فما منهم إلا وقد أنكر هذا الأمر ، وحذروا السلطان منه ، فأحضره قدّامهم وشرط على نفسه أموراً يفعلها وهم حاضرون ، وبقي الحال إلى يوم حضوره للصنعة ، فأحضر السلطان الجميع والأمير بكتمر وجماعة من الأمراء ، وحضر الشيخ إبراهيم الصايغ وجماعة من دار الضرب ، ووضعوا البوتقة على النار وحموها ، وفيها أصناف من النحاس والقزدير والفضة ، وسبكوا ، وهو جالس ، إلى أن استحق العمل ، ووضع فيها شيئاً من صنعته في البوتقة وسبكوها ، فنزلت سبيكة ذهب هرجة من خيار الذهب ، فلما رآها السلطان كاد أن يطير من الفرح ، وعجبت الأمراء ومن حضر ، ولم يجسر أحد أن يتكلم بعدها ، وبقي كل أحد في فكره وأمره ، وعظّمه السلطان بعد ذلك وأكرمه ، وأخلى له مكاناً بمفرده ، وحلّ له الخمر والمأكول والمشروب ، وشاع خبره بين الناس ، وصارت الخدام تتردد إليه ويؤانسونه ، ويقدمون له الأشياء الحسنة إلى أن أشغل عقولهم ، وكان يعد لكل واحد منهم أن يصنع له الكيمياء ويغنيه بالذهب ، وحملوا له أموالاً كثيرة ، وصاروا يسألونه وهو يمتنع إلى أن سبك سبيكة ثانية بين يدي السلطان ، على العادة ، فخرج ذهب هرجة ، وصار السلطان يستحضره في الليل ويجالسه ، وهو يطمع السلطان بأمور كثيرة . وشكا إلى السلطان الإنحصار ، ففسح له في الركوب والفرجة ، وصنع

المقامات بالملاهي، وتنزه في جميع متنزهات مصر ، ورغبت فيه جماعة كثيرة من الذين أراد الله ذهاب أموالهم ، ثم قال للسلطان : إن النبات الذي هو الأصل في الصنعة ، وقد فرغ مني ذلك، ولا يوجد ذلك إلا في أرض الكرك . واستأذن السلطان بالرواح إلى الكرك ليحصل جملة من ذلك النبات، حتى إذا جاء يعمل للسلطان شيئاً من الذهب ينتفع به وينفق منه على عسكره ، فطاوعه السلطان على ذلك ، وكتب صحبته إلى نايب الكرك ونايب غزة ونايب الشوبك بالوصية عليه ، ونفق عليه بكل ما يحتاج إليه .
فقال القاضي فخرالدين والتاج إسحاق للسلطان : إن هذا الرجل ما بقى يعود إلى مصر ، فإن هذا الذي عمله كله خفة ورشاقة ، والكيمياء لا
٥٢ ظ يصلح عملها إلا الصلحاء من الناس // [وهذا] رجل فاسق يشرب الخمر . فلم يلتفت السلطان إلى كلامهم ، وقال بعدما عاين ما بقي فيه من زغل ، فخرج من مصر وهو في غاية الإكرام».

[ذكر ما رتّبه نايب الكرك بالمدرسة الصالحية في بين القصرين]

٥٤ و « وقال صاحب النزهة : ورتب الأمير جمال الدين للخطيب في كل شهر خمسين درهماً ، ولست نفر من المؤذنين لكل واحد عشرة دراهم ، ولقارىء المصحف خمسين درهماً ، وللخادم في القبة خمسين درهماً . وكان قد اشترى له أوقافاً من ماله، والبعض كان من مال الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب ، فإنه كان قد تزوج بنته ، وكتب له وصية ، وتصدق نايب الكرك بنحو ثلاثة آلاف إردب غلة كانت خزيناً عنده في الشونة على جماعة من الجند والفقراء والفقهاء».

سنة ٧٣١

٦٠ ظ « . . . **قال صاحب النزهة** : وكتب السلطان أيضاً كتاب بلجك ابن أخت قوصون على بنت دنكز نايب الشام ، وأُحضرتْ إلى مصر، وسيَّر

والـدها معهـا تحفاً كثيـرة وأموالاً ، وكـانت الأفـراح متصلة في أيـام كثيـرة ، [و] فـرح السلطان لأجل عـافيته، وتـأمّر ولـده أحمد، وزواج ولـده أنـوك، وزواج بلجك».

[ترجمة التاج إسحاق ناظر الخاص]

٦٣ و «. . . قال صاحب النزهة :حكى لي الأمير علاء الدين بن هلال الدولة أنـه لما فـرغ من دفنـه ، طلع إلى السلطان، فقـال لـه السلطان : يـا عـلاء الدين ، سمعت أنهم لما جردوا ثياب التاج إسحاق وجدوا في جيبه التحتـاني صنماً من الذهب . فقال له علاء الدين : يـا خونـد ، ما رأيت شيئـاً . وكان السلطان والأمراء يزعمون أنه على دين النصرانية ما تغـيّر منه شيء ، وعلمـه عند الله».

سنة ٧٣٢

[ترجمة القاضي فخرالدين ناظر الجيش]

٦٦ و « . . . وقال صاحب النزهة : وفيها حصل للقـاضي فخرالـدين ناظـر الجيش ألم في جسمه ومرض أعـاقه عن الركوب، وبقي عـلى ذلك أيـاماً ، ثم قـوّى نفسه عـلى الركـوب خـوفـاً عـلى منصبـه ، فـركب ورآه السلطان وهـو ضعيف ، فقـال له : لا تـزعج نفسـك يا قـاضي ولا تـركب . وسعى عليـه موسى بن التاج إسحاق سعياً عظيماً ، حتى قـال للسلطان : يا خـوند ، ولـو تعـافى فخرالـدين فإنـه لا يصلح . فقال لـه السلطان :لِمَ؟. فقال : إنـه قـد كف بصره ، وإن لم يصدّقني مـولاي السلطان ، فإنـه إذا طلع يناولـه مولاي السلطان ورقة حتى يرى صـدق ما قلتـه . فبلغ ذلك فخـرالدين عن مـوسى فحمـل نفسـه وهـو عـلى غـايـة الضعف ، وطلع إلى السلطان وجلس بـين يـديه ، فقـال لـه السلطان : يـا قـاضي ، مـا قلت لـك مـا تـزعـج نفسـك بالركوب . قال له : يا خوند ، ما أزعج نفسي إلا لنصحـك في هذا الوقت، وجيت أودعـك وأوصي إليك عـلى عائلتي وولـدي بعـدي ، وعنـدي ذخيـرة لمـولاي السلطان، وهي عشـرة آلاف دينـار وشيء من اللؤلؤ وغيـره ، وجميـع

ذلك من صدقة مولاي السلطان، ومن صدقة مولاي الشهيد الملك المنصور، وأعرّف مولاي السلطان أن أولاد التاج إسحاق اتفقوا على أخذ مال السلطان من الخاص ومن الديوان، وحطّ عليهم وبالغ في الحطّ، وقال: لا تأمنهم ولا تحكّمهم في مالك. وما قام من عند السلطان حتى أولغ في قلبه من أمرهم شيئاً عظيماً وأغضبه غضباً كلياً. ولما فارقه، وأقام في بيته ثلاثة أيام، أرسل وراء علاء الدين بن هلال الدولة وأعطاه ورقة مختومة، وقال: يا علاء الدين، خلّ هذه الورقة عندك، فإن مت أوصلها إلى مولانا السلطان، وإن عوفيت فهي لي عندك وديعة، وعرّف السلطان أن لا يتعرض لأحد من أولادي والذي كان عندي أعطيته، وما بقي لهم غير الأملاك وهم يعيشون بها. قال الراوي: أخبرني علاء الدين أنه طلع إلى السلطان وعرفه بأمر الورقة، فأخذها من يده وقرأها وفهم ما فيها وناولها إياه. وفي اليوم التالي من ذلك توفي القاضي فخرالدين، رحمه الله، ونزل علاء الدين وأولاد التاج إسحاق والحجاب وجماعة من الأمراء، وأوقعوا الحوطة على المكان الذي قال به للسلطان، فوجدوا فيه عشرة آلاف دينار وبعض جوهر، فطلعوا به إلى السلطان. ثم طلب السلطان مملوكه لؤلؤ، فأحضره بين يديه، وقال له: عرّفني كل ما يملك أستاذك في بلاد مصر والشام وغيرها، وإلا سلّمتك لمشد الدواوين. وشرع في تهديده، وقال: يا خوند، امهلني حتى أكتب بذلك أوراقاً، وحلف أنه لا يخفي عن السلطان شيئاً، فأمهله ثلاثة أيام، وبعد ثلاثة أيام أحضر أوراق تشتمل على متاجر كثيرة وبساتين ودواليب وضياع في سائر أعمال الشام وحلب وحماه وغزة والقدس وسائر بلاد الشام، لم يخل مكان ولا بلد إلا وله فيه تعلق، وكتب أيضاً شيئاً كثيراً من أصناف التجارة مثل الزيت والصابون ونحو ذلك، وكتب أيضاً شيئاً كثيراً من دواليب مصر والمعاصر والغيطان، ٦٦ ظ ومن أصناف المتجر شيئاً كثيراً، //ولم يدع شيئاً حتى كتبه، فأعجب السلطان ذلك وأمر بالحوطة على جميع ذلك، وكتب إلى ساير النواب في بلاد الشام بإيقاع الحوطة على ذلك جميعاً، وأمر أن تباع الأصناف وتحمل إليه

أثمانها ، فحصل للسلطان من تركته شيئاً كثيراً يصل أكثر من ألف ألف درهم، سوى ما تركه لأولاده، وسوى الأوقاف التي أوقفها فخر الدين في حياته».

[ذكر دخول نايب الحلة إلى بلاد السلطان]

١١٣ ظ « ... وفي كتاب نزهة الناظر : وكان معهم نايب الحلة فخرالدين محمود وجماعة كثيرة من أهل بغداد ، وهؤلاء قد خرجوا ومعهم حريمهم وأموالهم وألزامهم وخرجوا على حمية ، لأنهم ما خرجوا إلا بعد أن قتلوا الشيخ علاء الدين الشهرزوري وكان نايب علي باشا ، متولي بغداد ، وكان قد كتب لهم بأسماء جماعة ، منهم هؤلاء المذكورون ، لأجل المصادرة وتخريب الدور . ولما توسط هؤلاء الطريق كتبوا إلى نايب الشام ، وكتب نايب الشام إلى السلطان ، فرد الجواب بإكرامهم والإحسان إليهم إلى أن يحضروا إلى مصر ، وكتب نايب الشام إلى نايب حلب بإكرامهم والإحسان إليهم ، فأكرمهم نايب حلب إلى أن وصلوا إلى نايب الشام، فأكرمهم وقرّبهم وقدموا له أشياء حسنة ، ثم أرسلهم إلى مصر ، فدخلوا إلى السلطان فقربهم إليه وأكرمهم ، وكانوا وصلوا مع علاء الدين بن صبح ، وأخلع على نجم الدين الوزير، ورسم له بالإقامة في مصر، وعلى الغوري المحتسب ببغداد ، ورسم لمحمود كاتب الحلّة بإمرة طبلخاناه بدمشق ، وقدم كل منهم تقدمة سنية ، وكان من جملة الذي قدمه وزير بغداد حجر بلخش زنته ثمانية وعشرون درهم ، ولم يكن عند السلطان مثل هذا الحجر مع كثرة الجواهر عنده لا من الصنعة ولا من الوزن ، وأعجب به السلطان ، واستمر نجم الدين الوزير بمصر على إقطاع طبلخاناه إلى أن توفي الأمير سيف الدين ظهير بغا عقيب دخول ابن السلطان على بنته ، فأنعم عليه بتقدمته ، وصار من مقدمي الألوف .

سنة ٧٣٨

عزل ألطنبغا المارداني عن نيابة حلب]

١٢٠ و « . . . وقال في نزهة الناظر : وكان السبب لعزله ما وقع بينهما من الكلام في نوبة سيس وكرهه من ذلك الوقت ، ثم إن نايب الشام ركب إلى الصيد على عادته وجعل طريقه على قلعة جعبر ، فكتب إلى نايب حلب أن يجمع رجالاً من البلاد ويرسلهم إلى جعبر قبل حضوره . فلما وصل كتابه لنايب حلب وفهم ما فيه تنمّر في وجه البريدي ، وقال : لِمَ يسخر بهذه القلعة المشؤومة . والله ، لقد خربت حلب وبلادها لأجل هذه القلعة ، والأمر كان كذلك ، فإن طول السنة كان رجال البلاد مسخرين بسببها ، وردّ الجواب بالإعتذار . ولما جاء البريدي إلى نايب الشام عرّفه بما جرى وما قاله ، فتأكدت بينهما الوحشة ، وكتب إلى السلطان أن هذا ما بقي يصلح في النيابة ، وأنه من حين توفي ولده راح عقله ، وأن البلاد خراب ، وتكلم بكلام كثير من الحط عليه ، وأشار أن الأمير طرغاي صالح لهذه المدينة وهو الذي يدبر أمرها ، فرسم السلطان بحضور ألطنبغا إلى مصر وتولية الأمير طرغاي » .

[ذكر عمل جسر في البحر بحكر ابن الأثير]

١٢٠ ظ « . . . وقال صاحب النزهة : وكان السبب في ذلك أن البحر عمل على ناحية بولاق وهدم جامع الخطيري ثم جددوه . وأمر السلطان لسكان
١٢١ و البحر المجاورة للجامع بأن يعمل كل فرد له دار // زريبة لا يكون عليه حكر للسلطان ، وكتب بذلك مسامحات لأرباب الأملاك ، وعمّر الناس شيئاً كثيراً من ذلك ، ولم يرجع البحر عنهم . فعند ذلك كتب السلطان لنايب الشام ونايب حلب أن يبعثا إلى مصر مهندسي الفرات لعلهم يعملون شيئاً من هندستهم ، فأرسلا جماعة منهم ، وطلب أيضاً مهندسي الغربية والبحيرة والجيزية ، وركب السلطان بنفسه إلى البحر وعرّفهم أنه يقصد رجوع البحر عن هذه الأماكن التي استولى عليها ، ونزل بنفسه في الحرّاقة ، ونظر في

جميع أماكن البحر ، واتفق رأي مهندسي الفرات ومصر على أن يحفروا الجزيرة قبالة بستان الكسبي ، وشال منها الرمل ليصير خليجاً واطياً يجري الماء فيه ، ويعمل جسر يكون سدّ في وسط البحر متصلاً بالجزيرة ، فإذا كان أوان الزيادة يجري الماء في ذلك الأرض الواطئة، ويعمل في ناحية انبابة ، ويقل جريانه وتياره عن تلك الناحية ، ويرجع الفلفيلة عنه ، وعرّفوا السلطان أن هذا العمل يريد كلفة ، وما طلع السلطان من الحرّاقة حتى عقد معهم عمله . وفي اليوم التالي كتب مراسيم لساير الأقاليم بحضور الرجال صحبة المشدين ، وطلب مشد العمارة ، وأحضر ساير الحجّارة ، وأمر بقطع الحجر من الجبل . واتفق الحال على أن يغرق مراكب وهي ملآنة حجارة ، وطلب الرئيس ومشد الصناعة ، ورسم بإحضار المراكب التي عندهم . ولم تمض عشرة أيام حتى حضرت الرجال من الأقاليم صحبة المشدين، وعين لهذا العمل الأمير آقبغا بن عبد الواحد وبرصبغا الحاجب ، وأمر الوالي بمصر والوالي بالقاهرة أن لا يدعا أحداً حتى يسخرّاه في هذا العمل ، وركب الواليان وأحرما أحداً من الحرافيش أن يقعدوا في أماكنهم ، وسخّرا منهم جماعة كثيرة . ثم مسكا من وجداه في الطرقات كاينا من كان، حتى مسكا من المساجد والجوامع في وقت الضحى ، واحترمت الناس من الخروج في الليل والنهار، وقاسوا شدة عظيمة ، فإذا وقع الرجل في العمل لا يبرح عاملاً ، ولا يقدر بعد ذلك أن يخلص نفسه إلا إذا دفع دراهم كثيرة ، وتسلّط الأميران المذكوران على أهل البلاد وغيرهم ، واستحثا في العمل ، وكان العمل في أيام الحرّ ، وربما كان الرجل يقطع من الرمل العالي فيردم عليه فيموت ، ومات خلق كثير في هذا العمل ، وآقبغا راكب في الحرّاقة والمراكب تحضر بالحجارة من الفصوص الكبار ، ومع ذلك يركب السلطان ويأتي إليهم ، ويحرّض آقبغا عليهم ويسبّه ويستحثه . وأقام العمل إلى أن ينتهي شهراً كاملاً ، وكان
١٢١ ظ عدة المراكب التي غرقت وفيها الحجر اثني عشر مركباً // كل مركب محمل ألف إردب ، وعدة المراكب التي تنقل الحجارة إلى ثلاثة وعشرين ألف

مركب ، وأما ما أعدم من آلات الخشب والسرياقات والمؤن التي تختص به ما لا يحصى ، وصارت تلك الجزيرة التي هي الرمل خليجاً محفوراً . ولما زاد النيل جرى الماء في ذلك الحفر ، وأخرق بقوته إلى أن رجع إلى ذلك الجانب وعلا الماء عند انتهاء الزيادة على ذلك الجسر ، وقوي على التيار ولم يتصدع منه شيء ، وسنذكر ما جرى عليه إن شاء الله . وفي يوم الاثنين سابع رمضان وقع بالغربية وبعض بلاد البحيرة برد كبار قدر بيض الدجاج ، فأتلف زرعاً كثيراً ، والبلاد التي أصيبت أحد وأربعون بلداً» .

[ذكر هبوب رياح شديدة وما أنتجته من أضرار]

« وقال صاحب النزهة : ولما كان العشر الأول من رمضان . هبت ريح سوداء أظلم الجو منها ، واشتدت إلى أن رمت بيوتاً كثيرة وأخربتها ، ثم جاء عقيب ذلك حصى أسود يأتي من الريح من نحو البحر المالح ، وبقي نزوله مستمراً إلى قريب الفجر ، وخرجت الناس من أهل البلاد ، فوجدوا الحصى قد ملأ الطرقات وسدها وهو حصى أسود ، واعتبروا طعمه فوجدوه مرّاً مثل الصبر ، واعتبروا أثقل ما فيه ، فوجدوه ماية وثمانين درهماً وما دونها ، ووجدوا في ناحية قلّين،من شيشن الكوم، حصى بقدر النارنج ثم مثل بيض النعام وما دون إلى قدر البندق ، وأفسد شيئاً كثيراً من الزرع ، وكان القمح قريب الحصاد ، وقد أفرك ورمى سنبله إلى الأرض ، ووجدوا أغناماً كثيرة مطروحة في المرجات ميتة ومعزاً كثيرة في البيوت . . . » .

[ذكر وقوع أمطار وسيول بمصر والقاهرة]

«. . .قال في النزهة :وفي مستهل رمضان وقع بمصر والقاهرة مطر عظيم ودام ستة أيام وأخرب أماكن كثيرة ، ثم نزل سيل من الجبل إلى أن وصل إلى قبة الساسة ، وانهدمت البيوت العتيقة أولاً فأولاً ، ثم أعقبته رياح عظيمة ، ثم أوقع في تلك السنة برد الشتاء لم يعهد في بلاد مصر ، حتى أن من لم يلبس (. . . .) » .

سنة ٧٣٩

١٣٠ ظ « . . . وقال صاحب النزهة : وكانت هدية أزبك ثلاث مماليك وسنجاباً كثيراً وغير ذلك من التحف ، وكان جواب السلطان أن لي ثلاث بنات أكبرهن عمرها ست سنين، فإذا استحقت التزويج أرسلتها إليه » .

[ترجمة قاضي القضاة جلال الدين القزويني]

١٤١ ظ « . . . وفي نزهة الناظر : وكان أولاده [جلال الدين القزويني] يحكمون عليه في أحكامه، والذي نالوه من السعادة والتيه والمراكب من الخيل والأملاك وغيرها ما ناله أحد ، ويكفي في وصفه أنه خرج من مصر وأهله ومن يلوذ بهم في ستين محارة . وكان ولده عبدالله قد اقتنى من الجوار الترك والمولّدات وغيرها نحو ستين جارية ، وأخذ معه إلى دمشق ثلاثين جارية . وكانت مواهب جلال الدين من الألف إلى المائة ، وكان يرتّب عليه كل سنة ديون مستكثرة من كثرة مكارمه وإحسانه للقريب والغريب وأصحاب البيوتات وغيرهم ،ونسبته إلى أبي دلف العجلي » .

[ترجمة الأمير سيف الدين المعزي]

١٤٣ ظ « . . . وفي نزهة الناظر : واشتملت تركته من الذهب والفضة وغير ذلك على مائة ألف دينار، سوى ما أخذه النشو وكاتبه نحو خمسين ألف دينار » .

سنة ٧٤٠

[ذكر القبض على النشو وأهله وقتلهم]

١٥١ وا « . . . وقال صاحب النزهة : وكانت آخر حلقة عملت من أمتعة النشو التي لا يؤبه إليها بخمسة وسبعين ألف درهم ، وكانت جملة الحلق التي عملوها تسعة وعشرين حلقة ، والذي وجدوا لولي الدولة كامل المتجر . ما قيمته خمسون ألف دينار ، ووجدوا له أشياء كثيرة من التحف ، حتى وجدوا فرجيات بأطواق سمّور ومقاعد أطلس ، ووجدوا لولي الدولة صهر

النشو ما ينيف عن ثمانين ألف دينار ، وحصل للمتحدثين شيء كثير من ألقابه ، وربما عدمت للنشو وأهله ودايع كثيرة، ودفن كثير لم يعلم بها أحد
١٥١ ظ والله أعلم . ولما جاء شهر رجب عملت صنّاع الحلاوة // صوراً من الحلاوة منها صورة النشو على هيئته وهو محمول على ظهور الرقّاصين أخرجوه ليعاقب ، فيقوم ويمشي والخروق ملفوفة على رجليه حتى كأنه هو ينطق ، وأخوه المخلص وهو محمول ، وكذلك أخوه رزق الله وهو مذبوح ، وأمه وهم أحضروها والزنار في وسطها ويعصرونها ، وهم يعاقبون النشو قدّامها ، وأخت النشو زوجة ولي الدولة وهي بالازار البغدادي والسرموجة الزرخوني،وهي تمشي بطرف ، وكسبوا من ذلك كسباً عظيماً ، وكانت بيوت الأقباط يرسلون إلى الصنّاع ليعملوا لهم تلك الأشكال ، فملئت بيوت الكتّاب منها ، فأقامت الصناع في ذلك مقدار عشرين يوماً على خلاف العادة » .

« وفي كتاب النزهة أيضاً أن النشو قتل كثيراً من الكتّاب ، وكان إذا ظفر بكاتب قتله وقتل من يلوذ به ويخرب بيته ، ويدّعي عند السلطان أن في بيته خبية فيها ذهب ، فقتل هو وأهله أشر قتلة » .

[وفاة زوجة الأمير بدر الدين جنكلي]

« ... وقال صاحب النزهة : حضرت في جنازة امرأة الأمير بدرالدين جنكلي بالقرافة، والأمير ناصر الدين ولدها جالس وشمس الدين ابن الصايغ وجمال الدين الاتقوي ، فشرعت أنشد الأبيات التي قالها القاضي علاء الدين [بن فضل الله] ، فأخذ جمال الدين الاتقوي في أبيات نظمها ، وفيها تعريض بذكر الشيخ شمس الدين بن عدلان ، فإنه كان يكثر التردد إليه ويعده مواعيد كثيرة ، ويمنّيه أن يوليه القضاء » .

سنة ٧٤١ .

[ترجمة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون] . . .

١٦٥ و « ... وفي النزهة : ولما حضر السلطان من الكرك وتولى السلطنة

الثانية كان عمره خمس عشرة سنة ، وفي ذلك قال الوادعي :

الملك الناصر قد أقبلتْ دولته مشرقة الشمسِ
عاد إلى كرسيّه مثلما عاد سليمان إلى الكرسي .

وأقام في السلطنة إلى سنة ثمان وسبع مايـة ، ثم خرج من مصر بنيّة الحجاز ، فتوجه إلى الكرك متغيّظاً من سلار وبيبرس ، فأقام في الكرك سنة ، ثم خرج كما ذكرنا ، وعاد إلى سلطنته ، واستمر بها إلى أن مات ، وبعد سلطنته الثالثة قبض في يوم واحد على اثنين وثلاثين أميراً » .

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

فهرس الجماعات والقبائل والأمم

(أ)

فهرس الأماكن

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(م)

(ن)

(و)

(ي)

فهرس المصطلحات التاريخية

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ذ)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(ن)

(هـ)

(و)

فهرس القوافي

فهرس الكتب الواردة في المتن

المصـادر والمَـراجع

أولا: المصادر

أ ـ المصادر المخطوطة:

- ابن أبي الفضائل، المفضّل (ت ٧٥٩ / ١٣٥٨):
النهج السديد والدرّ الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد. المكتبة الوطنية، باريس، Arabe 4525.

- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت ٧٣٦ / ١٣٣٦):
درر التيجان وغرر تواريخ الأزمان. صورة شمسية بدار الكتب المصرية، رقم ٤٤٠٩ تاريخ.

- ابن تغري، بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ / ١٤٧٠):
المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. نسخة دار الكتب المصرية، رقم ١٢٠٩ تيمور.

- ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت ٧٧٩ / ١٣٧٧):
درّة الأسلاك في دولة الأتراك.
  - ج ١ ـ ٢: نسخة مصورة بالمكتبة السليمانية بأدرنة رقم ٢٨٦.
  - ج ٣: نسخة مصورة بدار الكتب الصرية، رقم ٦١٧٠ ح.

- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم (ت ٨٠٩ / ١٤٠٦):
الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والسلاطين. مخطوط المكتبة الوطنية، باريس، Arabe 5762.

- ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد (ت ٧٦٤ / ١٣٧٣):
عيـون التواريخ، ج ٥، نسخة مصورة عن مخطوط كوبرلي، رقم ١١٢١.

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٤٩ / ١٣٤٨):
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. مخطوطا آيا - صوفيا وأحمد الثالث، ومنها صورتان محفوظتان بمكتبة الجامعة الأميركية في بيروت تحت الرقمين:
MS/915/ I 13 m 1A, | MS/915/ I 13m A

- ابن قاضي شهبه، تقي الدين أبو بكر (ت ٨٥١/ ١٤٤٨):
الاعلام بتاريخ الاسلام. مخطوط البودليان no 143، ومخطوط دار الكتب المصرية، رقم ٣٩٢ تاريخ.

- ابن واصل، جمال الدين محمد (ت ٦٩٧ / ١٢٩٨):
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. مخطوط المكتبة الوطنية، باريس، Arabe 1702.

- أبو زرعة العراقي، ولي الدين أحمد (ت ٨٢٦ / ١٤٢٣):
ذيل تاريخ الاسلام. مخطوط المتحف البريطاني Or. 9254

- بيبرس المنصوري، ركن الدين بن عبد الله (ت ٧٢٥ / ١٣٢٥):
زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة. مخطوط المتحف البريطاني Or. 8157

- الجزري، شمس الدين محمد (ت ٧٣٩ / ١٣٣٩):
حوادث الزمان وأنباؤها ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائها. نسخة كوبرلي، رقم ١٠٣٧.

- الذهبي، شمس الدين محمد (ت ٧٤٨ / ١٣٤٨):
تاريخ الاسلام. نسخة مصورة عن مخطوط آيا - صوفيا، رقم ٣٠١٣ - ٣٠١٤، المجلدان: ٢٠ - ٢١.
Institut de Recherche et d'Histoire des Textes (pochette 1232), Paris.

- الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤ / ١٣٦٣):

أعيان العصر وأعوان النصر.
- نسخة آيا صوفيا رقم ٢٩٦٣ .
- نسخة أحمد الثالث رقم ٣٠١٠ .
- نسخة رسل كتّاب رقم ٥٨٩، ومنها صورة شمسية محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ تاريخ، ج ٦ ـ ٧.
- نسخة المكتبة الوطنية، باريس Arabe 5859 .
- **تحفة ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب.**

المكتبة الوطنية، باريس، Arabe 5827 .

ـ العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥ / ١٤٥١):
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان.
- مخطوط أحمد الثالث رقم ٢٩١١ / ١٧ .
- نسخة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ (ج ٢٦).

ـ المقريزي، تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥ / ١٤٤٢):
المقفى في تراجم أهل مصر والواردين عليها. نسخة بخط المؤلف محفوظة في المكتبة الوطنية، باريس، Arabe 2144 .

ـ النويري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٢ / ١٣٣٢):
نهاية الأرب في فنون الأدب. مخطوط المكتبة الوطنية، باريس Arabe 1578 (ج ٢٩ ـ ٣٠).

ـ اليونيني، قطب الدين موسى (ت ٧٢٦ / ١٣٢٦):
ذيل مرآة الزمان. نسخة مصورة عن مخطوط أحمد الثالث رقم ٢٩٠٧، (ج ٣ ـ ٤).

ب ـ المصادر المطبوعة:

ـ ابن أبي الفضائل، المفضل (ت ٧٥٩ / ١٣٥٨):

النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد. نشر بلوشيه. باريس ١٩١٩ ـ ١٩٢٩.

ـ ابن أبي الوفاء، محيي الدين عبد القادر (ت ٧٧٥ / ١٣٧٣):
الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية، م ١ ـ ٢. حيدرأباد، الدكن ١٣٣٢هـ.

ـ ابن الأثير الجزري، عز الدين علي (ت ٦٣٠ / ١٢٣٢):
الكامل في التاريخ، م ١ ـ ٩. بيروت ١٩٦٧.

ـ ابن الأخوة، محمد بن علي (ت ٧٢٩ / ١٣٢٩):
معالم القربة في أحكام الحسبة. القاهرة ١٩٧٦.

ـ ابن الأكفاني السنجاري، محمد بن إبراهيم (ت ٧٤٩ / ١٣٤٨):
نخب الذخائر في أحوال الجواهر. تحقيق الاب أنستاس الكرملي البغدادي. القاهرة ١٩٣٩.

ـ ابن اياس، أبو البركات محمد (ت ٩٣٠ / ١٥٢٤):
بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج ١. تحقيق محمد مصطفى. القاهرة ١٩٨٢.

ـ ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله (ت ٧٣٦ / ١٣٣٦):
كنز الدّرر وجامع الغرر:
● ج ٨: الدرّة الزكية في أخبار اللدولة التركية. تحقيق أ. هارمان. القاهرة ١٩٧١.
● ج ٩: الدرّ الفاخر في سيرة الملك الناصر. تحقيق هـ. ر. رويمر. القاهرة ١٩٦٠.

ـ ابن بطوطة، شمس الدين محمد (ت ٧٧٩ / ١٣٧٧):
رحلة ابن بطوطة. بيروت. (لا. ت).

ـ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ / ١٤٧٠):

● المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، ج ١. تحقيق أحمد يوسف نجاتي. القاهرة ١٩٥٦.
● مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة. تحقيق ج. د. كارليل. كمبردج ١٧٩٢.
● النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ١٢ ـ ١٤. القاهرة ١٩٢٩ ـ ١٩٧٢.

ـ ابن جبير، محمد بن أحمد (ت ٦١٤ / ١٢٢٧):
رحلة ابن جبير. تحقيق حسين نصار. مصر ١٩٥٥.

ـ ابن الجيعان، شرف الدين يحيى (ت ٨٨٥ / ١٤٨٠):
التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية. نشر موريتز. بولاق ١٨٩٨.

ـ ابن حبيب، الحسن بن عمر (ت ٧٧٩ / ١٣٧٧):
تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ١ ـ ٢. تحقيق محمد محمد أمين. القاهرة ١٩٧٦ ـ ١٩٨٢.

ـ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢ / ١٤٤٨):
● انباء الغمر بأبناء العمر، ج ١ ـ ٣. تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٢.
● الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، م ١ ـ ٤. بيروت (لا. ت).

ـ ابن الخطيب، أبو العباس أحمد المعروف بابن قُنفذ القسنطيني (ت ٨١٠ / ١٤٠٧).
الوفيات. تحقيق عادل نويهض. بيروت ١٩٧١.

ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ / ١٤٠٥):
كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، م ٤ ـ ٥. بيروت ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨.

ـ ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم (ت ٨٠٩ / ١٤٠٦):
الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ج ٤ ـ ٥. بولاق ١٨٩٣.

ـ ابن رافع السلامي، تقي الدين محمد (ت ٧٧٤ / ١٣٧٣):
الوفيات، م ١ ـ ٢. تحقيق صالح مهدي عباس. بيروت ١٩٨٢.

ـ ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن (ت ٧٩٥ / ١٣٩٢):
الذيل على طبقات الحنابلة، ج ١ ـ ٢. تحقيق محمد حامد الفقي. القاهرة ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣.

ـ ابن الزيات، شمس الدين محمد (ت ٨١٤ / ١٤١١):
الكواكب السيّارة في ترتيب الزيارة. بغداد (لا. ت).

ـ ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي (ت ٦٨٥ / ١٢٨٦):
كتاب بسط الأرض في الطول والعرض. تحقيق فرنيط خينيس. تطوان ١٩٥٨.

ـ ابن سيد الناس، فتح الدين محمد (ت ٧٣٤ / ١٣٣٤):
عيون الأثر في فنون المغازي والشمايل والسّير، ج ١ ـ ٢. القاهرة ١٣٥٦هـ

ـ ابن شاكر الكتبي، صلاح الدين محمد (ت ٧٦٤ / ١٣٦٣):
فوات الوفيات والذيل عليها، ج ١ ـ ٥. تحقيق إحسان عباس. بيروت ١٩٧٣ ـ ١٩٧٧.

ـ ابن شاهين الظاهري، غرس الدين خليل (ت ٨٧٣ / ١٤٦٨):
زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. تحقيق بولس راويس. باريس ١٨٩٤.

ـ ابن شداد، عز الدين محمد (ت ٦٨٤ / ١٢٨٥):
- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة. ج ٣: تاريخ الجزيرة، تحقيق يحيى عبّارة، دمشق ١٩٧٨.
- تاريخ الملك الظاهر. تحقيق أحمد حطيط. فيسبادن ١٩٨٣.

ـ ابن الصقاعي، فضل الله بن أبي الفخر (ت ٧٢٦ / ١٣٢٦):

تالي كتاب وفيات الأعيان. تحقيق جاكلين سويله. دمشق ١٩٧٤.

- ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣ / ١٥٤٦):
● الثغر البسّام في ذكر من ولي قضاء الشام. تحقيق صلاح الدين المنجد. دمشق ١٩٥٦.
● إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. تحقيق عبد العظيم حامد الخطاب، القاهرة ١٩٧٣.

- ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبد الله (ت ٦٩٦٢ / ١٢٩٢):
● تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور. تحقيق مراد كامل. القاهرة ١٩٦١.
● الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر. تحقيق عبد العزيز الخويطر. الرياض ١٩٧٦.

- ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥ / ١٢٨٦):
تاريخ مختصر الدول. تحقيق انطوان الصالحاني اليسوعي. بيروت ١٨٩٠.

- ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ / ١٦٧٨):
شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١ - ٨. بيروت ١٩٧٩.

- ابن الفرات، ناصر الدين محمد (ت ٨٠٧ / ١٤٠٤):
تاريخ الدول والملوك، ج ٨. تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين. بيروت ١٩٣٩.

- ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٤٩ / ١٣٤٨):
● التعريف بالمصطلح الشريف. مصر ١٣١٢ هـ.
● مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (ممالك بيت جنكزخان). تحقيق كلاس لش. فيسبادن ١٩٦٨.

- ابن الفقيه الهمذاني، أبو بكر بن أحمد (ت ٣٦٤ / ٩٧٤):
مختصر كتاب البلدان. ليدن ١٣٠٢ هـ.

- ابن القاضي المكناسي، أبو العباس أحمد (ت ١٠٢٥ / ١٦١٦):
ذيل وفيات الأعيان المسمى درّة الحجال في أسماء الرجال، ج ١ - ٢.
تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧١.

- ابن قطلوبغا، زين الدين قاسم (ت ٨٧٩ / ١٤٧٤):
تاج التراجم في طبقات الحنفية. تحقيق غوستاف فلوجل. ليبزغ ١٨٦٢.

- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٧٤ / ١٣٧٣):
كتاب البداية والنهاية في التاريخ، ج ١٣ - ١٤. بيروت ١٩٦٦.

- ابن منظور، جمال الدين محمد (ت ٧١١ / ١٣١١):
لسان العرب، ج ١ - ١٥. بيروت (لا. ت).

- ابن ميسر، محمد بن علي (ت ٦٦٧ / ١٢٧٥):
تاريخ مصر. تحقيق ماسّيه. القاهرة ١٩٥٩.

- ابن الوردي، زين الدين عمر (ت ٧٤٩ / ١٣٤٨):
تتمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي)، ج ١ - ٢. النجف ١٩٦٩.

- أبوا الفدا، عماد الدين إسماعيل (ت ٧٣٢ / ١٣٣٢):
  - تقويم البلدان. باريس ١٨٤٠.
  - المختصر في أخبار البشر، ج ٣ - ٤. بيروت (لا. ت).

- الادفوي، كمال الدين جعفر (ت ٧٤٨ / ١٣٤٧):
الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد. تحقيق سعد محمد حسن. القاهرة ١٩٦٦.

- الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢ / ١٣٧١):
طبقات الشافعية، ج ١ - ٢. تحقيق عبد الله الجبوري. بغداد ١٩٧٠ - ١٩٧١.

- التنوخي، أبو علي المحسن (ت ٣٨٤ / ٩٩٤):
كتاب الفرج بعد الشدة. تحقيق عبود الشالجي، بيروت ١٩٧٨.

- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧ / ١٦٥٦):
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، م ٢. درسعادت ١٣١١ هـ.

- الحميري، أبو عبد الله محمد (ت ٩٠٠ / ١٤٩٤):
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥.

- الخزرجي، علي بن الحسن (ت ٨١٢ / ١٤٠٩):
العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ج ١ - ٢. تحقيق محمد بسيوني عسل. القاهرة ١٩١١ - ١٩١٤.

- الدمشقي، محمد بن أبي بكر (ت ٨٤٢ / ١٤٣٨):
الرد الوافر. تحقيق زهير الشاويش. بيروت ١٣٩٣ هـ.

- الذهبي، شمس الدين محمد (ت ٧٤٨ / ١٣٤٨):
● **كتاب دول الاسلام**، ج ١ - ٢. حيدر أباد، الدكن ١٣٣٧ هـ.
● **من ذيول العبر** (بالاشتراك مع الحسيني). تحقيق محمد رشاد عبد المطلب. الكويت (لا. ت).

- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١ / ١٣٧٠):
طبقات الشافعية الكبرى، ج ١ - ٦. بيروت. (لا. ت).

- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ / ١٤٩٦):
● **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**. دمشق ١٣٤٩ هـ.
● **الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع**، ج ١ - ١٢. مصر ١٣٥٢ - ١٣٥٥.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ / ١٥٠٥):

● **تاريخ الخلفاء. مصر ١٩٥٢.**

● **حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج ١ ـ ٢. مصر ١٣٢١ هـ.**

ـ شافع بن علي، ناصر الدين (ت ٧٣٠ / ١٣٣٠):
المناقب السرّية المنتزعة من السيرة الظاهرية. الرياض ١٩٧٦.

ـ الشجاعي، شمس الدين (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي):
تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي، ق ١. تحقيق بربارة شيفر. فيسبادن ١٩٧٨.

ـ الشيزري، أبو الفضائل عبد الرحمن (ت ٥٨٩ / ١١٩٣):
نهاية الرتبة في طلب الحسبة. تحقيق السيد الباز العريني. القاهرة ١٩٤٦.

ـ الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤ / ١٣٧٣):
● **نكهت الهميان في نكت العميان.** تحقيق أحمد زكي. القاهرة ١٩١١.

● **الوافي بالوفيات، ج ١ ـ ١٢، ١٤ ـ ١٧.** باعتناء العديد من المحققين. فيسبادن ١٩٣١ ـ ١٩٨٢.

ـ الطرسوسي، مرضي بن علي (ت ٥٨٩ / ١١٩٣):
تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء..، م ١٢، تحقيق كلود كاهين. نشرة الدراسات الشرقية. بيروت ١٩٤٨.

ـ القزويني، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ / ١٢٨٣):
آثار البلاد وأخبار العباد. بيروت ١٩٦٠.

ـ القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ / ١٤١٨):
صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج ١ ـ ١٤. القاهرة ١٩١٩ ـ ١٩٢٢.

ـ المقريزي، تقي الدين أحمد (ت ٨٤٥ / ١٤٤١):
● **البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب.** تحقيق عبد المجيد عابدين. القاهرة ١٩٦١.

● الـذهب المسبـوك في ذكـر من حـج من الخلفـاء والملوك. تحقيق جمـال الدين الشيال. القاهرة ١٩٥٥.
● كتاب السلوك لمعرفـة دول الملوك، ج ١ - ٣، (٦ أقسام) تحقيق محمـد مصـطفى زيـادة. القـاهـرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨. ج ٣ - ٤ (٦ أقسـام) تحقيق سعيد عاشور، القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٣.
● المـواعظ والاعتبار في ذكـر الخطط والآثار، ج ١ - ٢. بولاق ١٢٧٠ هـ.
● النقود الاسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود. تحقيق محمد علي بحر العلوم. النجف ١٩٦٧.

- النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٢٧ / ١٥٢٠):
الـدارس في تاريـخ المـدارس، ج ١ - ٢. تحقيق جعفـر الحسـين. دمشق ١٩٤٨ - ١٩٥١.

- اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٧ / ١٣٦٦):
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حـوادث الزمـان، ج ١ - ٤. حيدر أباد، الدكن ١٣٣٩ هـ.
- ياقوت الرومي، شهاب الدين (ت ٦٢٦ / ١٢٢٨):
معجم البلدان، ج ١ - ٥. بيروت ١٩٧٩.

- اليونيني، قطب الدين موسى (ت ٧٢٦ / ١٣٢٦):
ذيـل مرآة الـزمـان، ج ١ - ٤. حيـدر أبـاد، الـدكن ١٩٥٥ - ١٩٦١.
ج - المصادر المترجمة:

— Ibn abī 1 - Faḍā'il, Mufaḍḍal, **Histoire des sultans Mamlūks** dans Patrologia Orientalis XII, XIV, XX, texte arabe traduit en français publié par E. Blochet. Paris 1919 — 1929,
— Makrizi, Takieddin Ahmad, **Histoire des sultans Mamlouks de l'Egypte,** traduite par M. Quatremère, Tome I, 2ème Partie. Paris 1845.

ثانيا: المراجع

أ ـ المراجع العربية:

ـ باشا، حسن: **الألقاب الاسلامية في التاريخ والآثار**. القاهرة ١٩٥٧.

ـ البري، عبد الله خورشيد: **القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة**. القاهرة ١٩٦٧.

ـ البستاني، بطرس: **محيط المحيط**، ج ١ ـ ٢. نسخة طبق الأصل عن طبعة ١٨٧٠، بيروت (جزءان).

ـ البغدادي، إسماعيل: **هدية العارفين**، م ٢. استنبول ١٩٥٥.

ـ الجاسر، حمد: **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية**، ج ١ ـ ٣. الرياض ١٩٧٧.

ـ حبشي، حسن، ورفاقه: **أبو العباس القلقشندي وكتابه «صبح الأعشى»**. القاهرة ١٩٧٣.

ـ حمزة، عبد اللطيف: **القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى»**، القاهرة ١٩٦١.

ـ الزركلي، خير الدين: **الأعلام**، ج ٨. القاهرة ١٩٥٩.

ـ شير، أدّي: **الألفاظ الفارسية المعربة**، بيروت ١٩٠٨.

ـ عاشور، سعيد: **العصر المماليكي في مصر والشام**. القاهرة ١٩٦٥.

ـ العش، يوسف: **فهرس الظاهرية بدمشق** (قسم التاريخ). دمشق ١٩٤٧.

ـ عيسى، أحمد: **تاريخ البيمارستانات في الاسلام**. بيروت ١٩٨١.

ـ العنيسي، طوبيا: **تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه**. مصر ١٩٣٢.

ـ فهمي، عبد السلام عبد العزيز: **تاريخ الدولة المغولية في إيران**، القاهرة ١٩٨١.

ـ كحالة، عمر رضا: **معجم المؤلفين**، ج ١٣. دمشق ١٩٦١.

ـ كرد علي، محمد: **خطط الشام**، ج ٢. بيروت ١٩٦٩ ـ ١٩٧٢.

ـ الكرملي البغدادي، أنستاس: **النقود العربية وعلم النميات**. القاهرة ١٩٣٩.
ـ ماجد، عبد المنعم: **نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر**، ج ١ - ٢. القاهرة ١٩٧٩.
ـ مبارك، علي: **الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**، م ١ ـ ٤. القاهرة ١٩٨٠.
ـ مدكور، محمد: **معالم الدولة الاسلامية**. الكويت ١٩٨٣.

ب ـ المراجع الأجنبية المعرّبة:

ـ رنسمان، ستيفن: **الحروب الصليبية**، ج ٣. ترجمة السيد الباز العريني. بيروت ١٩٨٠.
ـ روزنتال، فرانز: **علم التاريخ عند المسلمين**. ترجمة صالح أحمد العلي. بغداد ١٩٦٣.
ـ زامباور: **معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي**، ج ١ - ٢. ترجمة زكي حسن وحسن محمود. القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢.
ـ لسترنج، كي: **بلدان الخلافة الشرقية**. ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. بغداد ١٩٥٤.
ـ لين بول، استانلي: **طبقات سلاطين الاسلام**. ترجمة مكي طاهر الكعبي. بغداد ١٩٦٩.
ـ ماير، ليو آري: **الملابس المملوكية**. ترجمة عبد الرحمن فهمي محمد. القاهرة ١٩٥٤.
ـ موير، وليم: **تاريخ دولة المماليك في مصر**. ترجمة محمد عابدين وسليم حسن. مصر ١٩٢٤.
ـ هنتس، فالتر: **المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري**. ترجمة كامل العسلي. عمان ١٩٧٠.

ج - المراجع الاجنبية:

- AHSAN (M.M) : **Social Life under the Abbasids.** London , New-Yourk, Beirut. 1979.

- AMÉLINEAU (E.) : **La géographie de l'Egypte à l'époque Copte.** Paris MDCCC XC III.

- ARNOLD (T.) : **The Caliphate.** Oxford 1924.

- ASHTOR (E.) : **Histoire des prix et des salaires dans l'Orient médiéval.** Paris 1969.

- CAHEN (Cl.) : **Quelques aspects de l'administration égyptienne médiévale, vus par un de ses fonctionnaires. Bull.** de la F. des lettres de Strasbourg 1948.

- D'OHSSON (C.M.) : **Histoire des Mongols dépuis Tchinguiz Kan jusqu'à Timour Bey, Tome 3.** La Haye et Amsterdam, 1834-1835.

- DE SACY (S.): - **Sur la nature et les évolutions du droit de la propriété territoriale en Egypte.** (Bibliothèque des Arabisants Français). Le Caire 1923.

  - **Traité des monnaies musulmanes, traduit de L'arabe de Makrizi.** (Bibliothèque des Arabisants Français, Tome 1). Le Caire 1905.

- DOLS (M.) : **Ibn al-wardi «Risälat al-Nabá án al-Wabá»** dans Studies in Honor of G. C. Miles. AUB 1974.

- DOZY (R.) : - **Dictionnaire détaillé des vêtements chez les Arabes.** Amsterdam 1845.

  - **Supplément aux dictionnaires arabes,** Volunes 1-2. Leiden, Brill, 1967.

- DUSSAUD (R.) : **Topographie histoirique de la Syrie Antique et Médiévale.** Paris 1927.

- EL - BEHEIRY (S.) : **Les institutions de l'Egypte aux temps des Ayyūbides.** Thèse présentée à l'université des Paris IV, 1971.

- GAUDEFROY - DEMOMBYNES (M.) : **La Syrie à l'époque des Mamelouks d'après les auteurs arabes.** Paris 1923.

- LANE - POOLE (St.) : **A History of Egypt the Middle Ages.** London 1936.

- MUIR (W.) : **The Caliphate, its rise and fall.** Oxford 1891.

- PRAWER (J.) : **Histoire du royaume latin de Jérusalem, Tome 1** CNRS, Paris 1970.

- RICHARD (J.) : Le royaume latin de Jérusalem. Paris 1953.

- SAUVAGET (J.) : **La poste auxchevaux dans l'empire des Mamelouks.** Paris 1941.

- TOURNEBIZE (Fr.) : **Histoire politique et religieuse de l'Armenie.** Paris 1900.

- WIET (G.) : **Les biographies du Manhal Safi** (Mémoires de l'Institut d'Egypte, Tome 19). Le Caire 1932.

- ZAMBAUR (E.) : **Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam,** Tomes 1-2. Hanover 1927.

- ZETTERSTEEN (K.V.) : **Beiträge Zur Geschichte der Mamlüken-sultan.** Brill, Leinden 1919.

Encyclopédie de l'Islam.

1 – Ancienne édition (EI).

- BARTHOLD (W.) : art. «Tüman», IV, P. 836a - 836b.
- BÜCHNER (V.F.) : art . «SĪS», IV, P. 453b - 455b.
- HEFENING : art. «Waḳf», IV, P. 1096a - 1103a.
- HUART (Cl.) : art. «Silāḥ-dār», IV, P. 424a.
- MINORSKY (V.) : - art. «Mārdîn», III, P. 273b - 277a.
- MINORSKY (V.) : - art. «Mārdīn», III, P. 273b - 277a.
  - art, «Tabrîz,», IV, P. 583a - 593b.

II. Nouvelle édition (EI²):

AYALON (D.) - art. «Amîr Ākhūr», I, P. 455b.
- art, «Burdjiyya», I, P. 1365a - 1366b.
- art. «Ḥalḳa», III, P. 101b - 102a.

- BARTHOLE (W.) -[BOYLE, J. A]: art. «Ghāzān», II, P. 1067a - 1068a.
- DESPUIS (J.) : art. «Barḳa», I, P. 1080a - 1081b.
- CAHEN (Cl.) : art. «Iḳtā́», III, P. 1115a - 1118a.
- DUNLOP (D.M.) : art. «Bîmāristạn», I, P. 1259a - 1261a.
- EBEID (R.Y.) - YOUNG (M.J.) : art. «Ibn Daḳiḳal-ʿĪd, (Suppl.), P. 384a.
- EL - BEHEIRY (S.) : art. «Ḥarfūsh», III, P. 211b - 212a.
- MASSÉ (H.) : art. «Čawgān», II, P. 16b - 17b.
- LITTLE (D.P.) : art. «Khaznadār», IV, P. 1219b - 1220a.
- RABIE (H.) : art «Ḳalāwūn», III, P. 505a - 507a.
- SALIBI (K.) : art. «Ibn Faḍl Allāh al ʿUmarî», III, P. 781b - 782a.
- SPULER (B.) : art . «Īlkhāns», III, P. 1148b - 1151b.
- SÜMER (F.): art. «Ḳaramān Oghullarî» , IV, P. 643b - 650b.

رابعاً: الدوريات

- العريني، السيد الباز: الحسبة والمحتسبون في مصر. **المجلة التاريخية المصرية**، م ٣، عدد٢. القاهرة ١٩٥٠ (ص ١٥٧ - ١٦٩).

- القوصي، عطية، أضواء جديدة على تجارة الكارم. **المجلة التاريخية المصرية**، م ٢٢، القاهرة (ص ١٧ - ٣٩).

- لبيب، صبحي: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى. **المجلة التاريخية المصرية**، م ٤، عدد ٢، القاهرة ١٩٥٢ (ص ٥ - ٦٣).

AYALON (D.) : L'esclavage du Mamlouk. Repris dans The **Mamlūk Military Society.** Variorum Reprints. London (C.S. 104).

ASHTOR (E.): - L'évolution des prix dans le Proche - Orient à la basse époque, dans **JESHO,** IV, 1961. (P. 15-46).

- La recherche des prix dans l'Orient - Médiéval, sources, méthodes et problèmes, dans Studia Islamica, XXI (P. 120 et suiv.), repris dans **The medieval Near East.** Variorum Reprints. London 1978 (C.S. 79).

EUSTACHE (D.) : Les perles de Colliers ou «Traité des monnaies de Maqrîzî, texte, Traduction et annotation dans **Hespéris Tamuda X, Fasc.** 1-2. Rabat 1969. (P. 96-184).

WEIT (G.) : Les marchands d'épices sous les sultans Mamlouks. **(Cahiers d'Histoire Egyptienne).** Le Caire 1955 (P. 130).

المحتويات